كِتَابُ جُمَل

مِن

أَنسَابِ الأَشرَاف

صَنَّفَهُ

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

الجزء السادس

بنو أمية بن عبد شمس

حققه وقدم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الدكتور رياض زركلي

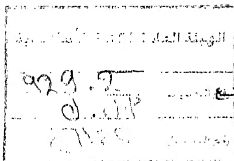
بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع



١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م

الطبعة الأولى



بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

خبر عبيدالله بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية ومقتل مسعود بن عمرو

قال هشام ابن الكلبي في إسناده: أتى عبيدَ الله بن زياد خبرُ وفاة يزيد بن معاوية وهو بالبصرة، وخليفته على الكوفة عمرو بن حُريث المَخزومي، فقال لأهل البصرة: إن شئتم فبايعوني بالإمْرة حتى تنظروا مايصنع الناس وتروا رأيَ مَنْ وراءكم، فبايعه أهل البصرة على ذلك، ووجّه عبيد الله من البصرة عامر بن مِسْمَع من بني قيس بن ثعلبة وسعد بن القرحاء ليُعلما أهلَ الكوفة ماكان من أهل البصرة ويسألاهم البيعة لابن زياد على الإمْرة حتى يصطلح الناس على إمام، فجمع عمرو بن حُريث الناس وعرض ذلك عليهم، وأمر عامر بن مِسْمَع أن يتكلّم فتكلّم ودعاهم إلى البيعة لعبيد الله وقال: إنّما الكوفة والبصرة شيء واحد فليكن أمرنا وأمركم مجتمعاً، وقام سعد بن القرحاء فقال نحواً من ذلك، فقام يزيد بن الحارث بن رُويم الشيباني فحصبهما، ثمّ حصبهما الناس وقالوا: أنحن نبايع لابن مرجانة! لا ولا كرامةً، فشرُف بذلك يزيد بالمِصْر وارتفع، فرجع الرجلان إلى البصرة فأخبرا الناس الخبر، فقال أهل البصرة: أيخلعه أهل الكوفة ونبايعه نحن؟

هذا مالايكون! فوثب الناس به وكان عبيد الله يقول: مانزلتْ بزياد نازلة فاستجار فيها إلا بالأزد، فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي من ولد معن بن مالك بن فِهْر[1] بن غَنْم بن دَوْس، وكان مسعود يُدعى القمر لجماله، وهو جدّ الوجناء الحبلي فيما يقال، فأجار ابنَ زياد ومنعه، فمكث ابنُ زياد بالبصرة أربعين ليلة بعد موت يزيد، ثم خرج إلى الشام، واستخلف مسعوداً على البصرة، ووجّه معه مسعود مَن شَخَصَ به إلى مَأْمَنه من الشام؛ فقالت بنو تميم وقيس: لانرضىَ ولا نولّي علينا إلا رجلا ترضاه جماعتنا، فقال مسعود: استخلفني عبيد الله ولا أَدَعُ ذلك أبداً، وخرج في قومه حتى انتهى إلى القصر فدخله، واجتمعت بنو تميم إلى الأحنف بن قيس فقالوا له: إنّ الأزد قد دخلت المسجد، فقال الأحنف: وإن دخلوه فَمَهْ، إنّما هو لكم ولهم وأنتم تدخلونه أيضاً، ثم قالوا: إنّ مسعوداً قد دخل القصر وصعد المنبر، وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا بنهر الأساورة حين مضى عبيد الله إلى الشام، فزعموا أنّ الأحنف بعث إلى أولئك الخوارج: إنّ الرجل الذي دخل القصر عدوّ لنا ولكم، فما يمنعكم أن تبدأوا به؟ فجاءت عصابة من الخوارج حتى دخلوا المسجد ومسعود على المنبر يبايعُ مَنْ أتاه، فضربه علج فارسي يقال له مُسْلم، وكان مسلم هذا دخل البصرة فأسلم وصار مع الخوارج، فضرب مسعوداً فقتله وخرج، فجال بعضُ الناس في بعض وقالوا: قُتل مسعود، قَتَله الخوارج، فخرج الأزد إلى تلك الخوارج فقاتلوهم، فقتلوا منهم وطردوا من بقي وأخرجوهم عن البصرة، ودفنوا مسعود بن عمرو، وجاء ناس من

---

١ ـ في الاشتقاق لابن دريد ـ ط. القاهرة ١٩٥٨ ص٥٠٢ «ابن فهم»، وهو الأصح.

الناس إلى الأزد فقالوا: أتعلمون أنّ قيساً من بني تميم يزعمون أنّهم قتلوا مسعوداً؟ فبقيت الأزد تسأل عن ذلك، فإذا قوم يقولون ويتحدّثون بما كان من رسالة الأحنف، فاجتمعت الأزد عند ذلك إلى زياد بن عمرو بن الأشرف العَتَكي فرأستْهُ عليها، ثم ازدلفوا إلى بني تميم وخرج مع الأزد مالك بن مِسْمَع في بكر بن وائل، وأتت بنو تميم الأحنفَ فقالوا له: قد جاء القوم فاخرجْ، فجعل يتمكّث حتى جاءته امرأة من بني تميم من قومه فقالت: ياأحنف اجلس على هذا، وأشارت إليه بإصبعها الإبهام، أي إنما أنت امرأة، فقال: استكِ أحقّ به، فما سُمعتْ من الأحنف قطّ كلمة أرفثُ منها؛ ويقال إنّها جاءته بمِجْمَر فقال: استكِ أوْلى بالمجمر، ثم دعا الأحنف برايته فقال: اللهمّ انصُرْها ولا تُذِلّها، اللهمّ احقِنْ دماءنا وأَصلحْ ذاتَ بيننا، وكانت قيس مع بني تميم، فسار الأحنف وسار بين يديه ابن أخته إياس بن قَتادة بن أَوْفَى من بني عبد شمس بن سعد، فالتقى القوم فاقتتلوا أشدّ قتال فقُتل بينهم قَتْلى كثيرة، فقالت بنو تميم: الله الله يامعشر الأزد في دمائنا ودمائكم، بيننا وبينكم القرآن أو من شئتم من أهل الإسلام، فإن كانت لكم علينا بقتل مسعود بيّنةٌ فاختاروا أفضلَ رجل منّا فاقتلوه به، وإن لم تكن بيّنة فنحن نحلف لكم بالله أنّا ماقتلنا ولاأمرنا، وأنّ الخوارج اعتمدت صاحبكم من قِبَل أنفسهم، وأنّا لانعرف قاتله، وإن كرهتم ذلك فنحن نَدي صاحبكم مائة ألف درهم، فاصطلحوا، وأتاهم الأحنف في وجوه مضر إلى منزل زياد بن عمرو العَتَكي فقال لهم: يامعشر الأزد أنتم جيراننا في الدار، وإخواننا عند القتال، وقد أتيناكم في رحالكم لنُطفىء حَسِيكَتكم[1] ونسلّ

١ ـ الحسيكة: الحقد والعداوة. القاموس.

سخيمتكم، ولكم الحُكمُ، فعَولّوا على أموالنا فإنّا لايتعاظمنا منها شيءٌ يكون فيه صلاح ذات بيننا، ولأنتم أحبّ إلينا من تميم الكوفة، فقالوا: تَدُونَ صاحبَنا عشر دياتٍ، فقال: هي لكم، وانصرف الناس وقد اصطلحوا.

وقال هشام ابن الكلبي عن أبيه: انّهم قتلوا مسعودا وهم يظنّون أنّه عبيد الله بن زياد فاقتتلوا، ثم إنّ إياس بن قَتادة حمل الديات التي وَدَوْهُ إيّاها وهي عشر؛ قال: وكانت الأزد تقاتل وهي تقول:

إيــاسُ لا نَــرْضَى بِــهِ   أَحــنَفُ لا نُــنْــطَى بِــهِ

قال: وقُتل مسعود وهو ابن ثمانين سنة؛ قال، وقال الهَيْثَم بن الأسود النَخَعيِ أبو العُريان بن الهيْثَم بن الأسود:

عَلا النَعِيُّ لِمَسْعودٍ فَقُلْتُ لهم   نِعْمَ اليَمانيُّ تَنْعَى أَيُّها الناعي
وَفَّى ثَمانينَ لا يَسْطِيعُهُ أَحَدٌ   حَتَّى دَعاهُ لِرَأسِ العِدَّةِ الداعي
آوَى ابْنَ حَرْبٍ وقَدْ سُدَّتْ مَذاهِبُهُ   وأَوْسَعَ السَرْبَ منه أَيَّ ايساعِ

وقال عُبيد الله بن الحُرّ الجُعْفي:

ما زِلْتُ [أَرْجو] الأزْدَ حتى رَأَيْتُها   تَقاصَرُ مِنْ بُنْيانِها المُتَطاوِلِ
ومَقْتَلُ مَسْعودٍ فَلَم يَثْأَروا بِهِ   وصارَتْ سُيوفُ الأزْدِ مِثْلَ المَناجِلِ
وما خَيْرُ عَقْلٍ أَوْرَثَ الأزْدَ ذِلَّةً   يُسَبُّ بها أَحْياؤُهُمْ في المَحافِلِ

قالوا: وكان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيَري قد قدم من كِرْمان حين مضى ابن زياد إلى الشام فقال:

أَعُبَيْدُ هلاّ كُنْتَ أَوَّلَ فارِسٍ   يَوْمَ الهِياجِ دَعا لِحَيْنِك داعِ
أَسْلَمْتَ أُمَّكَ والرِماحُ شَوارِعٌ   يا ليتني لك لَيْلَةَ الأفْزاعِ

لابْنَ الزُّبيْر غداةَ يُجْمِعُ أَمْرَهُ أَوْلَى بِغايَةِ كُلِّ يَوْمِ وِقاعِ
وأَحَقُّ بِالصَّبْرِ الجَميلِ مِن امْرِيءٍ كَـزٍّ أَنامِلُهُ قَصيـرِ البـاعِ[١]

وقال ابن الكلبي في إسناده عن أبي مخنف وغيره: لما اصطلح الناس وتفرّقوا جعلوا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب يصلّي بهم، ارتضوا به، ثم إنّ ابن الزبير ولّى البصرةَ القُباعَ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المَخْزومي، وإنّما سُمّي القُباع لأنّ أهلَ البصرة أتوه بِمِكْيال لهم فقال: ماهذا القُباع، والقُباع الأجْوَف، وله يقول أبو الأسود الدُيلي:

أبـا بَكْرٍ جَـزاكَ الله خَيْراً أَرِحْنا مِنْ قُباعِ بني المُغيرَهْ[٢]

وأبو بكر عبد الله بن الزبير:

قال: واجتمع أهل الكوفة على عامر بن مسعود بن أميّة بن خَلَف الجُمَحي وكان يلقّب دُحْروجَة الجُعَل لِقِصَرْه، وفيه يقول عبد الله بن همّام السَلولي:

يا بْنَ الزُّبْير أميرَ المُؤْمِنينَ أَلَمْ يَبْلُغْكَ ما فعلَ العُمّالُ بِالعَمَلِ
باعوا التِجارَ طَعَامَ الأَرْضِ واقْتَسموا صُلْبَ الخَراجِ شِحاحاً قِسْمَةَ النَفَلِ
وقَدَّموا لَكَ شَيْخاً خائِناً خَذِلاً مَهْما يَقُلْ لَكَ شَيْخٌ كاذِبٌ يَقُلِ
وقيلَ طالِبُ حقٍّ ذو مزابنة[٣] جَلْدُ القُوَى ليس بِالواني ولا الوَكَلِ
أُشْدُدْ يَدَيْكَ بِزَيْدٍ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ واشْفِ الارامِلَ مِنْ دُحْروجَةِ الجُعَلِ

---

١ - ديوان يزيد بن مفرغ ص١٥٩ - ١٦٥ .
٢ - ديوان أبي الأسود ص٢٢٠ وفيه «أمير المؤمنين جزيت خيراً» .
٣ - المزابنة: بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر. القاموس.

يريد [مَرْثد بن] شراحيل كان أساء في البيع، و[زيد] مولى عتّاب بن وَرْقاء الرياحي كان خازنه، فمكث عامر ستّة أشهر ثم عزله ابن الزبير وولّى عبد الله بن يزيد الخَطْمي.

وحدّثني العمري عن الهَيْثم بن عديّ أنّ مسعوداً آوى ابن زياد، ثم وجّه معه رجلاً في جماعة فأبلغه مَأمَنه من الشام، وكان ابن زياد صيّر مسعوداً خليفته، فصعد مسعود المنبر وجعل يخطب، فبايعه قوم يهوون هوى بني أميّة، فلم يزل كذلك إلى الليل، ثم انصرف وقد تفرّق الناس عنه، وبقي في جُمَيِّعَةٍ، فلما صار في بني تميم شدّت عليه الخوارج فقتلته، فأتّهم بنو تميم، وجعل قوم يقولون: إنّ الأحنف دسّهم وجعلها زُبَيْريّة، يعني أنّه دسّ للزبير[1] حتى قُتل.

وقال أبو عبيدة مَعْمر بن المُثَنّى في روايته: عاد ابن زياد عبدالله بن نافع بن الحارث بن كَلَدة الثَقَفي ثم خرج من عنده فلقيهُ حُمْران مولاه، وكان قد وجّهه إلى يزيد، فأسرّ إليه موت يزيد واختلافَ أهل الشام، فأمر عبيدالله فنُودِيَ الصلاة جامعةً، ثم خطب فنعى يزيد وحضّ الناس على الطاعة وقال: اختاروا لأنفسكم فماسحوه، ثم بدا لهم في بيعته وجعلوا يَمْسحون أَيْدِيَهم منها بالحيطان؛ وكان في سجنه نافع بن الأزرق الحَنَفي، ونَجْدَة بن عامر الحَنَفي، وعبدالله بن إباض، وعبيدة بن هِلال العنزي، وعمرو القنا بن عميرة من بني مُلادِس بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وكانوا غضبوا للبيت فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره،

١ ـ الزبير بن العوام، إثر معركة الجمل.

ولكّنهم احتسبوا في جهاد أهل الشام . ثم إنّهم قدموا البصرة فالتقطهم ابن زياد وحبسهم ، فيقال إنَّه كان في سجنه من الخوارج مائة وأربعون .

وقال أبو عبيدة : لما هرب ابن زياد إلى الأزد أقام أهل البصرة ببّة ؛ وكان هربه إلى الشام بعد قتل مسعود .

قال أبو عبيدة في بعض روايته : لما كان موت يزيد بن معاوية وإظهار ابن زياد إيّاه بالبصرة ، خرج سَلَمة بن ذُؤَيْب الرِياحي الفقيه وهو على فرس له شهباء وقد لبس سلاحه ومعه لواءٌ ، فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير وطاعته وقال : عليكم بالعائِذ بالبيت الحرام ، وابن حَواريّ رسول الله ﷺ، فبايعه جماعة يسيرة، وبلغ ابنَ زياد ذلك فخطب الناس فاقتصّ أوّلَ امرِهِ وأمرِ ابيه بالبصرة ، وعدّد بَلاءه عند أهلها ثم قال : بايعتموني ثم مسحتم أيديَكم بالحِيطان وقلتم ما قلتم ، ثم هذا سَلَمة بن ذُؤَيب يدعوكم إلى الخلاف إرادة أن يُفَرِّقَ جماعتكم ليضرب بعضُكم جِباهَ بعضٍ ؛ وكان الذي أخبر [ابنَ] زياد بأمر سَلَمة بن ذُؤَيْب عبدُ الرحمنِ بن أبي بَكْرة ، ويكنى أبا الحُرّ ، فقال الأحنف بن قيس والناس : نحن نجيئك بسَلَمة فأتوا سَلَمَة فإذا معه جمع كثيف قد سافر إليه وإذا الفَتْق قد اتَّسعَ ، فامتنع عليهم ، فلما رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه ، فقال : والله لقد لبسنا الخَزّ حتى اجْمَتْه جلودُنا فما نبالي أن نُعْقِبها الحديد أيّاماً ، والله لو اجتمعتم على قرن عنز لِتكسِروه ما كسرتموه ؛ ودعا البُخاريّة ومن كان من أصحاب السلطان إلى المحاربة معه ، فلم يجيبوه واعتلّوا عليه ، فانغمس في الأزد في بيت مسعود .

قال : وكان في بيت مال ابن زياد نحو ثمانية آلاف ألف درهم ، فقال للناس حين خطب : هذا فَيْئكم فخذوا أرزاقكم وأرزاق عيالاتكم

وذُرِّيَّتكم ، وأمر الكُتّاب بتحصيل الناس وتقرير ما لهم ، فلما رأى قعودَ الناسِ عنه وظهورَ أمرِ سَلَمة كفَّ عن ذلك ، وأمر بنقل المال حين هرب فهو يتردّد في آل زياد ، وقال له إخوته : والله ما من خليفةٍ تقاتل عنه ، ولا تأمن أن يُدال عليك فَتْعطَب وتهلك وتذهب أموالنا ، وقال له عبدالله أخوه وهو ابن مرجانة ، والله لَئِن قاتلتَ القوم لأقتلنَّ نفسي بسيفي هذا ؛ فلما رأى عبيدالله ذلك أرسل إلى الحارث بن قيس بن صُهْبان الجَهْضَمي فسأله أن يسأل مسعوداً أن يُجيره ، فسأله ذلك فأباه ، فقال له الحارث : يا معشر الأزرد إنّكم أَجَرْتمْ زياداً فبقي لكم شرف ذلك وذكره وفخره ، فقال مسعود : أترى أن نُعادي أهل مِصْرنا في عبيدالله وقد أَبْلَيناه في أبيه ما أبليناه فلم يكافِنا ولم يَشكُر ، ما كنتُ أحب أن يكونَ هذا رأيك ، فقال : قد بايعتَه فيمن بايع ولن يُعاديك أحدٌ على الوفاء له ؛ فلما أبى مسعود إجارة ابن زياد أتى الحارث إلى أمّ بِسطام امرأةِ مسعود وهي ابنةُ عمِّه فقال لها : إنّي دعوتُ مسعوداً إلى مَكْرُمَةٍ فأباها ، وأنا أدعوكِ إلى أن تَسودي نِساءَ قومك أبداً ، وكلّمها في إجارة ابن زياد ، فأجارته ، ويقال إنّه أعطاها مائة ألف درهم كانت مع ابن زياد ، فأدخلته حَجَلَتها وألبسته ثوباً لزوجها ، فلما جاء مسعود أعلمته ذلك ، فغضب وأخذ برأسها ، حتى خرج عبيدالله والحارث فحَجَزا بينهما ، وقال له عبيدالله : أجارَتْني عليك وألبستْني ثوبك وأكلتُ من طعامك وقد التفّ عليَّ منزلك ، وتلطّف والحارث له حتى رضي ، فلم يزل في منزل مسعود حتى قُتل مسعود ، ثم شخص إلى الشام ؛ وقال أبو عبيدة : وآل زياد ينكرون أن يكون ابن زياد شخص قبل قتل مسعود ، وأن يكون مسعود بعث معه من بَذْرَقَهُ .

وقال يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ شعراً ذكر فيه فرارَ ابنِ زياد من دار الإمارة إلى الأزد ، ثم إلى الشام بعد مقتل مسعود وخذلانه أيّاه ، وذكر هربه عن أمّه وامرأته هِنْد الفَزاريّة :

أَقَـرَّ لِعَيْني أَنَّـهُ عَقَّ أُمَّـهُ دَعْتهُ فولّاها آستَهُ وَهْوَ يَهْرُبُ
وقالَ عَلَيْكِ التاسَ[1] كوني سَبِيَّةً كما كُنْتِ أو موتي فَلَلْمَوْتُ أَقْرَبُ
وقد هَتَفَتْ هِنْدٌ بِهِ ما أَمَرْتَني أَبِنْ لي وخَبِّرْني إلى أَيْنَ أَذْهَبُ
فقالَ أُريد الأَزْدَ في عَقْرِ دارِهْم وبَكْراً فما لي عَنْهُمُ مُتَجَنَّبُ
بما قَدَّمَتْ كفّاكَ مالَكَ مَهْربٌ مِنَ القومِ يَوْماً والدِماءُ تَصَبَّبُ
ولَوْ كُنْتَ صُلْبَ العودِ أَوْ ذا حَفيظةٍ كَرَرْتَ على هِنْدٍ وَهِندُ تَسَحَّبُ
وغادَرْتَ مَسْعوداً رَهِينَةَ حَتْفِهِ يَمُجُّ نَجيعَ الجَوْفِ وهْوَ مُلَحَّبُ
ولو لم يَفُتْ رِكْضاً حَثيثاً لَحَلَّقَتْ بأَشْلائِهِ في الجَوِّ عَنْقاءُ مُغْرِبُ[2]

وقال أيضاً :

قَدَّمْتَ مَسْعوداً لِيَصْلَى حَرَّها وَوَأَلْتَ[3] لَمّا أَنْ نَعاهُ الناعي
أَفَلا كَرَرْتَ وَراءَهُ مُتَشَـزِّباً لَمّا أُصيبَ ، دَعا لِحَتْفِك داعِ
وتَرَكْتَ أُمَّكَ والرِّماحُ شَوارِعٌ يا ليتني لكِ لَيْلَةَ الأَفْـزاعِ
ليس الكَريمُ بِمَنْ يُفارِقُ أُمَّه وَبنـاتِـهِ بِـالمَنْـزِلِ الجَعْجـاعِ
وخَذَلتَ مَسْعوداً وطِرْتَ مُوَلِّياً مِثْلَ الظليمِ أَثَرْتَهُ بالقاعِ[4]

١ ـ في ديوانه : الصبر .
٢ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٦٤ ـ ٦٧ .
٣ ـ وألت : نجوت .
٤ ـ ديوانه ص ١٥٩ ـ ١٦٥ .

وقال أبو عبيدة : فهذا دليل على أنّه انما هرب الى الشام بعد مسعود وأنّه حين قُتل مسعود كان بالمصر[1] فلم يبرح .

قال أبو عبيدة : ولما هرب ابن زياد بقي الناس بغير أمير فلما لم يكن لهم أمير ارتضوا بنعمان بن صُهْبان الراسبي ، وقيس بن الهَيْثم يختاران لهم، فكان رأيُ قيس في عبدالله بن الأسود الزُهْري، ورأي النعمان بن صُهْبان في بَبّة ، وقال النعمان : هو هاشمي وابن أخت القوم الذين الملك فيهم ، لأنّ أمّ بَبّة هند بنت أبي سفيان ، وكان النعمان شِيعِيّاً شهد مع عليّ صِفّين ، وأقبلوا بِبَبّة فنزل دار الإمارة ؛ قال أبو عبيدة : وكان ذلك برضا جميع الناس الأزد وغيرهم ، وقوم يقولون إنّ ذلك لم يكن برضا الأزد فقولهم باطل ، قال الفرزدق :

وبايَعْتُ أَقْواماً وَفَيتُ بِعَهْدِهِمْ وبَبّةُ قَدْ بايَعْتُهُ غَيْرَ نادِمِ[2]

وقوم يروونه : وَهْوَ نائِمُ .

قال أبو الحسن المدائني : جعل بَبّة على شرطتهِ هِمْيان بن عَدّي ـ ويقال النعمان بن صُهْبان، وهِمْيانُ بن عديّ أثبت ـ فأتى هِمْيان دار فِيل مولى زياد، وهي في بني سُليم ، فأمر بتَفْريغها لِينزلها رجل قدم على بَبّة من المدينة ، وكان فِيل قد هرب وأقفل أبواب داره ، فمنعت بنو سُليم هِمْيانَ بن عَديّ ما أراد حتى قاتلوه ، واستصرخوا عبدَ الملك بن عبدالله بن عامر بن كُريز ، فأرسل بُخارِيّتَه ومواليه في السلاح حتى طردوا هِمْيان بن عَدّيّ ، وعدل عبد

١ بهامش الأصل : بالبصرة .
٢ ـ النقائض ص ١١٢ ، ٧٢٧ .

الملك من الغد إلى دار الإمارة ليُسلّم على بَبّة ، فلقيه على الباب رجلٌ من قيس بن ثعلبة فقال : أنت المعين علينا بالأمس ، ورفع يده فلطمه ، فضرب رجل من البُخاريّة يدَ القَيْسي فأطارها ، ويقال بل ضربه ضربةً شَلّت منها يده ، وغضب ابن عامر فرجع ، وغضبت له مضر واجتمعت ، وأتت بكرُ بن وائل أشْيَمَ بنَ شَقيق بن ثَوْر فاستصرخوه ، فأقبل ومعه مالك بن مِسْمَع ، ثم إنّ القوم تحاجزوا وانصرفت بكر والمُضَريّة ، وتحالف بكر والأزد ، فقال حارثة بن بدر الغُداني :

نَزَعْنا وَأَمَّرْنا وبَكْرُ بنُ وائِلٍ ... تَجُرُّ خُصاها تَبْتغي مَنْ تُحالِفُ
وما باتَ بَكْرِيٌّ من الدَهْرِ لَيْلةً ... فيصبح إلا وَهْوَ لِلذُلِّ عارِفُ

وقال أبو عبيدة حدثني زهير بن هُنَيْد عن عمرو بن عيسى قال : كان مالك بن مِسْمع في المسجد ، فبينا هو قاعد ، وفي الحلقة رجل من ولد عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ، اذ نازع القرشيّ مالكاً فأغلظ له القرشيُ ، فلطم رجلٌ من بكر القرشيَّ ، فتهايجَ مَن ثَمَّ من مُضَر وربيعة ، وكَثَرتْهم ربيعةُ ممّن في المسجد ، فنادى رجلٌ يالَ تميم ، فوثب قومٌ من بني ضَبّة على رِماح حَرَس المسجد وتِرَسَتهم ، ثم شَدّوا على الرَبَعيّين فهزموهم ، وبلغ ذلك أشْيم بن شَقيق بن ثَوْر ، وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل ، فأقبل إلى المسجد فقال : لا يَجِدَنَّ رَبَعِيٌّ مُضَريّا الاّ قتله ، فبلغ ذلك مالكَ بن مِسْمَع فأقبل متفضّلاً[1] فسكّن الناس حتى كفّ بعضَهم عن بعضٍ ، وسأل مالك أن يجدِّد الحلفُ بين الأزد وربيعة .

١ ـ التفضل : التوشح ، وأن يخالف بين أطراف ثوبيه على عاتقيه . القاموس .

حدثنا المدائني : أنّ الأحنف قال لمالك بن مِسْمَع حين تحالفوا : أَحِلْفٌ في الإسلام؟! قال: حالفتُ على الزُطّ والسيابِجَة، فقال: معاذ الله ، قال : يا أبا بَحْر كانت نعمة سَبَقْناك إليها ، فقال الأحنف : والله ما أردتها ولَتَحْلِبَنَّها دَماً عَبيطاً ، لقد حالفت قوماً إن اتّبعتهم استذَلُّوك ، وإن خالفتهم عَزُّوك وقهروك .

وقال المدائني في بعض روايته: لما جدّدوا الحلف وأقبلوا مع مسعود إلى المسجد الجامع فزعتْ تميم إلى الأحنف فعقد عمامته على قناة ودفعها إلى سَلَمة بن ذُوَيْب الرياحي ، فأقبل وبين يديه الأساورة حتى دخل المسجد ومسعود يخطب ، فاستنزلوه فقتلوه ، فجعلوا يحكّمون فقيل إنّ الخوارج قتلته ؛ وزعمت الأزد أنّ الأزارِقة قتلوه بأمر الأحنف ، فكانت الفتنة ، وسَفَر بينهم عمر بن عبيدالله بن مَعْمر ، وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام حتى رضيت الأزد من دم مسعود بعشر دياتٍ ، ولزم بَبّة بيته وكان متديّناً ، وكان القاضي في هذه الفتنة هشام بن هُبَيْرة .

وكتب ابن الزبير إلى عمر بن عبيدالله بعهده على البصرة فوافاه وهو متوجّه يريد العُمْرة ، فكتب عمر بن عبيدالله إلى أخيه عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمر أن يصلّي بالناس ، فصلّى بهم حتى قدم عمر بن عبيدالله ؛ قال أبو الحسن : ولما لزم بَبّة بيته كتب أهل البصرة إلى عبدالله بن الزبير بذلك ، فكتب إلى أنس بن مالك يسأله أن يصلّي بهم ، فصلّى بهم أربعين يوماً .

وقال أبو عبيدة : لما جدّدوا الحلفَ في الفتنة قالت الأزد : لا نرضى حتى يكون الرئيس منّا، فرأسوا مسعوداً، وقال [مسعود لعبيدالله] سِرْ معنا

حتى نُنْزلك الدار ، وبعث عبيدالله غِلماناً له على خيل مع مسعود ، وأُتي بكرسيّ فجلس على باب مسعود ، وقدّم مسعودُ مالكَ بن مسمع في ربيعة فأخذوا سكّة المدينة ، فامتلأ المِرْبَد رماحاً ، وجاء مسعود حتى علا المنبر وبَبّة في دار الإمارة ، وقيل له : إنّ ربيعة واليمن قد ساروا وسَيهيج بين الناس شرٌّ فلو أصلحتَ بينهم وركبت مع بني تميم إليهم ، فقال : أبعدهم الله والله لا أُفسد نفسي بصلاحهم ، وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول :

لأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جارِيَة في قُبَّهْ تَمْشُطُ رَأْسَ لَعْبَهْ

فلما لم يَحُلْ أحد بين مسعود وبين صُعود المنبر ، خرج مالك بن مِسْمَع في كتيبة حتى علا الجَبّان ، وأتى دورَ بني تميم فدخل بني العَدَويّة ، فجعل يحرّق دروهم ، وذلك أنّ رجلاً من بني ضَبّة كان لاَحى رجلاً من بني يَشْكُر فقتله الضَبيّ ، فبينا هو كذلك إذ أتاه قتلُ مسعود .

قال : وأتت بنو تميم الأحنفَ فقالوا يا أبا بَحْر أنت سيّدنا وقد اجتمعت الأزد وربيعة ، فقال : سيّدكم الشيطان ، فقيل : قد أتوا الرَحَبة ، فقال : لستم بأحقّ بها منهم ، ثم قالوا : قد دخلوا المسجد ، فقال : لستم بأحقّ بالمسجد منهم ، فقال سَلَمة بن ذُؤَيْب : يا معشر مضر إنّما هذا كَبْش مُنْجَرٌ في أُذْنَيْه لا خيرَ لكم عنده ، فَنَدب بني تميم فانتدب منهم خمسمائة ، وتلقّاه رأسُ الأساورة يومئذ في بعض الطريق وهو في أربعمائة من الرُماة ، فقال لهم سَلَمة : أين تريدون ؟ قالوا : إيّاكم . وأتت الأحنفَ امرأةٌ بمِجْمَر فقالت : ما لك وللرئاسة ، تجمَّرْ ، فقال : آستْ المرأة أحقّ بالمِجْمَر ، فعُتِبَت عليه ؛ وتحوَّل الأحنف في تلك الأيام من داره إلى بني عامر بن عبيدة ، وأتوه فقالوا : إنّ عَبلة بنت ناجية الرياحي ، وهي أخت

مَطَر ، وأمرأة أخرى قد سُلبتا وأُخذت خلا خيلهما من أَسْوُقهما ، وقُتل المُقْعَد الذي كان على باب المسجد والصبّاغ الذي في طريقك ، وحرق مالك بن مسمع دور بني العَدَويّة ، فقال : ثبتوا ذلك ، فثبتوه ، فطلب عبّاد بن الحُصين فلم يوجد ، فدعا بعَبْس بن طلْق ـ ويقال طليق ـ السعدي ثم انتزع مِعْجراً(١) في رأسه ثم جثا على رُكْبَتيه وعقده في رمح ثم دفعه إليه ثم قال :

ما إنْ أَرَى فخراً ولا حَياءَ   إذا آتَّخَذْتُ مِعْجَري لِواءَ

ثم قال لِعَبْس: سِرْ، فلمّا وَلّى قال : اللهمّ لا تُخْزِها اليوم فإنّك لم تُخْزِها فيما مضى ، فسار عَبْس وصاحت النظّارة هاجت زَبْرَاءُ ، وزَبْراءُ أَمَةٌ للأحنف ـ أرادوه بذلك وقال الأحنف : يا بني تميم إنّ شرّ الناس مَنْ لم يستحي من الفرار ، ثم جاء عبّاد في ستين راكباً ، فأبى أن يسير تحت لواء عبس ، ولقوا القوم فاقتتلوا ، ورمى الأساورة بأَلْفي نُشّابة في رِشْق واحد فتلقّوهم برماحهم ، فرماهم الأساورة بأَلْفي نُشّابة في رِشْق آخر ، فأَجْلَوا عن أفواه السكك وأقاموا على أبواب المسجد ، فاقتتلوا ، ورماهم الأساورة فقلعوهم عن الأبواب ، ودخلت تميم المسجد فاقتتلوا فيه ومسعود على المنبر ، وكان الحَكَم بن مَخْرَمَة العبدي قد ثبط قومه وقال : أتقتلون إخوتكم مع الأزد؟ فردّهم ، وذلك عند باب المسجد ، قال اسحاق بن سُوَيد العدوي : فأتوا مسعوداً وهو على المنبر واستنزلوه وقتلوه ، وذلك في شَعْبان

---

١ ـ الاعتجار : لف العمامة دون التلحي . والمعجر : ثوب تعتجر به ، وثوب يمني ، وما يُنسج من الليف شبه الجوالق . القاموس .

سنة أربع وستّين ، فانهزم القوم ، وهرب أُشْيَم بن شَقيق فطعنه رجل طعناً فتنحّى ، فقال الفرزدق :

لَوْ أَنَّ أَشْيَم لَمْ يَسْبِقْ أَسِنَّتنا   وأَخْطَأَ البابَ إِذْ نيرانُنا تَقِدُ
إذاً لَصاحَبَ مَسعوداً وصاحِبَهُ   وَقَدْ تَماءَتْ لَهُ الأَعْفاجُ والكَبِدُ[1]

قال : فبينا ابن زياد ينتظر ما يكون من مسعود أُتي فقيل : قد صعد المنبر ، فتهيّأ للركوب ، فبينا هو كذلك إذ قيل قد قُتِل ، فاغترز في رِكابه ولحق بالشام ، وذلك في أوّل شَعْبان سنة أربع وستّين ، قال : وقوم يقولون أنّه شخص في شوّال ، وكان مقتل مسعود في شوّال ، والأوّل أصحّ ، وكان نزوله دار مسعود في جُمادى الآخرة سنة أربع وستّين .

وقال المدائني : مات الحارث بن معاوية أيّام مسعود فقال الأحنف : رحمك الله أبا المُؤَرِّق فارقْتنا أَحْوَج ما كنّا إليك .

أبو الحسن المدائني عن عامر بن حفص ، قال : خرج ابن زياد من البصرة هارباً إلى الشام في قوم وفَوا له ، فقال ذات ليلة : إنّه قد ثقل عليَّ ركوب الإبل فوطئّوا لي على ذات حافر ، فأُلقيت له قطيفة على حمار فركبه وإنّ رجليه لتخُدّان في الأرض ، فقال بعض من كان معه ورآه قد سكت سَكْتَةً طويلة : هذا عبيدالله بن زياد أمير العراق بالأمس نائماً على حمار لو سقط عنه أَعْنَتَهُ ، ثم دنا منه فقال : أَنائمُ أَنت ؟ فقال ابن زياد : لا ، قال : فما هذه السَكْتَة ؟ قال : كنت أُحدّث نفسي ، قال له : أنا أخبرك بما فكرتَ فيه ، قال : قل ، قال : قلتَ لَيتني لم أقتل حسيناً ، وليتني لم أكن

---

١ ـ النقائض ص ٧٣٤ .

بنيتُ البيضاء[1] ، وليتني لم أكن استعملت الدَهاقين ، وليتني لم أقتل من قتلت ، فقال ابن زياد : والله ما نطقت بصوابٍ ولا سكتُّ عن خطأ ، أمّا الحسين فإنّه سار إليَّ يريد قتلي فاخترتُ قتله على أن يقتلني ، وأمّا البيضاء فإنّي اشتريتها من عبدالله بن عثمان الثَقَفي فأرسل إليَّ يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها ، فإنَ بَقِيَتْ فلأهلي [و] إلاّ فإنّي لا آسَى عليها ، وأمّا استعمالي الدهاقين فإنّ عبد الرحمن بن أبي بكرة وزاذانفرُّوخ رَفَعا عليَّ عند معاوية فخيّرني معاوية بين الضَمان والعزل فكرهتُ العزل ، وكنت إذا استعملت الرجلَ من العرب فكسر الخراج فأقدمت عليه أوْغَرْتُ صدور عشيرته ، أو أغْرَمْتُه فَحَمَلْتُ على عطاء قومه أضررتُ بهم ، وإن تركتُه تركتُ مال الله وأنا أعرف مكانَه ، فوجدت الدهاقين أبصرَ بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون عليّ مُطالَبةً ، وأمّا قتلي مَن قتلتُ فما عَلِمتُ بعد قولي كلمةَ الإخلاص عملاً أقربَ إلى الله مِن قتلي مَنْ قتلتُ من الخوارج ، ولكنّي حدّثتُ نفسي فقلتُ : ليتني قاتلتُ أهل البصرة فإنهم بايعوني طائعين ثم نكثوا ، ولقد أردت ذلك ولكنّ بني زياد أتوني فقالوا : إنّك إن قاتلتهم فظهروا عليك لم يُبقوا منّا أحداً إلاّ قتلوه ، وإن تركتَهم تَغيَّبَ الرجل منّا عند أخواله وأصهاره وخُلطائه ، فلم أقاتل ، وقلت : ليتني أخرجتُ أهل السجن فضربت أعناقهم ، فأمّا إذ فاتت هاتان فليتني أقدم الشام ولم يُبرموا شيئاً فأكون معهم فيما يبرمون ، قال : وبينا هو يسير إذ عرض له فارس بيده رمح ، فقال : لا وألتُ إن وألتَ ، فقال : أوَما هو خير لك ، ألفُ دينار ، فركن إليها ، فشددنا عليه

١ ـ البيضاء : دار عبيد الله بن زياد .

فأخذناه ، فقال له ابن زياد : لا تُرَعْ فكان دليلنا حتى وردنا الشام ، فقال الرجل : عَهْدُنا بابن زياد يأكل في كلّ يومٍ أكلاتٍ أوّلها عَناق أو جَدْي يُتخيّر له ، فكان يأكل وهو يريد الشام أقلّ مما يأكله أحدنا ويقول : الأكل مع الأمر والسرور .

وقال أبو عبيدة قال يونس بن حبيب : لما قتلوا مسعوداً وهرب ابن زيادٍ إلى الشام أَقبلت فَعْمَة ابنة مسعود وقد ركبت دابّة مُوكَّفة ، وولّت وجهها قِبَلَ ذنبها ، وسدلت شعرها وتَجَلْبَبَتْ مِسْحها ومعها نادبة تقول :

مسعود مَن يُقْتَل بك احنفُ لا نُعْطَى بك

ثم أتت مالكاً وهو واقف في سكّة المِرْبَد وقد رجع من تحريق دور بني العَدَويّة فقال : ارْجعي ، فقالت : لا أو أُوتَى برأس الأحنف ، فأتوها برأس من رؤوس القتلى ضَخْمٍ فأزمت بأنفه عضّاً وغمست أطراف كُمَّيْها في دمِ لَغاديده[1] ثم انصرفت إلى رحلها ، فتزوّجت بعد .

قال : وأتى دارَ مالكٍ قومٌ من مضر وحرّقوا عليه ، فقال غطفان بن أُنيف الكَعْبي في ذلك :

كيف تَرانا وترى الأميرا بصَرْحَةِ المِرْبَدِ إذْ أُبيرا
نَقودُ فيه جَحْفَلاً جَرورا أَكْثَرَ جَمْعاً خَلَقاً مَسْمورا
وصارِماً ذا هَيْبَةٍ مَأْثورا فقَدَّ قَدَّ الجازِرِ الجَزورا
لّما رَجا مَسْعودٌ التَأْميرا وأَصْبَحَ ابْنُ مِسْمَعٍ مَحْصورا
وقد شَبَّبْنا حَوْلَهُ السَعيرا

١ ـ اللغاديد : ما أطاف بأقصى الفم إلى الحلق من اللحم . القاموس .

ولما هرب عبيدالله طُلب فأعجز طَلَبَتَهُ ، فانتُهب ما وُجد له ، فقال واقد بن خليفة السعدي :

يا رُبَّ جَبّارٍ شَديدٍ كَلَبُهْ   قد صارَ فينا تاجُهُ وسَلَبُهْ
لو لم يُنَجِّ ابْنَ زيادٍ هَرَبُهْ   مِنّا لَلاقَى شَرَّ يَوْمٍ يَشْعَبُهْ
وقـاد مَسْعوداً شَقـاءٌ يَأْدِبُـهْ   في عارِضٍ أَرْعَنَ ضاحٍ كَوْكَبُهْ

وقال جرير بن عطية :

ويَوْمَ عُبَيْدِ الله خُضْنا بِرايَةٍ   وزافِـرَةٍ تَمَّتْ إلينا تَميمُهـا[1]

وقال سُؤر الذئب السعدي :

نَحْنُ نَهَطْنا[2] الأَزْدَ يَوْمَ المَسْجِدِ   والحَيَّ مِنْ بَكْرٍ ويَوْمَ المِرْبَدِ
بِكُلِّ عَرّاصٍ[3] المَهَزِّ مِذْوَدِ   مُحَـرَّبٍ وصارِمٍ لم يَنْـأَدِ
كَأَنَّهُمْ مِن مُقْعَصٍ ومُقْصَدِ   وداحِضٍ بِالرِجْلِ مِنْهُ واليَدِ
مِنَ السَواري وطَريقِ المَسْجِدِ   أَعْجازُ نَخْلِ النَيْطِ والمُسَنَّدَ
إِذْ خَرَّ مَسْعودٌ ولَمْ يُوَسَّدِ

وقال جرير أيضاً :

سائِلْ ذَوي يَمَن إذا لاقَيْتَهُمْ   والأَزْدَ إِذْ نَدَبوا لَنا مَسْعودا
لاقاهُمُ عِشْرونَ أَلْفَ مُدَجَّجٍ   مُتَسَـرْبِلينَ دُلامِصاً وَحـديدا
فَلَغادَروا مَسْعودَهُمْ مُتَجَـدِّلاً   قد أَوْدَعوه جَنادِلاً وصَعيدا[4]

---

١ ـ النقائض ص ١١٢ .
٢ ـ نهطه بالرمح : طعنه . القاموس .
٣ ـ العراص : الرمح الدن . القاموس .
٤ ـ النقائض ص ٧٣٦ .

قال أبو عبيدة : وقال قوم : انصرف مسعود من عِيادة صديقٍ له ، فلما كان بموضع من بني تميم عرض له خارجي فقتله وذلك بُهْت وباطل ، وقال قوم : لما صعد مسعود المنبر وأغفل الناسُ الخوارجَ خرجوا من السجن ودخلوا المسجد لا يلقون أحداً إلاّ قتلوه حتى قتلوا مسعوداً في المسجد في اثني عشر من قومه ثم ظهروا إلى الأهواز ، وأقبل قوم من بني مِنْقَر فاحتملوا مسعوداً إلى دورهم ثم مثلوا به ، وذلك باطل أيضاً .

وقال أبو عبيدة : لما قُتل مسعود وَلَّت الأزد رئاستها زياد بن عمرو بن الأشرف العَتَكي ، ثم خرجوا من الغَدِ ، وخرجت ربيعة وعليها مالك بن مِسْمَع يطلبون بدماء مَن أُصيب منهم ، وعبّوا عبد القيس وأَلفافها من أهل هَجَر وعليهم الحَكَم بن مُخَرَّبة مَيْسَرَةً ، وعبّوا بكراً وألفافها من عَنَزَة والنَمِر وعليهم مالك بن مِسْمَع مَيْمَنَةً ، وعلى الأزد زياد بن عمرو ، وهم القلب ، وخرجت مُضر وعليها الأحنف بن قيس ، وقد عبّأ بني سعد وأَلفافهم من الأساورة والاندعان وضَبّة وَعديّاً وعبد مناة وعليهم قَبيصة بن حُريث بن عمرو بن ضِرار الضَبّي ، وعلى الآخرين من بني سعد والأَساورة عَبْس بن طَلْق الصَريمي ـ ويقال طليق ـ فجعلهم بإزاء الأزد ، وعبّأ قيس عَيْلان وعليهم قيس بن الهَيثم السُلَمي فجعلهم بإزاء الأزد ، وعبد القيس ، وعبّأ بني عمرو بن تميم وعليهم عَبَّاد بن الحُصين الحنظلي ومعهم بنو حنظلة بن مالك وأَلفافُها من بني العَمّ والزُطّ والسَيابِجَة ، وعلى جماعتهم سَلَمة بن ذُؤَيْب الرِياحي ، وجعلهم بإزاء بكر ، وفي ذلك يقول الشاعر من بني عمرو أو بني حنظلة :

سَيَكْفيك عَبْسٌ أخو كَهْمِسٍ مُقـارَعَـةَ الأَزْدِ بِـالمِـرْبَـدِ
وتَكْفيـكَ قَيْسٌ وَأَلْفـافُهـا لُكَيْزَ بْنَ أَفْصَى وما عَدَّدوا
وَنَكْفيـكَ بَكْـراً وأَلْفـافَهـا بِضَـرْبٍ بَشيبُ لَـهُ الأَمْـرَدُ

فاقتتلوا ثم إنّ عمر بن عبيدالله بن مَعْمر ، وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مَشَيا للصلح فيما بينهم حتى التقى الأحنفُ ومالكٌ والعُمَرانِ في الصلح ، فجعل الأحنف يَخِفّ عند المُراوضة وجعل مالك يَثْقُل ، فقال القُرَشيّان : ياأبا بَحْر ، مالك تَخِفّ وقد ذهب حلمك في الناس ، ومالكٌ يَرْزُنُ ؟ فقال : إنّه يرجع إلى قوم لا يخالفونه إذا قال ، وأنا أرجع إلى قوم يتأبَّون عليَّ ، فلم يتَّفِقْ بينهم صلح ؛ واجتمعت ربيعةُ واليمن فكتبوا قتلاهم فلما بلغوا دِيَّة مسعود كتبوها عشر دِيات لأنه كان مُثِّل به ، فقال الأحنف : لانَزيدُ على دية رجل من المسلمين فاضطربوا بالأَيْدي والنِعال ، ثم عادوا للقتال فاقتتلوا أيّاماً ، ثم إنّ عُمَر وعُمَر أتيا الأحنفَ فعظّما أمرَ الإسلام وحرمته وحقّ الجوار وقالا : إنّما انتم إخوان وأصهار ويدٌ على العدوّ ، فقال الأحنف : انطلقا فاعقدا على ما أحببتما وأَبعِدا عني العار ، فأَتيا ربيعة واليمن ، فلما دنوا رماهما السفهاء فركضا حتى وقفا حيث لا ينالهما النَبْل والنُشّاب ، وصبّ عَبْس بأَمر الأحنف عليهم الخيل فأَجْلَتْ عن قَتْلى ، فقال أهل الحِجَى منهم : رَمَيتم رجلَين مَشَيا في الصلح بينكم ؛ ثم إنّهم اجتمعوا على الرضا بما حكم به عمر وعمر ، فحمل عمر بن عبيد الله تسع ديات ، ويقال حملاها بينهما وقالا : قد لَجّ الأحنف وأَبى إلاّ دِيةً وإنما سَأَلَنا أن نَحْكم عليه ونحن أَولى بأن نَحْمِل هذا الشيء ، قال : ويقال انّ بني تميم قالوا : نحن نحملها ، وقال عبدالله بن حكيم بن زياد بن

حُوَي بن سفيان بن مُجاشِع بن دارم:أنا في أيديكم رَهينة بهذه الديات ، فقبلا ذلك ، فقال الفرزدق :

ومِنّا الذي أَعْطَى يَدَيْهِ رَهينَةً   لِعارَيْ نِزارٍ قَبلَ ضربِ الجَماجِمِ
كَفَى كُلَّ أُمٍّ ما تخافُ على ابْنِها   وهُنَّ قِيامٌ رافِعاتُ المَعاصِمِ
عَشِيَّةَ سالَ المِرْبَدانِ كِلاهُما   عَجاجَةَ موتٍ بالسُيوفِ الصَوارِمِ
رَأَوْنا أَحَقَّ ابْنَيْ نِزارٍ وغَيْرِها   بِإِصْلاحِ صَدْعٍ بَيْنَهُمْ مُتَفاقِمِ
حَقَنّا دِماءَ المُسْلِمينَ فَأَصْبَحَتْ   لنا نِعْمَةٌ يُثْنى بِها في المَواسِمِ

المدائني عن محمد بن حفص الباهلي عن هلال بن أحْوَز قال : أتى الغَضْبانُ بن القَبَعْثَري الأحنفَ فقال : يا أبا بَحْر أتيتك في أمر عليك فيه قضاءٌ ، قال : أَيُصلحني وإيّاك ؟ قال : نعم قال : فلا قضاهُ الله عليَّ فيما يُصلحنا ، فما هو ؟ قال : اختاروا واحدة من ثلاث ، إن شئتم فاخرُجوا من المصر فلا يبقى فيه مُضَري وتُهدَر هذه الدماء ، وإن شئتم فدُوا قَتْلانا ولا ندي قتلاكم وتدون مسعوداً عشر ديات ، أو الحرب ، فقال الأحنف : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله لقد سُمتمونا خُطّة الذليل ، أمّا خروجنا عن المصر فإنّا لا ندعُ مُهاجَرَنا ومراكزنا وفَيْءَ الله علينا فيه فنتعرّب بعد الهجرة ، وأمّا الحرب فلسنا بأجزع فيها منكم ، وأمّا أن ندي قتلاكم ونُلغي قتلانا فليس ذلك في صلاحنا ، وأمّا مسعود فرجل مسلم ديته دية رجل من المسلمين ، ثم قال الأحنف : في ربيعة عُجْب شديد .

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣١٨ - ٣٢١ .

المدائني في إسناده قال : لما توادعوا ورضوا بالديات خطب الأحنف فقال : يا معشر الأزد وربيعة إنّكم إخواننا في الإسلام ، وشركاؤنا في الصهر ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدوّ ، ولأزْد البصرة أحب إليّ من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إليَّ من تميم الشام ، فإذا اسْتَشْرَتْ شَأْفَتُكم ، وحَمِيَتْ جَمْرَتُكم ، وأبتْ حسائكَ صدوركم أن تَلين ، ففي أموالنا وأحلامنا سَعة لنا ولكم ، أرضيتم بحمل هذه الديات - يعني ديات الأزد - من أعطيتنا في بيت المال ؟ قالوا : رضينا ، فضمِنها والقِيامَ بها إياس بن قَتادة بن أوفَى ، وأمّة من رهط الأحنف ، وعَرَض ذلك على غيره من وجوه تميم فأباه ، وقالت الأزد وربيعة لإياس : قد رضينا بك لأنّك رجل شريف مسلم وَرِع ، فقام بذلك ، ثم رجع إلى منزله فقال قومه : طُلّت دماؤُنا وحملت دماءُ الأزد وربيعة فحملها لهم ، وكان إياس ناسكاً فقال لبني تميم : قد وهبتُ لكم شبيبتي فهبوا لي شَيْبتي ، وأقام يؤذّن في مسجده حتى مات ، فقال الحسن البصري : علم والله أنّ القبر يأكل السمن ولا يأكل الإيمان .

قال أبو عبيدة : وحمل القُرَشيّانِ أو أحدهما تسع ديات أرضَوْا بها الأزد من دم مسعود ، وقال القُلاخ في أرجوزته :

ثُمَّ بَعَثْنا لَهُمُ إياسا ... حَمّالَ أثْقالٍ بها قِنْعاسا[1]

وقال عمرو بن دَرَّاك العبدي :

قَتَلْنا بِقَتْلى الأزدِ مَثْنى وضوعِفَت ... دياتُ وأهْدَرْنا دِماءَ تَميمِ
بِعَشْرِ دِياتٍ لابنِ عَمْرو تُوُفِّيَتْ ... عِياناً ولم تُجْعَلْ ضَمانَ نُجومِ
نَزَلْتُمْ على حُكْمِ الأغَرِّ ابْنِ مِسْمَعٍ ... على حُكْمِ طَلّابِ التِراتِ غَشومِ

١ - القنعاس : الشديد المنيع ، والقلاخ وهو ابن حزن (تاج العروس مادة : قلخ) .

قال أبو عبيدة : وكان هذا وَبَبّة ملازمٌ لمنزله لا يعين أحداً ولا يدخل في شيء ، والناس على الرضا به ، وكان متدّيناً ، وكانت هذه الهَزاهِز ثمانية أشهر أو تسعة أشهر .

وقال أبو الحسن المدائني : خرج نافع بن الأزرق في أيّام بَبّة حتى أتى الأهواز ، وخافه الناس ، فانتدب مسلم بن عُبيس بن كُريز لقتاله ، فعقد له بّبة فسار إلى نافع ، فقُتل مسلم بِدولابَ من الأهواز ، واختلط أمر الناس ، فأخذ بَبّة نعله فلبسها وصار إلى منزله ـ وكان متديّناً ـ وقال : لست أُحبّ إصلاحكم بفساد نفسي وديني .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال : جاء مسعود وعليه قَباء ديباج وحوله قومه حتى صعد المنبر فخطب وهم يقولون الشمس .

وقال أبو عبيدة حدثنا سلّام عن الحسن قال : أقبل مسعود من هنا ، وأشار إلى منزل الأزد ، في أمثال الطير مُعْلماً عليه قباء ديباج أصفر مُعَّين بسواد يأمر بالسنّة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا محمد بن أبي عُيَينة حدثني شَهْرَك قال : شهدتُ عبيدالله بن زياد حين جاء موتُ يزيد بن معاوية فقام خطيباً فحَمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة أتسبّوني فوالله لتجدُنّ مُهاجرَ أبي ومَولِدي وداري فيكم وبينكم ، ولقد وُلّيتُكم وما أُحصيَ [في] ديوان مقاتلتكم إلاّ أربعون ألفاً ، ولا في ديوان عيالاتكم إلاّ سبعون ألفاً ، ولقد أُحصيَ إلَيَّ اليوم في ديوانكم ثمانون ألفَ مقاتِلٍ ، وفي ديوان عيالاتكم مائة وعشرون ألفا ، وما تركتُ لكم ظنيناً

أخافه عليكم إلاّ وهو في سجنكم ، وإنّ أمير المؤمنين قد تُوفّي ، وولّى عهده من بعده معاوية بن يزيد ابنه ، وإنّكم اليوم أكثر الناس عدداً وأعرضُهم فيئاً ، وأغناهُم عن الناس ، فآختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم ، فأنا أوّل من يرضى ويبايع ويُعين بنصيحته وماله ، فإذا اجتمع أهل الشام على رجل يرضونه لدينهم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون ، فقامت خُطباء أهل البصرة فقالوا : قد سمعنا مقالتك أيّها الأمير ، ولا نعلم أحداً أقوى عليها منك فهلّم نبايعك ، فقال : لا حاجةَ لي في ذلك فآختاروا لأنفسكم ، فلمّا كّرروا عليه القول بسط يده ودعاهم إلى بيعته فبايعوه ، ثم انصرفوا وهم يقولون : أيظنّ ابنُ مَرجانة أنّنا ننقاد له في الجماعة والفُرقة ، كذب والله ؛ ثمّ وثبوا به .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مضر عن سعيد بن يزيد قال : بايعوا عبيدالله بن زياد ثم قالوا : أَخْرِجْ لنا إخواننا . وكانت السجون مملوءة من الخوارج ، فقال : لا تفعلوا فإنّهم يُفسدون عليكم ، فقالوا : لابدّ من إخراجهم ، فجعلوا يخرجون ويبايعونه فما تتامَّ آخرهم حتى جعلوا يُغلظون له .

حدثني أبو خَيْثَمة زهير بن حرب حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا أبي عن مصعب بن يزيد قال : لما مات يزيد بن معاوية نعاه ابن زياد وقال : آختاروا لأنفسكم ، قالوا : قد رضينا بك ، ثم خرجوا فجعلوا يمسحون أيدِيَهم بجُدُر دار الإمارة ويقولون : هذه بيعة ابن مَرجانة ، واجترأ الناس عليه حتى جعلوا يأخذون دوابّه من مَرْبطه .

حدثني أحمد بن إبراهيم وخَلَف بن سالم قالا حدثنا وهب بن جرير حدثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سُمَير أنّ شَقيق بن ثَوْر ، ومالك بن مِسْمَع ، وحُضين بن المنذر أتوا ابن زياد وهو في دار الإمارة ليلاً ، قبل أن يتحوّل إلى مسعود بن عمرو ، فأقاموا عنده عامّة ليله ثم خرجوا ومعهم بغل مُوقر مالاً ، فقال رجل من بني سَدوس : خوّفْتُهم بأن أُنادي إنّ فلاناً وفلاناً قد اجتمعوا في دمائكم ، فأعطوه خمسمائة درهم .

وحدثني أبو خَيْثَمة وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير حدثنا القاسم بن الفضل الحُدّاني قال : أخرج ابن زياد الحَروريّة من السجن حين طُلب إليه ، فخرجوا مع نافع بن الأزرق فعسكروا بالمِرْبَد ، فلما رأى ذلك ابن زياد خافهم على نفسه ، فعرض نفسه على أشراف أهل البصرة فكرهوا وأبوا أن يقبلوه ، فأرسل إلى الحارث بن قيس ، فمضى به إلى منزل مسعود .

وحدثني أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم قالا حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن الزبير بن خِرّيت عن أبي لبيد عن الحارث بن قيس قال ، قال ابن زياد : إنّي لأعرف سُوء رأيٍ كان في قومك ، ولكّنهم قوم كرام كان بلاؤهم عند أبي جميلاً ، فرققت له فأردفته على بغلي ليلاً ، وأخذت به على بني سُليم ، فقال : من هؤلاء قلتُ : بن سُليم ، قال : سَلِمنا إن شاء الله ، ثم مررنا ببني ناجية وهم جُلوس ومعهم السلاح ، وكان الناس يومئذ يتحارسون فقال رجل منهم : هذا والله ابن مرجانة خَلْف الحارث بن قيس فرماه بسهم وقع في كُور عمامته ، فقال : يا أبا محمد من هؤلاء ؟

قلتُ : الذين كنت تَزعم أنّهم من قريش ، هؤلاء بنو ناجية فقال : نَجوتُ إن شاء الله .

قال وهب : وحدثني القاسم بن الفضل الحُدّاني بِنَحْو هذا الحديث . وزاد فيه : ومررنا ببني طاحية فوثبوا علينا وتشبثّوا بنا حتى افتدينا منهم بشيء .

وحدثني أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم قالا: حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن الزبير بن خِرّيت عن أبي لبيد عن الحارث بن قيس قال : قال لي ابن زياد : إنّك قد أحسنت وأجملتَ ، فهل أنت صانع ما أُشير به عليك ؟ قد عرفتَ منزلة مسعود بن عمرو وشرَفه وسِنّه وطاعة قومه له ، فهل لك في أن تذهب بي إليه فأكون في داره فهي في وسط الأزد ؟ قال : فانطلقت به فما شعر مسعود بشيء حتى دخلنا عليه وهو جالس يوقَد له بقَصَب على لبنةٍ ، وهو يعالج خُفَّيْه حتى خلع أحدهما وبقي الآخر ، فلما نظر في وجوهنا عرفَنا فقال : إنّه كان يَتَعوَّذ من طارق السَوْء وإنّكما لَمِن طارق السوء ، قال الحارث : فقلنا أَتُخرج رجلاً قد دخل إليك متعوّذاً بك ؟ قال : فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود وامرأته خَيْرة بنت خُفاف بن عمرو ، ثم ركب مسعود من تَحْتِ ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه فطافوا في الأزد وهم في مجالسهم فقالوا : إنّ ابن زياد قد فُقِد ولا نأمن أن تُلطَخوا به ، فأصْبِحوا في السلاح ، فأصبحت الأزد في السلاح ، وفَقَد الناس ابنَ زياد فقالوا : أَيْن توجّه ؟ وما هو إلاّ في الأزد ؛ فقالت عجوز من بني عقيل : اندحسَ والله في أَجَمَة أبيه ـ يعني الأزد ـ لأن أباه كان فيهم أيّام دار ابن الحَضْرَمي .

قال وهب فقال جرير بن حازم : أقبلت الحَرورّية إلى الأزد فخرجوا إليهم فقاتلوهم حتى نفوهم ، ومرج امرُ الناس .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مضر عن سعيد بن يزيد أنّ ابن زياد قال لمسعود في بعض الليالي : آبعث إليَّ رجلاً من الأزد نستشيره ، فبعث إلى رجل منهم يقال له حدش الأعور ، فجاء يجرّ مِلْحَفته ، فقال له مسعود : هذا ابن زياد وقد بعث إليك يستشيرك ، فقال لابن زياد : والله ما أتيتَنا لمعروفٍ صنعتَه إلينا ، ولقد كنت تُقْصينا وتُهيننا وتَذمّنا وتقع فينا ثم لم تَرْضَ حتى جئتنا لُتهريقَ دماءنا ، ثم أقبل على مسعود فقال له : أيّها الشيخ الأحمق آدفنْ هذا ولا تُرِهِ أحداً من الناس حتى تدسَّه فينطلقَ فيكون كطائر وقع ثم طار ، فقال ابن زياد : أين كنّا عن مثل هذا الرأي قبل اليوم ؟ فأخرجه في نحوٍ من ستّين أو سبعين من الأزد معه .

حدثنا أبو خيثمة حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت عن خيرة بنت خُفافٍ قالت : كان ابن زياد يُقبل عليَّ فيشكو بَثَّهُ وهو في حَجَلتي ، فاذا اتته امرأته هند بنت أسماء الفزارّية ضاحكها وحدّثها وذهب عنه الهَم حتى كأنّه لم يصبه شيء ، وكان أرفق الناس كفّاً ، رقعتُ يوماً ثوباً لي فقال : ما أرى لك رِفقاً ، وأخذه فعالجه فإذا أَرْفَق الناس .

حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت قال : بعث مسعود مع ابن زياد مائة عليهم فَرْوَة بن عمر حتى قدموا به الشام .

وحدثني أبو خيثمة حدثنا وهب عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت قال : أقام ابن زياد عند مسعود نحواً من ثلاثة أشهر .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت عن أبي لبيد أنّ أهل البصرة اجتمعوا فقلّدوا أمرهم النعمان بن صُهبان الأزدي ثم الراسبي ، ورجلاً من مضر ، ليختارا لهم رجلاً يولّونه عليهم ، فقالوا : من رضيتماه لنا فقد رَضينا به ، قال وهب : وقال غير أبي لبيد : إنّ الرجل قيس بن الهيثم السُلَمي ، قال : وكان رأي المُضري في بني أميّة ، ورأي النعمان في بني هاشم ، فقال النعمان للمضري : ما أرى أحداً أولى بهذا الأمر من فلان ، يعني رجلاً من بني أميّة ، قال : أَوَذاك رأيك ؟ قال : نعم قال : فقد قلّدتك أمري ورضيتُ بمن رضيتَ به ، ثم خرجا إلى الناس فقالوا لهما : ما صنعتما ؟ فقال المضري : رضيتُ بمن رضي به النعمان فمن سمّى فأنا راضٍ به ، فقال الناس للنعمان : ما تقول ؟ فقال : ما أرى أحداً غير عبدالله بن الحارث يعني بَبّة ، فقال المضري : ما هذا الذي سمّيتَ فقال : إنّه لَهُوَ ، فرضي الناس بَبَبّة وبايعوه .

قال وهب: فحدثني ابن أبي عُيينة عن سَبْرة بن النَّحْف قال : بايعوا عبدالله بن الحارث ، وغدت الأزد مع مسعود للبيعة .

وحدثني خَلَف بن سالم المَخْزومي حدثنا وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مُضَر عن سعيد بن يزيد عن إبراهيم بن عبدالله قال : سارت الأزد وربيعة حتى أتوا المسجد ، وصعد مسعود بن عمرو المنبر ، ثم خرج وخرجنا فإذا بمسعود على بغلته وقد ازدحم الناس عليه حتى سقط ، وأقبل ابن الأزرق من قبل بني سُليم في نحو من أربعين يحكّمون ، فقصدوا له فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه ، قال خَلَف: قال وهب : فكان يقال إنّ الأحنف بعث إلى الخوارج فحرّضهم عليه .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن القاسم بن الفضل الحُدّاني قال : لما بايعوا عبدالله بن الحارث انطلقت الأزد مع مسعود للبيعة ، ووقفت بكر بن وائل بالمِرْبَد ، فلما كان الغد أراد بنو بكر أن ينطلقوا للبيعة فأتاهم ناس من قومهم حروريّةٌ فقالوا : لا تنطلقوا فإنّا نخاف عليكم الحروريّةَ إلاّ أن ينطلق معكم الأزد ، فكلّمت ربيعة مسعوداً في ذلك ، فقال له عبدالله بن حَوْذان : ألا تسير معهم ؟ قال : قد بايعنا أمس ووقفوا بالمِرْبَد فدَعْهم فلينطلقوا ونقف لهم بالمِرْبَد ، فإن أتاهم شيء أعنّاهم وأغثناهم ، فقالوا لمسعود : لابدّ من أن تسير معنا ، فقال له ابن حوْذان : والله لَئِن ذهبتَ لا ترجع ، والله لا أسير معك ، فإنّا لم نخرج أمس حتى ظنّنا أنّك لا ترجع ، فسار مسعود معهم ، وتخلّف ابن حَوْذان ، وناس من الأزد ، فلما كان مسعود بالرحبة ازدحم الناس عليه فلم يشعر حتى أتاه قوم من الحروريّة فقتلوه ، وهرب الناس .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثني وهب بن جرير عن أبيه عن مصعب بن يزيد قال : كان مسعود يدعو إلى بني أميّة وقد بايعه قوم ، وكانت الخوارج قد ظهرت بالبصرة وكانت تطلبه ، فقتله قوم منهم وقد انصرف من المسجد ، فلما انصرفت الأزد وجدته في بني مِنْقَر وقد مُثِل به ، فرُميت به بنو تميم ، فاقتتلوا ثم اصطلحوا ، واجتمع أهل البصرة على عبدالله بن الحارث بَبّة ، فبايعوه ، ثم إنّه كثر الشرّ والقتال فاعتزلهم .

حدثنا خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن أبي عُيينة قال : حُدّثت أنّ مسعوداً لما قُتل اجتّرته بنو منقر إلى دُور بني إبراهيم فأصبح وقد مُثِل به وأصبحت بنو تميم تُرْمى بقتله .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب أخبرني القاسم بن الفضل الحُدّاني عن أشياخه قالوا: لما قُتل مسعود جعلت الأزد زيادَ بن عمرو العَتَكي رئيساً عليهم، والمُهَلَّبُ بن أبي صُفرةَ يومئذٍ غائب، فلما قدم أتاه زياد فقال له: إنّي قد كفيتك أمر قومك ما غِبْتَ، فأمّا إذ شهدتَ فشأنك بهم، وجاءت الأزد فدخلت على المهلّب فقال لهم: أَلْجأتُم هذا العبد وناوَيْتم أهلَ بلدكم، فغضبت الأزد وقالت: إنّما سّيدنا من غضب لغضبنا ورضي لرضانا، ثم انطلقوا فشقَّ ذلك على المهلّب ومضى إلى ابن الزبير وأظهر أنّه كاتَبَهُ في القدوم عليه، واجتمعت تميم إلى الأحنف فقالوا: إنّ الأزد قد اجتمعت علينا ولابدّ من أن تليَ أمرنا فقال: لا إلاّ أن تجعلوا الأمر إليَّ فما امضيتُه قبلتموه وأُمضيتموه، اتُّهمتم بقتل مسعود ولم تنتفلوا من دمه، فولَّوْه أمرهم فسار بهم إلى المِربْدَ، واجتمعت الأزد وبكر بن وائل فاقتتلوا ثم تواقفوا، فبعث الأحنف إلى زياد بن عمرو أن هَلُمَّ فرُسّوا بيننا صلحاً، وبعثوا بالغَضْبان [بن] القَبَعْثَرَى الشيباني فأتى الأحنفَ فقال: تدي قتلاهم، وتهدر قتلاك، وتدي مسعوداً بمائة ألف، فقال الأحنف: أمّا قتلانا فندعهم وأمّا قتلاهم فنديهم، وأمّا دية مسعود فكدية رجل مسلم.

وحدثني أحمد بن إبراهيم وأبو خيثمة زهير بن حرب قالا: حدثنا وهب بن جرير أنبأنا حمّاد بن زيد أنبأنا خالد الحَذّاء عن المثنّى بن عفّان قال: رأيت الأحنف يطوف في المسجد على الحَلَقِ وهو يقول: إنّكم تلقون عدوّكم غداً فآصبروا فإنّهم يألمون كما تألمون.

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب حدثنا محمد بن أبي عيينة قال: حُدّثت أنّ الأحنف قال: يا معشر الأزد آتقوا الله فإنا والله ما نحن قتلنا

مسعوداً إنّما قتله الخوارج ، قالوا : فإنّا وجدناه عندكم في دوركم وما نطلب به إلّا من وجدناه عنده قتيلاً وفي داره ، قال الأحنف : فما الذي يُرضيكم ؟ قالوا : واحدة من ثلاث ، ترحلون فتلحقون ببايتكم وتخلّون بيننا وبين المصر ، أو تقيمون الحرب بيننا وبينكم حتى تكون الدار لنا أو لكم ، أو تدون مسعوداً عشر ديات وتهدرون قتلاهم وتدون قتلانا ، فقال الأحنف : أمّا هذه فقد قبلناها ، وأما الأُخريان فلا ، فدعا لها أُناساً من قومه فأَبوا أن يحملوها ، فدعا لها إياس بن قَتادة فتحمّلها وأَدّاها كلّها من عطائه وأُعطيات قومه وأمواله ، فقال الفرزدق :

ومِنّا الذي أَعْطَى يَدَيْهِ رَهينةً لِغار نِزارٍ يَوْمَ ضَرْبِ الجَماجِمِ
كَفَى كُلَّ أُمٍّ ما تَخاف على آبْنِها وهُنَّ قِيامٌ رافِعاتُ المَعاصِمِ

قال : وكان الأحنف قام في قومه يحرّضهم على الأزد في الليلة التي اقتتلوا في صبيحتها فكان ذلك مما تُعُلِّقَ به عليه .

وحدّثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب عن القاسم بن الفضل الحُدّاني عن أشياخه قالوا : لم يزالوا في أمرهم وقد أبوا أن يدوا مسعوداً إلّا دية رجل من المسلمين حتى قدم القباع وهو الحارث بن عبدالله المَخْزومي ، أميراً من قبل عبدالله بن الزبير، فأُخبر بأنّ الأحنف كره أن يحمل دية مسعود مائة ألف ، فقال : قد تحمّلتها من بيت المال ، فقالت له الأزد : فمن يقوم لنا بذلك ؟ فدعا الأحنف إياس بن قَتادة وهو ابن اخته فاصطلح الناس ووَدَوْا قتلى الأزد وهدروا قتلاهم ، وأَعطى القُباع ـ وهو الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة ـ مائةَ ألف درهم من بيت المال فقام بذلك إياس بن قَتادة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن الزبير قال : وليهم عبدالله بن الحارث بَبّة أربعة اشهر ، وخرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز فقال الناس لبَبّة : قد أكل بعض الناس بعضاً ، تُؤخَذ المرأة من الطريق فتُفضح فما يمنعها أحد ، قال : فتريدون ماذا ؟ قالوا : تشهر سيفك وتبسط يدك ، فقال : ما كنت لأصلح أمركم بفساد أمري ؛ ثم انتقل ولحق بأهله وأمرَّ الناس عليهم عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر التَيْمي أخا عمر بن عبيدالله .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن صَعْب بن يزيد أنّ الطاعون الجارف وقع بالبصرة وعبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر التيمي عليها ، فماتت امّه فما وجدوا من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أعلاج فحملوها إلى حُفْرتها ، وهو الأمير يومئذ .

وقال هشام بن الكلبي : صلّى بهم بَبّة أشهراً ثم أمرّوا عليهم عمر بن عبيدالله فاستخلف أخاه .

قالوا : وكان من موالي آل أبي سفيان بن حرب عبدالله بن هُرْمُز مولى عنبسة وكان على ديوان الجند زمن الحجّاج ثم ولدُه من بعدِه ، وله يقول القائل :

أعــوذَ بِــالله الأَحَــدْ   مِنْ هُرْمُزٍ ومــا وَلَــدْ

وكان قدرهم بالبصرة عظيماً وكان لهم يسار ، وعبدالله بن درّاج مولى معاوية ولاّه خراج الكوفة مع مَعونتها وكان قدم مكة أيَّامَ ابن الزبير فقتله ، فقال ابن الزَّبير الشاعر :

أيُّها العائِذُ في مَكَّةَ كَمْ مِنْ دَمٍ تَسْفِكُهُ مِن غَيْرِ دَمْ
أَيَدٌ عائِذَةٌ مُعْصِمَةٌ ويَدٌ تَقْتُلُ مَنْ جاءَ الحَرَمْ

وولد سفيان بن أمية[1]

الحارث ، وطليقا ، وحَمْنة وهي أمّ سعد بن أبي وَقّاص ؛ وكان لسفيان قدر في زمانه ، وكان حكيم بن طليق من المُؤَلَّفة قلوبُهم ، أعطاه النبيّ ﷺ يوم حُنين مائة من الإبل ، وكان له ابن يقال له مُهاجر تزوّج ابنته زياد بن سُميّة فدرج عقبُه .

وكان من بني أبي سفيان بن أمية :

[سفيان بن] أميّة بن أبي سفيان بن أميّة ، وهو الذي قدم بموت عليّ عليه السلام إلى الحجاز .

١ ـ بهامش الأصل : صح ، وهذا معطوف على ما رتبه في أول نسب بني أمية ، فلا يتوهم خلل .

وولد العاص بن أمية :

سعيداً ابا أُحَيْحة ، وأمَّ حبيب تزوّجها عمر بن عبيدالله بن أبي قيس من بني عامر بن لُؤيّ خلف عليها بعد أخٍ له ؛ وكان أبو أُحَيْحة عظيم القدر عزيزاً في قومه وكان إذا اعتمّ لم يعتمَّ أحدٌ بمكة بلون عمامته إعظاماً له ، وكان يقال له ذو التاج وذو العمامة ، وكان عظيم النَخْوةِ وأدرك النبيّ ﷺ ، فلما احُتضر بكى فقال له أبو جَهْل وأبو لَهَب : ما يُبكيك ؟ فقال : والله ما أبكي جَزَعاً من الموت ولكن أخاف أن يُعبَدَ إلهُ ابن أبي كبشة بعدي ، فأبكي على العُزّى ومفارقتها ، ومات فدُفن بالظُرَيبة . وأمّ أبي أُحَيْحة رَيْطة بنت البَيّاع بن عبد ياليل من كنانة .

فمن ولد أبي أحيحة :

أُحيحة بن سعيد ، قُتل يوم الفِجار ، قتلته خُزاعة وله عقب ، وأمّه هند بنت المغيرة ؛ والعاص بن سعيد ، وعبيدة بن سعيد قُتلا يوم بَدْر

كافرين ، فأمّا عبيدة فقتله الزبير ، وأمّه صَفيّة بنت المغيرة ، وأمّا العاص فقتله عليّ بن أبي طالب وأمّه هند بنت المغيرة .

وخالد بن سعيد بن العاص :

ويُكنى أبا سعيد وأمّه ثَقَفيّة وكان قديم الإسلام ، رأى في منامه كأنّه وقف على شفير جهنّم فذكر من نَعْتها ما الله به أعلم ، ورأى كأنّ اباه جعل يدفعه فيها ورسول الله ﷺ آخذٌ بحَقْويه لِئلاّ يقع فيها ، فلقي أبا بكر فأعلمه فقال له أبو بكر : تدرك خيراً ، هذا رسول الله فاتّبِعْه فإنّ الإسلام هو الذي يمنعك من الوقوع في النار ، وأبوك واقع فيها فإن أطعتَه واتّبعتَه كنتَ معه ، فلقي خالد رسول الله ﷺ فقال له : يا محمد إلى ما تدعو ؟ فقال : إلى الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وخَلْعِ ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضرّ ولا يعرف من عَبَده ممّن لم يعبده ، فقال خالد : فإنّي اشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله ، فسُرّ النبيّ ﷺ بإسلامه . ويقال انّه رأى ناراً خرجت من زمزم فملأت الأُفقين وسمع قائلاً يقول : هلكت اللاّت والعُزَّى ، فأتى النبيَّ ﷺ فقصّ عليه رُؤْياه ثم أسلم ؛ ولما أسلم خالد تغيّب ، وبلغ أباه خبره فأرسل في طلبه إلى الطائف فلم يوجد بها فأُخبر أنّه بأعلى مكة في شِعْب أبي دُبّ الخُزاعي ، فأرسل إليه أبانَ وعمراً أخويه ورافعاً مولاه فوجدوه قائماً يصلّي ، فأتوه به فأنّبه وبَكّتَه وضربه بعَصاً كانت معه حتى كسرها وقال : اتَّبعْتَ محمداً وأنت ترى خلافة لقومه وما جاء به من عيب آلِهتِهم والزَرْي[1] على من مضى من آبائهم، وزعمه

١ ـ بهامش الأصل : «والازراء» .

أنّ بعد موتهم ناراً يخلدون فيها ، فقال خالد : قد اتّبعتُه وهو والله صادق ، فقال : أو تُصدّقه أيضاً ؟ فحدّثه رؤياه فشتمه أبو أُحَيْحة وقال : اذهب يا لُكَع حيث شئت فوالله لأمنعنَّكَ القُوت، وأمر بنيه أن لا يكلموه، ولقي أبا سفيان بن حرب فقال له : هدمتَ شَرَفك ، قال : بل شيّدتُه وعمّرته ، فقال : أنت غلام حدث ولو بُسِط عليك العذاب لأَقْصرتَ ، فانصرف خالد فلزم رسول الله ﷺ ، وكثُر تأنيب قريش له ، ودخل أبو جهل على أبي أُحَيْحة فقال له: والله ما أدري أَضعفتَ أَمْ ضجعت الرأيَ أَمْ ادركَتْك المنافيّة، فقال أبو أُحَيْحة : والله لقد غاظني أمر محمد وإنّه لأوسطنا نسباً ، ولقد نشأ صادقَ الحديث مؤَدّياً للأمانة ، ولقد جاء بدينٍ مُحْدَثٍ فَرَّقَ به جماعتنا وشَتَّتَ أمرنا وأذهب بَهاءَنا ، ولَئِن صَدَقَني ظَنّي فيه ليخرجنّ إلى قوم يَقْوَى بهم علينا ، فقال أبو جَهْل : لا تقل هذا فما الفرج لنا إلاّ في خروجه عنّا وتحوّله من دارنا حتى تعود أُلفَتُنا .

ورُوي عن أمّ خالد بنت خالد بن سعيد أنّها قالت : كان أبي خامساً في الإسلام ، تقدّمه ابن أبي طالب وزيد بن حارثة وابن أبي قحافة وسعد بن أبي وقّاص .

قالوا : وقدم عثمان بن الحُويْرِث بن أَسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ على قيصر ، وكان قد رفض الأوثان ومات على النصرانيّة ، فكان ترجمانُ قيصر يحرّف ما يقولُ له عثمان فلا يرى عند قيصر ما يحبّ ، فبينا هو يمرّ يوماً في مدينة قيصر إذ سمع رجلاً في زِيّ الروم يتكلّم بالعربيّة وينشد بيتاً فقال له : يا هذا ممّن أنت ؟ قال : أنا عربيٌّ من بني أَسد فاكتم ما سمعتَ ، فشكا إليه جَفْوة قيصر فقال : قد بلغني خبرك ، وإنّما تُؤْتَى من الترجمان ، فدخل عثمان

على قيصر فدعا له الترجمانَ فقال : قل للملك إنّ الكَذوبَ الفاجرُ الغادرُ ، قال الملك: هِيه، فالتزم عثمانُ الترجمانَ يريد أنّه الموصوف بهذه الصفة ، فقال : إنّ لهذا العربيّ لقصّة ، فدعا له ترجماناً آخر فكلمه وأدّى عنه إلى قيصر فقال : إنّي ضارب للملك ضريبة على قريش يؤدّونها إليه كلَّ عام إذا جاؤوا بتجاراتهم، فأتى مكّة فقال لقريش وغيرها : إنّ قيصر يأمركم أن تجعلوا له ضريبة عليكم وإلاّ منعكم من الدخول إلى بلاده ، فزبروه وأغلظوا له وعابوا دينه ، وكان أشدّهم عليه أبو أُحَيْحة والوليد بن المغيرة ، ثم إنّ أبا أُحَيْحة قدم الشام ومعه أبو ذُؤَيب هشام بن شُعبة بن عبدالله بن أبي قيس أحد بني عامر بن لُؤَيّ ، وكان أبو ذُؤَيب ابن اخته ، فسعى بهما عثمان إلى قيصر وقال : إنّ هذين اعترضا عليّ وحملا قريشاً على مخالفتي ، فحبس قيصر أبا أُحَيْحة والوليد وعدّةً من قريش ، فمات أبو ذُؤَيب في الحبس ، وتكلّم عثمان في الباقين فخُلّوا ، فقالت أَرْوَى بنت الحارث بن عبد المطّلب :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بني عَمّي مُغَلْغَلةً ... حَرْباً وعَفّانَ أَهْلَ الصِيتِ والحَسَبِ
وآبْنَيْ رَبيعَـةَ والأَعْياصَ كُلَّهُمُ ... وآعْمُمْ بني عَبْدِ شَمْسٍ سادَةَ العَرَبِ
ما لي أراكُمْ قُعوداً في بُيوتكُمُ ... وَخَيْرُكُمْ مِنْكُمُ لِلجارِ ذي الجنبِ
وذو الحِفاظِ على جُلِّ الأُمورِ إذا ... نابَتْ نَوائبُها في شِدَّةِ الكُرَبِ
أبو أُحَيْحَة مَحْبوسٌ لدى مَلِكٍ ... بِالشامِ في غير ما ذَنْبٍ ولا رِيَبِ
لو كان بَعْضُكُمُ في غير مَحْبِسِهِ ... أَلْفَيْتُموهُ شَديـدَ الهَمِّ والنَصَبِ
إنَّ الذي صَدَّهُ عَنْكُمْ وَثَبَّطَكُمْ ... عَبْـدُ لِعَبْـدٍ لَئيمٍ حَقُّ مُجْتَلَبِ
لو كان مِنْكُمْ صَميماً في أَرومَتِكُمْ ... لشَفَّهُ ما عَناكُمْ غَيْرَ ما كَذْبِ

ومن ولد أبي أحيحة .

عمرو بن سعيد بن العاص ويكنى أبا عتبة ، سمع قول أخيه خالد ودعاه إلى الإسلام ، فأتى رسول الله ﷺ فأسلم ، وهاجر خالد وعمرو إلى أرض الحَبَشة وأقاما بها حتى قدما مع أصحاب السفينتين حين قدم جعفر بن أبي طالب ، فوافوا رسول الله ﷺ بخَيْبَر ، وكلّم رسول الله ﷺ المسلمين في خالد وعمرو فأسهموا لهما في الغنيمة .

ويقال إنّ خالداً هاجر إلى الحَبَشة ثم أتى عمرو النبيَّ ﷺ فأسلم ولحق بخالد بالحَبَشة ، وولّى رسول الله ﷺ خالداً صدقات اليَمَن ، ويقال : ولّاه أمر بني زُبَيْد خاصّة ، فتُوفي رسول الله ﷺ وهو باليَمَن وقدم منها بعد أن بويع أبو بكر ، فكان جالساً في بيته نحواً من ثلاثة أشهر ، فمر عليه أبو بكر مُظهراً وهو في داره فسلّم فقال : أتحب أن أبايعك ؟ قال أبو بكر : أحبّ أن تدخل فيما دخل فيه الناس ، فقال له : مَوْعِدك العشيّةَ ؛ فجاءه وهو على المنبر فبايعه ، وكان قال حين قدم من اليَمَن لعليّ وعثمان : أرضيتم يا بني عبدَ مناف بأن يَلي عليكم الأمْرَ غيرُكم ؟ فاحتملها أبو بكر ، وحقدها عمر رضي الله عنهم ، واستشهد خالد يوم مَرْج الصُفَّر بالشام ، ويقال انّه استُشهد يوم اليَرموك ، وكان مّمن كتب لرسول الله ﷺ . ووهب عمْرو بن مَعْدي كَرِب لخالدٍ سيفَهُ الصَمصامة وقال :

حَبَوْتُ بِهِ كريماً من قُرَيْشٍ فسُرَّ به وصينَ عَنِ اللِئام[1]

فأعطاه خالد خاتم ذهب كان عليه .

---

١ ـ شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ـ ط . دمشق ١٩٧٤ ص ١٤٩ .

وولّى رسول الله ﷺ عمرو بن سعيد قُرَى عربية منها تَبُوك وخَيْبَر وفَدَك واستُشهد يوم أجْنادين بالشام ، ويقال : يوم فِحْلٍ بالأرْدُنّ ، وأمّه صَفيّة بنت المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم .

وأبان بن أبي أحيحة :

ويكنى أبا الوليد وأمّه صَفيّة بنت المغيرة وكان مقيماً بمكة حتى قدم خالد وعمرو ابنا أبي أُحَيْحة من أرض الحَبَشة ، فكتبا إليه يدعُوَانه إلى الإسلام فأجابهما وخرج حتى أتى المدينة مسلماً ، وصار معهما إلى خَيْبَر ، وكان أبان أجار عثمان بن عفّان وأنزله حين دخل مكة في عمرة القضيّة ، وأبان يومئذ كافر ، ولما رأى أبو أُحَيْحة أنّ عمراً وخالداً قد أسلما غمّه ذلك ، فشخص إلى الطائف فاعتزل في مال له هناك ، ومات بعد الهجرة بسنة أو سنتّين وله تسعون سنة ، فلما غزا رسول الله ﷺ الطائف رأى أبو بكر قبر أبي أُحَيْحة مشرفاً قال : لعن الله صاحب هذا القبر فإنّه كان ممن يحادّ الله ورسوله ، فقال ابناه عمرو وأبان ، وهما مع رسول الله ﷺ : بل لعن الله أبا قُحافة فإنّه كان لا يَقْري الضيف ولا يمنع الضَّيْم ، فقال رسول الله ﷺ : «سَبُّ الأمْوات يُؤذي الأحياء فإذا سببتم فعُمّوا» .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن ابن خَرَّبوذ عن مشايخ أهل مكة أنّ أبا أُحَيْحَة مات بالظُّرَيْبة ، وكان عمرو وخالد ابناه مهاجرين بالحَبَشة ، فكتبا إلى أبان أخيهما يدعوانه إلى الإسلام واللحاق بهما فقال :

أَلا ليتَ مَيْتاً بِالظُّرَيْبَةِ شاهِدُ ... لِما يَفْتَري في الدينِ عَمْروٌ وخالِدُ
أَطاعا بنا أَمْرَ الغُواةِ فأَصْبَحا ... يُعينانِ مِنْ أَعْدائِنا ما نُكابِدُ

فأجابه خالد :

أخي ما أخي لا شاتِمٌ أنا عِرْضَهُ ولا هُوَ عن سُوءِ المَقالَةِ يُقْصِرُ
يَقولُ إذا شَدَّتْ عليه أُمورُهُ ألا ليت مَيْتاً بالظُّرَيْبَةِ يُنْشَرُ
فدَعْ عَنْكَ مَيْتاً قد مضى لِسَبِيلهِ وأَقْبِلْ على الحَقِّ الذي هو أحْضَرُ

فأسلم حين قدم أخوه من الحَبَشة مع جعفر بن أبي طالب ، ولحق برسول الله ﷺ وولّاه رسول الله ﷺ واستُشهد أبان يوم أَجْنادَيْن بالشام ؛ وقال بعضهم : تُوّفي في سنة تسع وعشرين ، وقيل إنّه توفيّ يَوم فِحْل بالشام ، والأوّل أثبت .

ومن ولد أبي أُحَيْحَة سعيدُ بن سعيد بن العاص :

وأمّه هند بنت المُغيرة أخت صفّية أمّ عمرو ، فلحق سعيد بالمدينة بعد أبان فقلّده النبيّ ﷺ بعض أمره ، واستُشهد مع رسول الله ﷺ يوم الطائف .

والحَكَم بن أبي أُحَيْحَة :

وأمّه هند بنت المُغيرة ، لحق بإخوته مسلماً قبل الفتح فسمّاه رسول الله ﷺ عبدالله وجعله يعلّم الحِكمة بالمدينة واستُشهد يوم مُؤْتَة ، ويقال يوم اليَمامة ، ويقال إنّه تلقّى رسول الله ﷺ مسلماً فيمن تلقّاه وهو يريد مكة .

وكان لأبي أُحَيْحة فيما ذكر غيرُ الكلبي ابن يقال له عَيّاش درج .

ومن بني أبي أحيحة :

سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن اميّة ، وأمّه أمّ كلثوم من ولد عامر بن لُؤيّ ، ويكنى أبا عثمان ، ويقال أبا عمرو ، وكان جَواداً مُبرِّزاً ، وولّاه عثمان بن عفّان الكوفة فقال : ويل للأشراف منّي وقال : انّما السَواد بستان لقريش ، فأخرجه أهلها عنها ، وولّاه معاوية المدينة وولّاه المَوْسم ، وفيه يقول الحُطيئة[١] :

سَعيدٌ وما يَفْعَل سعيدٌ فإنَّهُ نَجيبٌ فَلاهُ في الرِباطِ نَجيبُ
سَعيدٌ فلا يَغْرُرْكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدَ عنه اللَحْمُ وهو صَليبُ
إذا غاب عَنّا غاب عَنّا رَبيعُنا ونُسْقَي الغَمامَ الغُرَّ حينَ يَؤوبُ

وكان سعيد آدم خفيف اللحم لا ينزع قميصه ، ومات في سنة تسع وخمسين فقال فيه إبراهيم بن متّمم بن نُويرة .

فِدىً لِسعيدٍ مِنْ أَمير وخُلَّةٍ ردائي وما ضمَّتْ عليهِ الحَمائِلُ
أَتاني ورَحْلي بِالشَرَبَّةِ[٢] أَنَّهُ تُوُفِّيَ والأخبارُ حَقٌّ وباطِلُ
فأَصْبَحتُ لا أَدْري أَحَيٌّ بِغِبْطةٍ فأَفْرَحَ أَمْ غالَتْهُ ثَمَّ الغَوائِل

وحدثني محمد بن الأعرابي عن المفضَّل الضَبّي أنّ عُبيد بن الحُصين الراعي لما مدح سعيداً بقصيدته التي يقول فيها :

كَريمٌ تَعْزُبُ العِلّاتُ عنهُ إذا ما حان يوماً أَنْ يُزارا[٣]

---

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ط . دار صادر بيروت ص ٨٧ .
٢ ـ الشربة : موضع بين السليلة والربذة . معجم البلدان .
٣ ـ ديوان الراعي النميري ط . بيروت ١٩٨٠ ص ١٤٤ .

قال لوكيله : كم عندك ؟ قال : ثلاثة آلاف دينار ، قال : آدفعها إليه ، واعتذر من قلّتها .

وكان سعيد بن العاص حين قُتل أبوه العاص ببَدْر صغيراً فكفله عمّه الحَكَم بن سعيد ، فرآه رسول الله ﷺ معه بالمدينة أو بمكة في أيّام الفتح فقال له : مَن هذا الصبيّ ؟ قال : ابن أخي ، فمسح رسول الله ﷺ رأسه ودعا بثوب يمانٍ مُسَهَّم فَكساه إيّاه ، فقُطعت له منه جُبّة ، فسُمّي كلّ ثوب مسهّم مُذ ذاكَ سعيدياً بسعيد بن العاص ، ويقال إنّه كساه جُبّة مسهّمة مَخيطة .

وقال هشام بن الكلبي : كان سعيد يوجّه في كلّ قليلٍ إلى اليَمَن فيُعمل له ثياب مسهّمة تبرّكاً بكسوة رسول الله ﷺ ، فكان يلبسها ويكسو منها ويُهْدي .

وحدثني العُمَري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش عن رجل من آل سعيد بن العاص أنّ الجُبّة التي كانت لسعيد من كسوة النبيّ ﷺ لم تزل عنده حتى دُفنت معه .

وحدثني المدائني عن أبي اليقظان قال : كان سعيد بن العاص أوّل من خَشّ[1] الإبل - والخَشّ أن تُجعل البُرَة في جَوْف عَظْم الأنْف ، وهو الخشاش - وذلك لأنّه كان يسير إلى معاوية فجذب زمام ناقته فانخرمت البُرة ، فآلى أن لا يركب بعيراً إلّا وفي يده عَظْم منه ، فخشّ إبله .

المدائني عن ابن جُعْدُبة عن أبي الزناد قال : قال عبدالله بن الزبير : أرسل الزبير إلى سعيد بن العاص يسأله قرض مائة الف درهم فبعث بها

١ - الخشاش : ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب .

إليه ، فلما قُتل الزبير قلتُ لسعيد : اقبِضْ مالك فإنّه بِخواتيمه ، قال : ابعثْ به ، قلت : أحبّ أن تتولّى قبضه ، فلما صار إليّ أخرجت المال إليه فقال : ما تريد ؟ قلت : أريد أن تدعه ، فتركه ولم يأخذ منه درهماً .

وحدثني عبدالله بن صالح العِجْلي قال : سمعت سفيان بن عيينة قال : كُلِّم سعيد بن العاص في يتيم كان يمونه أن يزوّجه فقال : والله ما عندي ما يحتاج إليه لتزويجه فادّانوا عليَّ ما يُصلحه ، فاستقرضوا عشرة آلاف درهم ، فأتوا ابنَه عمرو بن سعيد وهو الأشدق حين مات فأخبروه بالقصّة فقال : سبحان الله والله لو أنّها مائة ألف لقضيتُها فقضاها .

قال : وكان سعيد يُسأل المال بالغاً ما بلغ مما يُسأله مِثْلُه ، فإذا لم يكن عنده مال قال لِسائِله : اكتبْ عليَّ ذكر حقّ .

وحدثني منصور بن أبي مُزاحم عن شُعيب بن صَفْوان قال : لما احتُضر سعيد بن العاص قال لابنه عمرو الأشدق : انظروا في دَيْني ، فوجدوه تسعين ألف دينار منها سبعون الفاً لِمَنْ سأله الرِفْد والصِلة ، فإذا هو قد كتب بذلك أَجْمَعَ على نفسه صِكاكاً ، فحوّل عمرو تلك الصِكاك على نفسه وقضاها .

وحدثني منصور عن شُعَيْب.وحدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عَديّ عن الضَحّاك بن رمل السَكْسَكي قال : خرج سعيد بن العاص ذات يوم من عند معاوية مُظهراً ، فبصر به رجل وهو وحده ، فسار معه نحو منزله ، فلما قرب منه قال : ألك حاجة ؟ قال : لا ولكني رأيتك وحدَك فأحببت أن أُونِسَكَ وأَصِل جناحك ، فتركه حتى إذا وصل إلى منزله قال لخازنه : كم

عندك ؟ قال : الفا دينار ، قال أَعطِه منها ألفاً واحبِس لنفقتنا الفاً ، وقال : هذا لك عندي في كلّ سنة .

المدائني عن ابن أبي الزِناد ، قال : سال مِيزاب لسعيد بن العاص في الطريق فقال رجل من الأنصار : لقد آذتُنا ميازيب سعيد فأَمر بكلّ ميزاب له أن يُحَوَّل إلى داره .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي حدثني ابن كُناسة الأَسَدي عن بعض ولد عنبسة بن يحيى بن سعيد بن العاص قال : كان سعيد سخيّاً على كِبْرٍ فيه ، وكان يقول : إنّ رجلاً بات ليله متململاً يراوح بين شِقَّيه يَعْرِض الناس على نفسه أَيَّهم يراه موضعاً لحاجته ورغبته ، فاعتمدني دونهم بأَمَله واختارني لتنفيس كُرْبته ، لأَعظمُ مِنَّةً عليَّ من مِنّتي عليه إذا قضيتُ حاجته وبلّغتُه أَمَلَه .

وحدثني منصور بن أبي مُزاحِم عن شُعيب بن صَفوان عن عبد الملك بن عُمَير قال : لما حضرت سعيدَ بن العاص الوفاةُ دعا ولده فقال أيّكم يكفل دَيْني ؟ فقال عمرو الأَشدق : أنا أكفله ، وكم هو يا أبهِ ؟ قال : سبعون ألف دينار أو تسعون ألف دينار ، فقال : فيما ادَّنْتَ هذا المال يا أبه ؟ قال : في لئيم اشتريتُ عِرْضي منه أو كريم وفرتُ عِرْضَه وسددت خَلّته ، فدعا غُرماءه فحوّل صِكاكهم على نفسه ، ثم قال سعيد : يا بُنَيّ لا تزوّج بناتي إلاّ من أكفائهن ولو بِفَلق خبز الشعير وانظرْ أخواتي فلا تقطعْ وجوههن عنك ولا معروفي الذي كنت آتيه إليهم عنهم .

وحدثني أبو الحسن المدائني عن ابن جُعْدُبة وغيره قالوا : قال سعيد بن العاص لابنه : يا بُنيَّ إنّي والله ما شتمت رجلاً مذ كنت رجلاً ولا زحمته

بُركبتي ولا كلّفت راجياً لمعروفي أن يسألني فيبذل وجهه إليّ .

المدائني عن عوانة قال : كان سعيد بن العاص يقول : أربعة لا أبلغ مكافأتهم ولو خرجتُ إليهم من مالي كلّه ، رجل قام لي في مجلس غاصٍّ بأهله فأجلسني مكانه ، ورجل تخطّى الناسَ إليّ حتى أتاني مسلّما عليّ لغير رغبة ولا رهبة ، ورجل رآني منفرداً فآنسني بحديثه ووصل جَناحي بِمُسايَرته ومماشاته ، ورجل فكّر ليلَهُ فرآني موضعاً لحاجته ورغبته فغدا إليّ حتى واجهني بمسألته .

وحدّثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة وابن خَرَّبوذ وغيرهما قالوا : كان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة يقول : قبّح الله المعروف إلّا ابتداءً ، فأمّا إذا سألك الرجل حاجته وجبينُهُ يرشحُ رَشْحَ السِقاء والدمُ يكاد يبرز من وجهه مُخاطراً لا يدري أتقضيها له أم لا ولسانُهُ مُعْتَقَلٌ بحَصَرِ المسألة وذُلِّ الطَلَبِ ، فوالله لو خرجتُ إليه من جميع ما أملكه ما كافأته ولا بلغت ما يستحقّه .

حدثني عليّ بن [المغيرة] الأَثْرَم عن أبي عبيدة قال : لما طلب زيادٌ الفرزدقَ وهرب من البصرة أتى المدينة فدخل على سعيد بن العاص ، فأنشده قوله فيه وهو والٍ يومئذ على المدينة :

إليكَ هَرَبْتُ مِنْكَ ومِنْ زِيادٍ ولم أَحْسِبْ دمي لَكما حَلالا
تَرَى الغُرَّ الجَحاجحَ مَنْ قُرَيشٍ إذا ما الأَمْرُ في الأَحداث عالا
قِياماً يَنْظُرونَ إلى سعيدٍ كأَنَّهُمُ يَرَون بِهِ الهِلالا[1]

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٧٠ ـ ٧١ .

فقال له مروان بن الحكم وكان حاضرا : لو جعلتَنا قعودا ، فقال : كَلّا يا أبا عبد الملك وإنّك فيهم لَصافِنٌ[١] . وأنشد الفرزدقُ بِلالَ بن أبي بُرْدَة شعراً له فيه فقال له : هلّا مدَحتني بمثل ما مدحتَ به سعيداً وفلاناً وفلاناً ، قال : جِئْني بحَسَبٍ كأحسابهم[٢] حتى أقول فيك مثلَ قولي فيهم .

وحدثني العُمْري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش الهمداني أنّ سعيد بن العاص كان جالساً ومعه قوم وهو يحدّثهم فسقط جدار على قوم فانفضّوا إلّا فتىً ثبتَ معه حتى اسْتتمّ حديثَه ، فقال لغلامه : ادْعُ وكيلنا ، فلما جاءه قال : أَعْطِ الفتى عشرة آلاف درهم لإعظامه حقّنا ، وحُسن مُجالسته إيّانا .

وحدثني بعض أهل العلم قال : خرج هُدْبة بن خَشْرَم بن كُريز بن أبي حَبَّة بن الأَسْحَم بن عامر بن ثعلبة بن قُرّة بن حبيش بن عمرو بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن زيد ، أخي عُذْرَة بن زيد في نفر من بني عمّه وزيادة بن زيد بن مالك بن ثعلبة من ولد الحارث بن سعد أيضاً في نفر من بني عمّه في سفر ، ومع هُدْبة أخته فاطمة بنت خَشْرَم ، ومع زيادة اخته أمّ القاسم ، وكان هُدْبة وزيادة شاعرَين راجزَين ، فساق بهم زيادة وهو يقول :

عوجي عَلَيْنا وارْبَعي يا فاطِما ألا تَرَيْنَ الدَمْعَ مِنّي ساجِما

فظنّ هُدْبة أنّه عرّض بأخته فاطمة ، ثم إنّ هُدْبة ساق بهم فقال :

---

١ ـ صفن الفرس يصفن صفونا : قام على ثلاث قوائم ، وطرف حافر الرابعة ، والرجل صف قدميه . القاموس .

٢ ـ بهامش الأصل : حتى تحسن كاحسانهم .

لَقَـدْ أراني والغُلامَ الحـازِما نُزْجي المَطِيَّ ضُمَّراً سَواهِما
مَتَى تَظُنُّ القُلُصَ الرَواسِـما يذكرن[1] أُمَّ قاسِمٍ وقاسِـما

فغضب زيادة ، وقال هُدْبة : إني والله ما ذهبتُ حيث ذهبتَ ، ولا عنيتُ اختك ولقد عنيتَ اختي ، وتشاتما ثمّ تناصيا ، ووثب زهط هُدْبة ورهط زيادة فتضاربوا بالنعال ، ثم أقبل كلّ واحد منهما يهجو صاحبه ، وجعلا يتفاخران ، وجاء زيادة في قومه ليلاً إلى هُدْبة فشجّوا أباه عَشْراً وعقروه فقال زيادة :

شَجَجْنا خَشْرَماً في الرَّأْسِ عَشْراً وَلَمْ نَرْهَبْ هُدَيْبَةَ إِذْ هَجانا

ثم اقتتل هُدْبة ورهطه وزيادة ورهطه ، فقتل هُدْبة زيادةَ وجدع زيادة أنف هُدْبة ، وهرب هُدْبة والنفر الذين كانوا معه فلحقوا باليمن وقال :

أَلا ليتَ الرِياحَ مُسَخَّراتٌ لِحاجَتِنا تُباكِرُ أَوْ تَؤوبُ
فَتُخْبِرَنا الشَّمالُ إذا التَقَيْنا وتُخْبِرَ أَهْلَنا عَنّا الجَنوبُ

ثمّ إنّ رهط زيادة استعْدوا معاوية بن أبي سفيان على هُدْبة ، فكتب لهم إلى سعيد بن العاص ، وهو عامل المدينة ، يأمره بإعدائهم على هُدْبة ، وأن ينظر في دعواهم عليه ، وأن يطلبه طلباً حثيثاً ، وأن يأخذ به أولياءه ، فأخذ عمّه وأهله فحبسهم في السجن حيناً ، فلما بلغ هُدْبة ذلك أتى السلطان فوضع يده في يده كراهةَ أن يُسْلم عمَّه وأهله ، فأمر سعيد بحبس هُدْبة وخلّى سبيل مَن حبس بِسببه ووهب لهم مالاً ، وسأل أولياء زيادةَ سعيداً أن ينظر في أمرهم فأخرّ ذلك وأبطأ به ، وكان هُدْبة قد مدحه ، وعرض عليهم

---

١ ـ بهامش الأصل : يدركن .

أن يدي صاحبهم عنه ثلاث ديات ، فأبوا وقالوا : ارفعْنا إلى أمير المؤمنين معاوية ، فقال هُدْبة :

أَلا يا لَقَوْمٍ لِلنَوائبِ والدَهْرِ ... ولِلْمَرءِ يُرْدي نَفْسَهُ وَهْوَ لا يَدْرِي
ولِلأَرْضِ كَم مِنْ صالِحٍ قَدْ تَلاءَمَتْ ... عَلَيْهِ فَوارَتْهُ بِداوِيَّةٍ قَفْرِ
ولَمّا دَخَلْتُ السِجْنَ يا أُمَّ مَعْمَرٍ ... ذَكَرْتُكِ وَالأَطْرافُ في حَلَقٍ سُمْرِ

ولم يزالوا بسعيد حتى حملهم إلى معاوية ودسّ إلى هُدْبة صلة وكسوة ، ونظر معاوية في أمرهم فقضى بِقَوَد هُدْبة ، وكتب بذلك كتاباً مع أولياء زيادة إلى سعيد فجعل لهم سعيد عشر ديات على أن لا يقتلوه فأبى أخوه وأهل بيته ذلك فأُخرج فقُتل ، وقال حين أُخرج :

إنْ تَقْتُلوني في الحَديدِ فإنَّني ... قَتَلْتُ أَخاكُمْ مُطْلَقاً غَيْرَ موثَقِ

فقيل لسعيد لا تقتلْه إلاّ مطلقاً عنه حديده ثم قُتل[1] .

ومن ولد سعيد بن العاص :

عمرو بن سعيد وكان سخيّاً لَسِناً وقيل له الأَشدق لِلَقْوَةٍ عرضت له فأمالت شِدْقَه ، وسُمّي أيضاً لطيم الجنّ ، ولطيم الشيطان ، ويقال إنّ معاوية دعاه في غلمة من بنيّ أميّة فاستنطقهم فقال عمرو : إنّ الابتداء مَرْكَب صَعْبٌ ومع اليوم غَد ، ثم دعاه فتكلّم بكلام أعجبه فقال : إنّ ابن سعيد لأَشدق ، وهذا مما يقوله ولده ، وكان عمرو يُكنى أبا أميّة ، وأمّه أمّ

---

١ ـ انظر الشعر والشعراء ص ٤٣٤ ـ ٤٣٨ . الأغاني ج ٢١ ص ٢٥٤ ـ ٢٧٤ . حماسة أبي تمام [ط . دمشق] ج ١ ص ٣٨٥ ـ ٥٧٦ .

البنين بنت الحَكَم بن أبي العاص ، وهي أخت مروان وعَمَّةُ عبد الملك بن مروان ، وقد ولي المدينة ليزيد بن معاوية .

اخراج بني أمية عن المدينة

حدثني أبو هشام محمد بن يزيد الرِفاعي حدثني عمّي كثير بن محمد أخبرني عبدالله بن عيّاش الهمداني حدثني أميّة بن عمرو عن أبيه عن محمد بن عمرو المُعَيْطي قال : كتب ابن الزبير إلى عبدالله بن مطيع في نَفْي بني أميّة عن المدينة إلى الشام ، ومروان يومئذ شيخهم ، وابنه عبد الملك ناسكهم ومَن يَصْدُرون عن رأيه ، وكان بعبد الملك يومئذ جُدَري قد ظهر به ، فدخلهم من إخراجهم عن المدينة أمر عظيم ، وكان ابن الزبير رجلاً إذا عرض له الرأي أمضاه من غير رَوِيَّة ولا مشاورة ، فأشخصهم ابن مطيع ، وحمل مروانُ ابنَه عبد الملك على جملٍ وشدّه عليه شَدّاً ، ثمّ إنّ وجوه قريش ومشايخهم اجتمعوا إلى ابن الزبير فقالوا : بلغنا ما أمرتَ به من إلحاق بني أميّة بالشام ، وإنّما بَعَثْتَ عليك أفاعِيَ لا يُبِلُّ سَليمُها ، أمِثْلُ مروان وبني أميّة يُشْخَصون إلى الشام ؟ فوجّه ابن الزبير رسولاً إلى ابن مطيع بكتاب منه يأمره فيه بإقرار بني أميّة بالمدينة وتَرْك إشخاصهم ، فاتّبعهم حتى وافاهم بأداني أرض الشام فعرض عليهم الانصراف فأبوا ، وقال عبد الملك وقد نقه من مرضه للرسول : قل لأبي خُبيب إنّا نقول لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، يصنع الله .

وكان فيمن شخص معهم عمرو بن سعيد الأشدق ، وخاله مروان بن الحكم ، وكان معهم خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن

أميّة فكانا خاصّين بمروان وبعبد الملك ، فوافوا الشام وقد بايع الناس لمعاوية بن يزيد وهو كاره لذلك ، فلم يلبث مروان بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى مات معاوية بن يزيد وبويع له بالخلافة ، فبايع لابنه عبد الملك بن مروان ولعبد العزيز من بعده ، وكان عمرو الأشدق أجدّ الناس في أمر مروان وأحسَنهم مُعاونَةً ومُكانفةً له واجتهاداً في صَلاح أمره وإفساد أمر ابن الزبير ، فقاتل معه يوم المَرْج ، ووجّه ابن الزبير أخاه مصعب بن الزبير إلى فلسطين فوجّه مروان عمراً الأشدق في جيش لُهام[1] ، فلقيه قبل أن يدخلها فهزم مصعباً وأصحابه حتى رجعوا إلى المدينة ، وكان مروان يَعِدُ عمراً بالخلافة بعده ، يستدعي بذلك طاعته ويستنزل نصيحته ، فكان يقول : الأَمرُ لي بعد مروان فقد ولاّني العهد ، فلما استقام لمروان أمرُه ووجّه عمراً إلى ابنَ جَحْدَم عامل ابن الزبير على مصر ـ وهو عبد الرحمن بن عُتبة بن أبي إياس بن الحارث بن عبد بن أسد بن جَحْدَم بن عمرو بن عابِس بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ـ وفُتحت مصر ورجع مروان إلى دمشق ، قال لحسّان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي : إنّي أريد توليةَ عهدي عبد الملك وبعده عبد العزيز ، وإنّ عمرو بن سعيد يَدَّعي أنّه الخليفة بعدي ، وخالد بن يزيد يدّعي مثل ذلك ، فقال حسّان : أنا أكفيك أمرهما ، وجمع الناس ثم قام فقال : يَبْلغ أميرَ المؤمنين ويَبْلغنا أنّ رجالاً يتمنّون الأَمانيَّ ويدّعون الأَباطيل ويحدّثون أنفسَهم بما لم يجعله الله لهم ، وما أُولئك بالراشدين ولا المُسَدَّدين ، فقوموا أيها الناس فبايعوا لعبد الملك ابن أمير المؤمنين ولعبد العزيز من

---

١ ـ اللهام : الجيش العظيم . القاموس .

بعدِه ، فقام الناس فبايعوا مسارعين غير مثقّلين من عند آخرهم ، حتى لم يبق منهم أحد .

المدائني عن خالد بن عطيّة قال: ولّى يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد المدينةَ فشكوه إلى يزيد فعزله، وولّى مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، فلما قرب من المدينة تلقّوه بذي خُشُب فشكوا إليه عمراً، فلما قدم عثمان خطبهم فمنّاهم ووعدهم ونال من عمرو وقال: ماكان قُرَشيٌّ ليفعل هذا بقريش، فقال عمرو من تحت المنبر: مَهْلاً ياعثمان فوالله ما أنا بحُلْو المَذاق وإنّي لقَمَنُ المَضَرّة، ولقد ضَرَّسَتْني الأمور وجَرَّستني الدهور فَزَعاً مَرّةً وأَمنا مّرةً، وإنّ قريشاً لتعلم أنّي ساكنُ الليل، داهيةُ النهار لا أَتتَبع الظلال، ولا أقمّص[1] حاجبي ولاتُستنكر شِبْهي، ولا أُدْعَى لغير أبي.

وقيل لعمرو بن سعيد إلى من أوصى بك أبوك؟ قال: أوصى إليَّ ولم يوص بي.

مقتل عمرو بن سعيد بن العاص: قال أبو مخنف في روايته وغيره: كان عمرو بن سعيد أشدّ الناس في أمر مروان حتى ولي الخلافة، وقاتل معه الضحّاكَ بن قيس الفِهْري يوم مرج راهط، فلما مات مروان وبويع عبد الملك بالخلافة بلغه أنّ مصعب بن الزبير بن العّوام يريد الجزيرة متوجّهاً من العراق، فسار عبد الملك حتى شارف الفرات ومعه عمرو بن سعيد الأشدق، فقال له عمرو: إنّك تشخصُ إلى العراق فقد كان أبوك أوعدني[2] أن يولّيني الأمر بعده، وعلى ذلك قمت بشأنه وحاربت معه، فاجعل لي الأمر بعدك،

١ ـ يقال: وما بالعير من قماص: يضرب لضعيف لاحراك به، ولمن ذل بعد عز.
٢ ـ كذا بالأصول .

فلم يجبْه عبد الملك بشيء مما يسُرّه، فانصرف عن عبد الملك وقصد إلى دمشق حتى دخلها وقال: إنّ مروان كان ولاني عهده ولذلك قمتُ بنصره وصنعتُ ماأنتم عالمون به، فبايعه عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز - وهو أبو خالد بن عبد الله البَجَلي ثم القَسْري - ثم بايعه وجوه أهل دمشق ومالوا إليه لسَخائه وجُود كفّه، وألقى على سور دمشق المُسوح والخشب والكرابيس والفُرُش المحشُوَّة وتهيّأ للحصار واستعدّ له، وبلغ عبدَ الملك خبره فانكفأ راجعاً يُغِذُّ السير ويجِدّ فيه حتى أتى دمشق، وقد أغلق عمرو أبوابها وجعل على شُرَطه عبد الله بن يزيد، فحاصره عبد الملك ولم يزل يراسله ويمنّيه ويعده، وضمن له أن يولّيه بيت المال والديوان ويجعل له ولاية الأمر بعده مُقدماً على عبد العزيز، وكتب بينه وبينه بما شرطه له كتاباً، فخرج عمرو إليه وهو في عسكره وكان نازلاً في قصر بالمُعَسكر وأصحابه حوله، فلما دخل عليه بسطه ووانسه ثم قال: يا أبا أميّة إنّي حلفت أن أجعل في عنقك سلسلة وأُوثقك بجامعة ثم لابأس عليك، فأُوثق وجعل السلسلة في عنقه، فقال عمرو: ياأمير المؤمنين أخرجْني إلى الناس لأقوم فيهم بما تحبُّ وأقول ما تريدُ، وإنّما التمس أن يُخرجه من عنده فيُخلصه اصحابه وكانوا مطيفين بالقصر، فقال عبد الملك: هَيْهاتَ أَمَكْراً في السلسلة أبا أميّة، ثم قال عبد الملك لبِشْر بن مروان: قم فاقتله، فأبى، وقال لعبد العزيز: اقتله، فأبى، فأسمعهما وشتمهما وعجّزهما، ثم قال لأبي الزُعَيْزِعَة البربري مولاه: خذه اليك فاقتله، فجرّه بالسلسلة فقال: ارفق ارفق، وأصاب فمه الأرض وخدّيه، فقال: فمي فمي فقال عبد الملك: اللهمّ اخْزه فما أحمقه يسأل الرفق ويشكو فمه وهو يُجَرّ للقتل، ثم قال لأبي الزُعَيْزِعَة: لاأنصرفنّ من الصلاة إلا وقد كفيتَنيه، فقتله

أبو الزُعَيْزِعة قبل انصرافه، ذَبَحه ذَبْحاً، فلما انصرف عبد الملك من صلاته أمر برأسه فاحتُزّ ورُمي به إلى أصحابه الذين حضروا باب القصر، ومعهم يحيى بن سعيد أخوه، فشدّ يحيى على الوليد بن عبد الملك وهو قائم على باب القصر بالسيف، فلما رآه أدبر فضرب به أليته، فبادر الوليد فدخل، وأمَّن عبد الملك الناس أسودهم وأبيضهم ولم يَعْرِضْ ليحيى في ذلك الوقت ولا لغيره، ودعا الناسَ إلى العطاء، ولحق يحيى بن سعيد بمصعب بن الزبير فصار معه، فلما رآه مصعب قال: يايحيى أَفْلَتَ العَيْرُ وانحصّ الذَنَبُ، قال: إنّه لَبِهُلْبِهِ(١).

وحدثني هشام بن عمّار الدمشقي انبأنا صدَقَة بن خالد القرشي عن خالد بن دِهْقان قال: كان عمرو بن سعيد في عسكر عبد الملك وقد فصل من دمشق وهو يريد العراق فقال له: إنّ اباك وعدني أن يجعل لي الأمر بعده فبايع لك ولعبد العزيز إن كان بعدك، فاجعل لي العهد بعدك، فقال له: يالطيم الشيطان أَوَ أنت تصلح للخلافة: أنت ذو كِبْر وجُبْن وسَرَف وعُجْب وإفْك ظاهِر، لا ولا كرامةَ ولانُعْمَةَ عَيْنٍ، فانخزل عنه وأتى دمشق ودعا إلى نفسه، وكان سخيّاً، فبويع وإغلق أبوابَ المدينة واستعدّ للحصار، فرجع عبد الملك وترك وجهه ذلكَ، فحاصره وجعل يرسل إليه ويعده ويرفق به ويحلف له لَيولّينّه عهده، فقبل ذلك وسكن إليه وخرج إلى عبد الملك، فيقال إنّه دخل عليه وهو في قصر كان في عسكره وأصحابه مطيفون به فقتله من يومه.

---

١ ـ الهلب: شعر الذنب، وقيل ماغلظ من الشعر، انظر المثل في أمثال أبي عبيد ص٣٢٠ ، وقد أراد: أفلت ولم يتناثر شعره، أو شعر ذنبه.

قال صَدَقَة، وقال غير خالد بن دِهْقان: أنّه فتح أبواب دمشق لعبد الملك فدخلها ونزل في دار الخلافة، وكان عمرو يركب إليه أيّاماً، ثم إنّه جعل في عنقه جامعةً فقال له: ياأمير المؤمنين أنشدك الله أن تُخرجني إلى الناس في هذه الجامعة فيروني، وإنّما أراد أن يُريه كراهته للخروج، يُغريه ذلك بإخراجه فيُخلصه أصحابه، فقال أَمْكراً في الجامعة أبا أميّة؟ ثم أمر أبا الزُعَيْزِعة بقتله فقتله، وجعل يحيى بن سعيد أخوه ومن كان على باب القصر من أصحابه يقولون: ياأبا أميّة ماخبرك؟ أَسْمِعْنا كلامك؛ فأمر عبد الملك برأسه فاحتُزّ ورُمي به إليهم فسكنوا، ووثب أصحاب عمرو على بيت المال بدمشق فانتهبوه، فلم يَعْرِضْ لهم عبد الملك فيه حتى إذا استقام الأمر أخذهم به فارتجعه وفضل مائة ألف درهم.

قال هشام: وسمعت بعض مشايخنا يحدّث أنّ عبد الملك خرج إلى الصلاة وأمر ابا الزُعَيْزِعة أن يقتله قبل انصرافه من الصلاة، فلما ابتدأ عبد الملك صلاته ضجّ أصحاب عمرو فقالوا: أَخْرِجوه إلينا، فوضع عبد الملك يده على أنفه كأنه قد رعف ثم انسلّ فدخل القصر، وأمر برأس عمرو فاحتُزّ وألقاه إلى أصحابه فسكنوا.

وحدثني هشام بن عمّار عن الوليد بن مسلم حدثني رجل من ولد سعيد بن العاص قال: خرج عبد الملك إلى صلاة العصر، وأقبل يحيى بن سعيد في خلق ينادون: يا أبا اميّة أين أنت؟ اخرج الينا، أَسمعْنا كلامك، فراع ذلك عبدَ الملك فقال: ماأحْسِبْني على طهر للصلاة، ودخل القصر كأنّه يريد الطهور، وإذا عمرو مقتول، فأمر برأسه فأُلقي إلى اصحابه والناس، ثم وضع لهم المال ودعاهم إلى العطاء فسكتوا.

المدائني عن عليّ بن مجاهد عن عبد الأعْلَى بن ميمون بن مِهْران قال: لما صالح عمرو بن سعيد عبد الملك دخل عبد الملك دمشق فأقام بها وعمرو يدخل عليه مُكرَماً، فدخل عليه ذات يوم فكلّمه بكلام شديد، فأغلظ له عمرو وقال: إنّي لأحقّ بالخلافة منك فإن شئتَ فافْسَخ الصلح وأَعِد الحرب، فأمر به فجعُلت في عنقه سلسلة وأُوثق بجامعة من فضّة، ثم قال لعبد العزيز بن مروان: قم فاضرب عنقه، فأَبى، فقال لأبي الزعيزعة مولاه: لأرجعنّ من الصلاة إلا وقد قتلَته وأرحتَني منه، فخرج إلى صلاة العصر فلما انصرف وجد أبا الزعيزعة قد ضرب عنقه، فأمر برأسه فأُلقي إلى اصحابه وكانوا مجتمعين يطلبونه ومعهم يحيى بن سعيد أخوه.

وقال هشام بن عمّار: سمعت من يذكر آن ابا الزعيزعة أدخل سيفه في ظهر عمرو حتى أخرجه من بطنه ثم جذبه ففاضت نفسُه.

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش الهمداني وأبي جنّاب قالا: قال قبيصة بن ذُؤَيب الخُزاعيّ: كنت عند عبد الملك بن مروان أنا وحسّان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي وولده وإخواته وأبو الزعيزعة مولاه فجاء الآذن فاستأذن لعمرو بن سعيد، فأذن له وجعل يقول:

إحْذَرْ عَدُوَّكَ أَنْ يكونَ صُدَيِّقاً وإذا هَمَمْتَ بِقَتْلِهِ فتَمَكَّنِ
أَدْنَيْتُهُ مِنّي لِيَسْكُنَ رَوْعُهُ فأَصولَ صَوْلَةَ حازِمٍ مُسْتَمكِنِ
غَضَباً ومَحْمِيَةً لِديني إنَّهُ ليس المُسيءُ سَبيلُهُ كالمُحْسِنِ

ثم التفت إليّ وإلى حسّان فقال إن شئتما فقوما، فلما نهضنا وقد أقبل عمرو قال عبد الملك وهو يتضاحك: ياحسّان أنت أطولُ من قبيصة، ثم

خرجنا فقال حسّان: هو والله قاتِلُه، إنّ عبد الملك رجلٌ ليس في منطقه فضل، وإنّما مازحنا ليؤنسه ثم يثب به.

قال: وسلّم عمرو ثم جلس مع عبد الملك على سريره فحادثه ساعةً ثم أقبل أبو الزعيزعة فأخذ السيف عن عاتقه فقال: ياأمير المؤمنين أيؤْخذ سيفي؟ فضحك عبد الملك ثم قال: أوَتَطْمع لاأبا لغيرك أن تقعدَ معي بسيف بعد الذي كان منك؟ فأطرق عمرو ثم قال له عبد الملك: ياأبا أميّة إنّي كنت أعطيت الله عهداً إنْ ملأتُ عيني منك مستمكناً أن أجمع يديك إلى عنقك ثم أُثقلك حديداً، فقال عبد العزيز بن مروان: ثم تصنع ما ذا ياأمير المؤمنين؟ قال: ثم أُطلقه وما عسيتُ أن أصنع بأبي أميّة؟ قم يا أبا الزعيزعة فأْتِ بجامعة وقَيْدٍ، فأتى بهما وكانا قد أُعِدّا له فصيّرهما في عنقه ورجليه، فقال عمرو: نشدتك الله ياأمير المؤمنين أن تُخرجني فيهما على رؤوس الناس، فقال: أوَمكراً ياأبا أميّة، لعمري ماأُخرجك فيهما ولاأُخرجهما منك إلا صُعُداً، ثم جذبه أبو الزعيزعة جذبةً سقط منها على وجهه فأصابت قائمة السرير ثنيّته فانكسرت، فقال: ياعبد الملك نشدتك الله أن يدعوك كسرُ عظمٍ منّي إلى أن تركبني بأَشدّ منه، فقال: ياأبا أميّة لو علمتُ أنّ العرب والعجم يبقون هَمَلاً ويصلح أمرُ قريش فقط لفديتك بدم النواظر، ولكنّه والله مااجتمع فَحْلان في هجمةٍ قطّ إلا قتل أحدُهما صاحبَه، قم ياعبد العزيز فاضرب عنقه؛ وخرج عبد الملك لصلاة العصر فإذا يحيى بن سعيد قد وافى في ألفٍ من مواليه من أهل حِمْص، فلما أحسَّ به عبد الملك أمسَكَ أنفه بيده كالرعيف وقدّم ابنَ أمّ الحَكَم الثقفي وكان خلفه، فصلّى ابنُ أمّ الحَكَم بالناس، ودخل عبد الملك القصر فقال لعبد العزيز: ماصنعتَ؟ قال: ياأمير

المؤمنين ناشدني الله والرحم فكرهت قتله، فقال: أخزى الله أمّك البوّالة على عقبيْها فإنّك لم تُشبه غيرَها ـ وكانت أمّه لَيْلَى بنت زبّان بن الأصْبَغ الكلبي ـ أَدْنِه ياغلام، فأُضْجعَ له ثم ذبحه بيده بالسيف ذبحاً وهو يقول:

يا عَمْرُو إلا تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقولُ الهامَةُ(١) اسْقوني

قال: وانقضت الصلاة وخرج يحيى بن سعيد إلى الباب في مواليه وأصحابه، فكثر ضَجيجهم وجعلوا يقولون: أَسمعْنا صوتَك ياأبا أميّة، فخرج إليهم الوليد بن عبد الملك في موالي عبد الملك وغيرهم فناوشوهم فأصابته ضربة على أليته وذلك الصحيح ـ ويقال على رأسه ـ فأخذه ابن أرْقم فأدخله بيتا وأجاف عليه الباب، ودخل عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم من باب المسجد فقال لعبد الملك: أيّها الرحلن ماصنعت فقد جَلّ الخَطْب؟ قال: قتلته، قال: اصاب الله بك الخير والرشد، فأخذ ابن امّ الحَكَم الرأسَ فرمى به إلى أصحاب الأشدق فانكسروا حين يئسوا منه، وأمر عبد الملك ببيت المال ففُتح ونادى في الناس أن احضروا أعطياتكم، فأقبل الناس وتركوا ماكانوا فيه. ووُضع لعبد الملك سرير فخرج فجلس عليه وهو يقول: اين الوليد والله لئن كانوا أصابوه لقد أدركوا ثأرهم، فأُخبر بمكانه وأنّه لم يُصَبْ فأَمسك، وأمر عبد الملك فنودي: مَن أتى بيحيى بن سعيد أو بأحد من ولد سعيد فله ألف دينار فأُخذوا جميعاً من ساعتهم فأمر بإشخاصهم إلى الكوفة فصار يحيى مع مصعب بن الزبير.

---

١ ـ كانت عرب ماقبل الاسلام تعتقد أن روح الانسان هي الهامة، وأنه عندما يقتل انسان ظلما تظل الها مة تحلق فوق قبره وتنادي اسقوني حتى يثأر له.

المدائني عن سُحَيم بن حفص قال: انتدب قوم يقاتلون عن عمرو بن سعيد فبعث إليهم عبد الملك قوماً فقاتلوهم وعليهم خالد بن الحَكَم بن أبي العاص.

قالوا: وقال عَوانة بن الحَكَم: كان عبد الملك يتمثّل قبل قتل عمرو.

يا عَمْرُو إلا تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي ... أَضْربْك حَتّى تَقول الهامَةُ اسقوني

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه عن أبي صالح عن ابن عبّاس أنّه بلغه قتلُ عبدِ الملك عمراً الأشدق فقال: أيها الناس إنّ عبد الملك قتل ابن عمّه وابن عمّته بعد أن آمَنَه فلا تأمنوه ولاتصدّقوه. قالوا: وكان ابن الحنفيّة قد شخص يريد عبد الملك بن مروان، فلما بلغه قتلُه عمراً بعد الذي أعطاه من المواثيق استوحش فانصرف إلى الحجاز.

وقال يحيى بن الحَكَم بن أبي العاص، ويقال بِشر بن مروان:

أَعَيْنَيَّ جودا بِالدُّموع على عَمْرو ... عَشِيَّةَ شَدَّدْنا الخِلافَةَ بِالغَدْر

كأَنَّ بني مَرْوانَ إذْ يَقْتُلونَهُ ... بغاثٌ من الطَّير اجْتَمعْن على صَقْرِ

فرُحْنا وراح الشامِتونَ بِنَعْشِهِ ... كأَنَّ على أكْتافِها فِلَقُ الصَخْرِ

لَحا الله دُنْيا تُدْخِلُ النارَ أَهْلَها ... وتَهْتِكُ ما دونَ المَحارِمِ مِنْ سِتْرِ

وما كانَ عَمْروٌ عاجِزا غَيْرَ أَنَّـه ... أَتَتْهُ المَنايا بَغْتَةً وهو لايدري

وقال يحيى بن سعيد أخو الأشدق:

غَدَرْتُمْ بِعَمْرو يا بني خَيْطِ باطِلٍ ... ومِثْلُكُمُ يَبْني البيوتَ على الغَدْرِ

وَدِدتُ وبَيْتِ الله أَنّي فَدَيْتُهُ ... وعَبْدَ العَزيزِ يَوْمَ يُضْرَبُ في الخَمْرِ

وكان مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ضرب عبد العزيز في شراب، ويقال بل حَدَّة عمرو بن سعيد.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن أشياخه قال: بايع عبدَ الملك أهلُ الشام والجزيرة، إلا زُفَر بن الحارث الكلابي فإنّه غلب على قَرْقيسياء وتحصّن بها، فخرج إليه عبد الملك وخلّف بِعَقِبِه عمراً الأشدق، فغلب على دمشق وأَغلق أبوابها وأعطى أهلها عطايا كثيرة، فرجع عبد الملك حين أتاه الخبر، فأغلق عمرو أبواب المدينة وتحصّن، فقال له عبد الملك: إنّك قد أفسدت أمرَ أهلِ بيتك، وأطمَعْتَ فيهم عدوّهم، [و] فيما صنعت قُوّةٌ لابن الزبير، أرجعْ إلى بيعتك وطاعتك، فإنّي اجعل لك العهد وأُنفذ كلَّ ماأعطيت من الأموال، فرضي وفتح الأبواب ودخل عبد الملك المدينة، ومع عمرو خمسمائة رجل ينزلون حيث نزل، فقال عبد الملك لحاجبه: ويحك أتستطيع إذا جاء عمرو بن سعيد أن تغلق الباب دون أصحابه؟قال: نعم، قال: فافعل؛ وكان عمرو عظيم الكِبْر لايرى لأحد عليه فضلاً ولا يلتفت إذا مشى، فلما جاء فتح له الحاجب، وأعوانُه بالباب دون أصحاب عمرو، ومضى وهو لايلتفت وهو يظنّ أنّ أصحابه قد دخلوا معه كعادتهم، فعاتبه عبد الملك طويلاً وكان قد أوصى أبا الزُعَيْزِعة صاحبَ شُرطه أن يضرب عنقه، فكلّمه عبد الملك فأغلظ له، فقال لعبد الملك: أَتستطيل عليَّ كأنّك ترى أنّ لك عليّ فضلاً، إن شِئتَ نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبتُ لك الحرب، فقال عبد الملك: فقد شئتُ، فقال عمرو: قد فعلتُ، ثم قال عبد الملك: يا أبا الزُعَيْزِعة شأنَك به، فنظر عمرو فإذا ليس أصحابه في الدار، فسُقط في يده، فدنا من عبد الملك فقال: وما يُدنيك منّي؟قال: أَستعطفك بما بين الرحم والقرابة، فقال لأبي الزعيزعة: إيهِ، فقتله أبو الزعيزعة فقال عبد الملك: ارموا برأسه إلى أصحابه، فلما رأوه

تفرّقوا، وخطب عبد الملك فذكر عمراً وشِقاقه وما جنى بعُقوقه ومُروقه وادّعائه ماليس له حتى قتله، وأنشد:

أَدْنَيْتُــهُ مِنّي لِيَسْكُنَ نَفْــرُهُ   وأَصولَ صَوْلَةَ حازِمٍ مُسْتَمكِنِ
غَضَبــاً ومَحْمِيَــةً لِـديني إِنَّـهُ   لَيْسَ المُسيءُ سَبيلُهُ كالمُحْسِنِ

وكان عبد الملك إذا توعَّد رجلاً قال: إنّ جامِعة عمرو عندي، والله لا يدخل فيها عنق رجل فيخرج منها إلّا صُعُداً؛ وقال هذه المقالة في خطبته بالكوفة.

ومن ولد سعيد بن العاص سوى الأشدق:

يحيى بن سعيد ويكنى أبا أيّوب، وهو الذي ضرب الوليد بن عبد الملك ولحق بمصعب، فكان عبد الملك مَغيظاً عليه، فلما قُتل مصعب آمن الناسَ كلّهم إلّا نفراً يحيى أحدهم ثم كُلّم فيه فتركه؛ وولدُه بالكوفة وواسط.

قال هشام ابن الكلبي: لما وُلد يحيى بن سعيد اسْترضع من بني كنانة، فأتاه قوم من كنانة في حَمالة فمتُّوا إليه بالرضاع فلم يصنع بهم خيراً، فقال بعضهم:

ورَبَّتْـكَ مِنّـا كَهْلَةٌ نَـوْفَلِيَّـةٌ   لها في بني الدِيلِ الكِرامِ عُروقُ
رَأَيْتُ أَبا أَيّوبَ لِلصِهْرِ مُنْكِراً   وما أَنْتَ يا يحيى لِذاكَ خَليقُ
غَذَوْناكَ يا يَحْيى فكان جَزاؤنا   لَكَ الخَيْرُ فيكُمْ جَفْوَةٌ وعُقوقُ

فاعتذر وقضى حاجتهم.

ومن ولد يحيى بن سعيد هذا عَنْبَسة بن يحيى الذي يقول فيه الشاعر العَدْواني :

إذا ما جِئْتَ عَنْبَسةَ بنَ يحيى رَجَعْتَ مقَلَّداً خُفَّيْ حُنَيْنْ
يَظُنُّكَ حين تَطْلُبُهُ لأَكْلٍ غريماً جاءَ يَطْلُبُهُ بِدَيْنِ
فَما هُوَ بِالْمُؤَمَّلِ مِنْ قُرَيْشٍ ولا هو في بني العاصي بِزَيْنِ[1]

وسعيد بن يحيى بن سعيد :

وولده في جُعْفيّ وكان شريفاً ، وحدثني المدائني عن عليّ بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون بن مِهْران قال : حبس عبد الملك سعيدَ بن يحيى بن سعيد أربعين يوماً ، ثمّ دعا به وعنده رجال من خاصّته فشاورهم في قتله فقال بعضهم : اُقتلْه ، وقال بعضهم : لا تقتلْه ، فقال عبدالله بن مَسْعدة الفَزاري : إنّ له يا أمير المؤمنين رحماً وقرابة ، والعفو أقرب للتقوى ، وأنت أحقّ بالفضل ، فَمُنَّ عليه وسيّره إلى عدوّك تُكْفَ أمْره بخيل من خيلك ، فلحق بعبدالله بن الزبير فقال له : اَلحقْ بمصعب .

ومحمد بن سعيد بن العاص

وولده بالشام وأمّه أمّ الأُشدق .

١ ـ البيتان الأول والثالث في المؤتلف والمختلف للآمدي ـ ط . القاهرة ١٩٦١ ص ٢٩٥ للنابغة العدواني .

وعبدالله بن سعيد

وولده بالكوفة وواسط ، هو الذي مدحه الأخطل فقال :

فمَن يَكُ سائِلاً بِبَني سعيدٍ فعبد الله أَكْبَرُهُمْ نِصابا
أَيَجْمَع نَوْفَلاً وبَني عِكَبٍّ كِلا الحَيَّيْنِ أَفْلَحَ مَنْ أَصابا[1]

فقال عبد الملك : كذب الأخطل ، عثمان بن سعيد أكبرهم نصاباً . وأم عثمان بن سعيد ابنة عثمان بن عفّان وولده بالكوفة ، وأمّ عبدالله بنت جُبير بن مُطْعم بن عَديّ بن نوفل بن عبد مناف ، وأُمّ أُمِّه من بني عِكَبّ من بني تغلب .

وعنبسة بن سعيد بن العاص :

وكان أثيراً عند الحجّاج ، ولم يزل معه لا يفارقه ، وأمّهُ أَمَةٌ يقال لها عَصماء ، وولده بالمدينة والكوفة ، وبقي بعد الحجّاج ، ومات وقد هِرم ، ويكنى أبا خالد .

قالوا : ولما وُلد عَنْبَسة قال سعيد ليحيى ابنه : أنحلْه قال : وما انحله وهو ابن أمة ؟ فنحله دجاجةً فقال سعيد : لئن صدق القائل ليكوننَ أكثرهم ولداً .

ومن ولد عنبسة **عبدالله بن عَنْبَسة** ، وكان بمكة قبل أيّام داود بن عليّ وهو والي الحجاز ، وعبد الرحمن بن عَنْبَسة بن سعيد كان شريفاً بالكوفة .

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ٥٤ .

وأبان بن سعيد بن العاص بن [أبي] أحيحة :

كان ينزل أَيْلَة للعُزلة ، فخطب عائشة ابنة عثمان بن عفّان فقالت : ما أَنْزَلَه أَيْلَة إلاّ سقوطُه وتمثّلت :

مُقيمٌ بجحر الضَّبِّ لا أنت ضائرٌ عَدُوًّا ولا مُسْتَنْفِعاً أَنْتَ نافِعُ

وله يقول عبدالله بن عنبسة بن سعيد وهو ابن أخيه :

أَتركْتَ طَيْبَةَ رَغْبَةً عن أَهْلِها وَنَزَلْتَ مُنْتَبِذاً بِدَيْرِ القُنْفُذِ

فأجابه :

أَوطَنْتُ أَرْضاً بُرُّها كَتُرابِها والفَقْرُ مَعْدِنُهُ بِقَصْرِ الجُنْبُذِ

وولد أبان بالكوفة .

وعبد الرحمن بن سعيد :

وكان ابنه سعيد بن عبد الرحمن بن سعيد مع يزيد بن عمر بن هُبيرة وفيه يقول خلف بنَ خليفة :

وأمّا سعيدٌ إذا ما مَشَى فحُبْلَى تُرادُ لها قابِلَهْ

وكان عظيم البطن وقُتل مع ابن هُبيرة .

وكان لعنبسة بن سعيد ابن يقال له الحجّاج بن عنبسة سمّاه الحجّاج بآسمه فآمنه المنصور ، وله عقب .

ومن بني عمرو الأشدق :

موسى بن عمرو الذي يقول فيه ابن قُنَيْع النَصْري :

وكُلُّ بني العاصي حَمِدْتُ عَطاءَهُ   وإنّي لِموسَى في العَطاءِ لَلائِمُ
ولَيْسَ بِمُعْطٍ نائِلاً وَهْو قاعِدٌ   وحَسبُكَ مِن بُخْلِ امْرِىءٍ وَهْوَ قائِم
فإنْ يَكُ مِنْ قَومٍ كِرامٍ فإنَّهُ   ذُنابَى أَبَتْ أَنْ تَسْتَوي بِالقَوادِمُ

فزعموا أنّ خالد بن سعيد قال : والله ما أعْطى أحدٌ خيرا قطّ حتى يقعد .

ومنهم اسماعيل بن عمرو بن سعيد وهو صاحب الأعْوَص الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز : لو أنّ لي من الأمر شيئاً لولّيت صاحب الأعْوَص .

ومنهم اسماعيل بن أميّة بن عمرو الأشدق الفقيه وكان بمكة .

وسعيد بن عمرو الأشدق وكان أعلم قريش بالكوفة وولده بها ، وفيه يقول داود بن مُتَمِّم بن نُويرة :

إنْ تَجْفُني بِشْرُ بْنَ مَرْوانَ يَكْفِني   سَعيدُ بْنُ عَمْرٍو ذو الندى ابْنُ سُعيدِ
فَتىً وَجَدَ الخَيْراتِ قد قَدَّمَتْ لَهُ   مَساعِيَ آباءٍ لـه وجُدودِ

وعمرو بن أميّة بن عمرو بن سعيد الشاعر .

وزعم أبو اليقظان : انّ مُعَيقيب بن أبي فاطمة الدَوْسي كان مولىً أو حليفاً لأبي أُحَيْحة ، وكانت له صحبة وكان به جُذام ، وكان لسعيد بن العاص مولىً له يقال له أبو رافع ، وله ابن يقال له رافع ، وله ابن يقال له عبيدالله ، وكان رسول الله ﷺ أعتق رافعاً ، فكان يدّعي ولاء رسول الله ﷺ ، فضربه الأشدق بالسياط حتى قال: أنا مولاك، وقد ذكرنا خبره في موالي رسول الله ﷺ ، فلما قُتل الأشدق قال عبيدالله بن أبي رافع :

صَحَّتْ ولا شُلَّتْ وضَرَّت عَدُوَّها يَمِينٌ هَراقَتْ مُهْجَةَ ابْنِ سعيد
وَجَدْتُ ابْنَ مَرْوانَ الرَّشيدَ فِعالُهُ أَبيّاً حَديدَ العَزْمِ غَيْرَ بَليدِ
هُوَ ابْنُ أَبي العاصي قراراً ويَنْتَمي إلى عُصْبَةٍ طابَتْ له وجُدودِ

وولد أبو العيص بن أمية :

أسيد بن أبي العيص ، أمّه أَرْوَى بنت أَسيد بن عِلاج الثقفي ، وأمّها صَفيّة بنت وهب بن الحارث بن زُهْرة ، وكانت أمّ أَسيد الثقفي سوداء ، فكان أبو سفيان وولده يُسبّون بالسواد ، وأَرْوَى بنت أبي العيص أمَها رُقيّة مخزوميّة فتزوّج أَرْوَى أبو جَهْل بن هشام ؛ وعمي أَسيد بن أبي العيص ، ولم يدرك الإسلام .

فمن ولد أَسيد أبي العيص : **عَتّاب بن أَسيد** بن أبي العيص ، أسلم يوم فتح مكّة فحسن إسلامه واستعمله رسول الله ﷺ على مكة فقال له : يا رسول الله أصحبك وأكون معك ، فقال له : «أَوَما ترضى بأن استعملتُك على أهل الله» ، فلم يزل عليها حتى قُبض رسول الله ﷺ ، وولّاه رسولَ الله الطائف أيضاً ، وأمره أن يخرصَ[1] أعناب ثقيف كخرص النخل ؛ ولما استُخلف أبو بكر رضي الله تعالى عنه أَقَـرَّه خلافته كلّها ، فماتا جميعاً لم يعلم واحد منهما بموت صاحبه . ولما حضرت عَتّاباً الوفاةُ استخلف مُحْرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمس ، فأقرّه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ؛ وقال الهَيْثم بن عَديّ : بقي عَتّاب إلى خلافة عمر ومات بمكة

---

١ ـ خرص النخلة والكرمة يخرصها خرصاً : إذا حزر ما عليها من الرطب تمراً ومن العنب زبيباً . النهاية لابن الأثير .

وذلك وهم ، وقال مصعب بن عبدالله الزبيري : جاء نعي أبي بكر حين توفيّ عَتّاب .

وحدثني عمر بن شبّة عن أبي عاصم النَبيل عن خالد بن أبي عثمان قال : قال عَتّاب بن أُسيد : ما أصبت من عملٍ إلاّ ثوبَيْنْ معقّدين كسوتهما غلامي كيسان .

وولد عَتّاب بن أُسيد **عبد الرحمن بن عَتّاب** ، وأمّه جُوَيْرية بنت أبي جَهْل ، وأمّها أَرْوَى بنت أبي العيص ، وكان من رجال قريش ، وشهد الجمل مع عائشة فقُتل فمرّ به عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : هذا يَعْسوب قريش[1] ، ويقال إنّ كفّه قُطعت فاحتملها عُقاب فأُصيبت ذلك اليوم بِحَجْر من اليَمامة ، فعُرفت بخاتمه .

وكان لعبد الرحمن هذا ابن يقال له سعيد ويُلّقب الطِرْس لسواده ، وفيه يقول عُبيد بن حُصين الراعي :

أَبْلِغْ سَعيدَ بن عَتّابٍ مُغَلْغلةً إنْ لَمْ تَغُلْكَ بِأَرْضٍ دونَهُ غولُ[2]

وكان مَعْبَد بن عَلقَمة المازني عنده فخرج فوجد سرجه مكسوراً ، فلم يعطهِ سرجاً مكانه فقال :

أَلا فَأَبْلِغا ابْنَ أَبي سعيدِ جَـزاهُ الله شرّاً مِنْ عَميدِ
فلو في دارِ طَلْحَةَ دُقَّ سَرْجي لآداني عـلى سَرْجٍ جَـديـدِ
وما اَعْرَوْرَيْتُ تَحْتَ الليلِ لِبْداً على بَغْلٍ وسِيساءٍ[3] حديدِ

---

١ ـ اليعسوب : أمير النحل وذكرها ، والرئيس الكبير . القاموس .
٢ ـ ديوان الراعي النميري ص١٩٣ .
٣ ـ السيسياء : الظهر من الحمار أو البغل .

يقال اعْرَوْرَيْتُ الدابّة : إذا ركبتها عُرْياً .

ومن ولده أمّ الجُلاس بنت سعيد بن عبد الرحمن بن عَتّاب ، وأمّها من تَيْم قريش تزوّجها الحَجّاج بن يوسف الثقفي .

ومن ولد عَتّاب بن أسيد حُلَيْلان وهو عَتّاب بن عَتّاب بن سعيد بن عبد الرحمن بن عَتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة، وأمّه أمة، وكان من فتيان أهل البصرة ، وكان صاحب حمام وصيد ولَهْو وشُرْب ينتابه الفتيان والمغّنون وأصحاب الشِطْرَنْج والنَرْد ،واستشهده رجلٌ على رجل بمال فدعاه الى الشهادة عند سَوّار بن عبداالله العنبري قاضي أمير المؤمنين المنصور بالبصرة ، فخاف ألاّ يُجيز شهادته ، فغرم المال افتداءً من الشهادة ، وكان ذا يسار وسخاءٍ يصوغ الغناء ويتغّنى للناس أيضاً ؛ وكان لحليلان ابن يقال له سعيد ، صاحب نبيذ ، وكان حسن المذهب سخيّاً .

وكان كنية عَتّاب بن أسيد أبا عبد الرحمن ، وأمّه وأمّ خالد بن أسيد بن أبي العيص زَيْنب بنت أبي عمرو بن أميّة ، وأسلم خالد بعد فتح مكة وتوفّي بمكة ، ويقال انّه استُشهد باليمامة ، ويزعم قوم أنّ رسول الله ﷺ مرّ به فسلّم عليه فلم يُردّ فقال : «اللهمّ جَنّبْهم النصر وألزمْهم العجز» ، فلم يلق أحد من ولده أحداً إلاّ هزمه العدوّ .

فولد خالد بن أسيد:أميّة بن خالد ، وعبدَالله بن خالد ، وأبا عثمان .

فأمّا عبدالله بن خالد فكان ذا قدر ، ولاّه زياد أرْدَشيرخُرَّه من فارس ، ويقال ولاّه فارس بِأَسْرِها ، ووهب له ابنة جُوانْبوذان بن المُكَعْبر فولدت له الحارث بن عبدالله ، وكتب زياد إلى معاوية وعبدالله بن خالد عنده أن آبعث إليّ رجلاً من قريش يكون بقربي فإن حدث بي حدث استخلفته ، فكتب

إليه : آختَرْ من شئت ، فاختار عبدالله بن خالد ، فكان عند زياد وهو صلّى عليه حين مات ، وجعله خليفته فلم يزل قائماً بعمله حتى قدم الضحّاك بن قيس الفِهْري والياً على الكوفة ، فلعبدالله بن خالد يقول قُبَيْع النَصْري :

وأَنْتَ كَرِيمٌ من لُؤَيِّ بْنِ غالِبٍ وقَومُكَ أَقْوامٌ وأَنْتَ شَرِيفُ

فولد عبدالله بن خالد بن أَسيد أميّة بن عبدالله ، وخالدَ بن عبدالله ، وعبد الرحمن ، وأمّهم بنت شَيْبة بن عثمان العَبْدَري يقال لها أمّ حُجْر ؛ وعبدَ العزيز بن عبدالله ، وعبدَ الملك بن عبدالله ، وأمّهما أمّ حبيب بنت جُبير بن مُطْعِم ؛ وعمران ، والقاسم ، وعمر ، ومحمداً ، والمُخارِق ، والحصين ، وأبا عثمان لأمّهات أولاد شتّى .

فأمّا أميّة بن عبدالله بن خالد فكان يكنى أبا عبدالله ، استعمله زياد على السُوس ، ثم على الأُبُلّة وكُوَر دِجْلة ، وزوّجه رَمْلة بنت زياد ، وكان أميّة جواداً ، فتوجّه إلى أبي فُديك عبدالله بن ثور الخارجي وهو بالبَحْرين ، ففرّ أبو فُديك ، فقال الفرزدق :

جاءوا على الريحِ أَوْ طارِوا بِأَجْنِحَةٍ ساروا ثلاثاً إلى الجَلْحَاءِ مِنْ هَجَرا[1]

حدثنا خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن عمّه مصعب بن زيد ومحمد بن أبي عُيَيْنة قالا : خرج أبو فُديك بالبَحْرين فلقيه أميّة بن عبدالله فهُزم ، فركب أميّة فرساً له جواداً كان يقال له المِهْرَجان فدخل البصرة عليه في ليلتين ، فقال يوماً وهو بالبصرة : لقد سرت على

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص ٣١٠ وفيه «إلى البحار من هجرا» .

المِهْرَجان إلى البصرة فدخلتها في ليلتين ، فقال بعضهم : هذا المِهْرَجان فلو ركبت النَوْروز لم تسر إلّا ليلةً حتى تدخلها .

وحدثنا خَلَف وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي قالا : حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن مصعب بن زيد وغيره أنّ خالد بن عبدالله قدم البصرة فتجهّز لقتال الحرورية ، ثم خرج اليهم وهم بِنَهْر تِيرَى ، وكان بإزائه قَطَريّ ، وخرج أبو فُديك بالبَحْرين ، فبعث إليه خالد أخاه أميّة فهُزم ، فبعث عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر فقتله ، ثم استعمل عبد الملك أميّة على خراسان فمكث عليها حيناً ، ثم أتى دمشق فمات بها ، وصلّى عليه عبد الملك وقال : أما إنّي أعلم أنّ بقائي بعده قليل .

وكان أميّة ولّى ابنه عبدالله بن أميّة سِجستان فقال أبو حُزابة[1] :

إنّي وإن كُنْتُ كبيراً نازِحا يَطَّرِحُ القفر بيَ المَطارِحا
أَلْقَى مِن الغُرَّام[2] بَرْحاً بارِحا لَمادِحٌ إنّي كَفَى بي مادِحا
مَن لَمْ أَجِدْ في العِرْضِ مِنْهُ قادحا إنَّ لِعَبْدالله وَجْهاً واضِحا
ونَسَباً في الصالحين صالحا النـافِحينَ بـالنَدَى المَنـافِحا

وخرج عبدالله بن أميّة مع ابن الأشعث فآمنه الحجّاج وبعث به إلى عبد الملك ، فلما دخل عليه قال : ويلك أَخَرَجْتَ مع ابن الأشعث ؟ فقال : إنّما مثلي ومثلك قول الشاعر :

---

١ ـ الوليد بن حنيفة ، شاعر من شعراء تميم في الدولة الأموية ، بدوي ، حضر وسكن البصرة . الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦٠ .
٢ ـ أي الدائنون .

إذا نَزَواتُ الحُبِّ أَحدَثْنَ بَيْنَنا عِتاباً تَراجَعْنا وعادَ العَواطِفُ

فقال له : كذبت يا أحمق ، وعفا عنه .

ووُلد لعبدالله بن أميّة عبدالله ، أمّه ابنة ضِرار بن القَعْقاع ، وأبو عثمان ، وإبراهيم ، وعبد العظيم .

وكان عبد العظيم فاضلاً ناسكاً ، وذكروا أنّه سأل الحَسَن البَصْري عن لعب الشطرنج فقال : لابأس ما لم تحلفوا عليها ، وتزوّج محمد بن سليمان بن عليّ ابنته نُهيَّة ، ثم خلف عليها اسحاق بن سليمان وماتت عنده .

وكان عبدالله بن أبي عثمان بن عبدالله بن أميّة بن خالد بن أُسيد ولي البصرة ، وذلك أنّ أهلها اصطلحوا عليه حين قُتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، وهرب القاسم بن محمد الثقفي عامل يوسف بن عمر عليها ، وهو القائل :

ما قُرَيْشٌ بِمُنْكِرينَ إذا ما قُلْتُ إنّي كَريمُها وفَتاها

وأقرّه عبدالله بن عمر بن عبد العزيز على البصرة ، ويقال إنّه كان المتولّي لحفر نهر عبدالله بن عمر بالبصرة ، ثم ضعف أمره لأنّه لم يكن معه جند فولّى عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان البصرة وعزله ، وكان ابن أبي عثمان هذا يشذ حين اصطلحوا عليه في كلّ أيّام ساعة ، فيصير إلى منزله فيأتيه وجوه أهل البصرة فيردّونه .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش أنّ أميّة بن عبدالله بن خالد بن أسيد قال لأبيه : والله ما عندك شيء أُقْوَى به ، وقد أردت التزويج ، وماأُظُنُّني إلاّ سآتي زياداً فأخطب إليه ، فقال : يا بُنيّ والله

ما أحبّ أن تخلط سَمْنك بإهالته ، قال : فرحل إلى زياد وهو بالبصرة فقال : يا بن أخي ما أقدمك ؟ قال : لِتَصِلني وتزوّجني ، قال : نَعَم ونُعْمَةَ عَيْنٍ ، فزوّجه آمنة بنت زياد ، ثم دعا كاتبه على الخراج فقال : اطلب له كورةً يعيش بها مرتفعةً عن عُمق السواد ، متَنحيّةً عن حُزونة الجبال وبَرْدِها ، فقال الكاتب : السُوس ، فولّاه إيّاه فقال أميّة : والله ما كنت أُفرش إلّا الخزّ ، ولا أستشعر إلّا به ، ولا أشرب إلّا السكر ، ولقد عُزِلْتُ عنها وما أُظُنّ أحداً يلبس إلّا الخَزّ ولا يأكل إلّا السُكّر ، ثم ولّاه كُوَر دِجْلة ، وولّاه عبد الملك خراسان ، ثم عزله وضمّ خراسان إلى الحجّاج .

وحدثني عليّ بن المغيرة الأثرم عن مَعْمر بن المُثَنّى قال : كانت عند عبدالله بن خالد بن أُسيد أمّ حُجْر الحَجَبيّة وكانت مُوسِرة ، فضاق عبدالله ضيقاً شديداً فقال لأمّ حُجْر: إنّي خارِج إلى معاوية فأَصحبيني جاريةً تخدمني ، فأَصحبته جارية لها فزّانيّة سوداء ، فخرج إلى معاوية وهي معه ، فوصله معاوية وأسنى له العطيّة ، فانصرف إلى منزله وبالجارية حَبَلٌ ، فسألتها أم حُجْر عن حَبَلها فقالت : هو من عبدالله بن خالد ، فقال عبدالله : والله ما وطئتُها قطّ ، أَوَمِثْلي يطَأُ مثلَها ، وحلف على كذبها ، فولدت غلاماً فسُميّ رشيداً فكان يخدمهم ، ومات عبدالله وبلغ رشيد أربعين سنة فأَعتقته أمّ حُجْر ، فاكتنى أبا عثمان ، وادّعى أنّه ابن عبدالله بن خالد .

وأمر عبد الأَعْلَى بن أبي عثمان لِخَلَفِ الأَقْطع بشيء ولم يُنْفذه فقال :

أَراكَ إذا هَمَمْتَ بِفِعْلِ خَيْرٍ هَمَمْتَ لِدَفْعِ ذاكَ بِأَمْرِ شَرِّ
أَبَتْ لَكَ ذاكَ أُماتٌ ثَلاثٌ مِنَ الأُحْبوشِ هُنَّ لِشَرِّ نَجْرِ

وَلَمْ يُعْتَقْ أَبوكَ مِن اعْتِبادٍ أَبو عُثْمانَ إلّا بَعْدَ دَهْرِ
أَلَمْ تَكُ أُمُّهُ أَمَةً لُكاعاً مِنَ الفَزّانِ قَيْنَةَ أُمِّ حُجْرِ
تَعَمَّمَتِ الخَبيثَ على اعْتِداءٍ بِلا إِذْنِ الحَليلَةِ أَوْ بِمَهْرِ

وأبو عثمان جدّ الحسن بن محمد بن أبي الشوارب عَبْدِ الملك بن محمد بن عبدالله بن أبي عثمان بن عبدالله بن خالد بن أُسيد قاضي سُرَّ مَن رأى .

خبر يوم الجفرة بالبصرة سنة تسع وستين :

كان يقال لها جُفْرة نافع ثم سُميّت جُفْرة خالد .

قالوا : وأمّا خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد فكان جواداً ، ويكنى أبا سعيد ، وكان بالشام مع عبد الملك يحبّه ويستصحبه .

فحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف بإسناده أنّ خالداً قال لعبد الملك : وجّهني إلى البصرة في جماعة من أهل الشام آخُذْها لك وأدعو الناس إلى طاعتك ، فقال له : اذهب بكتبي إلى وجوه أهلها وامض مستخفياً ، وأنا مُتبعك جنداً كثيفاً مع رجل أثق به ، فسار خالد حتى دخلها وعليها من قِبل مصعب بن الزبير عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر القرشي ثم التَيْمي ، وجّهه إليها من الكوفة عند مقتل المختار بن أبي عبيد ، وكان صاحب شرطته عبّاد بن الحُصين الحَبَطي من بني تميم ، وكان مصعب يستخلفه عليها ويوليّه تدبير الأمر فيها اذا حضرها أو غاب عنها ، فنزل خالد على عليّ بن أُصْمع الباهلي ، فعجز عليّ عن الذبِّ عنه ومَنْعِه من عبّاد إن اراده ، فدلّه على مالك بن مِسْمع بن شِهاب أحد بني جَحْدَر بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة ، فأتى مالكاً فاستجار به وأوصل إليه كتاباً من عبد

الملك ، فسرّه ما وعده فيه ومنّاه فأجاره ، وبعث إلى مَنْ يثقُ به من أهل البصرة ممّن كتب إليه عبد الملك بن مروان وغيرهم ، فأتاه زياد بن عمرو العَتَكي في الأزد إلاّ آل المهلّب ، ووافته خيول بَكْر بن وائل إلاّ آل شقيق بن ثَوْر السَدوسي ، واجتمعت إليه شيعة بني أميّة من العثمانيّة ، وأتاه صَعْصَعة بن معاوية عمّ الأحنف ، وكان ممّن كتب إليه عبد الملك ، وأتاه عبيدالله بن أبي بَكْرة ، ثم قدم عليه عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان من الشام في جيش سرّحه معه عبد الملك إلى خالد كما وعده ، وكان عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان قد خلع مصعباً ولحق بعبد الملك بن مروان لأنّ مصعباً قتل أخاه النابىء بن زياد فكان حنقاً عليه ، فسأل عبد الملك أن يكونَ الذي يوجّهه إلى العراق لمحاربته ، فسرّحه إلى خالد بذلك الجيش وأمره أن يسمع له ويطيع ، فاجتمعوا بالجُفْرة التي تُعرف بجُفْرة خالد ، وزحف إليهم عمر بن عبيدالله بن مَعْمر في الزُبَيْريّة ومن معه من أهل البصرة فاقتتلوا أشدّ قتال وأبْرَحَهُ ، وفُقئت عين مالك بن مِسْمع يومئذ ، ثم إنّ القوم كرهوا الحرب وخافوا أن يتفانوا فتحاجزوا ، وأقبل مصعب بن الزبير من الكوفة حين بلغه خبر خالد بن عبدالله بن خالد وشُغْلِ عبدِ الملك بن مروان عنه بعَمْرو وبزفر بن الحارث ، وكتابِه إلى خالد أنّه لا يمكنه ورود العراق في عامه لِما انتشر عليه من الأمور ، فوهن أمر خالد ، وطلب مالكُ بن مسمع بن شِهاب ومن معه ممّن أنجد خالداً الأمان من عمر بن عبيدالله فآمنهم ، وهرب خالد بن عبدالله حتى أتى عبدَ الملك ، وهرب أيضاً مالك بن مِسْمع إلى قرية من قرى اليمامة لبَكْر بن وائل يقال لها ثاج ، فلم يزل بها إلى أن صالح عبدالملك زُفَر بن الحارث الكِلابي وانصرف إلى الشام ثم شخص إلى

العراق فقتل مصعباً ، ويقال إنّه رجع إلى البصرة في أيّام حمزة بن عبدالله ثم رَجع إلى ثاج ، ويقال أيضاً انّ مصعباً استُؤمِنَ له حين رجع إلى البصرة .

وولّى عبد الملك خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد بعد استقامة الأمور له بالبصرة ، فأكرم مالكاً ومن كان أجاره وقاتل معه ، فكان عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان أتى الشام بعد الجُفرة ثم قدم العراق مع عبد الملك ، ويقال إنّه اعتزل في بعض النواحي حتى أقبل عبد الملك إلى العراق فأتاه .

وحدثني عليّ بن المغيرة الأَثْرم عن مَعْمَر بن المُثَنَّى عن أبي عمرو قال : كان قيس بن الهَيْثَم ويكنى أبا كبير خليفةً للحارث بن أبي ربيعة ـ وهو القباع ـ على البصرة أيّام ابن الزبير ، وكان ممّن قاتل مالك بن مِسْمع مع الزُبيْريّة وهو على فرس مجلجل ، وقد استأجر قوماً يقاتلون معه فكانوا يرتجزون :

لَساءَ ما تَحْكُمُ يا جَلاجِلُ النَقْدُ دَيْنٌ والطِعانُ عاجِلُ
وأَنْتَ بِالماءِ ضَنِينٌ باخِلُ

وحدثنا خلف بن سالم حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال :ـ ولا أعلمه إلاّ عن مصعب بن زيد ـ أنّ أشرافَ أهلِ العراق كتبوا إلى عبد الملك بن مروان يدعونه إلى أنفسهم ويخبرونه أنّهم مُبايعوه، فلم يبق بالبصرة شريف إلاّ كتب إليه غير المهلّب بن أبي صفرة ، فبعث عبد الملك خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد ليقاتل في طاعته ، فقدم وقد كان الطاعون الجارف وقع بالبصرة ، وذلك في سنة تسع وستين ، فكثر الموت بالبصرة حتى جعل أهل الدار يموتون عن آخِرهم لا يجدون من يدفنهم ، وأمير البصرة يومئذ

عمر بن عبيدالله بن مَعْمر بها ، استعمله عليها مصعب ، فقدم خالد على مالك بن مِسْمع وعَسْكَرَ بجُفْرة خالدٍ ، ومال إليه كثير من الناس ، فكان ممّن أتاه من الأزد مَعْن بن المغيرة بن أبي صُفْرة ، وكان قد عتب على المهلّب في تأخير صلته ، فكان القوم يغدون إلى المِرْبَد ثم يفترقون : فرقةٌ إلى خالد وفرقة إلى المُصْعَبيّة فإذا رجعوا رجع الأَخَوانِ أحدهما من هؤلاء وأحدهما من هؤلاء فيقول هذا : فعلنا بكم ، ويقول هذا : فعلنا بكم ، فلم يزالوا على ذلك حتى هرب خالد بن عبدالله وتفرّق أصحابه وهرب مالك إلى اليمامة ، فلما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة بعث خالداً أميراً على البصرة ، واستعمل بِشر بن مروان أخاه على الكوفة ، وبلغ ذلك مالكَ بن مِسْمع وهو باليمامة ، فأقبل حتى دخل البصرة ، فأتى دار الإمارة على ناقته ، ففُتح له الباب فدخل حتى أناخ على بِساط خالد ، وأُقطعه عبد الملك قطائع كثيرة ووصله ، وكتب عبد الملك إلى المهلّب وهو بإزاء الحَروريّة : إنّ الناس مجتمعون على بيعتي ، فإن دخلتَ فيما دخل الناس فيه عرفنا لك منزلتك وشرفك ، وإن لم تفعل استعنّا بالله عليك ، فكتب إليه : أمّا إذ اجتمع الناس فإنّي لم أكن أُشُقّ عصا المسلمين ، ولا أسفك دماءهم ، ولا أفرّق جماعتهم ، فكتب إليه بإقراره على ما هو بسبيله .

وحدثني العمري عن الهَيْثم بن عَديّ قال : التقى الأُمَويّة والزُبَيْريّة بالبصرة ففُقئَت عين مالك بن مِسْمع ، وقال وَهْب بن أَبْجَر العِجْلي :

ونَحْنُ صَرَمْنا أَمْرَ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ ... وأَنْتَ بِنَاجٍ لا تُمِرُّ ولا تُحْلِي
هَجَرْتَ لُجَيْماً أَنْ أَصبْتَ زِيادَةً ... وَعُذْتَ بهم عِنْد الزَلازِلِ والأَزْلِ

فَلا تَرْجُ خَيْراً عِنْدَ بابِ ابْنِ مِسْمَعٍ إذا كُنْتَ مِنْ حَيَّيْ حَنيفَةَ أَوْ عِجْلِ[١]

قال : فقال جرير :

وَفَيْنا كَما أَدَّتْ رَبيعَةُ خالِداً إلى قَوْمِهِ حَرْباً وَلَمّا يُسالِمِ[٢]

وحدثنا خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن أبي عُيَيْنة عن ذَكْوان مولى أبي عُيَيْنة قال : لمّا قدم خالد البصرة واجتمعت الحَروريّة بالأهْواز خرج إليها خالد في نحو تسعين ألفاً من أهل البصرة والكوفة ومن أمدّه به بِشْر بن مروان ، فقاتلته الخوارج وفلّوه ونادوا : يا خالد يا مُخَنّث ، فأتى البصرة، وكان رئيس الخوارج قَطَريّ، وكان خالد قد وجّه أخاه عبد العزيز إلى جماعة من الخوارج انحازوا إلى فارس ، بعد قتل أبي فُدَيْك ، فهزموه أقبحَ هزيمة وفضحوه ، فكتب خالد بأمر الخوارج إلى عبد الملك وقال للمهلّب : ما ظَنّك بأمير المؤمنين ؟ قال : أحسبه سَيعزلك فما كنتَ صانعاً فاصنعه فقال : أتراه يَنْسى بَلائي ويستخفّ بحقّ قرابتي ؟ قال المهلّب : إنّ الناس حديثو عَهْدٍ بفِتْنَة ، ويبلُغه ما لقيتَه من الخوارج ويأتيه خبرُ أخيك عبد العزيز فيخاف أن يُطمَع فيها قِبَلَك ويُجْتَرأ عليك ، فتنتشرَ الأمورُ وَيضيعَ العملُ ، فعزله عبد الملك وجمع البصرة والكوفة لِبشْر بن مروان .

قالوا : ولما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة ولاّها حين أراد الرجوع إلى الشام قَطَن بن عبدالله بن الحُصين الحارثي أربعين يوماً

١ ـ البيتان الأول والثالث ـ مع فوارق ـ في حماسة أبي تمام ـ ط . دمشق ص ١٠٧١ والشاعر هو عمرو بن الهذيل العبدي ، وهو شاعر ربعي مخضرم له ذكر بالاصابة لابن حجر (ترجمة رقم ٦٥١٩) ، وقيل الشاعر رجل من عجل .

٢ ـ ديوان جرير ص ٤٥٨ مع فوارق .

أو شهرين ، ثم عزله وولّى بِشْراً أخاه ، فاستخلف بِشر على الكوفة حين ولي البصرة عمروَ بن حُريث ، ثم قدم البصرة فأقام أشهراً ، ثم احتُضر فاستخلف خالداً على عمله حتى قدم الحجّاج وقد شدّ خالد على بيت المال فأخرج جميع ما فيه ففرقه على الناس ، فيزعمون أنه جلس مجلسين فلم يقم حتى فرق ألف ألف درهم ؛ وكان الحجاج أراد حَبسه ومُحاسبته ، فأمر عبد الملك أن لا يعرض له فتركه ، فلما شخص عن البصرة شيّعة القرشيون ، ففرّق فيهم ثلاثمائة ألف درهم .

وقال المدائني وأبو عبيدة : أقبل عبد الملك من الشام يريد العراق ومعه خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد فقال له : إن وجّهتنَي إلى العراق وأَتْبَعْتني خيلاً يسيرة كفيتُك البصرة ، فوجّهه عبد الملك فقدمها مستخفياً في خاصّته ومواليه حتى نزل على [علي] بن أُصْـمَع الباهلي ، فأرسل إلى عبّاد بن الحُصين وهو على شرطة ابن مَعْمر : إني قد أجرت خالداً وأنا أحبُّ أن تعلم ذلك وتكون لي ظهيراً ، فبعث إليه : والله لا أنزل عن فرسي حتى آتيك في الخيل ، فقال ابن أُصْمَع لخالد : لا أغرّك إنّ عبّاداً يأتينا الساعة ولا أقدر على منعك ولكن عليك بمالك بن مِسْمع ، ويقال انّ نزوله كان على عمرو بن أُصْمَع ، وأنّ عبّاداً أرسل اليه ابتداءً : إنّه قد بلغني نزول خالد عليك ، وأنا موافيك في الخيل .

المدائني عن مسلمة وعوانة قالا : فخرج خالد من عند ابن أُصْمَع يركض وعليه قميص قُوهيّ رقيق ، وقد حسر عن فخذَيْه وأخرج رجليه من الركابين حتى أتى مالكاً فقال : إنّي قد اضطُرِرْتُ إليك فأَجِرْني ، قال : نعم ، وخرج وبنو أخيه فأرسل إلى بكر بن وائل والإزد ، فكانت أوّل رايه

أتته راية بني يَشْكُر ، وأقبل عبّاد بن الحُصين في الخيل فتواقفوا ولم يقتتلوا ، فلما كان الغد بدروا إلى جُفْرة نافع بن الحارث التي نُسبت بعدُ إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميم وافوه ، وهم : صَعْصَعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومُرَّة بن مِحْكان الرُّبَيْعي ، ومعه عبيدالله بن أبي بَكْرة وحُمْران ومغيرة بن المهلّب ، وكان على الزُّبَيْريّة قيس بن الهَيْثَم السُلَمي ، وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه ، فتقاضى رجل أُجرته فقال : غداً أُعطيك إيَّاها ، وكان في عنق فرسه جلاجل ، فقال رجل يقال له غطفان بن أُنَيْف أحد بني كعب بن عمرو بن تميم :

لَبِئْسَ ما حَكَمْتَ يا جَلاجِلُ النَقْدُ دَيْنٌ والطِعانُ عاجِلُ
وأَنْتَ بِالْبَذلِ ضَنينٌ باخِلُ

وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وَبَرة العُجَيْفي ، وكان [له] عَبيدٌ يؤاجرهم كلَّ يوم بثلاثين فيُعطيهم عشرةً عشرةً ، فقيل له :

لَبِئْسَ ما حَكَمْتَ يا بنَ وَبَرَه تُعْطَى ثَلاثينَ وتُعْطي عَشَرَهْ

ووجّه مصعبُ بن الزبير زَحْر بن قيس الجُعْفِي مدداً لابن مَعْمَر في ألف ، ووجّه عبد الملك عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان بن الجَعْد أحد بني عائِش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة مدداً لخالد ، فوافى وقد تفرّق الناس عنه ، فلحق بعبد الملك .

أبو الحسن المدائني عن رجل عن السَكَن بن قَتادة قال : اقتتلوا أربعة وعشرين يوماً فأُصيبت عين مالك بن مِسْمع ، فضجّوا من الحرب ، ومشت السفراءُ بينهم وفيهم : يوسف بن عبدالله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، فصالحهم ابن مَعْمَر على أن يُخْرِج خالداً من البصرة وهم آمنون ، فخرج

خالد فلحق بالشام ، وخاف مالك ألاّ يُجيز مصعبُ أمانَ عمر بن عبيدالله أو عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمر فلحق مالك بِثاج ، فقال الفرزدق :

عَجِبْتُ لأقوامٍ تَميمٌ أبُوهُمُ ... وهُمْ في بَني سَعْدٍ عِظامُ المبارِكِ
وكانوا أَعَزَّ الناسِ قَبْلَ مَصيرِهِمْ ... إلى الأَزْدِ مُصْفَرّاً لِحاها ومالِك
وما ظَنُّكُمْ بِآبنِ الحَوارِيِّ مُصْعَبٍ ... إذا آفْترَّ عَنْ أَنْيابِه غَيْرَ ضاحِكِ
ونَحْنُ نَفَيْنا مالِكاً عَنْ بِلادِهِ ... ونَحْنُ فَقَأْنا عَيْنَهُ بَالنَّيازِكِ[1]

وقال بعض بني حنظلة :

أَبْلِغْ أَبا حَسّان أَنَّكَ إِنْ تَعُدْ ... تَعُدْ لَكَ بالبِيضِ الخِفافِ تَميمُ
تَقاضَوْكَ عَيْناً مِنْكَ حَتّى قَضَيْتَها ... ورُحْتَ وفي الأُخْرَى عَلَيْك خُصومُ

وقال غَطَفان بن أُنَيْف :

كَيْفَ رَأَيْتَ نَصْرَنـا الأَميرا ... بصَـرْحَـةِ المِرْبَـدِ إِذْ أُبـيرا
يقـودُ فيهِ جَحْفَـلاً جَـرورا ... الخَيْـلَ والصَـلادِمَ الـذّكـورا
وصـارِماً ذا هيئـةٍ مَـأْثـورا ... فأَصْبَحَ ابْنُ مِسْمَعٍ مَحْصورا
يَرَى قُصوراً دونَهُ ودورا

وقال الشاعر لمصعب :

أَلْحِقْ أُميَّةَ بِالحِجازِ وخالِـداً ... وآضرب عِلاوَةَ مالِكٍ يا مُصْعَبُ
فلَئِنْ فَعَلْتَ لَتَحْـزُمَنَّ بِقَتْلِهِ ... ولَيصفُوَنْ لَكَ بِالعِراقِ المَشْرَبُ

وقال آخر :

أَخافُ عَلَيْكَ زِيـادَ العِراقِ ... وأَخْشَى عَلَيْـكَ بَني مِسْمَعٍ

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٧ .

فقال مصعب : يكفي الله مؤونتهم .

قالوا : ولما بويع مصعب وانصرف عبد الملك إلى دمشق بسبب عمرو الأشدق لم يكن له همّة إلاّ البصرة ، وطمع أن يدرك خالداً ، فلمّا قدمها وجده قد خرج ، ووجد ابن مَعْمَر قد آمن الجُفْرِيّة ، فغضب على ابن معْمر وحلف أن لا يوليّه ، وأرسل الى الجُفْرِيّة فشتمهم وأنّبهم وقال : نصرتم ابن طَرِيدِ رسولِ الله ﷺ على ابن حواريه ، وأقبل على عُبيدالله بن أبي بكْرة فقال : يا بن مَسْروحٍ إنّما أنت ابن كلبة تعاورتها الكلاب فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كلِّ كلبٍ ما يُشبهه ، وإنما كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف ، تدّعون أنّ أبا سفيان زنى بأُمكم ، أما والله لئن بقيتُ لأُلحِقَنْكم بنسبكم ، ثم دعا بحُمْران فقال : يا بن اليهوديّة إنّما انت علج نَبَطيّ سُبيتَ من عَيْن التَمْر وكان أبوك يُدْعى أبي . ثم قال للحَكَم بن المنذر بن الجارود : يا بن الخبيثة اللَخْناء أتدري من أنت ومن الجارود ؟ إنما كان علجاً بجزيرة ابن كاوانَ فارسيّاً فقطع إلى ساحل العرب فانتمى إلى عبد القيس ، ولا والله ما أعرف حيّاً أشدّ إشتمالاً على سَوْءَة منهم ثم انكح أختَه المُكَعْبِر الفارسيّ فلم يُصِبْ شرفاً قطّ أعظم من ذلك ، فهؤلاء ولدها يا بن قباذ ؛ ثم أُتي بعبدالله بن فَضالة الزَهْراني فقال : ألستَ من أهل هَجَر ثم من اهل سمَاهِيج[1] ؟ أما والله لأَرُدَّنّك إلى نسبك . ثم أُتي بعليّ بن أُصْمَع فقال : أنت عبد لبني تميم مرّة ، وعربي من باهلة مرّة . ثم أُتي بعبد العزيز بن بِشْر بن حناط فقال : يا بن المشتور ألَمْ يسرق عَمّك في زمن عمر

---

١ ـ سماهيج : اسم جزيرة في وسط البحر بين عمان والبحرين . معجم البلدان .

فأمر به فسُيِّر ليقطعه ؟ أما والله ما أعيبُ إلاّ من نكح أختَك ، وكانت اخته تحت مُقاتل بن مِسمع ، ثم أُتي بأبي حاضر الأَسَدي فقال : يا بن الإصْطخْريّة وما أنت والأشراف ؟ إنّما أنت دعيّ في بني أَسَد . ثم أُتي بزياد بن عمرو فقال : يا بن الكِرْماني إنّما أنت علج من أهل كِرْمان قطعت إلى فارس فصرت ملاّحاً ، مالك وللحرب ؟ أنت بجرِّ القَلْسِ أعلمُ . ثم أُتي بعبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص فقال : أَعليَّ تكْثر وأنت علج من أهل هَجَر لحق أبوك بالطائف ، وهم يضمّون مَن تأشّب اليهم ليتعزّزوا به ، أما والله لأَرُدَّنّك إلى أَصْلك ، ثم أُتي بشَمْخ بن النعمان فقال : يا بن الخبيثة أنت علج من أهل زَنْدَوَرْد[1] هربت أمّك وقُتل أبوك فتزوّج أخته رجلٌ من بني يَشْكُر فجاءت بغلامَيْنْ فأَلحقك بنسبهما . ثم ضربهم مائةً مائةً ، وحلق رؤوسهم ولِحاهم ، وهدم دورهم ، وصهرهم في الشمس ثلاثاً ، وحملهم على طلاق نسائهم ، وجمَّر أولادهم في البعوث ، وطاف بهم في أقطار البصرة ، وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرائر ؛ فلما استقام الأمر لعبد الملك أمر ببناء دورهم . وبعث مصعبُ خِداشَ بن يزيد في طلب مَن هرب من أصحاب خالد ، فأدرك مُرَّةَ بن مِحْكان فقال :

بَني أَسَدٍ إنْ تَقْتُلوني تُحارِبوا تَميماً إذا الحَرْبُ العَوانُ أَشْمَعَلَّتِ
بَني أَسَدٍ هَلْ عِنْدكُم مِنْ هَوادَةٍ فَتْعْفوا وإنْ كانتْ بِيَ النَعْلُ زَلَّتِ
أَيَمْشي خِداشٌ في الأَزِقَّةِ آمِناً وقد نَهِلَتْ مِنّي الرِماحُ وعَلَّتِ

١ - زندورد : مدينة كانت قرب واسط ، ممايلي البصرة ، خربت بعمارة واسط . معجم البلدان .

فضربه خِداش فقتله وكان على شُرَط مصعب يومئذ ، وهدم مصعب دارَ مالك بن مسمع وأخذ ما كان فيها فكان مّما أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب ، ولم يزل مصعب بالبصرة حتى أتى الكوفة ثم مَسكِن[1] فقُتل .

قالوا : لما قُتل مصعب وثب حُمْران بن أَبان ، وعبيدالله بن أبي بَكْرة فتنازعا ولاية البصرة ، فقال ابن أبي بَكْرة : أنا أعظم غناءً منك ، أنا كنت أُنفق على أصحاب خالد بن عبدالله يوم الجُفرة ، فقيل لحُمْران : إنّك لا تقوى على ابن أبي بكْرة فآستعن بعبدالله بن الأَهْتَم ، فاستعان به فغلب حُمْرانُ على البصرة ، وجعل ابنَ الأَهْتَم على شُرَطها ، وكان لحُمْران عند بني أميّة منزلة ، وزعموا أنّ رداءَ حُمْران زال عن كتفه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيّهما يسويه ، وقيل إنه مدّ رجلَه فابتدرها معاوية وابن عامر أيّهما يغمزها ؛ وكان الحجّاج حبس حُمْران لأنّه وليَ لخالد بن عبدالله سابور فكتب إلى عبد الملك :

لو بِغَيْرِ الماءِ حَلْقي شَرِقٌ   كُنْتُ كالغَصّانِ بِالماءِ اعتِصاري

فكتب إلى الحجّاج : إنّ حُمْران أخو مَن مضى منّا ، وعمّ من بقي ، وهو رُبْع من أرباع بني أميّة ، فلا تعرضْ له وأَكْرِمْه واعرف له حقَّه ، ففعل واعتذر إليه ورد عليه ما استأداه ، وبعث بذلك مع غلمان وَهَبهم له ، وكان الذي أغرمه مائة ألف درهم ، فقسمها في أصحابه ، وقال للغلمان : أنتم أحرار .

---

١ ـ مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق . معجم البلدان .

المدائني قال : ولي خالد بن عبدالله البصرةَ سنَتْين فوجّه في ولايته أخاه أميّة إلى أبي فُدَيْك إلى البَحْرين فهزمه أبو فُدَيْك ، ووجه أخاه عبد العزيز بن عبدالله إلى الأزارقة بفارس فهزموه أيضاً ، وأخذوا امرأته أمَّ حَفْص بنت المنذر بن الجارود فقتلوها ، فقال الفرزدق :

كلُّ بَني السَوْداءِ قَدْ فَرَّ فَرَّةً فلَمْ يبْق إلاّ فَرَّةٌ عِنْدَ خالِدِ
فَضَحْتُمْ قُرَيْشاً بِالفِرارِ وأَنْتُمُ لدى الحَرْبِ أَنْكاسٌ قِصارُ السواعِدِ[1]

فطلبه خالد فلحق بِبِشْر بن مروان وقال :

وما كفَّ عَنِّي خالدٌ عَنْ تَقِيَّةٍ ولكِنْ بَدَتْ دوني اللُّيوثُ الهَواصِرُ
غَداةَ رَأى مِن مالِكٍ تَحْتَ غابِها وَرائي ودوني مَن يَخافُ المُحاذِرُ
تحلَّلْتَ إذْ أقْسَمْتَ أَنَّكَ قاتِلي وكفِّرْ إذا آليت أَنَّكَ قادِرُ
أتوعِدُني والمالِكانِ[2] كِلاهما ورَائي وسَعْدُ والحُلولُ الكَراكِرِ
هُمُ مَنَعوني مِنْ زيادٌ وقد رأى زِيادٍ مَكاني وَهْو للناس قاهِرُ
ومِن مُصْعَبٍ حَيْثُ القُباعُ لخوفه عَلَيَّ ولَمّا تَسْتَطِعْني زَماجِرُ[3]

وقال في ابن أبي بَكْرة :

تَدراكَني مِنْ خالِدٍ بَعْدَ ما آلْتَقَتْ على وَدَجي أَنْيابُهُ[5] ومَخالِبُهْ[4]

قال أبو الحسن : ولما قُتل مصعب خرج رسول فَطَمَّ إلى مالك بن مِسْمع وهو بثاج يبشّره بقتله ، فقدم وخالد بن عبدالله بالبصرة قد قدمها

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٢ ـ المالكان : مالك بن زيد مناة ، ومالك بن حنظلة .
٣ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٥٤ .
٥ ـ طم : خف ، أوعدا سهلاً . القاموس .

والياً ، فجاء يسيرُ حتى أناخ ناقته على بساط خالد ، فقال العُدَيْل بن الفَرْخ :

أُنيخت على ظَهْرِ البِساطِ فَلَم تثرْ   على رَغْمِ مَنْ أَمْسَى عَدُوّاً لِخالدِ

ثم انصرف مالك إلى داره وقد هُدمت ، فعدل عنها فنزل في بني جَحْدرَ ، ولم يمكث مالك إلاّ سبع عشرة ليلة حتى هلكْ ، فدُفن عند دار عيسى بن سليمان حيث دُفن بعده بِشر بن مروان ، وجاءَ مالك فخاصم في الجارية التي أخذها مصعب ، فمات قبل أن يُحكم له بها .

وقال الأخطل يمدح خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد ، وقدم إليه وهو بالبصرة :

إلى خالدٍ حَتّى أَنَخْنَ بِخالدٍ   فنِعْمَ الفَتَى يُرْجَى ونِعْمَ المُؤَمَّلُ
أخالِدُ مَأْواكُمْ لِمَنْ حَلَّ واسِعٌ   وجَدْواكَ غَيْثٌ للصَعاليكِ مُرْسَلُ
أَبَى عودُكَ المَعْجومُ إلاّ صَلابَةً   وكَفّاكَ إلاّ نائِلاً حينَ تُسأَلُ
أَلا أيُّها الساعي لِيُدْرِكَ خالِداً   تَناهَ وأَقْصرْ بَعْضَ ما كُنْتَ تَفْعَلُ
فَهَلْ أَنْتَ إن مَدَّ المَدَى لَكَ خالِدٌ   مُوازٍ لَهُ أَو حامِلٌ ما يُحَمَّلُ[1]

وحدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن ابن عَوانة عن عَوانة قال : كان خالد وأميّة ابنا عبدالله بن خالد بن أُسيد عند عبد الملك بن مروان ، فقدمت عليه عِير من العراق عليها مالٌ حمله الحجّاج بن يوسف ، فقال عبد الملك : هذا والله الجَلَب الأغرّ لا جَلَبُكما ، أمّا أنت يا خالد فاستعملتُك على البصرة وهي تهدم[2] بالأموال فاستعملتَ كلَّ ذئب فاجر : تحمل من العشرة درهماً

١ ـ ديوان الأخطل ص ٢٢٨ .

٢ ـ الهدمة : الدفعة من المال . القاموس .

وتحتجن التسعة لنفسك ، وأما أنت يا أميّة فإنّي ولّيتك خُراسان وسجستان وهما يقلسان الذهب والفضّة ، فبعثتَ إليّ ببِرذون حَطِم وحريرتَيْن ومفتاح فيه رطل من ذهب زعمت أنّه مفتاح مدينة الفِيل ، وما مدينة الفيل قبحها الله ، فإذا استعملناكم أسأتم وقصّرتم ، وإذا استعملنا غيركم قلتم : حَرَمَنا وقَطَع أرحامنا وآثر علينا غيرنا ، والمُلك لا يصلح إلّا بالرجال ، والرجال لا يُقيمها إلّا الأموال ، والأموال لا تجتمع إلّا بالتوفير والاحتياط وأداء الأمانة ، فقال خالد : بعثَتني إلى البصرة والنّاس بها رجلان : رجل هواه معك ، ورجل هواه لسواك ، فأعطيتُ الذي هواه معك لأسْتَثْبت مَوَدَّته وأستديم طاعته ، وأعطيتُ الذي يهوى غيرَك متألفاً لأجتّر هواه وأُعطّف قلبه وأستنزل نصيحته ، وكان اتّخاذ الرجال أحبَّ إليَّ وأصْوب عندي من جمع الأموال ، وإنّ الحجّاج جمع الأموال وأَوْغَر صدور الرجال ، فكأني بهم قد انتقضوا عليه ، فأنفقْتَ هذه الأموال وأضْعافها ، فلما خرج أهل العراق على الحجّاج قال عبد الملك : يا خالد هذا مصداق ما قُلْتَ .

وحدثني الحسن بن عليّ الحِرْمازي عن أبي الحسن المدائني عن عبدالله بن مسلم قال : قال عبد الملك بن مروان : إنّـا لنولّي الرجلَ فيخون ويعجز ، كأنه يعرِّض بخالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد ، فقال خالد : أمّا العجز فإنّه لم يعجز مَن وطّأ لكَ مجلسك هذا ، وأمّا الخيانة فما طُلب العمل إلّا لاصطناع المعروف ، وما زال الناسُ من لدن عثمان يصيبون من هذا المال : أنت وغيرك ، فسكت عبد الملك .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مِسْكين المَدَني قال : باع خالد بن عبدالله ثمرة أبيه وحمل ثمنها في كُمّه ، فلقيه أبو صخر الهُذَلي

فقال له : هب لي هذه الدنانير التي في كمّك ، فقال : والله ما مدحتَني قطّ ، قال : بلى والله قبل أن تولد ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

إذا نُفِسَ المَوْلودُ مِنْ آلِ خالِدٍ ... بَدا كَرَمٌ لِلنـاظِرينَ يَـطيبُ

قال : خذها فهي لك ، فأتى أباه عبدالله بن خالد فسأله عن ثمن الثمرة فأخبره بخبرها فقال : أحسنَت ، وكانت ثلاثمائة دينار .

وكان سعيد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد جواداً يقال له عَقيد الندى ، فمدحه موسى شَهَوات فقال :

فِدىً لِلكَرِيمِ العَبْشَمِيِّ ابْنِ خالِدٍ ... بَنِيَّ ومـالي طـارِفي وتَليـدي
عَقيدُ النَدَى ماعاشَ يَرْضَى به الندى ... فإن ماتَ لم يَرْضَ الندى بِعقيدِ
أبا خالِدٍ أَعْني سَعيدَ بْنَ خالِدٍ ... أخا العُرْفِ لا أَعْني ابْنَ بِنْتِ سَعيد
ولكِنَّني أَعْني ابْنَ عائِشَةَ الذي ... كـلا أَبَوَيْـهِ خالِـد بنُ أَسيـدِ
دَعُوه دَعوهُ إنَّكُمْ قـد رَقَدْتُمُ ... وما هُوَ عن إِحْسانِكُمْ بِرَقـودِ

وأمّ عَقيد الندى عائشة بنت عبدالله بن خَلَف الخُزاعي أخت طَلْحة الطَلَحات الجواد ، وأبوه خالد ، وجدّه خالد بن أسيد ، وكلّ واحد منهما ابن أسيد ، وابن بنت سعيد : سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان امّه آمنة ـ ويُقال حُمَيْدة ـ بنت سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة فهو ابن بنت سعيد ، ويقال انّه كان يُغلب على عقله ستّة أشهر ويُفيق ستّة فيكون أصحَّ الناسِ وأسخاهم ، وقد ذكر ذلك أبو اليقظان .

وحدثني عبدالله بن صالح المُقْرىء عن ابن عَوانة عن أبيه عن جدّه قال : شكا سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان موسى شَهَوات إلى سليمان بن عبد الملك وقال هجاني ، فقال سليمان لموسى : لا أُمّ لك أتهجو

سعيد بن خالد وهو ابن أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أحدّثك بقصّتي وقصّته، عشقتُ جارية لبعض أهل دمشق، فأبى أهلها أن ينقصوها من مائَتيْ دينار ، فأتيتُ سعيدَ بن خالد هذا فأخبرته بذلك وسألته أن يشتريها لي ، فقال : بُورِكَ فيك ، فقال سليمان : ما هذا بموضع بُورِكَ فيك ، قال : ثم أتيتُ سعيدَ بن خالد بن عبدالله [بن خالد] بن أُسيد فشكوتُ إليه ذلك فدعا بمُطْرَف خزّ فبُسط ثم قال : يا جارية صُرِّي في كلّ جانب منه مائَتيْ دينار وفي وسطه مائتي دينار ، ثم قال : خذ المُطْرف بما فيه ، فأخذتُه وفيه ألف دينار فقُلْتُ ، وأَنْشَدَهُ الأبيات التي تقدّم ذكرها ، وزاد فيها ببيت وهو :

فقُلْ لِبُغاةِ الخَيْرِ قد مات خالدٌ ... ومات النَدَى إلاّ فُضولَ سَعيدِ

قال : فقال سليمان بن عبد الملك : قُل ما بدا لك فلن تُلام .

المدائني عن سُحَيْم قال : كان عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أُسيد سيّداً ، وجّهه أخوه خالد إلى الخوارج بفارس وعليهم قَطَريّ فهزموه وقتلوا أصحابه وأخذوا امرأته امّ حَفْص بنت المنذر بن الجارود ، فمرّ بالمهلّب فكساه ووصله وحمله ، فقال الشاعر :

عَبْدَ العَزيزِ فَضَحْتَ جَيْشَكَ كُلَّهُمْ ... وتَرَكْتَهُمْ صَرْعَى بِكُلِّ سَبيلِ
هَلاّ صَبَرْتَ مَعَ الشهيدِ مُقاتِلٍ ... إذْ رُحْتَ تُمْعِنُ هارباً بِأَصيلِ
وتَرَكْتَ عِرْسَكَ والرِماحُ شَوارِعٌ ... عارٌ عَلَيْكَ إلى المَماتِ طَويلُ

الشهيد : مُقاتل بن مِسْمع كان معه فقُتل .

وولّى عبد الملك عبدَ العزيز بعد ذلك مكة ، فمدحه رجل من بني الحارث بن كعب فقال :

أَبا خالدٍ إنّي أعوذُ بخـالِدٍ وما جارُهُ بـالْمُسْتَذَلِّ الْمُغَـرَّرِ
أعوذُ بِبُرْدَيْهِ اللّذَيْنِ ارْتَداهُما كـريمُ الْمُحَيّا طَيِّبُ الْمُتَـأَزَّرِ

وعزل عبد الملك عبد العزيز وولّى بعده أخاه عمرو بن عبدالله ، وبقي عمرو إلى دولة بني العبّاس .

وأما عبد الملك بن عبدالله بن خالد بن أسيد فله شرفٌ وعقب بالبصرة .

ومن ولد عبد الرحمن بن عبدالله بن خالد بن أسيد العالية بنت عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، تزوّجها المنصور أمير المؤمنين ، وبعث اسحاقَ الأزرقَ مولاه فحملها من الحجاز ، وحمل إليه امرأة أخرى تزوجها من ولد طلحة بن عبيدالله التيمي .

وولد أبو العاص بن أمية :

عفّان وعفيف بن [أبي] العاص درجا ، وعَوْفاً درج في الجاهليّة ، وصفيّة ، أمّهم آمنة بنت عبد العزيز بن حارث من بني عَديّ ، والحَكَم ، والمغيرة ، ورَيْحانة تزوّجها بشر بن دُهْمان الثَقَفي ، أمّهم رُقَيّة بنت الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم ؛ فأمّا صفيّة فتزوجها أبو سفيان بن حرب ، وسعيدَ بن أبي العاص درج ، وخالدةَ تزوّجها الأَخْنَس بن شريق الثقفي ، ولُبابَة أمّها صفيّة بنت ربيعة بن عبد شمس ، تزوّجها غَيْلان بن سَلَمة بن مُعَتِّب الثقفي ، وأمّ حبيب بنت أبي العاص تزوّجها أميّة بن أبي الصَلْت الثقفي الشاعر .

وأما المغيرة بن أبي العاص فولد معاويةَ بن المغيرة ، وأمّه ابنة صفوان بن نوفل بن أَسَد بن عبد العُزى ، فولد معاويةُ بن المغيرة عائشةَ أمَّ عبد الملك بن مروان ، وكان معاوية بن المغيرة جدعَ أنفَ حمزة بن عبد المطّلب ، فقُتل بأُحُد بعد انصراف قريش بثلاث ، ولا عقبَ له سِوى عائشة ، وأمّ عائشة ابنة عُقْبَة بن أبي مُعَيط .

وكانت لمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ابنة يقال لها أمّ جميل ، تزوّجها سفيان بن عبد الأسد المخزومي ، وكانت له ابنة ثالثة يقال لها عَمْرة تزوجها أبو تجراه النصراني فهم يعابون بذلك .

وقال المدائني : لعن رسول الله ﷺ الحَكَم وولده إلّا المؤمنين منهم ، وسيّره النبي ﷺ إلى بطن وجّ .

وقال المدائني : في آل الحَكَم يقول حسّان ، وكانوا في الجاهليّة فقراء :

لَقَدْ أَبْصَرْتُكُمْ عن غَيْر بُعْد وما تُلْقُونَ في بيت بِساطا
وكان أَبي لَكُمْ في الدَهْر نكْلاً وفي الإسلام كُنْتُ لَكُمْ عِلاطا[1]

فقال عبدالله بن عمر : عِلاط سوء ، وقال عبد الملك : ما كان ابن الزبير يعيّرنا به ؟ قالوا : الفقر .

فولد عفّان بن أبي العاص عثمانَ بن عفّان ويكنى أبا عمرو وأبا عبدالله ، وآمِنةَ وأرْنب وهي أمّ طَلْحة ، أمهم أَرْوَى بنت كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فأمّا آمنة فتزوجها الحكم بن كَيْسان حليف بني

١ ـ لم يردا في ديوان حسان ، وهما في الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ـ ط . بغداد ١٩٧٢ ص ٢٥٦ ، لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

المغيرة ثم تزوّجها عبدالله بن أبي سعد ـ ويقال ابن سعد ـ حليف أبي أميّة بن المغيرة ، ويقال انّه من سَعْد العشيرة .

وقُتل عفان بالغُميْصاءِ[١] مع الفاكه بن المغيرة ، ويقال إنّه مات بالشام في تجارة ، ومات عفّان وحربُ بن أميّة في شهر واحد ، فقال الحارث بن أميّة الأصغر بن عبد شمس وكان شاعراً :

والله لولا أنّ حَرباً دعامة لَقُلْتُ على عفّانَ ما يُسْمعُ الصُمّا
أفي نصف شَهرٍ كان مَوْتُهُما معاً لقد جاء أهلَ الله[٢] ما يُنْطِقُ البُكما

وإخوة عثمان لأمّه: الوليد ، وخالد ، وعمارة ، وأمّ كلثوم ، بنو عُقْبَة بن أبي مُعَيْط .

وقال المدائني : لم يكن لعفّان نباهَةٌ فقال الشاعر :

عفان اوّل حائك لثيابكم قدْماً وقد يُدْعى أخا الأشْرارِ

ولكن جاء والله الإسلام فشرف عفّان بعثمان ، والحمدلله[٣] .

١ ـ الغميصاء : موضع في بادية العرب قرب مكة المكرمة . معجم البلدان .
٢ ـ بهامش الأصل : يعني أهل مكة .
٣ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر عثمان بن عفان
وفضائله وسيرته ومقتله رضي الله تعالى عنه

أمّ عثمان أَرْوَى بنت كُرَيْز وأمّها أمّ حَكيم البيضاء بنت عبد المطَّلب ، تَوْأَمة عبدالله والد رسول الله ﷺ ، وكان عثمان يُدعى في الجاهليّة أبا عمرو ، فلما ولدت له رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ عبدالله اكتنى أبا عبدالله ، وكناه المسلمون بذلك .

وكانت أمّ حكيم بنت عبد المطَّلب تُرقص عثمان في صغره فتقول :

ظَنّي بِهِ صِدْقٌ وَبِرّ يَأْمُرُهُ وَيَأْتَمِرْ
مِنْ فِتْيَةٍ بيضٍ صُبُرْ يَحْمُونَ عَوْراتِ الدُّبُرْ
ويَضْرِبُ الكَبْشَ النَّعِرْ يَضْرِبُهُ حَتَّى يَخِرْ
مِنْ سررٍ ومِنْ أُخُرْ

المدائني قال : نزل عصفان بن قيس اليربوعي على أروى بنت كـ فقُري وأُكرم فقال :

خَلِّفْ على أَرْوَى السَّلامَ فإنَّما جَزاءُ الثَّوِيِّ أنْ يَعِفَّ ويَحْمَدا

حدثني محمد بن سعد مولى بني هاشم عن الواقدي محمد بن عمر عن محمد بن صالح عن يزيد بن رُومان قال : خرج عثمان وطلحة بن عبيدالله على أثر الزبير بن العوّام حين أسلم ، فدخلا على النبيّ ﷺ فعرض عليهما الإسلام وقرأ القرآن فآمنا وصدّقا . وقال عثمان : يا رسول الله قدمتُ حديثاً من الشام ، فلما كنتُ بين معان وموضع سمّاه إذا منادٍ ينادي : أيها النيام هبُّوا إنّ أحمد قد خرج بمكة ، فقدمنا فسمعنا بك ، فلم أتمالك أن جئتك[1] .

قالوا : ولما أسلم عثمان بن عفّان أوثقه عمُّه الحَكم بن أبي العاص بن أُميَّة رباطاً وقال : أترغب عن دين آبائك إلى دين مُحدث ؟ والله لا أُحُلُّك أبداً ! فلما رأى صلابته في دينه تركه ، وحلفت أُمُّه أَرْوَى بنت كُريز ألا تأكل له طعاماً ولا تلبس له ثوباً ولا تشرب له شراباً حتى يدع دينَ محمد ، فتحوّلت إلى بيت أخيها عامر بن كُريز فأقامت به حولاً ، فلما أيست منه رجعت إلى منزلها .

قالوا : وأتى عثمان رضي الله تعالى عنه أبا أُحَيْحة فقال له : إنّي قد آمنتُ واتّبعتُ محمداً ﷺ ، فقال : قُبِّحْتَ وقُبِّح ما جئت به . ثم خرج من عنده وأتى أبا سفيان بن حَرْب فأعلمه إسلامه فعنَّفَهُ . وكان عثمان ممَّن هاجر الهجرتين جميعاً إلى أرض الحبشة فراراً من قريش بأديانهم وتنحّياً عن أذاهم ومكروههم ، وكانت معه في هجرته الثانية رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «وإنّهما لأوّل من هاجر إلى الله تعالى بعد إبراهيم ولوط» . ثم هاجر إلى المدينة ، ولما هاجر من مكة إلى المدينة نزل على أوس بن ثابت

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٥ .

الأنصاري من بني النجَّار ، فأقطعه رسول الله ﷺ داره التي في المدينة وآخى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، وآخى أيضاً بينه وبين أوس بن ثابت ، ويقال : آخى بينه وبين سعد بن عثمان الزُرَقي من الأنصار ، ويُكنى أبا عبيد .

وحدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أنَّ عثمان دفع مالاً مضاربةً على النصف[1] .

وحدث ابن دأب عن داود بن الحصين عن عبدالله بن عمرو بن عثمان قال : قال عثمان : دخلت على خالتي بنت عبد المطَّلب أعودها وعندها رسول الله ﷺ فقلت له : يا أبا القاسم ما أعجب ما يقال عليك مع مكانك منَّا ، فقال : «يا عثمان لا إله إلا الله» ، الله يعلم أنّي قد اقشعررت ثم قال : ﴿وَفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون * فَوَرَبِّ السَّماءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُون﴾[2] فخرج فاتْبعته فأَسلمت .

المدائني عن سعيد بن خالد عن صالح بن كيسان عن سعيد بن المسيّب قال : نظر رسول الله ﷺ إلى عثمان فقال : «هذا التَّقيّ المؤمن الشهيد شبيهُ إبراهيم» .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عتبة بن جَبيرة عن الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ عن محمد بن لبيد أنّه رأى عثمان على بغلة عليه ثوبان أصفران وراءَه غديرتان .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٠ .
٢ ـ سورة الذاريات ـ الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .

حدثني محمد بن سعد عن خالد بن مَخْلَد عن الحكم بن الصَلْت عن أبيه قال : رأيت عثمان وعليه خميصة سوداء وهو مخضوب بالحنَّاء[١] .

المدائني عن شعبة عن حصين قال : قلت لأبي وائل : أعليٌّ أفضل أم عثمان ؟ قال : عليٌّ إلى أن أحدث ، فأمَّا الآن فعثمان .

وحدثني محمد بن سعد حدثنا عفَّان بن مسلم حدثنا يزيد بن هارون عن ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن سعد قال : رأيت عثمان على بغل مُصَفِّراً لحيته .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن محمد عن ثابت بن عجلان عن سُليم أبي عامر قال : رأيت على عثمان بُرْداً ثمنه مائة دينار[٢] .

حدثنا عفَّان حدثنا حمَّاد بن سَلَمة أنبأنا عبدالله بن عثمان بن خُثيم حدثنا إبراهيم عن عكرمة عن ابن عبَّاس في قول الله عزّ وجلّ ﴿هلْ يَسْتَوي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[٣] قال : عثمان بن عفَّان .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سَبْرة عن مروان بن أبي سعيد قال : حدثني الأعرج عن محمد بن ربيعة بن الحارث قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يوسعون على نسائهم في اللباس الذي يُصان ويُتجمَّل به ، ثم يقول : رأيت على عثمان مُطْرف خزٍّ ثمَّنته مائة دينار ، فقال : هذا لنائله ، كسوتُها إيَّاه فأنا ألبسه لأُسرّها بذلك[٤] .

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٧ .
٢ - في ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ : برداً يمانياً ثمن مائة درهم» .
٣ - سورة النحل - الآية : ٧٦ .
٤ - بهامش الأصل : مائتي ، وفي ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ : «مائتي درهم»

حدثنا عبدالله بن صالح عن ابن أبي الزِناد عن أبيه قال : كان عثمان يتختَّم في اليسار .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده قال : كان عثمان رَبْعة ليس بالطويل ولا القصير حسنَ الوجه رقيق البَشَرة كثَّ اللحية أسمر اللون عظيم الكراديس بعيدَ مابين المنكبين كثير شعر الرأس يصفِّر لحيته[1] .

حدثنا محمد بن الصبّاح البزّاز حدثنا هُشيم بن بَشير عن حصين [عن عمرو] بن جأوان عن الأحنف بن قيس قال : رأيت على عثمان مُلاءة صفراء .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن واقد بن أبي ياسر أنّ عثمان كان قد شدّ أسنانه بالذهب ، قال واقد بن أبي ياسر : وأخبرني عبيدالله بن أبي دارة أنّه كان بعثمان سَلَس البول فكان يتوضّأ لكلّ صلاة[2] .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي قالا : أنبأنا أبو أُسامة حمَّاد بن أُسامة عن عليّ بن مَسعَدة الباهلي عن عبدالله الدومي قال : كان عثمان يَلي وضوء الليل بنفسه فقيل له : لو أمرتَ بعضَ الخدَم لكفاك ، فقال : الليل لهم يستريحون فيه .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا عفَّان أنبأنا وهيب بن خالد عن يونس عن الحسن قال : رأيت عثمان بن عفَّان نائماً في المسجد متوسّداً رداءَه[3] .

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ .
٣ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٠ .

حدثنا خَلَف بن هشام البزّار حدثنا هُشيم أنبأنا محمد بن قيس عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان على المنبر يوم الجمعة والمؤذّنون يؤذّنون وهو يحدّث الناس ويستخبرهم عن أسعارهم وأخبارهم ومَرْضاهم .

وروى الواقدي في إسناده عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان على المنبر ، فذكر نحوه وزاد فيه : فإذا سكت المؤذّن قام فتوكأ على عصاً له عقفاء وخطب وهي بيده ثم يجلس جلسته فيبتدىء كلام الناس فيسألهم كمسألته الأولى ثم يقوم فيخطب ويُقيم المؤذّنون .

حدثنا عفان حدثنا سُليم بن أخضر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : كان عثمان أعلمهم بالمناسك وبعده ابن عمر .

وحدثنا عفّان بن مسلم ، حدثنا وُهيب بن خالد ، أنبأنا خالد الحذّاء ، حدثني أبو قِلابة عن أنس بن مالك قال:قال رسول الله ﷺ : «أصدق[1] أُمّتي حياءً عثمان» .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا عبدالله عن نُمير عن قيس عن أبي إسحاق عن رجل سمّاه قال : رأيت رجلاً طيِّب الريح نظيف الثوب قائماً يصلّي إلى الكعبة وغلام خلفه كلّما تعايا فتح عليه فقلت : من هذا ؟ قالوا : عثمان[2] .

حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا زيد بن الحُباب أنبأنا ابن لَهيعة عن يزيد بن عمر المَعافري قال : سمعت أبا ثور الفَهْمي يقول : قال عبد الرحمن بن عُديس البَلَوي وكان ممّن بايع تحت الشجرة : دخَلْنا على عثمان وهو محصور فقال : إني رابع الإسلام .

١ ـ بهامش الأصل : «أشد» .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧٦ .

محمد بن أبان والمدائني عن أبي هلال عن قتادة قال : قال رجل بالكوفة : أشهد أنّ عثمان قُتل شهيداً ، فأُتي به عليٌّ عليه السلام فقال له عليّ : وما علّمك ؟ قال : فأنت تعلم ، أتيتُ رسول الله ﷺ وأنت حاضر فسألتُه فأعطاني ، وسألت أبا بكر فأعطاني ، وسألت عمر فأعطاني ، وسألت عثمان فأعطاني ، فقلت للنبي ﷺ : ادعُ لي بالبركة ، فقال : «وكيف لا يبارك الله لك إنما أعطاك نبيّ أو صدّيق أو شهيد» .

وحدثنا خَلف البزّار حدثنا أبو شهاب عن خالد عن أبي قِلابة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «أرحمُكم أبو بكر ، وأشدُّكم في الدين عمر ، وأقرؤكم أُبَيّ ، وأصدقكم حياءً عثمان ، وأعلمكم بالحلال والحرام مُعاذ بن جَبَل ، وأفرضُكم زيد بن ثابت ، ألا وإن لكلّ أُمة أميناً وأمينُ هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجرّاح» .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا يحيى بن الحجّاج عن أبي مسعود الجُريري عن ثُمامة بن حزن[1] القُشيري قال : أشرفَ عثمان من داره علينا فقال : ائتوني بصاحبَيْكم اللّذَيْنِ ألّباكم عليَّ ، قال : فجيء بهما كأنّهما حماران فقال : أنشدكما الله هل تعلمان أنّ رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء مستعذَب إلاّ بئر رُومة فقال : «مَنْ يشتري بئر رومة فيجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين بِخَيْرٍ له منها الجنَّة» ؟ فاشتريتها من صُلب مالي ؟ قالا : اللهمَّ نعم ، قال : فأنشدكما الله والإسلامَ هل تعلمان أنّ المسجد ضاق بأهله ، فقال رسول الله ﷺ : «من يشتري بقعة آل فلان لتُزاد في المسجد بخيرٍ له

١ ـ بالأصل «ابن حرب» وهو تصحيف ، انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ـ عثمان بن عفان ـ ط . دمشق ١٩٨٤ ص ٣٣٩ . تهذيب التهذيب لابن حجر (مادة ثمامة) .

منها الجنَّة» ؟ فاشتريتها من صلب مالي ؟ قالا : اللهمّ نعم ، قال : فأنشدكما الله هل تعلمان أنّي جهَّزت جيش العُسرة من مالي ؟ قالا : اللهم نعم ، قال : أنشدكما الله هل تعلمان أنّ رسول الله ﷺ كان بثَبير ـ أو قال بِحراء ـ فتحرّك الجبل حتى تساقطت حجارته إلى الحضيض فركضه برجله فقال : «اسكُنْ ، فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد» ؟ قالا : اللّهم نعم[1] .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ومحمد بن حاتم بن ميمون قالا : حدثنا عبدالله بن ادريس قال : سمعتُ حصيناً يذكر عن عمرو بن جأوان عن الأحنف بن قيس قال : قدمنا حاجِّين فإنّا لَبمنى[2] إذ أتى آتٍ فقال : إنّ الناس قد اجتمعوا في المسجد ، فانطلَقْنا فإذا الناس مجتمعونَ على نَفَر في وسط المسجد ، وإذا عليٌّ والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقّاص ، قال : فإنّا كذلك إذ جاء عثمان وعليه مُلاءةٌ صفراءُ قد قنَّع بها رأسه فقال : أُنشدكم الله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : «من ابتاع مِرْبَد بني فلان غفر الله له» ، فابتعته له بعشرين ـ أو قال : بخمسة وعشرين ـ ألفاً فقال : «اجعَلْه في مسجدنا وأجرُه لك» ؟ قالوا : نعم ، قال أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : «من ابتاع بئر رُومة غفر الله له» ، فابتعتها بكذا وكذا ، فقال : «اجعَلْها سقاية للمسلمين وأجرُها لك» ، قالوا : اللهمَّ نعم ، قال : أنشدكم الله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم فقال : «من جهَّز هؤلاء ـ يعني جيش العُسرة ـ غفر الله له» ، فجهَّزتهم حتى

---

١ ـ ورد هذا الخبر مع أخبار مماثلة في تاريخ دمشق ـ نفسه ـ ص ٣٣٤ ـ ٣٤٣ .
٢ ـ في ابن عساكر ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ «بالمدينة» . .

لم يفتقدوا عِقالاً ولا خِطاماً ؟ قالوا : نعم ، قال اللهمّ اشهَد ، اللهمّ اشهَد ، اللهمّ اشهَدْ .

وحدثني عمر بن بكير عن هشام ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : تدارَأ[1] عثمان والزبير في شيءٍ فقال الزبير : أنا ابن صفيَّة ، فقال عثمان : هي أَدْنتك من الظلّ ، ولولا هي كنتَ ضاحياً .

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن المقرىء حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا قرّة بن خالد عن محمد بن سيرين قال : جمع عثمان القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، يقول : حفظه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن مسلم بن يسار قال : جمع عثمان القرآن على عهد عمر ، قال الواقدي : وهذا أثبتُ ما رُوي .

حدثنا شيبان بن فَرُّوخ الأُبُلِّي حدثنا سلام بن مسكين وأبو هلال قالا : حدثنا محمد بن سيرين قال : قالت امرأة عثمان حين أرادوا قَتْلَه : إن تقتلوه أو تَدَعوه فقد كان يُحيي الليل بركعة يختم فيها القرآن .

حدثني الحسين بن عليّ بن الأسود أنبأنا أبو أسامة عن محمد بن عمرو عن محمد بن إبراهيم عن عبد الرحمن التَّيْمي قال : قمت في الحِجْر فقلت : لا يغلبني عليه أحد الليلة ، فجاء رجل من خلفي فغمزني ، فأبيتُ أن ألتفت ، ثم غمزني فأبيت أن التفت ، ثم غمزني الثالثةَ فالتفتُّ ، فإذا عثمانُ ، فتأخّرتُ عن الحِجْر ، فقرأ القرآن في ركعة ثم انصرف[2] .

١ ـ تدارأوا : تدافعوا في الخصومة . القاموس .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧٦ .

حدثنا شيبان الآجُرّي حدثنا عقبة بن الأصمّ قال ، سمعت الحسن يقول : أعطى رسول الله ﷺ عثمانَ من غنيمة بدرٍ ولم يشهد القتال ، تخلّفَ على رُقَيَّة .

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام حدثنا شعيب بن حرب حدثنا عبيد بن بُخْت حدثنا رِبْعيّ بن حِراش قال : قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطّاب : «ألا أدلُّك على خَتَنٍ خير لك من عثمان وأدلّ عثمان على ختن خير له منك» ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : «زوِّجْني ابنتك وأزوّج ابنتي من عثمان» .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي قال ، حدثتني أُمّ غُراب جدّة عليّ بن غراب عن بُنانة أنّ عثمان كان يتنشَّف إذا توضّأ بعد الوضوء ، فكنت أجيئه إذا تنشَّف بثيابه فقال : لا تنظري إليّ فإنّه لا يحِلّ لك ، وعليه حُلَّة صفراء كانت لامرأته ؛ قالت : وكان لحيته بيضاء .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة قال : أعطى عثمانُ طلحةَ في خلافته مائتي ألف دينار .

حدثني خَلف البَزّار حدثنا عبد الوهّاب عن عطاء عن سعيد بن أبي عَرُوبة عن ابن أخي مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِخِّير عن مُطَرِّف قال : لقيت عليّاً يوم الجَمَل ، فأسرع إليَّ بدابّته فقلت : أنا أحقُّ أن أُسرع إليك ، فقال : أحسبُ عثمانَ منعك من إتياننا ، فأقبلتُ أعتذر إليه فقال : لئن أَحبَبْتَهُ لقد كان أبرَّنا وأوصلنا .

حدثني عبدالله بن صالح وأبو نصر التَّمار أخبرني شَريك أخبرني بعض آل حاطب عن أبيه قال : رأيت على عثمان قُوهيّاً وهو على المنبر .

وحدثنا محمد بن سعد حدثنا خالد بن مَخْلَدَ عن إسحاق بن يحيى بن طلحة عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان وعليه ثوبان مُمَصَّران[1] .

المدائني عن عبد الحميد بن مِهْران عن أبيه قال : دخل على سالم بن عبدالله بن عمر رجلٌ ، وكان ممّن يحمد عِليّاً ويذمّ عثمان ، فذكر له فضائل عثمان ثم قال : غزا رسول الله ﷺ غزاة تبوك فلم يلقَ في غزاة من غزواته ما لقي فيها من الظَمَأ والمَخْمَصة ، فاشترى عثمان طعاماً وأُدماً وما يصلح للنبي ﷺ والمؤمنين ، فنظر إليه النبي ﷺ وهو مقبل فرفع يديه وقال : «اللهمّ إنّي راضٍ عنه فارْضَ عنه» ، ثلاثاً .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي قال : أتى عثمان منزل عائشة فسأل عن رسول الله ﷺ فقالت : ذهب يبتغي لأهله قُوتاً فإنّه ما أُوقد في أبياته نار منذ سبعة أيّام ، فقال : رحمك الله أفلا تُعلميني إذا كان مثل هذا ؟ ورجع فبعث بطعام وشاة إلى كلّ بيت . فلما رجع رسول الله ﷺ قال : ما هذا يا عائشة ؟ قالت : بعثَ به عثمان ، فقال : ابعثي منه إلى النسوة ، فقالت : ما منهنّ امرأة إلاّ أتاها مثل هذا ، فرفع يديه وقال «اللهمّ لا تنسَها لعثمان» .

حدثني وهب بن بَقِيَّة عن يزيد بن العّوام بن حَوْشب قال : قال محمد بن حاطب لعليّ : إنّ هؤلاء سيسألونا عن عثمان غداً فما نقول ؟ قال : نقول : كان من الذين ﴿آمنوا وعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ثُمَّ ٱتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ ٱتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾[2]

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٧ - ٥٩ . المصر : المصبوغ بالأحمر . القاموس .
٢ - سورة المائدة - الآية : ٩٣ .

حدثني أبو عمر الدُوري المقرىء عن عبَّاد بن عبَّاد المهلَّبي عن هشام بن عروة عن عروة قال : أوصى عثمان ولم يتشهَّد في الوصيَّة ؛ قال عبَّاد : إن يتشهَّد الرجل فحسنٌ ، وإن لم يتشهَّد فلا بأس .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا خالد بن مخلد عن إسحاق بن يحيى بن طلحة قال : قال رجل لعثمان : إنك لأجمل الناس ، قال : ذاك رسول الله ﷺ .

حدثنا عمرو الناقد حدثنا قَبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري قال : بلغني أنّ عثمان كان إذا وُلد له ولدٌ دعا به وهو في خِرْقة فشمَّه ، فقيل له : لِمَ تفعل هذا ؟ قال : أُحبّ إن أصابه شيء أن يكون قد وقع له في قلبي شيءٌ ، يعني من الحبّ والرِقّة .

المدائني عن أبي اليقظان عن أبي المِقْدام ، قال : بعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بشيء ، فأبطأ الرسول بالانصراف ، فلما رجعَتْ إليه قال : «أراكِ جَعَلْتِ تنظرين إلى عثمان ورُقَيَّة أيّهما أحسن» .

حدثني عَلان الورّاق عن الجُمَحي عن ابن دأب ، قال : كان سعيد بن يربوع بن عَنْكَثة المَخْزُومي يقول : دخلت وأنا غلام ومعي طائر أُريد أن أُرسله وذلك في الهاجرة وإذا شيخ نائم تحت رأسه لِبْنة ، فجعلت أنظر إليه متعجباً من حسنه ، ففتح عينه فقال : مَن أنت يا غلام ؟ فأخبرتُه ، فدعا لي بألف درهم وحُلَّة ، فأمر فأُلبستُ الحُلَّة وأُعطيت الألف الدرهم ، فرجعت إلى أبي فأخبرته ، فقال : يا بُنيّ هذا أمير المؤمنين عثمان .

حدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن أبيه عن أشياخهم أنّ عبدالله بن الزبير قال : لَقِيَني قوم ممّن يطعن على عثمان فحاجّوني فحدّثتُهم

بسيرة أبي بكر وعمر وما كان منهما مما لم يُعَبْ وعِيبَ على عثمان فحججتُهم حتى كأنّهم صبيانٌ يمضغون سُخُبهم[١] .

وحدثني وهب بن بقيَّة عن يزيد بن هارون عن القاسم الحُدّاني عن أبي سعيد أخي محمد بن زياد قال : قال عليّ : أنا والله على أَثَرِ الذي أتى عثمانُ ، لقد سبقتْ له في الله سوابقُ لا يعذّبه بعدها أبداً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد عن أبيه أنّ رجلاً كان آنساً بعثمان ، وكان الرجل من ثقيف ، فحُدَّ في الشراب ، فقال له عثمان : لن تعود والله إلى مجلسي والخلوة معي ما لم يكن لنا ثالثٌ .

حدثني عمرو الناقد حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن عوف عن محمد بن سيرين قال : قال عليّ بن أبي طالب : إنّي لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممّن قال الله : ﴿ونَزَعْنَا مَا في صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِين﴾[٢] .

وحدثني عمرو الناقد عن عمرو بن عاصم عن جعفر بن أبي وَحْشِيَّة أبي بشر عن يوسف بن سعيد مولى حاطب عن محمد بن حاطب ، وكان قدم البصرة مع عليّ ، أنّ عليّاً ذكر عثمان فقال ومعه عُود يَنْكُت به ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون﴾[٣] أولئك عثمان وأصحاب عثمان .

---

١ ـ السخب : قلادة من سك وقرنفل ومحلب بلا جوهر ، ومضغهم لها دليل على حيرتهم . القاموس .

٢ ـ سورة الحجر ـ الآية : ٤٧ .

٣ ـ سورة الأنبياء ـ الآية : ١٠١ .

المدائني عن الحسن بن دينار عن ابن سيرين عن أبي موسى الأشعريّ ، أو عبدالله بن عمرو بن العاص ، أنَّ النبيّ ﷺ كان في حائط مدّلياً رجله في بئر، فاستأذن أبو بكر فقال: «ائذنْ له وبَشرِّه بالجنَّة»، فدخل فدلّى رجله في البئر؛ ثم جاء عمر فقال: «ائذن له وَبشِّرْه بالجنَّة»، فدخل فدلّى رجله في البئر أيضاً ؛ ثم جاء عثمان فقال النبيّ ﷺ : «ائذن له وبشِّرْه بالجنَّة على بَلْوى شديدة ستناله» ، فدخل وعيناه تذرفان .

المدائني عن الأسود بن شيبان عن ابن سيرين قال : قالت عائشة : دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ وهو مضطجع وعليه ثوبه فقضى حاجته وخرج ، ودخل عمر فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء عليّ فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء عثمان فجلس له رسول الله ﷺ ، فقلتُ له : لم تصنع هذا بأحد ، فقال : «إنّ عثمان شديد الحياءِ ولو رآني على تلك الحال لانقبض عن حاجته وقصَّر فيها» .

المدائني عن عبَّاد بن راشد عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «من يجهِّز هذا الجيش ـ يعني جيش العُسرة ـ بشفاعة متقبَّلة» ؟ فقال عثمان : يا رسول الله بشفاعة متقبلَّة ؟ قال : «نعم عَلَى الله ورسوله» ، قال : أنا ، فجهَّزهم بسبعين ألفاً .

وفي حديث آخر أنّ النبيّ ﷺ قال : «كيف لا أستحيي ممّن تستحيي منه الملائكة» ؟

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام حدثنا شعيب بن حرب أنبأنا إسرائيل أنبأنا أبو إسحاق عن حارثة بن مضرِّب قال : حججتُ مع عمر فسمعت الحادي يقول :

إِنَّ الأَميرَ بَعْدَهْ ابْنُ عَفَّانْ

وحدثني أحمد بن هشام ، حدثنا وكيع بن الجّراح عن الأعمش عن أبي صالح قال : كان الحادي يحدو لعثمان فيقول :

إِنَّ الأَمـيَر بَعْـدَهُ عَـلِيٌّ   وفي الـزُّبَـيْرِ خَلَفٌ رَضِيٌّ

فقال كعب : لا بل هو صاحب البغلة الشهباء ـ يعني معاوية ـ فأتى معاوية كعباً فقال : يا أبا اسحاق أنَّى يكون هذا وهؤلاء أصحاب النبيّ ﷺ ؟ قال : أنت صاحبها يا أبا عبد الرحمن .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا حمّاد بن أُسامة أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي سَهْلَة مولى عثمان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه : «وددتُ أنّ عندي بعض أصحابي ، فقلت : يا رسول الله ، أندعو لك أبا بكر ؟ فاسكت ، فقلت : أندعو لك عمر ؟ فأسكت ، فقلت : أندعو لك عثمان ؟ قال : نعم ، فدعوته ، فلما أقبل أشار رسول الله ﷺ أن تَباعَدي . وجاء عثمان فجلس فجعل رسول الله ﷺ يقول له قولاً ولونُ عثمان يتغيّر ، فلما كان يوم الدار قيل لعثمان : ألا تقاتل ؟ فقال : إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً وأنا صائر إليه» ؛ قال أبو سهلة : فيرَوْن أنّه ممّا كان قال له ذلك اليوم .

المدائني عن يزيد بن عِياض عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كيسان قال : كان عثمان محبَّباً في قريش ، قال القائل :

أُحِبُّكَ والرحمنْ   حُبَّ قُرَيْشٍ عُثمانْ   إذا دعا بالميزانْ

حدثنا عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن خالد بن سعيد الأموي قال : تزوّج سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة هند بنت الفَرافِصة[١] بن الأحوص الكلبي ، فبلغ ذلك عثمان فكتب إليه إن كان لها أُخت أن يخطبها عليه ، فبعث سعيد إلى الفَرافِصة بن الأحوص الكلبي ، وكان نصرانيّاً ، أن زوّج أميرَ المؤمنين ابنتَك فقد ذكرها ، فقال لضبّ بن الفَرافَصة : زوِّجْها أمير المؤمنين فإنك على دينه ، فزوّجه نائلة ؛ وقال لها الفَرافِصة : إنّكِ تقدمين على نساء من قريش هُنّ أقدر على العطر منك فلا تُغْلَبي على الكحل والماء ، تَطَهَّري حتى يكون ريحك ريح شَنَّةٍ أصابها قَطْر ، فقالت حين حُملت إلى المدينة :

أَلستَ ترى يا ضَبُّ بِالله أَنَّني مُصاحبةٌ نَحْوَ المَدينَـةِ أَرْكُبا
أُريدُ أميرَ المُؤمنينَ أخا التُّقَى وَخَيْرَ قُرَيْشٍ مَنْصِباً ثمَّ مَرْكَبا

وكان عثمان مَهَرَها عشرة آلاف درهم وأعطاها كيسانَ أبا سليم وامرأتَه رُمّانة ، وهي من سبْيْ كرْمان ، فأعتقتها نائلة وهو خرج معها الى الشام بعد عثمان ، ويقال إنّه من موالي كلب ، قدم معها ثم خرج الى الشام معها . فلما دخلت على عثمان جلس على سرير وأُجلست على سرير ثم وضع قلنسوته فبدت صلعته فقال : لا تكرهِن ما تَرَيْنَ من صلعي فإنّ وراءه ما تحبِّين ، فقالت : إنّي من نسوةٍ أَحَبُّ بعولتهنّ إليهنّ الشيخُ السيِّد ، قال : إمّا أن

---

١ ـ بهامش الأصل : «قال ابن ماكولا : قال ابن حبيب : كل اسم في العرب فرافصة فهو مضموم الفاء إلا الفرافصة بن الحارث بن الحصين الكلبي» . الإكمال لابن ماكولا ج ٧ ص ٦٤ . مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ـ ط . الرياض ١٩٨٠ ص ٢٣٣ . وفي هذين المصدرين «ابن حصن الكلبي» .

تقومي إليَّ أو أقوم أليكِ، قالت: ما تجشَّمتُ من مسافة السَماوة أَبْعَدُ من عَرْض البيت ، ثم قامت فجلست الى جانبه فمسح رأسها ودعا لها ثم قال : اطرحي ملحفتك ، فطرحتها ، ثم قال : اطرحي خمارك ، فطرحته ، ثم قال : اطرحي درعك ، فطرحته ، ثم قال : اطرحي إزارك ، فقالت : أنتَ وذاك ، فلم تزل عنده حتى قُتل ، فلما دخل عليه أهل مصر ، وكانت عظيمة العَجيزة، ضرب رجل منهم بيده على أَلْيَتها فقالت: أشهدُ أنّك فاسق وأنك لم تَأْتِ غضباً لله ولا مُحاماةً عن الدين ، وذهب بعضُهم ليضرب عثمان فاتّقَتْه بيدها فقطع السيف إصبعَيْن من أصابعها ، وولدت لعثمان مريم ، فتزوّجها عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، وكانت مريم سيِّئة الخُلق، فكانت تقول له : جئتك بَرْداً وسلاماً ، فيقول : قد أفسد بَرْدَك وسلامَكِ سوءُ خلقك ، وخطب معاوية نائلة وألحّ عليها ، فنزعت ثنيَّتَيْن من ثناياها فأمسك عنها ، وولدت لعثمان أمّ أبان وأمّ خالد وأَرْوَى أيضاً ، وقالت نائلة حين قُتل عثمان :

وما لِيَ لا أَبْكي وأُبْكي قَرابَتي وقد نُزِعَتْ مِنَّا فُضولُ أَبي عَمْرِو
إذا جِئْتَهُ يَوْماً تُرَجِّي نَوالَهُ بَدَتْ لَكَ سيماهُ بِأَبْيَضَ كَالبَدْرِ

قال : وكان جُنْدَب بن عمرو بن حُمَمَة الدَوْسي قدم المدينة مهاجراً ، ثم أتى الشام غازياً وخلَّف ابنته عند عمر بن الخطَّاب وقال : إن حدث بي حدثٌ فزوِّجها كفوءاً ولو بشِراكِ نعله ، فكان يدعوها ابنتي وتدعوه أبي ، فلما استُشهد أبوها قال عمر : مَن يتزوّج الجميلة الحسيبة ؟ فقال عثمان : أنا ، فزوّجه إيّاها على صداق بذله ، فأتاها به عمر فوضعه في حجرها ، فقالت : ما هذا ؟ قال مَهْرك ، فنفحت به ، فأمر حفصة فأصلحت من شأنها ،

ودخل بها عثمان فولدت له . وكان يقول : ما شيء أحببته في امرأة إلا وهو فيها .

وتزوّج عثمان رضي الله تعالى عنه ابنة شَيْبة بن ربيعة على ثلاثين ألفاً ، ويقال أربعين ألفاً .

وتزوّج ابنةَ خالد بن أسيد على أربعين ألفاً .

وتزوّج أمّ عبدالله بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ثلاثين ألفاً .

وخطب فاطمة بنت عمر الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، بعد وفاة عمر ، وأصدقها مائة ألف ، فقال ابن عمر : إنّ ابن عمّها أحقّ بها ، فزوّجها عبدَ الرحمن بن زيد بن الخطّاب .

وتزوّج ابنة عُيَيْنة على خمسمائة دينار .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عمّن حدّثه عن حسين بن عبدالله بن عبدالله بن عبّاس عن أبيه عن عبدالله بن عبّاس أنّ عثمان شكا عَلِيّاً الى العبّاس فقال له : يا خال إنّ علِيّاً قد قطع رَحِمي وألّب الناسَ عليَّ ، والله لِئن كنتم يا بني عبد المطّلب أقررتم هذا الأمر في أيدي بني تَيْم وعَدِيّ فبنو عبد مناف أحقّ أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليه ، قال عبدالله بن العبّاس : فأطرق أبي طويلاً ثم قال : يا ابن أختِ ، لئن كنت لا تحمد عَلِيّاً فما نحمدك له ، وإنّ حقّك في القرابة والإمامة لَلحقُّ الذي لا يُدْفَعُ ولا يُجحد ، فلو رقَيْتَ فيما تطأطأ أو تطأتطأت ما يرقى تقاربتما ، وكان ذلك أوصل وأجمل ، قال : صَيّرتُ الأمرَ في ذلك إليك ، فقرِّب الأمر بيننا ، قال : فلما خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه فما لبثنا أن جاء

أبي رسولُ عثمان بالرجوع إليه ، فلما رجع قال : يا خالِ ، أُحبّ أن تؤخِّر النظر في الأمر الذي ألقيتُ إليك حتى أرى من رأيي ، فخرج أبي من عنده ثم التفتَ إليَّ فقال : يا بُنيّ ، ليس الى هذا الرجل من أمره شيءٌ ، ثم قال : اللهمّ اسبقْ بي الفِتَنَ ولا تُبْقِني الى ما لا خير لي في البقاء إليه ، فما كانت جمعة حتى هلك .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرقي ، حدثني أبو داود الطيالسي عن شعبة عن عمرو بن مُرّة عن ذَكْوان عن صُهيب مولى العبّاس انّ العبّاس قال لعثمان : أُذكرك الله في أمر ابن عمّك وابن خالك وصهرك وصاحبك مع رسول الله ﷺ ، فقد بلغني أنّك تريد أن تقوم به وبأصحابه ، فقال : أوّل ما أُجيبك به أنّي قد شفّعتك ، إنّ عليّاً لو شاء لم يكن أحد عندي إلا دُونَه ، ولكنّه أبى إلا رأيه ، ثم قال لعليّ مثل قوله لعثمان فقال عليّ : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت .

وجدت في كتابٍ لعبدالله بن صالح العِجْلي : ذكروا أنّ عثمان نازع الزبير ، فقال الزبير : إن شئتَ تَقَاذَفْنا ، فقال عثمان : بماذا ؟ بالبعر يا أبا عبدالله ؟ قال : لا والله ولكن بطَبْعِ خَبَّابٍ وريش المُقْعَد ، وكان خبَّاب يطبَع السيوف وكان المقعد يَريش النَبْل .

حدثني عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه محمد بن السائب عن محمد بن سهل بن سعد الساعدي قال : تنازع عليّ وطلحة في شِرْب ، فكان عليّ يحبّ إقراره وكان طلحةُ يحبّ إبطاله ، فاختصما الى عثمان ، فركب معهما الى الشِرْب ، ووافاهم معاوية قادماً من الشام فأدركته المنافيّة فقال : إن كان هذا الشرب مُقَرّاً في خلافة عمر فمن ذا يغيّر شيئاً أقرّه عمر ؟ فلَقِنَها

عثمان فقال : هذا شِرْبُ لم يغيّره عمر ولسنا بمغيّري ما أقرّه عمر ، فقال طلحة : وماذا الذي أنت عليه من أمر عمر ؟

المدائني قال : وقع بين سالم بن دارة ـ وهي أُمُّهُ وأبوه مُسافِع بن عقبة من بني عبدالله بن غَطَفان ـ وبين زُمَيْل بن أُبَيْر الفَزاري ـ وهو ابن أُمّ دينار ـ كلامٌ ، فضربه فجرحه زُميل ، فأُدخل المدينة وحُمل الى عثمان ، فأمر عثمان الطبيبَ فنظر إليه فقال : لا عمق للجراحة ، فأمر أن يداوى ، فدسّت ابنة عُتَيْبة امرأة عثمان الى الطبيب دنانير فذَرّ على جرحه سمّاً فانتقض فمات ، ويقال : أعطى منظورٌ الطبيبَ دينارَيْن فسمّ جرحه ، فقال لابيه وهو بالموت :

أَبلِغْ ابا سالِمٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً فلا تَكونَنَّ أَدْنَى القَوْمِ لِلْعارِ
لا تَأْخُذَنْ مِائَةً مني مُوَسَّمةً ولَوْ أَتاكَ بها يحذي[1] ابْنُ سَيَّارِ

١ ـ تحاذى القوم فيما بينهم : تقاسموا . وحذا الإبل : ساقها . القاموس .

أمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله تعالى عنه :

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أنّ عمر رضي الله تعالى عنه قال : إنّ رجالاً يقولون إنّ بيعة أبي بكر كانت فَلْتة وقى الله شرّها ، وإنّ بيعة عمر كانت عن غير مشورة ، والأمر بعدي شورى ، فإذا اجتمع رأي أربعة فليتبع الاثنان الأربعة ، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا رأي عبد الرحمن فاسمعوا وأطيعوا ، وإن صفّق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فاتبعوه(١) .

وحدثنا عبيدالله بن مُعاذ العنبري ، حدثنا أبي ، أنبأنا شعبة ، أنبأنا قتادة عن سالم بن أبي الجَعْد عن مَعْدان اليَعْمُري انّ عمر بن الخطّاب خطب الناس يوم جمعة فذكر النبيّ ﷺ وأبا بكر ثم قال : إنّي رأيت كأنّ ديكا نقرني ولا أراه إلا حضور أجَلي ، وإن قوماً يأمرونني أن أستخلف ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته والذي بعث به نبيَّه ، فإن عجل بي الأمرُ فالخلافة شورى بين هؤلاء الستّة الذين تُوفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وقد

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١ .

علمتُ أنّه سيطعن في الأمر أقوامٌ أنا ضربتهم بيدي على الإسلام ، فإنْ فعلوا فأولئك أعداء الله الضالّون .

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود حدثنا عبيدالله بن موسى أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : كنت شاهداً لعمر يوم طُعن ، فذكر حديثاً طويلاً ثم قال : [قال عمر] : ادعوا لي عليّاً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص ، فلم يكلّم أحداً منهم غير عليّ وعثمان ، فقال : يا عليّ ، لعل هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النبيّ ﷺ وصهرك وما أنالَك الله من الفقه والعلم، فإن وَليت هذا الأمر فاتّقِ الله فيه ، ثم دعا بعثمان فقال : يا عثمان ، لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسِنّك ، فإن وَليتَ هذا الأمر فاتّقِ الله ولا تحمل آل أبي مُعيط على رقاب الناس ، ثم قال : ادعوا لي صُهيباً ، فدُعي ، فقال : صلِّ بالناس ثلاثاً وليَخْلُ هؤلاء النفر في بيت ، فإذا اجتمعوا على رجل منهم فَمَن خالفهم فاضربوا رأسه . فلما خرجوا من عند عمر قال : إنْ وَلَّوْها الأجْلَح[1] سلك بهم الطريق ، قال ابن عمر : فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أكره أن أتحمَّلها حيّاً وميتاً .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا الواقدي عن محمد بن عبيدالله الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عُتبة عن ابن عبّاس قال : قال عمر : لا أدري ما أصنع بأمّة محمد ـ وذلك قبل أن يُطعن ـ فقلت : ولم تهتمّ وأنت تجد من تستخلفه عليهم ؟ قال : أصاحبَكم ؟ يعني عليّاً ، قلت : نعم هو أهل لها

١ ـ أي الامام علي بن أبي طالب .

في قرابته برسول الله ﷺ وصهره وسابقته وبلائه ، فقال عمر : إنّ فيه بطالةً وفكاهة ، قلت : فأين أنت عن طلحة ؟ قال : فأين الزَهْو والنَّخْوة ؟ قلت : عبد الرحمن بن عوف ، قال : هو رجل صالح على ضَعْف فيه ، قلت : فسعد ، قال : ذاك صاحب مِقْنب وقتال لا يقول بقرية لو حُمِّلَ أَمْرَها ، قلت : فالزبير ، قال لقسٌ[1] ، مؤمن الرضى ، كافر الغَضب ، شحيح ، إنّ هذا الأمر لا يصلح إلا لقويٍّ في غير عُنف ، رفيقٍ في غير ضَعف ، جوادٍ في غير سَرَف ، قلت : فأين أنت عن عثمان ؟ قال : لو وَلِيَها لحمل بني أبي مُعَيط على رقاب الناس ، ولو فعلها لقتلوه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن عبد الرحمن بن عبدالله عن أبيه قال : ذكر عمر من يستخلف فقيل : أين أنت عن عثمان ؟ قال : لو فعلتُ لحمل بني أبي مُعَيط على رقاب الناس ، قيل : الزبير ، قال : مؤمن الرضى كافر الغضب ، قيل : طلحة ، قال : أنفه في السماء واسته في الماء ، قيل : سعد ، قال : صاحب مِقْنب ، قريةٌ له كثيرٌ ، قيل : عبد الرحمن ، قال : بِحَسبِهِ أن يُجْري أهل بيته .

حدثني محمدِ بنَ سعد عن الواقدي عن الثوري عن حصين عن عمرو بن ميمون أنّ عمر جعل الشورى الى ستّة وقال : عبدالله بن عمر معكم وليس معه من الأمر شيء[2] .

حدثنا هشام بن عمّار الدمشقي قال : سمعتُ مالك بن أنس يقول : قال عمر بن الخطّاب : من يدُلّني على رجلٍ بَرّ تقيّ أُوَلّيه ؟ فقال المغيرة بن

١ ـ اللقس : من يلقب الناس ويسخر منهم ، ومن لا يستقيم على وجه . القاموس .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، ٣٤١ ـ ٣٤٤ .

شُعبة : أنا أدلّك عليه يا أمير المؤمنين ، قال : من هو ؟ قال : عبدالله بن عمر ، قال : قاتلك الله ، والله ما الله أرَدْتَ بها . قال هشام : وبلغنا أنّ عثمان لما ولي الخلافة قال له المُغيرة : أما والله لو ولي غيُرك ما بايعتُه ، فقال عبد الرحمن بن عوف ، كذبتَ يا أعور ، لو ولي غيره لبايعتَه ولقلتَ له مثل هذا القول .

وفي رواية الواقدي أنّ عمرو بن العاص تطاول ليدخل في الشورى فقال له عمر :اطمئنَّ كما وضعك الله ،لا أجعل فيها أحداً حمل السلاح على نبي الله .

حدثنا محمد بن سعد حدثني شهاب بن عبادة حدثنا إبراهيم بن حميد عن ابن أبي خالد عن جُبير بن محمد بن جبير بن مُطعِم قال : أخبرنا إنّ عمر قال لعليّ : إن وَلِيتَ من أمر الناس شيئاً فلا تحملنّ بني عبد المطّلب على رِقاب الناس ، وقال لعثمان : إن وليتَ من أمر الناس شيئاً فلا تحملنّ بني أبي مُعَيط على رِقاب الناس .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أنّ عمر بن الخطّاب لما طُعن قال : ليُصَلِّ صُهيب ثلاثاً وتشاوروا في أمركم والأمر الى هؤلاء الستّة ، فمن نَغِلَ بأمركم فاضربوا عنقه[1] .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن نافع بن أبي نُعيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال عمر : ليَتبع الأقلُّ الأكثر ، فمن خالفكم فاضربوا عنقه .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١ .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أنّ المِسَور بن مَخْرَمة قال : كان عمر بن الخطّاب وهو صحيح يُسأل أن يَستخلف فيأْبَى ذلك ، ثم صعد المنبر فتكلّم بكلمات ثم قال : إن مِتُّ فأمركم الى هؤلاء الستّة النفر فارقوا رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ : عليّ بن أبي طالب ، ونظيره الزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، ونظيره عثمان ، وطلحة ، ونظيره سعد بن مالك ، ألا وإني أُوصيكم بتقوى الله في الحُكْم والعدل في القَسْم .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده أنّ عمر بن الخطّاب أمر صُهيباً مولى عبدالله بن جُدْعان حين طُعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار ، فلما دخلوا عليه قال لهم إنّي قد جعلتُ أمركم شورى الى الستّة نفر المهاجرين الأوّلين الذين قُبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ليختاروا أحدهم لإمامتكم ، وسمّاهم ، ثم قال لأبي طلحة زيد بن سهل الخَزْرَجي : اخْتَرْ خمسين رجلاً من الأنصار يكونون معك فإذا تُوُفِّيتُ فاستحثَّ هؤلاء النفر حتى يختاروا لأنفسهم وللأمّة أَحدَهم ولا يتأخرُنَّ عن أمرهم فوق ثلاث . وأمر صُهيباً أن يصلّي بالناس الى أن يتّفقوا على إمام ، وكان طلحة بن عبيدالله غائباً في ماله بالسّراة فقال عمر : إن قدم طلحة في الثلاثة الأيّام وإلا فلا تنتظروه بعدها وأبرِموا الأمر واصْرِموه وبايعوا من تتّفقون عليه ، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه ، قال : فبعثوا الى طلحة رسولاً يستحثّونه ويستعجلونه بالقدوم فلم يَرِدِ المدينة إلا بعد وفاة عمر والبيعةِ لعثمان ، فجلس في بيته وقال : أَعَلَى مثلي يُفْتأتُ ؟ فأتاه عثمان فقال له طلحة : إن رددتُ الأمر أَتُردُّه ؟ قال : نعم قال : فإنّي أُمضيته ، فبايَعَه ،

وقد قال بعض الرواة إنّ طلحة كانَ حاضراً لوفاة عمر والشورى ، والأوّل أثبت .

وقال أبو مخنف : أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل واثنان على رجل رجعوا في الشورى ، فإن اجتمعوا أربعةٌ على واحد وأباه واحدٌ كانوا مع الأربعة ، وإن كانوا ثلاثة [وثلاثة] كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عوف ، إذ كان الثقةَ في دِينه ورأيه المأمونَ على الاختيار للمسلمين .

وحدثنا محمد بن سعد والوليد بن صالح عن الواقدي عن إسماعيل بن إبراهيم من ولد عبدالله بن أبي ربيعة أنّ عبدالله قال : إن بايعتم علياً سمعنا وعصينا وإن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا ، فاتّقِ الله يا بن عوف .

وحدثاني عن الواقدي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أنّ عمر قال : إن اجتمع رأيُ ثلاثة وثلاثة فاتبعوا صِنْف عبد الرحمن بن عوف واسمعوا وأطيعوا .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده أنّ عليّاً شكا إلى عمّه العبّاس ما سمع من قول عمر «كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف» وقال : والله لقد ذهب الأمر منّا ، فقال العبّاس : وكيف قلت ذلك يا بن أخي ؟ فقال : إنّ سعداً لا يخالف ابنَ عمّه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره ، فأحدهما لا يخالف صاحبه لا مَحالةَ ، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين ؛ وقال ابن الكلبي : عبد الرحمن بن عوف زَوْجُ أمّ كلثوم بنت

عقبة بن أبي مُعَيط ، وأمّها أَرْوَى بنت كُريز ، وأروى أمّ عثمان فلذلك قال صهره .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أبي بكر بن إسماعيل عن أبيه قال : كان طلحة بالسَّراة في أمواله وَافَى الموسمَ ثم أتى أمواله وانحدر عمرُ ، فلما طُعن وذَكره في الشورى ، بُعث إليه رسولٌ مُسرع ، فأقبل مُسرعاً فوجد الناس قد بايعوا لعثمان ، فجلس في بيته وقال : مثلي لا يُفتأت عليه ، ولقد عجلتم وأنا على أمري ، فأتاه عبد الرحمن بن عوف فعظَّم عليه حُرْمَةَ الإسلام وخوّفه الفرقةَ .

حدثني محمد عن الواقدي عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن زيد أنّ طلحة لما قدم أتاه عثمان فسلَّم عليه ، فقال طلحة : يا أبا عبدالله ، أرأيتَ إن رددتُ الأمر أتردُّه حتى يكون فينا على شورى ؟ قال عثمان : نعم يا أبا محمد ، قال طلحة : فإنّي لا أردّه ، فإن شئتَ بايعتُك في مجلسك وإن شئت ففي المسجد ، فبايعه ، فقال عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح : مازلت خائفاً لأن ينتقض هذا الأمر حتى كان من طلحة ما كان فَوَصَلَتْهُ رَحِمٌ . ولم يزل عثمان مُكْرِماً لطلحة حتى حُصر ، فكان طلحة أشدّ الناس عليه .

وقال الواقدي في إسناده ، قال عمر قبل أن يموت بساعة : يا أبا طلحة كن في خمسين من الأنصار من قومك مع أصحاب الشورى ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث من وفاتي حتى يؤمّروا أحدهم ؛ قال : فلما قُبض عمر وافى أبو طلحة في أصحابه فَلَزِم أصحابَ الشورى ، فلما جعلوا أمرهم إلى عبد الرحمن بن عوف ليختار لهم لزم بابَ عبد الرحمن حتى بايع عثمان .

وفي رواية أبي مخنف أنّ عليّاً خاف أن يَجتمع أمرُ عبد الرحمن وعثمان وسعد فأتى سعداً ومعه الحسن والحسين فقال له : يا أبا إسحاق إنّي لا أسألك أن تدع حقّ ابن عمّك بحَقّي أو تؤثرني عليه فتبايعَني وتَدَعَهَ ، ولكن إن دعاك إلى أن تكون له ولعثمان ثالثا فأنْكِرْ ذلك فإنّي أُدْلِي إليك من القَرابة والحقّ بما لا يُدْلي به عثمان ، وناشده بالقرابة بينه وبين الحسن والحسين وبحق آمنة أمّ رسول الله ﷺ ، فقال سعد : لك ما سألت ؛ وأتى سعدٌ عبدَ الرحمن فقال له عبد الرحمن : هُلمَّ فلنجتمع ، فقال سعد : إن كنتَ تَدعوني والأمر لك وقد فارقك عثمان على مُبايعتك كنتُ معك ، وإن كنت إنّما تريد لعثمان فَعِليٌّ أحقّ بالأمر وأحبّ إليَّ من عثمان ؛ قال : وأتاهم أبو طلحة فاستحَثّهم وألحّ عليهم ، فقال عبد الرحمن : يا قومُ أراكم تتشاحّون عليها وتؤخّرون إبرام هذا الأمر ، أفكلُّكم رحمكم الله يرجو أن يكون خليفةً ؟ ورأى أبو طلحة ما هم فيه فبكى وقال : كنت أظنّ بهم خلاف هذا الحرص ، إنّما كنتُ أخاف أن يتدافعوها .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى بن عقبة عن مكحول قال : لم يكن سعد في الشورى ؛ قال: وحدثني ابن أبي ذئب عن الزهري قال : لم يكن سعد في الشورى .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهري وابن جُعْدُبة انّ عمر أدخل ابنه عبدالله في الشورى على أنّه خارجٌ من الخلافة وليس له إلا الاختيار فقط ، قال أبو الحسن المدائني : ولم يجتمع على ذلك .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناد له قال : لما دُفن عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحَةَ يومَهم فلم يُحْدِثوا

شيئاً ، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال ، وكان دَفْن عمر يوم الأحد وهو اليوم الرابع من يوم طُعن وصلَّى عليه صُهيب بن سِنان ؛ قال : فلما رأى عبد الرحمن طول تناجي القوم وتناظرهم وأنّ كلّ واحد منهم يدفع صاحبه عنها قال لهم : يا هؤلاء ، أنا أُخرج نفسي وسعداً من الأمر على أن إختاروا معشر الأربعةِ أحدكم ، فقد طال التناجي وتطلّع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم واحتاج مَنْ أقام لانْتظار ذلك من أهل البلدان إلى الرجوع إلى أوطانهم ؛ فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلا عليّاً فإنّه قال : أنْظِرْ . وأتاهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بما عرض وبإجابة القوم إيّاه إلا عليّاً ، فأقبل أبو طلحة على عليّ فقال : يا أبا الحسن ، إنّ أبا محمد ثقة لكوللمسلمين فما بالك تخالفه وقد عدل الأَمَر عن نفسه فلن يتحمَّل المأْثم لغيره ؟ فأحلف عليٌّ عبدَ الرحمن بن عوف أن لايميل إلى هوىً وأن يؤثر الحقَّ ويجتهد للأمّة وأن لا يُحابِيَ ذا قرابة، فحلف له ، فقال : اخْتَرْ مُسدَّداً ، وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المِسْوَر بن مَخْرَمة ، ثم إنّ عبد الرحمن أحلف رجلاً رجلاً منهم بالأيمان المغَّلظة وأخذ عليهم المواثيق والعهود أنّهم لا يخالفون إن بايع منهم رجلاً وأن يكونوا معه على مَن يناويه ، فحلفوا على ذلك ، ثم أخذ بيد عليّ فقال له : عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتُك أن لا تحمل بني عبد المطّلب على رقاب الناس ولتسيرنّ بسيرة رسول الله ﷺ لا تحول عنها ولا تقصرٌ في شيء منها ، فقال عليّ : لا أحمل عهدَ الله وميثاقه على ما لا أدركه ولا يدركه أحدٌ ، مَن ذا يطيق سيرةَ رسول الله ﷺ ؟ ولكنّي أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد منّي وبما يمكنني وبقدر علمي ، فأرسل عبد الرحمن يده . ثم أحلف عثمانَ وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يحمل بني

أميَّة على رقاب الناس ، وعلى أن يسير بسيرة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك ، فحلف له ، فقال عليّ : قد أعطاك أبو عبدالله الرضا فشَأْنَك فبايِعْهُ ، ثم إنّ عبد الرحمن عاد إلى عليّ فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر ، فقال عليٌّ : عليَّ الاجتهادُ ، وعثمانُ يقول : ونَعَمْ ، عَلَيَّ عهدُ الله وميثاقُه وأشدُّ ما أَخَذَ على أنبيائه أن لا أخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصِّر عنها ، فبايعه عبد الرحمن وصافقه وبايعه أصحاب الشورى . وكان عليّ قائماً فقعد ، فقال له عبد الرحمن : بايعْ وإلَّا ضربتُ عنقك ، ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره ، فيقال إنّ عليّاً خرجَ مُغْضَباً فلحقه أصحابُ الشورى وقالوا : بايعْ وإلَّا جاهدناك ، فأقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان .

وحدثني عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عبَّاس أنّ عليّاً أوّل من بايع عثمان من أصحاب الشورى بعد عبد الرحمن بن عوف ، لم يتلعثم .

محمد عن الواقدي عن محمد بن عبدالله بن جُبير عن خالد بن كيسان عن كثير بن عبَّاس ، قال : لما اسْتخلف عثمان دخل عليّ على العبَّاس فقال له : إنّي ما قدَّمْتُكَ قطّ إلا تأخّرتَ ، قلتُ لك : هذا الموت بَيِّنٌ في وجه رسول الله فتعالَ نسأله عن هذا الأمر ، فقلتَ : أتخوَّفُ أن لا يكون فينا فلا نُستخلَف أبداً ، ثم مات وأنت المنظور إليه ، فقلتُ : تعالَ أُبايِعْكَ فلا يُخْتَلَف عليك ، فأبيتَ ، ثم مات عمر فقلت لك : فد أطلق الله يديك فليس لأحد عليك تَبِعَةٌ فلا تدخل في الشورى عسى ذلك أن يكون خيرا .

وقال الواقدي : قال العبَّاس لعليّ حين طُعن عمر : الزَمْ بيتك ولا تدخل في الشورى فلا يختلفُ عليك اثنان .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن سعيد المكتِّب عن سَلَمة بن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : رأيتُ أوّلَ مَن بايع عثمان : عبد الرحمن بن عوف ثم عليّ بن أبي طالب[1] .

حدثنا عفَّان بن مسلم ، حدثنا حَمّاد بن سَلَمة ، أنبأنا عاصم بن بَهْدَلَة عن أبي وائل أن عبدالله بن مسعود سار من المدينة إلى الكوفة حين اسُتخلف عثمانُ في ثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فإنّ أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب مات فلم نَر يوماً كان أكثر نَشيجاً من يومه ، وإنّا اجتمعنا معشرَ أصحابِ محمد فلم نألُ عن خيرنا ذا فُوق فبايعنا عثمان بن عفَّان فبايعوه .

حدثنا خلف بن هشام البّزار ، حدثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن عبدالله بن سنان قال : قال عبدالله حين استُخلف عثمان : ما ألَوْنا أعْلانا ذا فُوق .

وحدثني محمد بن سعد عن أبي معاوية وعبيدالله بن موسى والفضل بن دُكين عن عبد الملك بن مَيْسَرة عن النَزّال بن سَبْرة قال : قال عبدالله بن مسعود : استخلفنا خَيْرَ من بقي ولم نألُ[2].

وقال الواقدي في إسناده : بويع عثمان يومَ الاثنين لليلةِ بقَيت من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين واستقبل بخلافته المحرمَ سنة أربع وعشرين ،

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٢ .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٢ - ٦٣ .

ووجه في سنة أربع وعشرين للحجّ عبد الرحمن بن عوف فحجّ بالناس ، ثم حجّ عثمان في خلافته كلّها عشر سنين إلى السنة التي حُوصر فيها ، ووجه في تلك السنة على الموسم وهي سنة خمس وثلاثين عبدَالله بن العبّاس بن عبد المطّلب فحجّ بالناس .

وحدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي ، حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه أنّ عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس، إنّ أوّل مَرْكَب صَعْبٌ وإنّ بعد اليوم أيّاماً وإن أَعِشْ تأْتِكم الخطبة على وجهها فما كنّا خطباء وسيعلّمنا الله .

وروى أبو مخنف أنّ عثمان لما صعد المنبر قال : أيّها الناس ، إن هذا مقامٌ لم أُزَوِّرْ له خطبة ولا أعددت له كلاماً وسنعود فنقول إن شاء الله .

المدائني عن غِياث بن إبراهيم أنّ عثمان صعد المنبر فقال : أيّها الناس ، إنّا لم نكن خطباء وإن نَعِشْ تأْتِكم الخطبة على وجهها إن شاء الله ، وقد كان من قضاء الله أنّ عبيدالله بن عمر أصاب الهُرْمُزان ، وكان الهرمزان من المسلمين ولا وارثَ له إلا المسلمون عامةً وأنا إمامكم وقد عفوتُ أَفتعفون ؟ قالوا : نعم ، فقال عليّ : أقِدِ الفاسقَ فإنّه أتى عظيماً ، قَتَلَ مسلماً بلا ذنب ، وقال لعبيد الله : يا فاسق لئن ظفرتُ بك يوماً لأقتلنك بالهرمزان .

وقال الواقدي في رواية له : خطب عثمان الناس فقال : الحمد لله أحْمَده وأستعينه وأُومن به وأتوكّل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، من يُطِع الله ورسوله فقد

رشد ومن يَعْصِهما فقد غوى ؛ إنّي أيّها الناس قد وليت أمركم فأستعين الله ولو كنت بمَعْزِل عن الأمر كان خيراً لي وأسلَمَ، مضى قبلي صاحبايَ رحمهما الله فهما لي سَلَف وقدْوة فإنّما أنا متّبع ، وأرجو القوّة من القويّ العزيز ، فآدعوا لي بالله العون والتسديد ، فدعا الناسُ له ثم بايعوه .

وقال الواقدي في رواية له : خطب عثمان فقال : الحمد لله الذي لا ينبغي الحمد إلا له الحمدُ لله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، أمّا بعد أيّها الناس ، فآتقوا الله في سرّ أمركم وعلانيته ، وكونوا أعواناً على الخير والبّر والصِلَة ولا تكونوا إخواناً في العلانية أعداءً في الستر فإنّا قد كنّا نَحْذَرُ أولئك ، مَن رَأى منكم منكَراً فليغَيّرْه فإن كان لا قوة له به فليرفَعْه إليّ ، وكُفّوا سفهاء كم وشُدّوا بهم أيديَكم فإنّ السفيه إذا قُمع انقمع وإذا تُرك تتايع[1] ، ثم جلس وبايعه الناس .

ورُوي أنّ عثمان خطب فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالاً وسيأتي الله به .

وقال الفرزدق :

صَلّى صُهَيْبٌ ثَلاثاً ثُمَّ أَنْزَلَها على ابْنِ عَفّانَ مُلْكاً غَيْرَ مَقْسور
وَصِيَّةً مِنْ أَبِي حَفْصٍ لِسِتَّتِهِمْ كانوا أَخِلاّءَ مَهْدِيٍّ ومَأْمور[2]

---

١ ـ التتايع : ركوب الأمر على خلاف الناس . القاموس .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢١٤ مع فوارق .

ذكر ما أنكروا من سيرة عثمان بن عفّان وأمرِه رضي الله عنه

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن أمّ بكر بنت المِسْوَر بن مَخْرَمة عن أبيها قال : سمعتُ عثمان يقول : أيّها الناس ، إنّ أبا بكر وعمر كانا يتأوّلان في هذا المال ظِلْف أنفسهما وذوي أرحمهما وإنّي تأوّلت فيه صِلة رَحِمي .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي حدثني محمد بن عبدالله عن الزهري قال : لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميراً ، فمكث ستّ سنين لا يَنْقِم الناسُ عليه شيئاً وإنّه لأَحبُّ إلى قريش من عمر لشدّة عمر ولين عثمان لهم ورِفْقه بهم ، ثم تَوانَى في أمرهم واستعمل أقاربه وأهل بيته في الستّ الأواخر وأهملهم وكتب لمروان بن الحكم بُخُمْس إفْريقية ، وأعطى أقاربه المال وتأوّل في ذلك الصلة التي أمر الله بها ، واتّخذ الأموال واستسلف من بيت المال مالاً وقال : إنّ أبا بكر وعمر تركا من هذا المال ما كان لهما وإني آخُذه فأَصِل به ذوي رَحِمي ، فأَنَكر الناس ذلك عليه[1] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٤ .

وحدثنا هشام بن عمّار الدمشقي حدثنا محمد بن عيسى بن سُميعٍ عن محمد بن أبي ذئب عن الزهري عن سعيد بن المسَّيب قال : لما ولي عثمان كره ولايَته نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ لأنّ عثمان كان يحبّ قومه ، فَولِيَ الناسَ اثنتي عشرة حجّة وكان كثيراً ما يولي من بني أميَّة مَن لم يكن له مع النبي ﷺ صحبة ، فكان يجيء من امرائه ما ينكره أصحابُ محمد ﷺ وكان يُسْتَعْتَبُ فيهم فلا يَعْزِلهم ، فلما كان في الستّ الأواخر استأثر ببني عمّه فولاهم وولّى عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلَّمون منه ، وقد كانت من عثمان قبلُ هنَاتٌ إلى عبدالله بن مسعود وأبي ذَرّ وعَمَّار بن ياسر ، فكان في قلوب هُذيل وبني زُهْرة وبني غِفار وأحلافها مِن غَضَب لأبي ذرّ ما فيها ، وَحَنِقت بنو مخزوم لحال عمّار بن ياسر ، فلما جاء أهل مصر يشكون ابنَ أبي سَرْح كتب إليه كتاباً يتهدّده فيه ، فأبى أن ينزع عمّا نهاه عثمانُ عنه وضرب بعض من كان شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتى قتله ، فخرج من أهل مصر سبعمائة إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم ابن أبي سرح في مواقيت الصلاة إلى أصحاب محمد ، فقام طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام شديد ، وأرسلت إليه عائشة رضي الله تعالى عنها تسأله أن يُنْصِفهم من عامله ، ودخل عليه عليّ بن أبي طالب ـ وكان متكلّم القوم ـ فقال له : إنَّما يسألك القوم رجلاً مكانَ رجل ، وقد ادَّعَوا قِبَلَه دماً فاعْزِلْه عنهم واقْضِ بينهم فإن وجب عليه حقّ فأَنصِفْهم منه ، فقال لهم : اختاروا رجلاً أُوَلّيه عليكم مكانه ، فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر الصِدِّيق ، فقالوا : استعمِلْ علينا محمد بن

أبي بكر ، فكتب عهده على مصر ووجّه معهم عدّةً من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله الزهري أنّ عثمان كان يأخذ من الخيل الزكاة، فأُنكر ذلك من فعله وقالوا: قال رسول الله ﷺ : «عفوتُ لكم عن صدقة الخيل والرقيق»

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري، وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه - وفي أحد الحديثين زيادة عن الآخر فسُقْتُهما ورددت بعضهما على بعض - أنّ الحَكَم بن أبي العاص بن أُمّية عمّ عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة كان جاراً لرسول الله ﷺ في الجاهليّة ، وكان أشدّ جيرانه أذى له في الإسلام وكان قدومه المدينة بعد فتح مكّة ، وكان مَغْمُوصاً عليه في دينه ، فكان يمُرّ خلف رسول الله ﷺ فيَغْمِز به ويحكيه ويَخْلِج بأنفه وفمه وإذا صلّى قام خلفه فأشار بأصابعه ، فبقي على تخليجه وأصابته خَبْلَةٌ ، واطّلع على رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في بعض حُجَر نسائه فعرفه وخرج إليه بِعَنَزَة[1] وقال : «من عَذيري من هذا الوَزَغَة اللعين[2] ، ثم قال : لا يساكنني ولا ولدهُ» ، فَغَرَّبَهم جميعاً إلى الطائف ، فلما قُبض رسول الله ﷺ كلّم عثمانُ أبا بكر فيهم وسأله ردَّهم فأبى ذلك وقال: ما كنت لآوِيَ طُرداءَ رسول الله ﷺ . ثم لما استُخلف عمر

١ - رمح قصير.
٢ - الوزغة: الرجل الحارض الفشل. القاموس.

كلّمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر . فلما استُخلف عثمان أدخلهم المدينة وقال : قد كنت كلّمتُ رسول الله فيهم وسألته ردَّهم فوعدني أن يأذن لهم فقُبض قبل ذلك ، فأنكر المسلمون عليه إدخاله إيّاهم المدينة .

قال الواقدي : ومات الحكم بن أبي العاص بالمدينة في خلافة عثمان فصلّى عليه وضَرب على قبره فسطاطاً.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري عن سعيد بن المسيّب قال : خطب عثمان فأمر بذبح الحمام وقال : إنّ الحمام قد كثر في بيوتكم حتى كثر الرَمْيُ ونالنا بعضُه ، فقال الناس : يَأْمُرُ بذبح الحمام ، وقد آوَى طُرداءَ رسول الله ﷺ .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أُسامة بن زيد بن أسلم عن نافع مولى الزبير عن عبد الله بن الزبير قال : أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين إفريقية ، فأصاب عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح غنائم جليلة ، فأعطى عثمان مروان بن الحكم خُمس الغنائم .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن لوط بن يحيى أبي مخنف عمّن حدّثه قال : كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخا عثمان من الرضاعة وعامِلَه على المغرب ، فغزا إفريقية سنة سبع وعشرين فافتتحها وكان معه مروان بن الحكم ، فابتاع خُمس الغنيمة بمائة ألف أو مائتي ألف دينار ، فكلّم عثمان فوهبها له ، فأنكر الناسُ ذلك على عثمان .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أمّ بكر بنت المِسْوَر قالت : لما بنى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه ، وكان المِسْوَر فيمن دعا ، فقال مروان وهو يحدّثهم : والله ماأنفقتُ في داري هذه

من مال المسلمين درهماً فما فوقه، فقال المِسْوَر: لو أكلتَ طعامك وسكتَّ لكان خيراً لك، لقد غزوْتَ معنا إفريقية وإنك لأقلُّنا مالاً ورقيقاً وأعواناً وأخفُّنا ثَقَلاً فأعطاك ابنُ عفّان خُمس إفريقية، وعملتَ على الصدقات فأخذتَ أموال المسلمين؛ فشكاه مروان إلى عُرْوة وقال: يُغْلِظ لي وأنا له مُكْرِمٌ مُتَّقٍ.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أمّ بكر عن ابيها قالت: قدمتْ إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص.

وحدثني محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا الحجّاج الأعور عن ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عبّاس قال: كان ممّا أنكروا على عثمان أنّه ولّى الحَكَم بن أبي العاص صدقات قُضاعة فبلغت ثلاثمائة ألف درهم، فوهبها له حين أتاه بها.

وقال أبو مخنف والواقدي في روايتهما: أنكر الناس على عثمان إعطاءه سعيد بن العاص مائة ألف درهم، فكلّمه عليٌّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك، فقال: إنّ له قَرابةً ورَحِماً، قالوا: أفما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذوو رحم؟ فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يَحْتَسِبان في منع قرابتهما، وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي، قالوا: فهَدْيُهما والله أحبّ إلينا من هَدْيك، فقال: لاحول ولاقوّة إلا بالله.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سَبْرة عن أشياخه قالوا: كان عثمان يبعث السُعاة لقبض الصدقات إذا حضر الناسُ المياه، ثم

يَعْهَد إليهم فيتعدّون حدوده فلا يكون منه لذلك تغيير ولانكير، فاجترأوا عليه ونُسِبَ فعلهم إليه وتَكَلَّمَ الناسُ في ذلك وأنكروه.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن زيد بن السائب عن خالد مولى أبان بن عثمان قال: كان مروان قد ازدرع بالمدينة في خلافة عثمان على ثلاثين جملاً، فكان يأمر بالنوى أن يُشترى فيُنادى: إنّ أمير المؤمنين يريده، وعثمان لايشعر بذلك، فدخل عليه طلحة وكلّمه في أمر النَوى فحلف أنّه لم يأمر بذلك، فقال طلحة: هذا أعجب أن يُفتأت عليك بمثل هذا، فهلا صنعت كما صنع ابن حَنْتَمَة، يعني عمر بن الخطّاب، خرج يَرْفأُ[1] بدرهم يشتري به لحماً فقال للحّام: إنّي أريده لعمر، فبلغ ذلك عمر فأرسل إلى يَرْفَأ فأتي به وقد برك عمر على ركبتيه وهو يَفْتِل شاربه، فلم أَزَل أُكلِمّه فيه حتى سكّنْتُه، فقال له: والله لئن عُدتّ لأجعلنك نكالاً، أتشتري السِلْعة ثم تقول هي لأمير المؤمنين؟.

أمر الوليد بن عقبة حين ولاه عثمان الكوفة:

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف ومحمد بن سعد عن محمد ابن عمر الواقدي أنّ عمر بن الخطّاب أوصى أن يُقرَّ عُمَّالَه مَن وَلِيَ الأمر بعده سنةً وأن يولّي سعدَ بن أبي وقّاص الكوفة، ويُقرّ أبا موسى الأشعري على البصرة، فلما وَلِيَ عثمان عزل المغيرة بن شعبة وولّى سعداً الكوفة سنةً ثم عزله وولّى أخاه لأمّه الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أميّة، فلما دخل الكوفة قال له سعد: ياأبا وَهْب، أَأَمير أم زائر؟ قال: لابل أمير، فقال سعد مأدري أَحَمقْتُ بعدك؟ قال: ماحَمِقْتَ بعدي ولا كِسْتُ بعدك، ولكنّ القوم

١ - يرفأ غلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

مَلَكوا فاستأثروا، فقال سعد: ماأراك إلا صادقاً؛ وقال الناس: بئسما ابتدَلْنا به عثمان، عزل أبا إسحاق الهينّ الليّن الحبْر، صاحب رسول الله ﷺ وولّى أخاه الفاسق الفاجر الأحمق الماجن، فأعظمَ الناسُ ذلك، وكان الوليد يُدْعَى الأشْعَرَ بَرْكاً، والبرك الصدر. وعزل أبا موسى عن البصرة وأعمالها وولّى ذلك عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، وهو ابن خاله، فقال له عليّ بن أبي طالب وطلحة والزبير: ألم يُوصِك عمر ألا تحمل آل أبي مُعَيط وبني أميّة على رقاب الناس؟ فلم يُجِبْهم بشيء.

وقال أبو مخنف في إسناده: لما شاع فعلُ عثمان وسارت به الرُكْبان كان أوّل من دعا إلى خلعه والبيعة لعليّ عمرو بن زُرارة بن قيس بن الحارث بن عمرو بن عَداء النَخَعي، وكُمَيْل بن زياد بن نَهيك بن هُتَيْم النَخَعي ثم أحد بني صُهبْان، فقام عمرو بن زُرارة فقال: أيّها الناس، إنّ عثمان قد ترك الحقّ وهو يعرفه وقد أُغري بصُلَحَائكم يولّي عليهم شِرارَكم، فمضى خالد بن عُرْفُطة بن أَبْرَهَة بن سِنان العُذْري حليف بني زُهرة إلى الوليد فأخبره بقول عمرو بن زرارة واجتماع الناس إليه، فركب الوليد نحوهم، فقيل له: الأمر أشدُّ من ذاك، والقوم مجتمعون، فاتّق الله ولاتسعِّر الفتنة، وقال له مالك بن الحارث الأشتر النَخَعي: أنا أكفيك أمرهم، فأتاهم فكفّهم وسكّنهم وحذّرهم الفتنة والفرقة فانصرفوا. وكتب الوليد إلى عثمان بما كان من ابن زُرارة، فكتب إليه عثمان: إنّ ابن زُرارة أعرابي جِلْف فسَيِّره إلى الشام، فسيَّره وشيَّعَه الأشترُ، والأسودُ بن يزيد بن قيس وعلقمة بن قيس بن يزيد، وهو عمّ الأسود، والأسود أكبر منه، فقال قيس بن قهدان بن سَلَمة من بني البَدّاء من كندة يومئذ:

أُقْسِمُ بِالله رَبِّ البَيْتِ مُجْتَهِداً أَرْجو الثَوابَ بِهِ سِرّاً وإعْلانا
لأخْلَعَنَّ أَبا وَهْبٍ وصاحِبَهُ كَهْفَ الضَلالَةِ عُثْمانَ بنَ عَفّانا

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال: لما قدم الوليد الكوفة ألفى ابنَ مسعود على بيت المال فاستقرضه مالاً وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثم تردّ ماتأخذ، فأقرضه عبد الله ماسأله، ثم إنّه اقتضاه إيّاه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: انّما أنت خازنٌ لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظنّ أنّي خازن للمسلمين فأمّا إذ كنتُ خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مَعْمَر عن جابر عن عامر الشعبي قال: قدِم الوليد الكوفة فكان عَمَلُهُ خمس سنين، وغزا أذربيجان، وكان يشرب الخمر.

حدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا حفص بن غياث حدثنا الأعمش عن إبراهيم قال: كان حُذيفة وعلقمة وأصحاب عبد الله في غزاة، فأصاب أميرُ الجيش حدّاً فأرادوا أن يقيموه عليه فقال حُذيفة: أتقيمون عليه الحدّ وهو بإزاء العدوّ؟ فَكَفّوا عن ذلك؛ قال حفص: أراه الوليدَ بن عقبة.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مَعْمَر عن جابر عن عامر الشعبي قال: كان عمر بن الخطّاب ولّى الوليد بن عقبة صدقات بني تغلب، فوجد أبا زُبيد حَرْمَلة بن المنذر الطائي الشاعر فيهم وقد ظلمه أَخْوالُه، فأخذ له منهم بحقّه فمدحه، فلما سمع بولايته الكوفة لعثمان قدم فيمن قدم عليه فكان ينادمه، وأنزله داراً بقربه تُعرف بدار الضيافة.

وقال أبو مخنف: كان الوليد يُدخل أبا زُبيد المسجد وهو نصراني ويُجري عليه وظيفة من خمر وخنازير تُقام له كل شهر، فقيل له: قد عظم إنكارُ الناس لِما تُجري على أبي زُبيد، فقوَّمَ ماكان وظّف له دراهمَ وضمّها إلى رزق كان يُجريه عليه.

وروى أبو مخنف وغيره أنّ الوليد أتي بساحر يقال له نطروي، ويقال بساني، فرآهُ جُنْدَب الخير ـ وهو جندب بن عبد الله الأزْدي،وقال غير الكلبي: هو جندب بن كعب ـ يلعب بين يديه فأتى مَعْقِلاً مولى الصَقْعَب بن زهير الكبيري من ولد كبيربن الدُول من الأزد، ويقال: بل أتى مولى لبني ظَبْيان بن غامِد وهم قومه، فاستعار منه سيفاً قاطعاً فاشتمل عليه وخرج يريد الوليد بن عقبة، فلِقَيَه مِعضَدُ بن يزيد أحد بني تَيْم الله بن ثَعْلَبة بن عُكابة، وكان ناسكاً، فأخبره بما يريد، فقال له: أمّا قتْلُ الوليد فإنّه يورث فرقة وفتنة ولكن شأنك بالعلج؛ فشدّ على الساحر فقتله ثم قال له: أَحْيِ نفسك إن كنت صادقاً، فقال الوليد: هذا رجل يلعب فيأخذ بالعين سُرْعَةً وخِفّةً، فقدّم جُنْدَباً ليضرب عنقه فأنكرت الأزد ذلك وقالوا: تقتل صاحبنا بعلجٍ ساحر؟ فحبسه، فلما رأى السجّان طول صلاته وكثرة صيامه تحوّب من حبسه فخلّى سبيله، فمضى جندب فلحق بالمدينة وكان يُكنى أبا عبد الله، فأخذ الوليد السجّان، وكان يقال له دينار ويُكنى أبا سِنان، فضرب عنقه وصلبه بالسَبَخة، ويقال إنّه ضرب عنقه بالسبخة ولم يصلبه. ولم يزل جندب بالمدينة حتى كلّم فيه عليُّ بن أبي طالب عثمانَ فكتب إلى الوليد يأمره بالإمساك عنه، فقدم الكوفة.

وقال أبو مخنف وغيره: خرج الوليد بن عقبة لصلاة الصبح وهو يَميل، فصلّى ركعتين ثم التفت إلى الناس فقال: أَزِيدكم، فقال له عَتّاب بن عَلاق أحد بني عُوافة بن سعد وكان شريفا: لازادك الله مَزيد الخير، ثم تناول حفنة من حَصى فضرب بها وجه الوليد، وَحَصَبَه الناسُ، وقالوا: والله ماالعجب إلا ممّن ولاك، وكان عمر بن الخطّاب فرض لعَتَّاب هذا مع الأشراف في أَلْفَين وخمسمائة وذكر بعضهم أنّ القَيءَ غلب على الوليد في مكانه، وقال يزيد بن قيس الأرْحَبي ومَعْقِل بن قيس الرياحي: لقد أراد عثمان كَرامة أخيه بهَوان أُمّة محمد ﷺ.

وفي الوليد يقول الحُطَيْئة، وهو جَرْوَل بن أَوْس بن مالك بن جُؤَيَّة العَبْسي:

شَهِدَ الحُطَيْئَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّه أَنَّ الوَليدَ أَحَقُّ بِالغدر
نادَى وقد نَفِدَت صَلاتُهُمُ أَأَزيدُكُمْ ثَمَلاً وما يَدْرِي
لِيَزيدَهُمْ خَيْراً ولو قَبِلُوا مِنْهُ لَزادَهُمُ عَلى عَشْرِ
فأَبَوْا أبا وَهْبٍ ولو فَعَلُوا لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَفْعِ والوَتْرِ
حَبَسوا عِنانَكَ إذْ جَرَيتَ ولو خَلَّوْا عِنانَكَ لم تَزَلْ تَجْري[1]

قالوا: ولم يكن بسيَرة الوليد في عَمَله بأس، ولكنّه كان فاسقاً مسرفاً على نفسه.

حدثني العبّاس بن يزيد البصري حدثنا عبد الوهّاب الثَقَفي عن جعفر بن محمد عن أبيه أنّ الوليد صلّى بالناس الصُبْح ثم أقبل عليهم فقال:

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ط. دار صادر بيروت ص١٨٠ مع فوارق.

أزيدكم، فرحل في ذلك رجل ـ أو قال رجال ـ إلى عثمان فأتي بالوليد فأمر بجَلْده، فلم يقُمْ أحد، فلما قال الثالثةَ: مَن يجلِده؟ قال عليٌّ: أنا، فقام إليه فجلده بدِرَّة يقال لها السبْتيّة لها رأسان، فضربه بها أربعين فذلك ثمانون.

وقال أبو مخنف: لما صلّى الوليد بالناس وهو سكران، أتى أبو زينب زهير بن عوف الأزْدي صديقاً له من بني أَسد يقال له مُوَرّع، فسأله أن يعاونه على الوليد في التماسِهِ غِرّته، فتفقّداه ذات يوم فلم يَرَيَاه خَرَجَ لصلاة العصر، فانطلقا إلى بابه ليدخلا عليه فمنعهما البّواب، فأعطاه أبو زينب ديناراً فسكت، فدخلا، فإذا هما به سكران ما يعقِلُ، فحملاه حتى وضعاه على سريره، فَقاء خمراً، وانتزع أبو زينب خاتَمه من يده ومضى وصاحبه على طريق البصرة حتى قدما على عثمان فشهدا عليه عنده بما رأيا حين صلّى وبما كان منه حين دخلا عليه، فقال عثمان لعليّ: ماترى؟ قال: أرى أن تُشخصه إليك، فإذا شهدا في وجهه حددته، فعَزَله عثمان وولّى سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة الكوفة، وأمره بإشخاص الوليد ففعل، ودعا عثمان بالرجلين فشهدا عليه في وجهه، فقال عليٌّ للحسن ابنه: قم يابنيّ فاجلده، فقال عثمان: يكفيك ذلك بعض من ترى، فأخذ عليٌّ السوط ومشى إليه فجعل يضربه والوليد يسُبّه، وكان للسوط طرفان فضربه أربعين وعليه جُبّة حِبْرٍ.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عيسى بن عبد الرحمن عن أبي اسحاق الهَمْداني أنّ الوليد بن عقبة شرب فسكر فصلّى بالناس الغداة ركعتين ثم التفت فقال: أَزيدُكم؟ فقالوا: لا، قد قضينا صلاتنا، ثم دخل عليه بعد ذلك أبو زينب وجندب بن زهير الأزْدي وهو سكران فانتزعا خاتمه من يده وهو لايشعر سُكراً.

قال أبو اسحاق: وأخبرني مسروق أنّه حين صلّى لم يَرِمْ حتى قاء، فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر: أبو زينب وجندب بن زهير وأبو حبيبة الغفاري والصعْب بن جثّامة، فأخبروا عثمان خبره، فقال عبد الرحمن بن عوف: ما له أَجُنَّ؟ قالوا: لا، ولكنّه سكر، قال: فأوعدهم عثمان وتهدّدهم وقال لجندب: أنت رأيتَ أخي يشرب الخمر؟ قال: معاذ الله، ولكنّي أشهد أنّي رأيته سكران يَقْلِسها[1] من جوفه وأني أخذت خاتمه من يده وهو سكران لايعقل؛ قال أبو اسحاق: فأتى الشهود عائشةَ فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان وأنّ عثمان زَبَرَهم، فنادت عائشة: إنّ عثمان أَبطلَ الحدود وتوعّد الشهود.

قال الواقدي: وقد يقال إنّ عثمان ضرَبَ بعض الشهود أسواطاً، فأتوا عليّاً فشكوا ذلك إليه، فأتى عثمان فقال: عطّلتَ الحدود وضربت قوماً شهدوا على أخيك فَقَلَبْتَ الحكمَ وقد قال عمر: لاتحملْ بني أميّة وآل ابي مُعَيط خاصّة على رقاب الناس، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تعزله ولا تولّيه شيئاً من أمور المسلمين، وأن تسأل عن الشهود فإن لم يكونوا أهل ظنّة ولا عداوة أقمتَ على صاحبك الحدّ.

قال: ويقال إنّ عائشة أغلظت لعثمان وأغلظ لها وقال: وما أنتِ وهذا؟ إنّما أُمِرْتِ أن تَقرّي في بيتك، فقال قومٌ مثلَ قوله، وقال آخرون: ومن أولى بذلك منها؟ فاضطربوا بالنعال، وكان ذلك أوّلَ قتالٍ بين المسلمين بعد النبيّ ﷺ.

---

١ ـ ما خرج من الحلق ملء الفم أو دونه وليس بقيء.

وقال الهَيْثم بن عَدِيّ: اللذان دخلا على الوليد وهو سكران: زياد بن عِلاقة التَيْمي، وجُنْدب بن زهير الأزْدي.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده وعبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه وأبي مخنف وغيرهما قالوا: أتى طلحة والزبير عثمانَ فقالا له: قد نهيناك عن تولية الوليد شيئاً من أمور المسلمين فأبيتَ، وقد شُهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعْزِلْه، وقال له عليٌّ: اعزله وحُدَّه إذا شهد الشهود عليه في وجهه، فولّى عثمانُ سعيدَ بن العاص الكوفةَ وأمره بإشخاص الوليد، فلما قدم سعيدُ الكوفةَ غسل المنبر ودار الإمارة وأشخص الوليد، فلما شُهد عليه في وجهه وأراد عثمان أن يحدّه ألْبَسَهُ جُبّة حِبْرٍ وأدخله بيتاً، فجعل إذا بعث إليه رجلاً من قريش ليضربه قال له الوليد: أَنشُدك الله أن تقطع رحمي وتُغضب أمير المؤمنين عليك، فيكُفُّ، فلما رأى ذلك عليّ بن أبي طالب أخذ السوط ودخل عليه ومعه ابنه الحسن، فقال له الوليد مثلَ تلك المقالة، فقال له الحسن: صَدَقَ ياأبه، فقال عليّ: ما انا إذاً بمؤمن، وجلده بسوطٍ له شُعبتان أربعين جَلْدة ولم ينزع جُبّته، وكان عليه كِساء فجاذبه عليّ إيّاه حتّى طرحه عن ظهره وضربه ومايبدو إبطه.

قالوا: وسئل عثمان ان يحلقه، وقيل له إنّ عمر حلق مثلَه، فقال: قد كان فَعَلَ ذلك، ثم تركه.

وكان النبيّ ﷺ وجّه الوليد على صدقات بني المُصْطَلِق فجاء فقال: إنّهم منعوا الصدقة، فنزل فيه ﴿إنْ جَاءكُمْ فَاسِقٌ﴾[1] فَتَبَيَّنُوا الآية.

١ ـ سورة الحجرات الآية: ٦.

وحدثني عبّاس بن يزيد البَحْراني حدثنا عبد الرحمن بن عثمان عن سعيد بن أبي عَرْوبة عن عبد الله الداناج عن حُضين بن المُنْذِر أنّه شهِد على الوليد بن عقبة عند عثمان بشرب الخمر، فكلَّم عليٌّ عثمان فيه، فقال: دُونَكَ ابنَ عمّك، فقال عليٌّ قم ياعبد الله بن جعفر، فقام عبد الله فجلده، وعدَّ عليٌّ، فلما أتمَّ اربعين قال: حَسْبُك، أو قال: أَمْسِكْ، جَلَدَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر أربعين واكتمل عمر ثمانين وكلٌ سُنَّةٌ.

وحدثني هشام بن عمّار حدثنا عيسى بن يونس عن اسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم قال: لما ضرب عليّ الوليد بن عقبة الحدّ جعل الوليد يقول: يا مكيثة يامكيثة.

قالوا: وقال الوليد حين حُدّ:

باعَدَ الله ما بيني وبَيْنَكُمُ بني أُمَيَّةَ مِنْ قُرْبَى ومِنْ نَسَبِ
إنْ يكْثرِ المال لايُذْمم فَعالَكُمُ وإنْ يَعِشْ عائِلاً مَوْلاكُمُ يَخِبِ

امر عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه:

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعَوانة في إسنادهما أنّ عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال: مَن غَيَّرَ غَيَّرَ الله مابه، ومن بَدَّل أسْخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غيّر وبدّل، أَيُعْزَلُ مثلُ سعد بن أبي وقّاص ويولى الوليد. وكان يتكلَّم بكلام لا يَدَعُهُ وهو: إنّ أصْدَقَ القول كتابُ الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشَرّ الأمور مُحْدَثاتُها، وكلّ مُحْدَثٍ بِدْعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلّ ضلالة، في النار.

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إنّه يَعِيبك ويطعن عليك، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه، وشيّعه أهلُ الكوفة، فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن، فقالوا له: جُزِيْتَ خيراً، فلقد علَّمتَ جاهلَنا وثبّتَّ عالمنا، وأقرأتَنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، فنِعْمَ أخو الإسلام أنت، ونِعْم الخليلُ، ثم ودّعوه وانصرفوا وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ فلما رآه قال: ألا أنّه قَدِمَتْ عليكم دُوَيْبة سُوءٍ من تَمْشِ على طعامه يقيء ويسْلَحْ، فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكنّي صاحب رسول الله ﷺ يومَ بدر، ويوم بيعة الرِضْوان، ونادت عائشة، أي عثمان، أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ؟ ثم أمر عثمان به فأُخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً، وضرب به عبد الله بن زَمْعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ الأرضَ، ويقال بل احتمله يحمومُ غلام عثمان ورِجْلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدُقَّ ضِلْعه، فقال عليٌّ: ياعثمان أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة؟ فقال: مابقول الوليد فعلتُ هذا، ولكن وجّهْت زُبيد بن الصَلْت الكندي إلى الكوفة فقال له ابن مسعود: إنّ دم عثمان حلال، فقال عليّ أَحَلْتَ من زبيد على غير ثقة، وقال ابن الكلبي: زُبيد بن الصَلتْ أخو كَثير بن الصلت الكندي.

وقام عليّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزلَه، فأقام ابن مسعود بالمدينة لايأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي، وأراد حين برِىء الغَزْوَ فمنعه من ذلك؛ وقال له مروان: إنّ ابن مسعود أفسد عليك العراق أفتريد أن يفسد عليك الشام؟ فلم يبرح المدينة حتى تُوّفي قبل مقتل

عثمان بسنتين، وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين؛ وقال قوم إنّه كان نازلاً على سعد بن أبي وقّاص.

ولما مرض ابن مسعود مرضَه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال: ماتشتكي؟ قال: ذنوبي قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربّي، قال: ألا أدعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا آمر لك بعَطائك؟قال: مَنَعْتَنِيْهِ وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستَغْنٍ عنه؟ قال: يكون لولدك،قال: رزقهم على الله قال: استغفِرْ لي ياأبا عبد الرحمن، قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقّي، وأَوْصَى أن لايصلّي عليه عثمان، فدُفن بالبَقِيع وعثمان لايعلم، فلما علم غضب وقال: سبقتموني به، فقال له عمّار بن ياسر: إنّه أوصى أن لاتصلّي عليه؛ وقال الزُبير:

لأعْرِفَنَّكَ بعد الموتِ تَنْدُبُني   وفي حياتيَ ما زَوَّدْتَّني زادي[1]

وكان الزبير وَصيَّ ابن مسعود في ماله وولده، وهو كلَّم عثمان في عَطائه بعد وفاته حتى أخرجه لولده، وأوصى ابن مسعود أن يصلّي عليه عمّار بن ياسر، وقوم يزعمون أنّ عمّاراً كان وصِيَّهُ، ووصِيَّهُ الزبير أثبت.

وحدثني اسحاق الفروي أبو موسى حدثنا عبد الله بن إدريس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن رجل نسيه اسحاق قال: دخل عثمان على ابن مسعود في مرضه فاستغفر كلّ واحد منهما لصاحبه، فلما انصرف عثمان قال بعض من حضر: إنّ دمه لحلال، فقال ابن مسعود: مايَسرُّني أَنَّني سَدَّدت إليه سهماً يُخْطِئه وأنّ لي مثلَ أُحُدٍ ذهباً.

١ ـ ديوان عبيد بن الأبرص ط.دار صادر ص٦٣.

وقال الواقدي: مات عبد الله بن مسعود في سنة اثنتين وثلاثين وله بضع وستّون سنة، ودُفن بالبَقِيع، وكان نحيفاً قصيراً، شديد الأدْمة، يُغَيِّر شَيْبَه، ويُكنى أبا عبد الرحمن.

أمر الحمى وغيره:

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري: أنّ عثمان حَمى النَقِيع لخيل المسلمين، وكان يحمل في كلّ سنة على خمسمائة فرس وألف بعير، وكانت الإبل ترعى بناحية الرَبَذَة في حِمى لها؛ وقال الواقدي: النقيع على ليلتين من المدينة.

وقال أبو مخنف في إسناده: أُنكر على عثمان مع ماأُنكر أنْ حَمى الحِمى، وأن أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم من ألف ألف درهم حملها أبو موسى الأشعري وقال له: هذا حقُّك فقال أَسْلَم بن أَوْس بن بَجْرة الساعِدي من الخزرج، وهو الذي منع أن يُدفن عثمان بالبَقِيع:

أُقْسِمُ بالله رَبِّ العبادِ ... ما تَرَكَ الله خَلْقاً سُدَى
دَعَوْتَ اللَّعينَ فأَدْنَيْتَهُ ... خِلافاً لِسُنَّةِ مَنْ قد مَضَى

يعني الحَكَم:

وأَعْطَيْت مَرْوانَ خُمْسَ العِباد ... ظُلْماً لَهُمْ وَحَمَيْتَ الحِمَى
ومالٌ أَتاكَ بِهِ الأشْعَرِي ... مِنَ الفَيءِ أَنْهَبْتَهُ مَنْ تَرَى
فأَمّا الأمينانِ إذْ بَيَّنا ... مَنارَ الطريقِ عليه الصُوَى
فلم يأْخُذا دِرْهَماً غِيلَةً ... ولم يَصْرِفا درهماً في هوى

وحدثني مصعب بن عبد الله الزُبَيْري عن مالك بن أنس عن الزهري قال: وسَّع عثمانُ مسجدَ النبيِّ صلى الله عليه وسلّم فأنفق عليه من ماله عشرة آلاف درهم، فقال الناس: يوسّع مسجدَ رسول الله ويغيّر سُنّته.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: صلَّيت مع رسول الله ﷺ بمنىً ركعتين، ومع أبي بكر وعمر ومع عثمان صدراً من خلافته، ثم أتمّها أربعاً فتكلّم الناس في ذلك فأكثروا، وسئل أن يرجع عن ذلك فلم يرجع.

قال الواقدي: بلغنا أنّ عبد الرحمن بن عوف قال له: أَلَمْ تُصَلِّ مع رسول الله ﷺ بهذا المكان ركعتين، وصلّيت في خلافتك كذلك؟ قال: بلى، قال: فما هذا؟ قال: إنّي أُخبرك ياأبا محمد أَنّ بعض حجّاج اليمن وجُفاة الناس قالوا في عامنا هذا: إنّ صلاة المقيم أربعاً، وإنّ إمامنا عثمان قد اتّخذ بمكّة أهلاً فهو كالمقيم وقد صلّى اثنتين فرأيت أن أصلّي أربعاً، فقال عبد الرحمن: ياسبحان الله زوجتك بالمدينة تقدم بها إذا شئت وتخرجها إذا أردت، فعظم إنكار الناس لذلك وكانت تلك الحجّة في سنة تسع وعشرين، وكان أوّلَ فسطاطٍ ضرب بمنى فسطاطٌ ضُرِبَ له.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن اسماعيل بن محمد عن السائب بن يزيد قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج للصلاة أَذَّن المؤذِّنُ ثم يُقِيمُ، وكذلك كان الأمر على عهد أبي بكر وعمر وفي صدرٍ من أيّام عثمان، ثم إنّ عثمان نادى النداءَ الثالث في السنة السابعة، فعاب الناس ذلك وقالوا بدعة.

قال: وكان رَبيعة بن الحارث بن عبد المطّلب شريكَ عثمان في الجاهليّة، فقال العبّاس بن ربيعة بن الحارث لعثمان: اكتُب إلى ابن عامر يُسلفني مائة ألف درهم، فكتب له فأعطاه مائة ألف درهم صِلَةً، وأقطعه دارَ العبّاس بن ربيعة فهي تُعرف به.

أمر سعيد بن العاص بن أبي أحيحة وولايته الكوفة بعد الوليد:

حدثنا عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال: لما عزل عثمان بن عفان رضي الله عنه الوليدَ بن عقبة عن الكوفة ولّاها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها، فكان يجالس قُرّاءها ووجوهَ أهلها ويسامرهم، فيجتمعُ عنده منهم: مالك بن الحارث الأَشْتَر النَخَعي، وزيد وَصَعْصَعَة ابنا صُوحان العَبْدِيّان، وحُرقُوص بن زُهير السَعْدي، وجُنْدب بن زهير الأزدي، وشُريح بن أَوْفَى بن يزيد بن زاهر العَبْسي، وكعب بن عَبْدة النَهْدي ـ وكان يقال لعَبْدة بن سعد ذو الحَبَكة، وكان كعب ناسكاً، وهو الذي قتله بُسْر بن أبي أَرْطأة بتَثْليث[1] ـ وعدِيّ بن حاتِم الجواد بن عبدالله بن سعد بن الحَشْرَجُ الطائيّ ويكنى أبا طَريف، وكدام بن حَضْرَميّ بن عامر أحدبني مالك بن مالك بن ثَعْلَبة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزيمة، ومالك بن حَبيب بن خِراش من بني ثعلبة بن يَرْبُوع، وقيس بن عُطارد بن حاجب بن زُرَارة بن عُدسُ بن زيد بن عبدالله بن دارِم، وزياد بن خَصَفة بن ثَقْف من بني تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة، ويزيد بن قيس

---

١ ـ مكان قرب مكة. معجم البلدان.

الأَرْحَبي وغيرهم ؛ فإنّهم لَعِنْدَه وقد صلّوا العصر إذ تذاكروا السَّواد والجبلَ ففضّلوا السواد وقالوا: هو ينبت ما ينبت الجبل، وله هذا النخل، وكان حسّان بن محْدُوج بن بِشْر بن حَوْط بن سَعْنة الذُهْلي الذي ابتدأ الكلام في ذلك ، فقال عبد الرحمن بن خُنيس الأسدي صاحب شرطه : لوددتُ أنّه للأمير وأنّ لكم أَفْضَلَ منه ، فقال له الأشتر : تَمَنَّ للأمير أفضل منه ولا تَمَنَّ له أموالنا ، فقال عبد الرحمن : ما يضُرّك مِن تَمَنِّيَّ حتى تَزْوِيَ ما بين عينيك ؟ فوالله لو شاء كان له ، فقال الأشتر : والله لو رام ذلك ما قدر عليه ، فغضب سعيد وقال : إنّما السواد بستان لقريش ، فقال الأشتر : أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك ؟ والله لو رامه أحد لقُرِع قرعاً يتصأصأ[1] منه ، ووثب بابن خُنيس فأَخَذَتْهُ الأَيْدِي ، فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال : إنّي لا أُمْلِك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الذين يُدْعَون القُرّاء - وهم السُفَهاء - شيئاً ؛ فكتب إليه أن سَيِّرْهم إلى الشام ، وكتب إلى الأشتر : إنّي لأراك تُضْمِرُ شيئاً لو أظهرته لحلّ دمك ، وما أظنّك مُنْتَهياً حتى تصيبك قارعةٌ لا بُقْيا بعدها ، فإذا أتاك كتابي هذا فسِرْ إلى الشام لإفسادك مَن قِبَلك وأنّك لا تألوهم خَبالاً ، فسَيَّر سعيدٌ الأشترَ ومن كان وثب مع الأشتر وهم : زيد وصَعْصَعة ابنا صُوحان ، وعائذ بن حَمَلة الطُهَوِيّ من بني تميم ، وكُميل بن زياد النَخَعي ، وجُندب بن زهير الأزدي ، والحارث بن عبدالله الأعور الهَمْداني من بني حُوث بن سَبُع بن صَعْب إخوة السَّبِيع بن سَبُع بن صَعْب ويزيد بن المكفّف النَخَعي ،

---

١ - صأصأ : خاف وذل . القاموس .

وثابت بن قيس [بن] المُنْقَع بن الحارث النخعي ، وأَصْعَر بن قيس بن الحارث بن وقّاص الحارثي من بني المُعَقَّل .

فكتب جماعة من القُرّاء إلى عثمان منهم : مَعْقِل بن قيس الرِياحي ، وعبدالله بن الطُفيل العامِري ، ومالك بن حَبيب التميمي ، ويزيد بن قيس الأَرحبي ، وحُجْر بن عَدِيّ الكندي ، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي ، وسليمان بن صُرَد الخُزاعي ، ويُكنى أبا مُطَرِّف ، والمسَيَّب بن نَجَبَة الفَزَاري ، وزيد بن حِصْن الطائي ، وكعب بن عَبْدة النَهْدي ، وزياد بن النَضْر بن بشْر بن مالك بن الدَيّان الحارثي ، ومَسْلَمة بن عَبْدٍ القاريُّ من القارة من بني الهون بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة ، أنّ سعيداً كثر على قوم من أهل الوَرَع والفضل والعَفاف فَحَمَلَك في أمرهم على ما لا يحلّ في دين ، ولا يحسن في سماع ، وإنّا نُذكّرك الله في أُمّة محمد فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك ، لأنّك قد حملت بني أبيك على رقابهم ، وآعلم أنّ لك ناصراً ظالماً ، وناقماً عليك مظلوماً ، فمتى نصرك الظالم ونقم عليك الناقم تباينَ الفريقان واختلفت الكلمة ، ونحن نُشهد عليك الله وكفى به شهيداً ، فإنّك أميرُنا ما أطعتَ الله واستقمت ، ولن تَجِدَ دون الله مُلْتَحَداً ولا عنه مُنْتَقَذاً . ولم يُسَمِّ أحدٌ منهم نفسَه في الكتاب ، وبعثوا به مع رجل من عَنَزَةُ يكنى أبا ربيعة ، وكتب كعب بن عَبْدة كتاباً من نفسه تسمّى فيه ودفعه إلى أبي ربيعة .

فلما قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن اسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يخبره ، فأراد ضَرْبَه وحَبْسَه ، فمنعه عليٌّ من ذلك وقال : إنّما هو رسول أدّى ما حمل ؛ وكتب عثمان إلى سعيد أن يضرب كعبَ بن عَبْدة عشرين

سوطاً ويُحوّل ديوانه إلى الرَيّ ففعل ، ثم إنّ عثمان تحوَّبَ وندم فكتب في إشخاصه إليه ففعل ، فلما ورد عليه قال له : إنّه كانت مِنّي طَيْرة ، ثم نزع ثيابه وألقى إليه سوطاً وقال : اقتَصّ ، فقال : قد عفوتُ يا أمير المؤمنين .

ويقال إنّ عثمان لما قرأ كتاب كَعْب كتب إلى سعيد في إشخاصه إليه ، فأشخصه إليه مع رجل أعرابيّ من أعراب بني أُسَد ، فلما رأى الأعرابيّ صلاته وعرف نسكه وفضله قال :

ليت حظّي من مَسيري بِكَعْبِ عَفْـوُهُ عنّي وغُفْـرانُ ذنبي

فلما قدم به على عثمان قال عثمان: لأن تَسْمَع بالمُعَيْدِيّ خيرٌ من أن تراه ، وكان شاباً حديث السنّ نحيفاً ، ثم أقبل عليه فقال : أأنت تعلّمني الحقّ وقد قرأتُ كتابَ الله وأنت في صُلْبِ رجلٍ مشركٍ ، فقال له كعب : إنّ إمارة المؤمنين إنّما كانت لك بما أَوْجَبَتْه الشُورَى حين عاهدتَ الله على نفسك لتسيرنّ بسيرة نبيّه لا تقصّر عنها ، وإنْ يشاورونا فيك ثانيةً نَقَلْناها عنك ، يا عثمان إنّ كتاب الله لمن بلغه وقرأه ، وقد شركناك في قراءته ، ومتى لم يعمل القارىء بما فيه كان حُجّةً عليه ، فقال عثمان : والله ما أظنّك تدري أين ربّك فقال : هو بالمِرْصاد ، فقال مروان : حِلْمُك أغرى مثلَ هذا بك وجَرّأه عليك ، فأمر عثمان بكعب فجُرّد وضُرب عشرين سوطاً وسيّره إلى دُباوَنْد ، ويقال إلى جبل الدُّخان[1] ؛ فلما ورد على سعيد حمله مع بُكير بن حُمْران الأَحْمَري فقال الدهقان الذي ورد عليه : لِمَ فُعل بهذا الرجل ما أرى ؟ قال بُكير : لأنّه شرير ، فقال : إنّ قوماً هذا من شرارهم لَخيارٌ .

١ ـ هما سواء انظر مادة «دنباوند» في معجم البلدان .

ثم إنّ طلحة والزبير وّبخا عثمان في أمر كعب وغيرهِ ، وقال طلحة : عند غِبّ الصَّدَرِ تُحْمَدُ عاقبة الوِرْد ، فكتب في ردّ كعب رضي الله تعالى عنه وحَمْله إليه فلما قدم عليه نزع ثوبه وقال : يا كعب اقْتَصّ ، فعفا رضي الله عنهم أجمعين .

أمر المسيّرين من أهل الكوفة إلى الشام :

قالوا : لما خرج المسيَّرون من قُرّاء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق نزلوا مع عمرو بن زُرارة ، فَبَرَّهم معاوية وأكرمهم ، ثم إنّه جرى بينه وبين الأشتر قول حتى تغالظا ، فحبسه معاوية ، فقام عمرو بن زرارة فقال : لئن حبسته لتجدنّ مَن يمنعه ، فأمر بحبس عمرو ، فتكلَّم سائر القوم فقالوا : أَحْسِن جِوارنا يا معاوية ، ثم سكتوا فقال معاوية : ما لكم لا تَكلَّمون ؟ فقال زيد بن صُوحان : وما نصنع بالكلام لئن كنّا ظالمين فنحن نتوب إلى الله ، وإن كنّا مظلومين فإنّا نسأل الله العافية ، فقال معاوية : يا أبا عائشة أنت رجلُ صدقٍ ، وأَذِن له في اللحاق بالكوفة ؛ وكتب إلى سعيد بن العاص : أمّا بعد فأنّي قد أذنت لزيد بن صُوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقَصده وحسن هديه ، فأَحْسِن جواره وكُفّ الأذى عنه وأَقْبِلْ إليه بوجهك وودِّك فإنه قد أعطاني مَوْثِقاً أن لا ترى منه مكروهاً ، فشكر زيد معاويةَ وسأله عند وداعه إخراج مَن حبس ففعل . وبلغ معاوية أنّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشتر وأصحابه ، فكتب إلى عثمان : إنّك بعثت إليّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه ولا آمنُ أن يُفسدوا طاعةَ من قِبَلي ويعلّموهم ما لا يُحسنونه حتى تعود سلامتُهم غائلةً واستقامتهم اعْوِجاجاً ، فكتب إلى

معاوية يأمره أن يسيِّرهم إلى حمص ففعل ، وكان واليها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة . ويقال إنّ عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضجّ منهم سعيد ثانيةً ، فكتب في تسييرهم إلى حمص فنزلوا الساحل .

قالوا : وكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى أُمرائه في القدوم عليه للذي رأى من ضجيج الناس وشَكِيَّتهم ، فقدم عليه معاوية من الشام ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح من المغرب ، وعبدالله بن عامر بن كُريز من البصرة ، وسعيد بن العاص من الكوفة ، فأمّا معاوية فقال له : أَعِذْني وعُمّالَك إلى أعمالنا وخُذْنا بما تحت أيدينا ، وأشار عليه أيضاً بالمسير إلى الشام فأبى وقال : لا أخرج من مُهاجَر رسول الله وجوار قبره ومسكن أزواجه ، فعرض عليه أن يوجّه إليه جيشاً يقيم معه فيمنع منه فقال : لا أكون أوّلَ من وطيء أصحاب رسول الله ﷺ وأنصاره بجيش ؛ وأمّا سعيد بن العاص فقال له : إنّما دعا الناسَ إلى الشكيّة وسوء القول الفراغُ فاشْغَلْهم بالغزو ، وأمّا ابن عامر فقال : إنّ الناس نقموا عليك في المال فأَعْطِهم إيّاه ، فَرَدَّهُمْ إلى أعمالهم .

وقال عليّ : يا عثمان إنّ الحقّ ثقيل مَرِيءٌ ، وإنّ الباطل خفيف وبيءٌ ، وإنّك متى تُصْدَقْ تَسخَطْ ، ومتى تُكْذَبْ تَرْضَ ؛ وقال له طلحة : إنّك قد أحدثت أحداثاً لم يكن الناسُ يعهدونها ، فقال عثمان : ما أحدثتُ حدثاً ولكنّكم أَظِنّاءُ تُفسدون عليَّ الناس وتؤلّبونهم .

وكان عِلْباء بن الهَيْثَم السَدُوسي قد شخص مع سعيد بن العاص إلى المدينة ليقرّظه ويُثْني عليه لأنّه سأله ذلك ، وأَحَبَّ عِلْباءُ أيضاً أن يلقي عليّاً ويعلمَ حالَ عثمان وما يكونُ منه ، فلما رأى أنّ عثمان قد عزم على ردّ عُمّاله

تعجَّل إلى الكوفة على ناقةٍ له ، فلما قدمها قال : يا أهل الكوفة هذا أميركم الذي يزعم أنّ السواد بستان له قد أقبل ، واغتنم أهلُ الكوفة غيبة معاوية عن الشام ، فكتبوا إلى إخوانهم الذين بِحِمْص مع هانِىء بن خَطّاب الأَرْحَبي يدعونهم إلى القدوم ويشجّعونهم عليه ويُعلمونهم أنّه لا طاعة لعثمان مع إقامته على ما يُنْكَر منه ، فسار إليهم هانىء بن خطّاب مُغِذاً للسير راكباً للفَلاة ، فلما قرأوا كتاب أصحابهم أقبل الأشتر والقوم المسيّرون حتى قدموا الكوفة ، فأعطاه القُرّاء والوجوه جميعاً مواثيقهم وعهودهم أن لا يَدَعوا سعيد بن العاص يدخل الكوفة والياً أبداً ، وكان الذين كتبوا مع هانىء بن خطّاب : مالك بن كعب بن عبدالله الهَمْداني ثم الأَرْحَبي ، ويزيد بن قيس بن ثُمامة الأَرْحَبي ، وشُرَيْح بن أوفى العَبْسي ، وعبدالله بن شَجَرة السُلَمي ، وجَمْرة بن سِنان الأسدي ، وحُرْقُوص بن زُهير السَّعْدي ، وزياد بن خَصَفة التَّيْمي ، وعبدالله بن قَفَل البكري ثم التيمي ، وزياد بن نَضْر الحارثي ، وعمرو بن شرحبيل أبو مَيْسَرة الهمداني ، وعَلْقَمة بن قيس النَخَعي في رجال أشباههم .

وقام مالك بن الحارث الأشتر يوماً فقال : إنّ عثمان قد غيّر وبدّل ، وحضّ الناس على منع سعيد من دخول الكوفة ، فقال له قَبِيصة بن جابر بن وهب الأَسَدي من ولد عَمِيرة بن جدار : يا أشتر دامَ شَتَرُك ، وعَفَا أثرك ، أَطَلْتَ الغيبة ، وجئت بالخَيْبة ، أتأمرنا بالفرقة والفتنة ونكث البيعة وخلع الخليفة ؟ فقال الأشتر : يا قَبيصة بن جابر وما أنت وهذا ، فوالله ما أسلم قومك إلّا كرهاً ولا هاجروا إلّا فقْراً ، ثم وثب الناس على قبيصة فضربوه

وجرحوه فوق حاجبه ، وجعل الأشتر يقول : لا حُرَّ بوادي عَوْفٍ[١] ، مَنْ لا يَذُدْ عن حَوْضِهِ يُهَدَّم[٢] ؛ ثم صلّى بالناس الجمعة وقال لزياد بن النَضْر : صَلِّ بالناس سائر صلواتهم والزم القصر ، وأَمَرَ كميل بن زياد فأخرج ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري من القصر ، وكان سعيد بن العاص خلَّفه على الكوفة حين شخص إلى عثمان ، وعسكر الأشترُ بين الكوفة والحيرة وبعث عائذَ بن حَمَلة في خمسمائة إلى أسفل كَسْكَرَ مَسلْحَةً بينه وبين البصرة ، وبعث جمرة بن سِنان الأسدي في خمسمائة إلى عَيْنِ التَمْر ليكون مسلحة بينه وبين الشام ، وبعث هانيء بن أبي حَيّة بن عَلقمة الهمداني ثم الوادِعي إلى حُلْوان في ألف فارس ليحفظ الطريق بالجبل ، فلقي الأكراد بناحية الدِينَور وقد أفسدوا فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبعث الأشتر إيضاً يزيد بن حُجَيّة التيمي إلى المدائن وأرض جُوخَى ، وولّى عُرْوة بن زيد الخيل الطائيّ ما دون المدائن ، وتَقَدَّمَ إلى عُمّاله أن لا يَجْبوا درهماً وأن يسكّنوا الناس وأن يضبِطوا النواحي ، وبعث مالكَ بن كعب الأرحبي في خمسمائة فارس ومعه عبدالله بن كَباثة أحد بني عائذالله بن سعد العَشيرة بن مالك بن أُدَد بن زيد إلى العُذيب لِيلقَى سعيد بن العاص ويردّه ، فلقي مالك بن كعب الأرحبي سعيداً فردّه وقال : لا والله لا تشرب من ماء الفرات قطرة ، فرجع إلى المدينة فقال له عثمان : ما وراءك ؟ قال : الشرّ ، فقال عثمان : هذا كلّه عمل هؤلاء يعني عليّاً والزبير وطلحة .

١ ـ أي كل من صار في ناحيته خضع له وذل . كتاب الأمثال لأبي عبيد ص ٩٤ ـ المثل (٢١٣) .

٢ ـ من قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وأنهب الأشترُ دارَ الوليد بن عقبة وكان فيها مال سعيد ومتاعه حتى قُلعت أبوابها ، ودخل الأشتر الكوفةَ فقال لأبي موسى : تولَّ الصلاة بأهل الكوفة ، ولْيَتَولَّ حُذيفةُ السَواد والخراج .

وكتب عثمان إلى الأشتر وأصحابه مع عبد الرحمن بن أبي بكر ، والمِسْوَر بن مَخْرَمة يدعوهم إلى الطاعة ويُعلمهم أنّهم أوّلُ مَن سَنّ الفرقة ويأمرهم بتقوى الله ومُراجعة الحق والكتاب إليه بالذي يُحبّون ، فكتب إليه الأشتر : من مالك بن الحارث إلى الخليفة المبتلى الخاطىء الحائد عن سنّة نبيّه ، النابذ لحُكم القرآن وراءَ ظهره ، أمّا بعد فقد قرأنا كتابك فَانْهَ نفسَكَ وعُمَّالَكَ عن الظلم والعُدْوان وتسيير الصالحين نَسْمَحْ لك بطاعتنا ، وزعمتَ أنّا قد ظلمنا أنفسنا وذلك ظنّك الذي أرداك فأراك الجَوْرَ عدلاً والباطل حقاً ، وأمّا مَحَبَّتُنا فأن تَنْزِعَ وتتوب وتستغفر الله مِن تَجَنِّيك على خيارنا وتسييرك صلحاءَنا وإخراجك إيّانا من ديارنا وتوليتك الأحداث علينا ، وأن تُوَلِّيَ مصرنا عبدالله بن قيس أبا موسى الأشعري وحُذيفة فقد رَضِيناهما ، واحْبِسْ عنّا وَليدك وسعيدك ومَن يدعوك إليه الهوى مِن أهل بيتك إن شاء الله والسلام .

وخرج بكتابهم يزيد بن قيس الأرْحَبي ومسروق بن الأَجْدَع الهمداني وعبدالله بن ابي سَبْرة الجُعْفي ، واسم أبي سبرة يزيد ، وعلقمة بن قيس أبو شِبْلْ النَخعي وخارِجة بن الصَلْت البُرْجُمي من بني تميم في آخرين ، فلما قرأ عثمان الكتاب قال : اللهمّ إنّي تائب ، وكتب إلى أبي موسى وحُذيفة : أنتما لأهل الكوفة رضىً ولنا ثِقَةٌ فتوليا أمرهم وقُومَا به بالحقّ ، غَفَرَ الله لنا ولكما ، فتولّى أبو موسى وحذيفة الأمر وسَكَّن أبو موسى الناس .

وقال عُتْبَة بن الوَغْل :

تَصَدَّقْ علينا يا بْنَ عَفّان وَٱحْتَسِبْ   وأَمِّرْ علينا الأَشْعَرِيَّ لياليَـا

فقال عثمان : نعم وشهوراً إن بقيتُ .

ذكر قول جبلة الأنصاري وجهجاه الغفاري لعثمان رضي الله عنه

قال الكلبي : هو رُخَيْلة بن ثَعْلَبة البياضي بَدْرِيٌّ .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده قال : مرّ عثمان بن عفّان على جَبَلة بن عمرو الساعِدي وهو على باب داره وقد أنكر الناس عليه ما أنكروا فقال له : يا نَعْثَلُ والله لأقتلنّك ولأحملنّك على قَلوصٍ جَرْباء ولأُخرجنّك إلى حَرّة النار ؛ ثم أتاه وهو على المنبر فأنزله وكان أوّل من اجترأ على عثمان وتجهّمه بالمنطق الغليظ ، وأتاه يوماً بجامعة فقال : والله لأَطْرَحنّها في عنقك أولتتركنّ بِطانتك هذه ، أطعمت الحارث بن الحَكَم السوق وفعلتَ وفعلت . وكان عثمان ولّى الحارث السوق فكان يشتري الجَلَبَ بحُكْمه ويبيعه بسَوْمه ، ويجبي مقاعد المتسّوقين ويصنع صنيعاً مُنكراً ، فكُلِّم في إخراج السوق من يده فلم يفعل ؛ وقيل لجبلة في أمر عثمان وسُئل الكَفّ عنه فقال : والله لا ألقى الله غَداً فأقول ﴿إنّا أَطَعْنا سادَتنا فأضلّونا السبيل﴾[1] .

وقال الواقدي في بعض إسناده : خطب عثمان في بعض أيّامه فقال له جَهْجاهُ بن سعيد الغِفاري : يا عثمان انزلْ نُدَرِّعْك عَباءَةً ونحملك على

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٦٧ .

شارف من الإبل إلى جبل الدُخان كما سَيَّرتَ خِيارَ الناس ، فقال له عثمان : قبحك الله وقبح ما جئت به ، وكان جَهْجاهُ متغيِّظاً على عثمان ، فلما كان يوم الدار دخل عليه ومعه عصاً كان النبيّ ﷺ يتخصرُّ بها فكسرها على رُكْبته ، فوقعت فيها الأكلة .

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن حدثني أبو الربيع سليمان بن داود الزَهْراني انبأنا حمّاد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يَسار أنّ جَهْجاهاً الغفاري دخل على عثمان فأخذ منه عصا النبيّ ﷺ التي كان يتخصرَّ بها فكسرها على ركبته فأخذته الأكلة في ركبته ؛ وكان جهجاه ممّن بايع تحت الشجرة ، رضي الله تعالى عنه .

أمر عمار بن ياسر العنسي رضي الله تعالى عنه :

حدثنا عبّاس بن هشام بن محمد عن أبي مخنف في إسناده قال : كان في بيت المال بالمدينة سَفَط فيه حلي وجوهر فأخذ منه عثمان ما حلَّى به بعض أهله ، فأظهر الناسُ الطعنَ عليه في ذلك وكلَّموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه ، فخطب فقال : لنَأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإنْ رَغِمَتْ أُنوف أقوام ، فقال له عليّ : إذاً تُمْنع من ذلك ويُحال بينك وبينه ، وقال عَمّار بن ياسِر : أُشهد الله أنّ أنْفِي أوّل راغم من ذلك ، فقال عثمان : أعَلَيَّ يا بن المَتْكاءِ[1] تجترىء ؟ خُذوه ، فأُخذ ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى غُشي عليه ثم أُخرج فحُمل حتى أُتي به منزل أمّ سَلَمة زوج رسول الله ﷺ فلم

---

١ ـ المتكاء : البظراء ، والمفضاة ، والتي لا تمسك البول . القاموس .

يصلِّ الظهر والعصر والمغرب ، فلما أفاق توضأ وصلّى وقال : الحمد لله ليس هذا أوّلَ يوم أُوذينا فيه في الله ؛ وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمّار حليفاً لبني مخزوم فقال : يا عثمان أمّا عليٌّ فاتّقَيْتَه وبني أبيه ، وأمّا نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيتَ به على التَلَف ، أمّا والله لئن مات لأقتلنّ به رجلاً من بني أميّة عظيم السُرّة ، فقال عثمان : وإنك لَها هنا يا بن القَسْرِيّة ، قال : فإنهما قَسْرّيتان ، وكانت أمّه وجدته قسرّيتين من بَجِيلة ، فشتمه عثمان وأمر به فأُخرج ، فأتى أمّ سلمة وإذا هي غضبت لعمّار ، وبلغ عائشةَ ما صنع بعمّار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثم قالت : ما أَسْرَعَ ما تركتم سُنّة نبيّكم وهذا شعره وثوبه ونعله ولم يَبْلَ بعدُ ، فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول ، فالتجّ المسجد وقال الناس : سبحان الله سبحان الله ؛ وكان عمرو بن العاص واجداً على عثمان لعزله إيّاه عن مصر وتوليته إيّاها عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح ، فجعل يُكثر التعجّب والتسبيح ، وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومَن مشى معه من بني مخزوم إلى أمّ سَلَمة وغضبُها لعمّار فأرسل إليها : ما هذا الجمع ؟ فأرسلت إليه : دع ذا عنك يا عثمان ولا تحمِلِ الناسَ في أمرك على ما يكرهون . واستقبح الناس فعله بعمّار ، وشاع فيهم ، فاشتدَّ إنكارهم له .

ويقال إنّ المقداد بن عمرو وعمّار بن ياسر وطلحة والزبير في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه ربَّه وأعلموه انّهم مواثبوه إن لم يُقْلِعْ ، فأخذ عمّار الكتاب وأتاه به ، فقرأ صدراً منه فقال له عثمان : أعَلَيَّ تقدمُ مِن بينهم ؟ فقال عمّار : لأنّي أنصحهم لك ،

فقال : كذبت يا بن سُمَيَّة ، فقال : وأنا والله ابن سميَّة وابن ياسر ، فأمر غلماناً له فمدّوا بيديه ورجليه ثم ضربه عثمان برجليه وهي في الخُفَّين على مذاكيره فأصابه الفَتْق ، وكان ضعيفاً كبيراً فغُشي عليه .

وقد قيل أيضاً إنّ عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل قبر عبدالله بن مسعود ، فغضب على عمّار لكتمانه إيّاه موته إذ كان المتولّي للصلاة عليه والقيام بشأنه ، فعندها وطىء عمّاراً حتى أصابه الفتق .

وكان محمد بن أبي بكر بن أبي قُحافة ، ومحمد بن أبي حُذيفة خرجا إلى مصر عامَ خرج عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح إليها ، فأظهر محمد بن أبي حذيفة عَيْبَ عثمان والطعنَ عليه وقال : استعمل عثمان رجلاً أباح رسولُ الله ﷺ دمه يوم الفتح ونزل القرآن بكفره حين ﴿قال سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله﴾[1] .

وكانت غزاة ذات الصَواري في المحَّرم سنة أربع وثلاثين وعليها عبدالله بن سعد فصلّى بالناس ، فكبّر ابن أبي حُذيفة تكبيرة أفزعه بها فقال : لولا أنّك حَدَثٌ أحمق لقاربت بين خَطْوك ، ولم يزل يبلغه عنه وعن ابن أبي بكر ما يكره ، وجعل ابن أبي حذيفة يقول : يا أهل مصر إنّا خَلَّفنا الغَزْوَ وراءَنا يعني غزو عثمان ؛ وقد كان عثمان رضي الله تعالى عنه ضربَ ابن أبي حذيفة في الشراب فاحتمل عليه لذلك حقداً وحنقاً وهو كان ربّاه بعد مقتل أبيه باليَمامة ، فكتب ابن أبي سَرْح إلى عثمان إنّ محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة قد أنْغلا عليَّ المغرب وأفسداه ، فكتب إليه عثمان : أمّا محمد بن

---

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٩٣ .

أبي بكر فإنّي أَدّعه لأبي بكر الصدّيق وعائشةَ أمّ المؤمنين ، وأمّا محمد بن أبي حذيفة فإنّه ابني وابن أخي وأنا ربيّته وهو فَرْخ قريش .

وحدثني خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كيسان عن عمر بن عبد العزيز أنّ محمد بن أبي حذيفة ، ومحمد بن أبي بكر حين أكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر وعليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ووافقا بمصر محمد بن طلحة بن عبيدالله وهو مع عبدالله بن سعد ، وأنّ ابن أبي حُذيفة شهد صلاة الصبح في صبيحة الليلة التي قدم فيها ففاتته الصلاة فجهر بالقراءة ، فسمع ابن أبي سرح قراءته فسأل عنه فقيل رجل أبيض طوال وضيء الوجه ، فأمر إذا صلّى أن يُؤتى به ، فلما رآه قال : ما جاء بك إلى بلدي ؟ قال : جئت غازياً قال : ومن معك ؟ قال محمد بن أبي بكر ، فقال ؛ والله ما جئتما إلاّ لتُفسدا الناس وأمر بهما فسُجنا ، فأرسلا إلى محمد بن طلحة يسألانه أن يكلّمه فيهما لئلاّ يمنعهما من الغزو ، فأطلقهما ابن أبي سرح ، وغزا ابن أبي سرح إفريقية فأعدّ لهما سفينة مُفَردة لئلاّ يُفسدا عليه الناس ، فمرض ابن أبي بكر فتخلّف وتخلّف معه ابن أبي حُذيفة ، ثم إنّهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلاّ وقد أوغرا صدورَ الناس على عثمان ، فلما وافى ابنُ أبي سَرْح مصرَ وافاه كتاب عثمان بالمصير إليه ، فشخص إلى المدينة ، وخلَّف على مصر رجلاً كان هواه مع ابن أبي بكر ، وابن أبي حُذيفة ، فكان ممّن شايعهم وشجّعهم على المسير إلى عثمان .

قالوا : وبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجملٍ عليه كسوة فأمر به فُوضع في المسجد وقال : يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان

يخادعني عن ديني ويَرْشوني عليه ، فازداد أهلُ مصر عَيْباً لعثمان وطعناً عليه ، واجتمعوا إلى ابن أبي حذيفة فرأَّسوه عليهم ؛ فلما بلغ عثمان ذلك دعا بعمّار بن ياسر فاعتذر إليه ممّا فعل به واستغفر الله منه وسأله أن لا يحقده عليه وقال : بحسبك مِن سلامتي لك ثقتي بك ، وسأله الشخوصَ إلى مصر ليأتيه بصحّة خبر ابن أبي حذيفة وحقِّ ما بلغه عنه من باطله ، وأَمَرَه أن يقوم بعُذره ويَضْمَنَ عنه العُتْبَى لِمن قدم عليه ، فلما ورد عمّار مصر حرّض الناسَ على عثمان ودعاهم إلى خلعه وأشعلها عليه ، وقوّى رأيَ ابن أبي حُذيفة وابن أبي بكر وشجّعهما على المسير إلى المدينة ، فكتب ابنُ أبي سرح إلى عثمان يعلمه ما كان من عمّار ويستأذنه في عقوبته ، فكتب إليه : بِئس الرأيُ رأيتَ يا بن أبي سرح ، فأَحْسِن جهاز عمّار واحمله إليَّ ، فتحرّك أهلُ مصر وقالوا : سُيِّر عمّار ، ودَبّ فيهم ابنُ أبي حذيفة ودعاهم إلى المسير فأجابوه .

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن المُقْرِىء وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي قالا : حدثنا بَهْز بن أسد حدثنا حُصين بن نُمير عن جُهيم الفِهْري قال : أنا حاضر أمرْ عثمان ، قال : فجاء سعد وعمّار ومعهما من معهما إلى باب عثمان فأرسلوا إلى عثمان : إنّا نريد أن نذاكرك أشياء أحدثْتها ، فأرسل إليهم : إنّي مشغول عنكم اليوم فانصرِفوا يومَكم وعودوا يوم كذا ، فانصرف سعد ولم ينصرف عمّار ، وأعاد الرسول إلى عثمان ، فردّ عليه مثلَ القول الأوّل ، فأبى أن ينصرف فتناوله رسول عثمان ، فلما اجتمعوا للميعاد قال لهم عثمان : ما تنقمون عليَّ ؟ قالوا : أوّل ذلك ضربُك عمّاراً ، فقال : تناوله رسولي بغير رضائي وأمري ، وذكر كلاماً بعد ذلك .

أمر أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه : من بني كنانة بن خُزيمة .

قالوا : لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه . وأعطى الحارثَ بن الحَكَم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم ، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم جعل أبو ذَرّ يقول بَشِّر الكانزين بعذاب أليم ويتلو قول الله عزّوجلّ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وٱلفِضَّة﴾ الآية[١] فرفع ذلك مروان بن الحَكَم إلى عثمان فأرسل إلى أبي ذَرّ ناتلا مولاه أن انْتَهِ عمّا يبلغني عنك فقال : أَيَنْهاني عثمان عن قراءة كتاب الله وعَيْبِ مَن ترك أمر الله ، فوالله لأن أُرضي الله بسُخْط عثمان أَحبُّ إليّ وخيرٌ لي من أن أُسخط الله برضاه ، فأغضب عثمان ذلك وأَحفَظَهُ ، فتصابر وكفّ .

وقال عثمان يوماً : أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أَيْسَرَ قَضَى ؟ فقال كعب الأحبار : لابأس بذلك ، فقال أبو ذَرّ : يا بن اليهوديين أُتعلّمنا ديننا ؟ فقال عثمان : ما أَكْثَرَ أَذاك لي وأَوْلَعَك بأصحابي ، اَلحَقْ بمَكْتَبك ، وكان مكتبه بالشام إلّا أنّه كان يقدم حاجّاً ويسأل عثمان الإذن له في مُجاوَرة قبر رسول الله ﷺ فيأذن له في ذلك ، وإنّما صار مَكْتَبُه بالشام لأنّه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سَلْعاً[٢] : إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا بلغ البناءُ سَلْعاً فالهَرَبَ» ، فأذَنْ لي آتِ الشام فأغزو هناك ، فأَذن له .

---

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٣٤ .
٢ ـ سلع جبل بالمدينة المنورة .

وكان أبو ذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، وبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار فقال : إن كانت من عَطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتُها ، وإن كانت صِلةً فلا حاجة لي فيها ، وبعث إليه حبيبُ بن مَسْلَمة الفِهْري بمائتي دينار فقال : أما وجدتَ أَهْوَنَ عليك منّي حين تبعث إليَّ بمال ؟ وردّها . وبنى معاوية الخَضْراءَ بدمشق فقال : يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة ، وإن كانت من مالكَ فهذا الإسراف ، فسكت معاوية .

وكان أبو ذرّ يقول : والله لقد حَدَثَتْ أعمالٌ ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ولا سُنَّةِ نبيّه ، والله إنّي لأَرَى حقاً يُطفأ ، وباطلاً يحيا ، وصادقاً يُكَذَّبُ . وأَثَرَةً بِغَيْرِ تُقى وصالحاً مُستأثراً عليه . فقال حبيب بن مَسْلمة لمعاوية : إنّ أبا ذَرّ مُفسدٌ عليك الشام فَتدارَكْ أهلَه إن كانت لكم به حاجة ، فكتب معاوية إلى عثمان فيه ، فكتب عثمان إلى معاوية : أمّا بعد فاحمل جُنْدباً إليّ على أغلظ مركب وأَوْعَرِهِ ، فوجّه معاوية من سار به الليلَ والنهارَ ، فلما قدم أبو ذَرّ المدينة جعل يقول : يستعمل الصبيانَ ويحمي الحِمَى ويقرّب أولاد الطلقاء ، فبعث إليه عثمان اَلحَقْ بأي أرض شئت ، فقال : بمكّة ، فقال : لا ، قال: فبيت المقدس ، قال : لا ، قال: فبأحد المصْرَين[1] ، قال : لا ، ولكني مُسَيِّرُكَ إلى الرَّبَذَة[2] ، فسيَّره إليها فلم يزل بها حتى مات .

---

١ ـ أي الكوفة والبصرة .
٢ ـ كانت الربذة محطة هامة على طريق الكوفة ـ المدينة المنورة .

ويقال إنّ عثمان قال لأبي ذرّ حين قدم من الشام : قُرْبُنا يا أبا ذرّ خير لك من بُعدنا يُغدَىٰ عليك باللقاح ويُراح فقال : لا حاجةَ لي في دنياكم ولكنّي آتى الرَبَذة ، فأذِن له في ذلك فأتاها ومات بها .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن الغاز حدثنا مكحول قال : قدم حبيب بن مَسْلَمة من أرْمينية فمرّ بأبي ذرّ بالرَبَذة فعرض عليه خادَمَيْنِ معه ونفقة فأبى قبولَ ذلك فقال له : ما أتى بك ها هنا ؟ قال : نفسي ، رأيت ما هاهنا اسْلَمَ لي .

حدثني محمد عن الواقدي عن عبدالله بن محمد بن سَمْعان عن أبيه أنّه قيل لعثمان إنّ أبا ذرّ يقول إنّك أخرجته إلى الرَبَذَة ، فقال : سبحان الله ما كان من هذا شيء قطّ ، وإنّي لأعرف فضله وقَديِمَ إسلامه وما كُنّا نعدُّ في أصحاب النبيّ ﷺ أَكَلَّ شوكةً منه .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف عن فُضيل بن خَديج عن كُميل بن زياد قال : كنت بالمدينة حين أمر عثمان أبا ذرّ باللحاق بالشام ، وكنت بها في العام المقبل حين سيّره إلى الرَبَذة .

وحدثني بكر بن الهَيْثَم عن عبد الرزّاق عن معمر عن قتادة قال : تكلَّم أبو ذرّ بشيء كرهه عثمان فكذّبه فقال : ما ظننت أنّ أحداً يكذّبني بعد قول رسول الله ﷺ : «ما أقَلَّت الغَبْراءُ ولا أطْبَقَتِ الخَضْراءُ على ذي لَهْجةٍ أَصْدَقَ من أبي ذَرّ» ، ثم سيّره إلى الرَبَذَة ، فكان أبو ذرّ يقول : ما ترك الحقُّ لي صديقاً ؛ فلما سار إلى الرَبَذَة قال : ردّني عثمان بعد الهجرة أعرابيّاً .

قال : وشيّعَ عليٌّ أبا ذرّ فأراد مروان منعه منه ، فضرب عليٌّ بسوطه بين أُذُنَي راحلته ، وجرى بين عليّ وعثمان في ذلك كلام حتى قال عثمان :

ما أنت بأفضل عندي منه ، وتغالظا ، فأنكر الناسُ قولَ عثمان ودخلوا بينهما حتى اصطلحا .

وقد رُوِي أيضاً أنّه لما بلغ عثمانَ موتُ أبي ذرّ بالرَبَذة قال : رحمه الله ، فقال عمّار بن ياسر : نعم فرحمه الله من كلّ أنفسنا ، فقال عثمان : يا عاضَّ أَيْرِ أبيه أتراني ندمتُ على تسييره ؟ وأمر فدُفع في قفاهُ وقال : الْحَقْ بمكانه ، فلما تهيّأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان فيه فقال له عليّ : يا عثمان اتّق الله فإنّك سيّرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك ، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نَظِيرَه ، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان : أنت أحقّ بالنَفْي منه ، فقال عليّ : رُمْ ذلك إن شئت ، واجتمع المهاجرون فقالوا : إن كنت كُلَّما كَلَّمَكَ رجل سيرته ونفيته فإنّ هذا شيء لا يسوغ ، فكفّ عن عمّار .

حدثني محمد عن الواقدي عن موسى بن عُبيدة عن [عبدالله بن] خراش الكَعْبي قال : وجدت أبا ذرّ بالربذة في مظَلَّة شَعرٍ فقال : مازال بي الأمْرُ بالمعروف والنهي عن المُنْكَر حتى لم يترك الحقُّ لي صديقاً .

حدثني محمد عن الواقدي عن شيبان النحوي عن الأعمش عن إبراهيم التَيْمي عن أبيه قال : قلتُ لأبي ذَرّ ما أنزلك الربذة قال : نصحي لعثمان ومعاوية .

محمد عن الواقدي عن طلحة بن محمد عن بشر بن حَوْشَب الفزاري عن أبيه قال : كان أهلي بالشَرَبَّة فجلبتُ غنماً لي إلى المدينة فمررت بالربذة وإذا بها شيخٌ أبيضُ الرأسِ واللحية ، قلت : من هذا ؟ قالوا : أبو ذرّ صاحب رسول الله ﷺ ، وإذا هو في حِفشٍ ومعه قطعةٌ من غنم ، فقلت :

والله ما هذا البلد بمحلَّةٍ لبني غِفار ، فقال : أُخرجتُ كارهاً ؛ فقال بشر بن حَوْشَب : فحدّثت بهذا الحديث سعيدَ بن المسيّب فأنكر أن يكون عثمان أخرجه وقال : إنّما خرج أبو ذرّ إليها راغباً في سكناها .

وقال أبو مخنف : لما حضرت أبا ذرّ الوفاة بالربذة أقبل ركْبٌ من أهل الكوفة فيهم جرير بن عبدالله البَجَلي ، ومالك بن الحارث الأشتر النَخَعي ، والأسود بن يزيد بن قيس بن يزيد النَخَعي ، وعلقمة بن قيس بن يزيد عمّ الأسود في عدّة آخرين فسألوا عنه ليسلّموا عليه فوجدوه وقد تُوفّي ، فقال جرير : هذه غنيمة ساقها الله إلينا ، فحنّطه جرير وكفنه ودفنه وصلّى عليه - ويقال بل صلّى عليه الأشتر - وحملوا امرأته حتى أتوا بها المدينة ، وكانت وفاته لأربع سنين بقيَتْ من خلافة عثمان ، وقال الواقدي : صلّى عليه ابنُ مسعود بالرَّبَذة في آخرِ ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين .

وحدثنا عفّان بن مسلم حدثنا مُعْتَمِر بن سليمان حدثنا أيّوب حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حُميد بن هلال أنّ رفقةً خرجوا من الكوفة لحِجَّةٍ أو عُمرةٍ فأتوا الرَبذة فبعثوا رجلاً يشتري لهم شاة ، فأتى على خِباءٍ فقال : هل عندكم جَزَرة ؟ فقالت أمّ ذرّ : أَوَ خيرٌ من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قالت : مات أبو ذرّ والناس خُلوف ، وليس عنده أحد يغسله ويُجنّه وقد دعا الله أن يوفّق قوماً صالحين يغسلونه ويدفنونه ، فرجع الرجل فأعلمهم فأقبلوا مسارعين ومعهم الكَفَن والحنوط فقاموا بأمره حتى أجنّوه .

وروى الواقدي عن هُشيم في إسناده أنّ أبا ذرّ رضي الله تعالى عنه مات فقالت امرأته : بينا أنا جالسة عنده وقد تُوفّي إذ أقبل ركْب فسلَّموا فقالوا : ما فعل أبو ذرّ ؟ قلت : هو هذا ميّتاً قد عجزتُ عن غسله ودَفْنِهِ ،

فأناخوا فحفروا له وغسلوه ، وأخرج جرير بن عبدالله حنوطاً وكفناً فحنّطه وكفنه ، ثم دفنوه وحملوها إلى المدينة ؛ فقالت حدثني أبو ذرّ قال : قال لي رسول الله ﷺ : «إنّك تموت بأرض غُرْبة وأُخْبَرني أنّه يلي دفني رهطٌ صالحون» .

وحُدّثتُ عن هشام[1] عن العّوام بن حَوْشب عن رجل من بني ثَعْلَبة بن سعد قال : رأيت أبا ذرّ وقوم يقولون له فَعَلَ بك هذا الرجل وفعل ، يعنون عثمان ، فهل أنت ناصبٌ لنا رايةً فتجتمع إليك الرجال ؟ فقال: لو أنّ ابن عفّان صلبني على أطول جذع لسمعتُ وأطعت واحتسبت وصبرت فانّه مَن أذلّ السلطان فلا توبة له ، فرجعوا .

قول عبد الرحمن بن عوف في عثمان رضي الله تعالى عنه :

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال : لما تُوفّي أبو ذرّ بالرَبَذَة تذاكر عليّ وعبد الرحمن بن عوف فِعْل عثمان فقال عليّ : هذا عَمَلُك ، فقال عبد الرحمن : إذا شئتَ فخُذ سيفك وآخُذُ سيفي ، إنّه قد خالف ما أعطاني .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن صالح عن عبيد بن رافع عن عثمان بن الشريد قال : ذُكر عثمان عند عبد الرحمن بن عوف في مرضه الذي مات فيه فقال عبد الرحمن : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه ، فبلغ ذلك عثمان ، فبعث إلى بئر كان يُسقى منها نَعَمُ عبد الرحمن بن عوف

---

١ ـ كذا ولعل الصواب هشيم ـ كما تقدم أعلاه .

فمنعه إيّاها ، فقال عبد الرحمن : اللهمّ اجعل ماءها غَوْراً ، فما وُجدت فيها قَطْرة .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبدالله عن أبيه عن عبدالله بن ثَعْلَبة بن صُعير أنّ عبد الرحمن بن عوف كان حلف ألّا يكلِّم عثمان أبداً .

وحدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن إبراهيم بن سعد عن أبيه أنّ عبد الرحمن أوصى أن لا يصلّي عليه عثمان ، فصلّى عليه الزبير ، أو سعد بن أبي وقّاص ، وتُوفّي سنة اثنتين وثلاثين .

أمر عامر بن عبد قيس بن ناشب العنبري من بني تميم :

قال أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره : كان عامر بن عبد قيس التميمي يُنكر على عثمان أمره وسيرته ، فكتب حُمران بن أبان مولى عثمان إلى عثمان بخبره ، فكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كُريز في حمله فحمله ، فلما قدم عليه فرآه ، وقد أعظم الناسُ إشخاصَهُ وإزعاجه عن بلده لعبادته وزهده ، ألطفه وأكرمه وردّه إلى البصرة ؛ وكان عثمان وجّه حُمران إلى الكوفة حين شكا الناسُ الوليدَ بن عقبة ليأتيه بحقيقة خبره فرشاه الوليد ، فلما قدم على عثمان كذَّب عن الوليد وقرّظه ، ثم إنّه لقي مروان فسأله عن الوليد فقال له : الأمر جليل ، فأخبر مروانُ عثمان بذلك ، فغضب على حُمران وغرّبه إلى البصرة لكذبه إيّاه وأقطعه داراً ، وكان يقال للوليد الأَشْعَرُ بَرْكاً ، والبَرْك الصدر .

أمر عبدالله بن الأرقم الزهري :

قال أبو مخنف : كان على بيت مال عثمان عبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مَناف بن زُهرة بن كِلاب ـ وبعض الرواة يقول : عبدالله بن الأرقم بن أُهَيب بن عبد مَناف بن زهرة ـ فاستسلف عثمان من بيت المال مائة ألف درهم وكتب عليه بها عبدالله بن الأرقم ذِكْرَ حَقٍّ للمسلمين وأشهد عليه عليّاً وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عمر ، فلما حلَّ الأجل ردّه عثمان ، ثم قدم عليه عبدالله بن خالد بن أَسيد بن أَبي العيص من مكّة وناسٌ معه غُزاةً ، فأمر لعبدالله بثلاثمائة ألف درهم ولكلِّ رجل من القوم بمائة ألف درهم وصَكَّ بذلك إلى ابن أرقم فاستكثره وردَّ الصكَّ له ، ويقال انّه سأل عثمان أن يكتب عليه به ذِكْرَ حقّ فأبى ذلك ، فامتنع ابن الأرقم من أن يدفع المال إلى القوم ، فقال له عثمان : إنما أنت خازن لنا فما حَمَلَك على ما فعلت ؟ فقال ابن الأرقم : كنت أراني خازناً للمسلمين ، وإنما خازنك غلامك ، والله لا أَلي لك بيتَ المال أبداً ، وجاء بالمفاتيح فعلَّقها على المنبر ، ويقال بل ألقاها إلى عثمان ، فدفعها عثمان إلى ناتل مولاه ، ثم ولّى زيد بن ثابت الأنصاري بيتَ المال وأعطاه المفاتيح ، ويقال إنّه ولّى بيت المال مُعَيْقِيب بن أبي فاطمة ، وبعث إلى عبدالله بن الأرقم ثلاثمائة ألف درهم فلم يقبلها .

مسير أهل الأمصار إلى عثمان واجتماعهم إليه مع من اجتمع من أهل المدينة :

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قالوا : التقى أهل الأمصار الثلاثة : الكوفة ، والبصرة ، ومصر في المسجد

الحرام قبل مقتل عثمان بعام ، كان رئيس أهل الكوفة كعب بن عَبْدة النَّهْدي ، ورئيس أهل البصرة المُثَنَّى بن مُخَرِّبة العَبْدي ورئيس [أهل] مصر كِنانة بن بِشْر بن عتّاب بن عوف السَكُوني ثم التُجِيبي ، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديلَه وتَرْكَهُ الوفاءَ بما أعطى من نفسه وعاهَدَ الله عليه وقالوا : لا يَسَعُنا الرضى بهذا ، فاجتمع رأيهم على أن يرجع كلٌّ واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسولَ من شهد مكّة من أهل الخلاف على عثمان إلى من كان على مثل رأيهم من أهل بلده ، وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره فيستعتبوه فإن أَعْتَبَ وإلّا رأوا رأيهم فيه ، ففعلوا ذلك ؛ فلما حضر الوقت خرج الأشتر إلى المدينة في مائتين ، وخرج حُكيم بن جَبَلة العَبْدي في مائة ولحق به بعد ذلك خمسون فكان في مائة وخمسين ، وجاء أهل مصر وهم أربعمائة ، ويقال خمسمائة ويقال سبعمائة ويقال ستّمائة ، عليهم أمراء أربعة : أبو عمرو [بن] بُديل بن وَرْقاء بن عبد العُزّى الخُزاعي على رُبْع ، وعبد الرحمن بن عُدَيس البَلَوي على ربع ، وكِنانة بن بِشْر التُجِيبي على ربع ، وعُرْوة بن شِيَيْم بن البيّاع الكِناني ثم اللَّيْثي على ربع ؛ فلما أتوا دار عثمان ، ووثب معهم رجال من أهل المدينة منهم : عمّار بن ياسر العَنْسي ، ورِفاعة بن رافع الأنصاري ـ وكان بَدْريّاً ـ والحجّاج بن غَزِيّة ـ وكانت له صحبة ـ وعامر بن بُكير أحد بني كنانة ، فحصروا عثمان الحصار الأوّل .

وقال الواقدي في إسناده : لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلى بعض يتشاكَوْن سيرة عثمان وتغييرَهُ وتبديله ، وما الناس فيه من عُمّاله وَيَكْثُرون عليه ويسأل بعضهم بعضاً أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد ، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يدفع

عن عثمان ولا يُنكر ما يقال فيه ، إلاّ زيد بن ثابت ، وأبو أُسيد الساعِدي ، وكعب بن مالك بن أبي كعب من بني سَلَمة من الأنصار ، وحسّان بن ثابت الأنصاري ، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان ويَعِظَه ، فأتاه فقال له : إنّ الناس ورائي قد كلّموني في أمرك ، والله ما أدري ما أقول لك ، ما أُعرّفك شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، وأنّك لَتعلم ما نعلم وما سبقناك إلى شيء فنُخْبِرَك عنه ، لقد صحبتَ رسول الله ﷺ وسمعت ورأيت مثل ما سمعنا ورأينا ، وما ابن أبي قحافة وابن الخطّاب بأَوْلَى بالحق منك ، ولأَنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً ، ولقد نِلْتَ من صِهْره ما لم يَنالا ، فالله الله في نفسك ، فإنَّك لا تُبَصَّرُ مِن عَمى ولا تُعَلَّم من جَهْل ؛ فقال له عثمان : والله لو كنتَ مكاني ما عَنَّفْتُك ولا أسلمتك ولا عَتَبْتُ عليك أنْ وصلتَ رحماً وسدَدت خلَّة وآويت ضائعاً وولّيتَ من كان عمر يولّيه ، نشدتُك الله ألم يُوَلِّ عمر المُغِيرة بن شُعْبة وليس هناك ؟ قال : نعم ، قال:أَوَلم يَولِّ معاويةَ ؟ فقال عليّ : إنّ معاوية كان أشدَّ خوفاً وطاعة لعمر من يَرفَأَ[1] ، وهو الآن يبتزّ الأمور دونك ، ويقطعها بغير علمك ويقول للناس : هذا أمر عثمان ، ويبلغك فلا تُغيّر ، ثم خرج وخرج عثمان بعده فصعد المنبر فقال : أمّا بعد فإنّ لكلّ شيء آفةً ، ولكلّ أمر عاهةً ، وإنّ آفة هذه الأمّة وعاهة هذه النِعمة عيّابون طعّانون يُرُونكم ما تُحبّون ، ويُسرّون لكم ما تكرهون مثل النَعام ، يتبعون أوّل ناعق ، أَحبُّ مواردهم إليهم البعيدُ ، والله لقد نقمتم عليّ ما أقررتم لابن الخطّاب بمثله ،

١ - بهامش الأصل : يرفأ غلام عمر .

ولكنّه وطئكم برجله وخبطكم بيده وقمعكم بلسانه فدِنْتم له على ما أحببتم وكرهتم ، وألَنْتُ لكم كَنَفي وكففتُ عنكم لساني ويدي فاجترأتم عليَّ ، فأراد مروان الكلام فقال له عثمان : اسكتْ ودَعْني وأصحابي .

وقال الواقدي في روايته : وكان محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حُذيفة لا يفتران من التحريض على عثمان بمصر ، فخرج عبد الرحمن بن عُديس البَلَوي ، وسُودان بن حُمْران المُرادي ، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي ، وعُروة بن شِيَيْم الليثي في خمسمائة ، وأظهروا أنهم يريدون العُمرة ، وكان خروجهم في رَجَب ، ووجّه عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح إلى عثمان بخبرهم رسولاً سار إحدى عشرة ليلة ، وساروا المنازل حتى نزلوا بذي خُشُب[1] ، فقال عثمان : هؤلاء يُظهرون أنّهم يريدون العُمرة ووالله ما يريدون إلاّ الفتنة ، لقد طال على الناس عمري ، ولئن فارقتُهم ليتمنَّوْن يوماً من أيّامي . فأتى عثمان عليّاً في منزله فقال له : يا بن عمّ إنّ قرابتي قريبة وحقّي عظيم ، والقوم فيما بلغني على أن يصبّحوني ليقتلوني ، وأنا أعلم أنّ لك عند الناس قدراً وأنهم يسمعون منك ، فأُحبّ أن تركب إليهم فتردّهم على أن أصيرَ إلى ما تُشير به وتراه ولا أخرج عن أمرك ولا أخالفك . فركب عليّ ومعه : سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل أبو الأعور ، وأبو الجَهْم [بن] حُذيفة العَدَوي ، وجُبير بن مُطْعِم ، وحَكيم بن حِزام ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عَتّاب بن أَسيد ، ومن الأنصار : أبو حُميد الساعِدي ، وأبو أُسيد الساعدي ، وزيد بن ثابت ، وحسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ،

١ ـ واد على ليلة من المدينة . المغانم المطابة .

ومحمد بن مَسْلَمة ـ وقال بعضهم : إنّ عمّار بن ياسر كان معهم ـ فكلّمهم عليٌّ ومحمد بن مسلمة حتى انصرفوا راجعين إلى مصر ، ثم لم يَنْشَبوا أن رجعوا وادّعوا أموراً ، فأقسم عثمان أنّه لم يفعلها .

وحدثني بكر بن الهيثم حدثني اسماعيل بن عبد الكريم ، من آل مُنّبه اليماني ، حدثني عبد الرزّاق عن مَعْمَر عن الزهري أنّ الناس كانوا يأتون عليّاً لسابقته وقرابته وفضله ، لا أنّه أراد ذلك منهم ، وكان مروان يأتي عثمان فيُخبره أنّه يؤلّب الناسَ عليه ويَعْصِب كلَّ شيء يكون من أهل مصر وغيرهم له ، وأبلغه عنه أنّ قوماً قدموا من مصر فاستقلّ عدّتَهم فقال لهم : ارجعوا فتأهبوا فإنّي باعثٌ إلى العراق مَن يأتيني من أهله بجيش يُبطل الله به هذه السيرة الجائرة ويُريح من مروان وذَوِيه ، فقال عثمان : اللهمّ إنّ عليّاً أبى إلاّ حُبَّ الإمارة فلا تُبارك له فيها .

محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جُريج ، وداود بن عبد الرحمن العطّار عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله أنّ المصريّين لما نزلوا بذي خُشُب بعث عثمان إليهم محمد بن مَسْلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم ، فلم يزل بهم حتى رجِعوا ، فرأوا بعيرا عليه مِيسَم الصدقة وعليه غلامٌ لعثمان فوجدوا معه كتاباً أن اقتلْ فلانا وفلانا ، فرجعوا فحصروه .

وروى أبو مخنف أنّ المصريّين وردوا المدينةَ فأحاطوا وغيرُهم بدار عثمان في المرّة الأُولى فأشرف عليهم عثمان فقال : أيّها الناس ما الذي نقمتم عليّ فإنّي مُعْتِبُكُم ونازلٌ عند محّبتكم ، فقالوا : زدت في الحِمَى لإبل الصدقة على ما حمى عمر فقال : إنّها زادت في ولايتي ، قالوا : أُحرقت كتابَ الله ، قال : اختلف الناس في القراءة فقال هذا : قرآني خير من قرآنك ، وقال

هذا : قرآني خير من قرآنك ، وكان حُذيفة أوّلَ من أنكر ذلك وأنْهاه إليّ ، فجمعتُ الناسَ على القراءة التي كُتبتْ بين يدي رسول الله ﷺ ، قالوا : فَلِم حرَّقْت المصاحف ، أما كان فيها ما يوافق هذه القراءة التي جمعتَ الناس عليها ، أفهَلّا تركتَ المصاحف بحالها ؟ قال ؛ أردتُ أن لا يبقى إلّا ما كُتب بين يدي رسول الله ﷺ وثبت في الصحف التي كانت عند حَفْصة زوج رسول الله ﷺ ، وأنا استغفر الله ؛ قالوا : فإنّك لم تشهد بَدْراً ، قال : خلَّفني رسول الله ﷺ على ابنته ، قالوا : لم تشهد بيعةَ الرضوان ، قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى مكّة فصفق عنّي بيده ، وشمالُ رسول الله ﷺ خير من يميني ، قالوا : فررت من الزَحْف[1] قال : فإنّ الله قد عفا عن ذلك ، قالوا : سيّرت خيارنا وضربت أبشارَنا وولّيت علينا سفهاء أهل بيتك ، قال : إنما سّيرتُ مَنْ سيَّرتُ من مخافة الفتنة فمن مات منهم فأرضَوا بالله حَكَماً بيني وبينه ومن بقي منهم فردّوه واقتصّوا منّي لمن ضربتُ ، وأمّا عُمّالي فمن شئتم عَزْلَه فاعزلوه ومن رأيتم إقراره فأقرّوه ، قالوا : فما المال الذي أعطيتَ قرابتك ؟ قال : اكتبوا به عَلَيَّ للمسلمين صَكاً لأُعجل منه ما قدرت على تعجيله وأسعى في باقيه ، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يحلّ دم امرىء مسلم إلّا بإحدى ثلاث زنىً بعد إحصان أو كُفر بعد إيمان ، أو أن يقتل رجلٌ رجلاً فيُقْتَل به»[2] ، ووالله ما زنيت في جاهليّة ولا إسلام ولا قتلت نفساً بغير حقّها ، ولا ابتغيت بديني بدلاً مذ هداني الله للإسلام ، ولا والله ما وضعت يدي على عَوْرتي مذ بايعتُ رسول الله ﷺ إكراماً ليده .

١ ـ في معركة أحد .

٢ ـ انظر صحيح البخاري الحديث ٦٨٧٨ .

فلما قال هذه المقالة كُسر حُلماؤهم عنه ، ونَصَبَ له كِنانة بن بِشْر التُجيبي وعروة بن شِيَيْم فأقبلا لا يقلعان ولا يَكُفَّان عنه ، وأتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له : دعْني آتِ القوم فأنظر ما يريدون ، فمضى نحوهم فلما دنا منهم صاحوا به يا أعور وراءك ، يا فاجر وراءك ، يا فاسق وراءك ، فرجع ؛ ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال له : إئتِ القومَ فادعُهم إلى كتاب الله والعُتْبَى ممّا ساءَهم ، فلما دنا منهم سلَّم فقالوا : لا سَلَّمَ الله عليك ، ارجعْ يا عدوّ الله ، ارجع يا بن النابغة فلست عندنا بأمين ولا مأمون ، فقال له ابن عمر وغَيْرُه : ليس لهم إلاّ عليّ بن أبي طالب فبعث عثمان إلى علي فلما أتاه قال : يا أبا الحسن آئتِ هؤلاء القوم فآدْعُهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، قال : نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أنّك تفي لهم بكلّ ما أُضمنه عنك ، قال : نعم ، فأخذ عليٌّ عليه عهدَ الله وميثاقَهُ على أَوْكَدِ ما يكون وأَغلظ ، وخرج إلى القوم فقالوا : وراءك قال : لا بل أَمامي تُعْطَوْنَ كتاب الله وتُعْتَبون من كلّ ما سَخِطتم ، فعرض عليهم ما بذل عثمان فقالوا : أتَضْمَنُ ذلك عنه ؟ قال : نعم ، قالوا : رضينا ، وأقبل وجوههم وأشرافهم مع عليّ حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه فأعتبهم من كلّ شيء فقالوا : اكتب بهذا كتاباً فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين ، إنّ لكم أنّ أعملَ فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ، يُعْطَى المحرومُ ويُؤَمَّن الخائف ويُرَدّ المَنْفيّ ولا تُجَمَّر البُعوثُ ويوفَّر الفيءُ ، وعليّ بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب ، شَهِدَ : الزبير بن العّوام ، وطلحة بن عبيدالله وسعد بن مالك بن أبي وقّاص ، وعبدالله بن عمر ، وزيد بن ثابت ،

وسَهْل بن حُنيف ، وأبو أيّوب خالد بن زيد ، وكُتب في ذي القَعْدة سنة خمس وثلاثين ، فأخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا .

وقال عليّ بن أبي طالب لعثمان : اخرج فتكلَّم كلاماً يسمعه الناس ويحملونه عنك وأُشْهد الله على ما في قلبك فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك ولا تأمَن أن يأتي ركْب آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول : يا عليّ اركبِ إليهم فإن لم أفعل قلتَ : قَطَعَ رَحِمي واستخفّ بحقّي ، فخرج عثمان فخطب الناسَ فأقرّ بما فعل واستغفر الله منه وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من زَلّ فَلْيُنبْ» فأنا أوّل من اتَّعظ، فاذا نَزَلْتُ فليأْتِني اشرافكم فليروني رأيهم ، فوالله لو ردّني إلى الحقّ عَبْدٌ لاتّبعته ، وما عن الله مذهب إلاّ إليه ، فُسرّ الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابه مبتهجين بما كان منه ، فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال : شاهت وجوهكم ، ما اجتماعكم ؟ أميرُ المؤمنين مشغول عنكم ، فإن احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه فانصرفوا ، وبلغ علياً الخبر فأتى عثمان وهو مُغْضَب فقال : أما رضيت من مروان ولا رَضيَ منك إلاّ بإفساد دينك وخديعتك عن عقلك ، وإنّي لأراه سيوردك ثم لا يُصدرك ، وما أنا بعائدٍ بعد مقامي هذا لمعاتبتك . وقالت له امرأته نائلة بنت الفَرافِصة : قد سمعتَ قولَ عليّ بن أبي طالب في مروان وقد أخبرك أنَّه غير عائد إليك ، وقد أطعتَ مروان ولا قدر له عند الناس ولا هيبة ، فبعث إلى عليّ فلم يأته .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عَوْن عن أبيه قال : سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغُوث ذكر مروان فقال : قبحه الله خرج عثمان على الناس فأعطاهم الرضى وبكى على المنبر حتى استهلّت

دموعه ، فلم يزل مروان يَفْتِله في الذِرْوة والغارب حتى لَفَتَه عن رأيه ، قال : وجئت إلى عليّ فأجده بين القبر والمنبر ومعه عمّار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر ، وهما يقولان صَنَعَ مروانُ بالناس وصنع وآنتهرهم وأغلظ لهم حتى ردَّهم عن باب عثمان على أقبح الوجوه ، فأقبل عليٌّ علي فقال : أحضرتَ خطبة عثمان ؟ قلت : نعم ، قال : أفحضرت مقالة مروان للناس ؟ قلت نعم .

قال أبو مخنف : لما شخص المصرّيون بعد الكتاب الذي كتبه عثمان فصاروا بأَيْلة أو بمنزل قبلها رأوا راكباً خلفهم يريد مصر فقالوا له : من أنت ؟ فقال : رسول أمير المؤمنين إلى عبدالله بن سعد وأنا غلام أمير المؤمنين ، وكان أسودَ ، فقال بعضهم لبعض : لو أنزلناه وفتشناه لا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء ، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً فقال بعضهم لبعض : خلّوا سبيله ، فقال كِنانة بن بِشْر : أَمَا والله دون أن أنظر في إداوته فلا ، فقالوا : سبحان الله أيكون كتاب في ماءٍ ؟ فقال : إنّ للناس حِيَلاً ، ثم حلّ الإداوة فإذا فيها قارورة مختومة[1] ـ أو قال مضمومة ـ في جوف القارورة كتاب في أُنْبُوب من رَصاص فأخرجه فقُرِىءَ فإذا فيه : «أمّا بعد فإذا قدم عليك أبو عمرو بن بُديل فآضرب عنقه ، وآقطع يدي ابن عُديس ، وكِنانة ، وعروة ، ثم دعهم يتشحّطون في دمائهم حتى يموتوا ، ثم أَوْثقهم على جُذوع النخل» . فيقال إنّ مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان ، فلما عرفوا ما في الكتاب قالوا : عثمان مُحَلّ ، ثم رجعوا عَوْدَهم على بَدْئهم حتى دخلوا المدينة ، فلقوا عليّاً بالكتاب وكان خاتمه من رصاص ، فدخل به عليّ

١ ـ بهامش الأصل : محشوة .

على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه وقال : أمّا الخطّ فخطّ كاتبي ، وأمّا الخاتم فعلىٰ خاتمي ، قال عليّ : فمن تتّهم ؟ قال أتّهمك وأتّهم كاتبي ، فخرج عليّ مُغْضَباً وهو يقول : بل هو أمرك .

قال أبو مخنف : وكان خاتم عثمان بدياً في يد حُمران بن أبان ، ثم أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه .

وجاء المصريّون إلى دار عثمان فأحدقوا بها وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم : يا عثمان أهذا كتابك ؟ فجحد وحلف ، فقالوا : هذا شرٌّ ، يُكتب عنك بما لا تعلمه ، ما مثلُك يَلي أمور المسلمين ، فاختلعْ من الخلافة ، فقال : ما كنت لأنزع قميصاً قمّصنيه الله ـ أو قال:سربلنيه الله ـ وقالت بنو أميّة : يا عليّ أفسدت علينا أمرنا ودسست وألّبت ، فقال : يا سفهاء إنّكم لتعلمون أنّه لا ناقةَ لي في هذا ولا جمل ، وأنّي رددتُ أهلَ مصر عن عثمان ثم أصلحت أمره مرة بعد أُخرى فما حيلتي ؟ وانصرفَ وهو يقول : اللهمّ إنّي بريء ممّا يقولون ومن دمه إن حدث به حدثٌ .

قال : وكتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزبير على الناس يقول فيه : «والله ما كتبتُ الكتابَ ولا أمرت به ولا علمت بقصّته وأنتم مُعْتَبَون من كلّ ما ساءكم فأمّروا على مصركم من أحببتم ، وهذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوها إلى من شئتم» ، فقالوا : قد آتهمناك بالكتاب فاعْتَزِلْنا ؛ وقال بعضهم : الذي قرأ كتاب عثمانَ الزبيرُ نفسه ، والأوّل أثبت .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن داود العطّار عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله أنّ عثمان وجّه إلى المصريّين لما أقبلوا يريدونه محمد بن مَسَلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم فأعطاهم الرضى وانصرفوا ،

فلما كانوا ببعض الطريق رأوا جملاً عليه مِيسَم الصدقة فأخذوه ، فإذا غلامٌ لعثمان ، ففتشوه فإذا معه قصبةٌ من رصاص في جوف إداوة فيها كتابٌ إلى عاملِ مصر أن افعلْ بفلان كذا وبفلان كذا ، فرجع القوم إلى المدينة ، فأرسل إليهم عثمان محمد بن مسلمة فلم يرجعوا وحصروه .

وحدثني هشام بن عمّار الدمشقي أبو الوليد حدثنا محمد بن سُمَيع عن محمد بن أبي ذئب عن ابن شِهاب الزهري عن سعيد بن المسَّيب أنّ المصريّين لما قدموا فشكوا عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح سألوا عثمان أن يولّي مكانه محمد بن أبي بكر ، فكتب عهده وولاّه ووجّه معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح ، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعاً ، فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير وهو يخبط البعير خبطاً كأنّه رجل يَطْلُب أو يُطلب ، فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر : ما قصّتك وما شأنك كأنّك هارب أو طالب ، فقال لهم مرةً : أنا غلام أمير المؤمنين ، . وقال مرّة أخرى : أنا غلام مروان وجّهني إلى عامل مصر برسالة ، قالوا : فمعك كتاب ؟ قال : لا ، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً ، وكانت معه إداوة قد يبست وفيها شيء يتقلقل ، فحركوه ليخرجَ فلم يخرج ، فشقّوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح . فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فكّ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه : «إذ أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فَاحْتَلْ لقتلهم وأَبْطِل كتاب محمد ، وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي ، واحبسْ من يجيء إليّ متظلّماً منك إن شاء الله» . فلما قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة ، وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر

ممّن كان معه ودفعه إلى رجل منهم ، وقدموا المدينة فجمعوا عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبي ﷺ ، ثمّ فكّوا الكتابَ بمحضر منهم وأخبروهم بقصّة الغلام وأقرأوهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلاّ حنق على عثمان ، وزاد ذلك مَنْ كان غضب لابن مسعود وعمّار بن ياسر وأبي ذرّ حنقاً وغيظاً ، وقام أصحاب النبيّ ﷺ بمنازلهم ما منهم أحد إلاّ وهو مغتّم لِما في الكتاب .

وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم ، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيدالله ، وكانت عائشة تقرُصه كثيراً ، ودخل عليّ وطلحة والزبير وسعد وعمّار في نفر من أصحاب محمد ﷺ كلّهم بَدْريٌّ على عثمان ، ومع عليّ الكتابُ والغلامُ والبعير ، فقال له عليّ : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم ، قال : والبعير بعيرك ؟ قال : نعم ، قال : وأنت كتبتَ هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله ما كتبتُ هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علمتُ شأنه ، فقال له عليّ : أفالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به ؟ فحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرتُ به ولا وجّهت هذا الغلام إلى مصر قطّ ، وعرفوا أن الخطّ خطّ مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده في الدار ، فخرج أصحاب محمد ﷺ من عنده غضاباً وعلموا أنّه لا يحلف بباطل ، إلاّ أنّ قوماً قالوا : لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلاّ بأن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه عن الأمر ، ونعرف حالَ الكتاب وكيف يُؤْمَر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حقّ ، فإن يكن عثمان كتبه عزلناه ، وإن يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا ما يكون منّا

في أمر مروان ، فلزموا بيوتهم وأبىٰ عثمان أن يُخرج مروان ؛ فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء ، فأشرف على الناس فقال : أفيكم عليٌّ ؟ فقالوا : لا ، قال : أفيكم سعد ، فقالوا : لا ، فسكت ثم قال : ألا أحدٌ يبلّغ فيسقينا ماءً ؟ فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاثِ قِرَبٍ مملوءة ماءً فما كادت تَصِل إليه ، وجُرح بسببها عدّة من موالي بني هاشم وبني أميّة حتى وصلت . وبلغ عليّاً أنَّ القوم يريدون قتلَ عثمان فقال : إنما أردنا مروان ، فأمّا قتل عثمان فلا ، وقال للحسن والحسين : اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تَدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير ابنه عبدالله ، وبعث طلحة ابنه على كَرهٍ ، وبعث عدّة من أصحاب النبيّ ﷺ أبناءهم ليمنعوا الناس من الدخول على عثمان ويسألوه إخراج مروان ؛ فلما رأى ذلك محمد ين أبي بكر ، وقد رمى الناس عثمان بالسهام حتى خُضب الحسن بالدماء على بابه ، وأصاب مروانَ سهمٌ وهو في الدار ، وخُضب محمد بن طلحة ، وشُجَّ قَنْبَر مولى عليّ ، خشي محمد بن أبي بكر أن يغضبَ بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنةً ، وأخذ بيد رجلين فقال لهما : إنْ جاءت بنو هاشم فرأت الدماءَ على وجه الحسن كشفوا الناسَ عن عثمان وبطل ما تريدون ، ولكن مُرّوا بنا حتى نتسوّر عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد ، فتسوّر محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممّن كان معه لأنّهم كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلّا امرأته . فقال محمد بن أبي بكر : أنا أبدأُ كما بالدخول ، فإذا أنا ضبطته فآدخلا فتوّجآه حتى تقتلاه ، فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان : والله لو رآك أبوك لساءه مكانُك منّي ، فتراخت يده ، ودخل الرجلان عليه فتوجآه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ،

وصرخت امرأته إلى الناس فلم يُسمع صُراخها لِما كان في الدار من الجَلَبة ، وصعدت امرأته إلى الناس فقالت : إنّ أمير المؤمنين قد قُتل ، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحاً ، فانكبّوا عليه يبكون ، وخرجوا ودخل الناس فوجدوه مذبوحاً ، وبلغ عليّ بن أبي طالب الخبرُ ، وطلحةَ ، والزبير ، وسعداً ، ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا ، وقال عليّ لابنَيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صَدَر الحسين وشتم محمدَ بن طلحة ، ولعن عبدَالله بن الزبير ، وخرج عليّ وهو غضبان يرى أنّ طلحة أعانَ على ما كان ، فلقيه طلحة فقال : ما لك يا أبا الحسن ضربتَ الحسن والحسين ، فقال : عليك لعنةُ الله أَبَيْتَ إلاّ أن يسوءني ذلك ، يُقتل أمير المؤمنين ، رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ بدريٌّ لم يُقَمْ عليه بيّنةٌ ولا حجّة ، فقال طلحة : لو دفع مروانَ لم يُقتل ، فقال عليّ : لو أخرج إليكم مروان لقُتل قبل أن تثبت عليه حكومة .

وخرج عليّ فأتى منزله وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى عليّ ، أصحابُ النبيّ ﷺ وغيرهم وهو يقولون : إنّ أميرَ المؤمنين عليٌّ ، حتى دخلوا داره فقالوا له : نبايعك فمُدَّ يدك فإنّه لابدَّ من أمير ، فقال عليّ : ليس ذاك إليكم إنما ذاك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدر إلاّ أتىٰ عليّاً فقالوا : ما نرى أحداً أحق بها منك فمدّ يدك نبايعك ، فقال : أين طلحة والزبير ؟ وكان طلحة أوَّلَ من بايعه بلسانه وسعدٌ بيده ، فلما رأى عليّ ذلك صعد المنبر وكان أوّل من صعد إليه ، فبايعه طلحة بيده ،

وكانت إصبع طلحة شلّاء فتطيّر منها عليٌّ وقال : ما أَخْلَقَهُ أن ينكث ، ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبيّ ﷺ جميعاً ، ثم نزل فدعا الناس وطلب مروان ، وبني أبي مُعَيط فهربوا منه .

وخرجت عائشة رضي الله تعالى عنها باكية تقول : قُتل عثمان رحمه الله ، فقال لها عمّار بن ياسر : أنت بالأمس تحرّضين عليه ثم أنت اليوم تبكينه . وجاء عليّ إلى امرأة عثمان فقال لها : من قتل عثمان رحمه الله تعالى ؟ فقالت : لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما إلاّ أن أرى وجوههما ، وكان معهما محمد بن أبي بكر ، وأَخْبَرَتْ عليّاً والناس بما صنع محمد ، فدعا عليّ محمداً فسأله عمّا ذكرت امرأة عثمان فقال محمد : لم تكذبْ فقد دخلتُ والله عليه وأنا أريد قتله ، فذكر أبي فقمت عنه وأنا تائب ، والله ما قتلته ولا أمسكته ، قالت امرأة عثمان : صدق ولكّنه أدخلهما .

حدثني محمد بن هشام بن بَهْرام حدثنا وكيع عن الأعمش عن عُبيد بن عُمير قال : قال عليّ : لا آمركم بالإقدام على عثمان فإن أبَيْتم فَبْيضٌ سيُفْرِخُ .

وحدثني عمرو بن محمد عن قَبيصة بن عقبة عن سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو [بن] الأصمّ قال : كنت فيمن أُرسلوا من ذي خُشُب فقالوا : سَلُوا أصحاب النبيّ ﷺ واجعلوا عليّاً آخِرَ مَن تسألونه ، فسألناهم فقالوا : أَقدموا إلاّ علياً فإنه قال : لا آمركم فإن أبيتم فَبْيضٌ سيُفْرِخُ .

حدثنا محمد بن حاتم المَرْوَزي عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قال ، قال عليّ : لو علمتُ أنّ الأمر يبلغُ ما بلغ ما دخلت فيه .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدَوْرقي حدثني محمد بن الأعرابيّ حدثنا أزهر بن سعد السّمان أبو بكر حدثنا ابن عَوْن عن الحسن قال : خَطب عثمان فقام رجل فقال : نريد كتابَ الله فقال له : اقعدْ أَمَا لِكتاب الله طالبٌ غيرك ؟ فحُصب وتحاصبوا فنزل الشيخ وما يكاد يقيم عنقه ، فقال ابن عَوْن : فقلتُ للحسن ابنُ كم كنتَ يومئذٍ ؟ قال : ابن أربع عشرة خمس عشرة .

وقال أبو مخنف وغيره : حرس القومُ عثمان ومنعوا مِن أن يُدخَل عليه ، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يُحْرِم ويلبّي ويخرج فيأتي مكّة فلا يُقدَم عليه ، فبلغهم قوله فقالوا : والله لئن خرج لا فارقناه حتى يحكم الله بيننا وبينه ، واشتدّ عليه طلحة بن عبيدالله في الحصار ، ومنع من أن يُدخل إليه الماء حتى غضب عليّ بن أبي طالب من ذلك ، فأدخلت على رَوايا الماء .

قالوا : وكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كُريز ، ومعاوية بن أبي سفيان يُعلِمهما أنّ أهل البغي والعُدْوان من أهل العراق ومصر والمدينة قد أحاطوا بداره فليس يُرضيهم بزَغْمهم شيءٌ دون قتله ، أو يخلع السربال الذي سربله الله إيّاه ، ويأمرهما بإغاثِته برجال ذوي نَجدة وبأس ورأْي لعلّ الله أن يدفع بهم عنه بأسَ مَن يَكيده ويريده ، وكان رسوله إلى ابن عامر جُبير بن مُطْعِم ، وإلى معاوية المِسْوَر بن مَخْرَمَة الزهري ، فأمّا ابن عامر فوجّه إليه مُجاشِع بن مسعود السُلَمي في خمسمائة أُعطاهم خمسمائة خمسمائة درهم ، وكان فيمن ندب مع مُجاشِع زُفَر بن الحارث الكِلابي على مائة رجل ، وأمّا معاوية فبعث إليه حبيب بن مَسلمة الفِهْري في ألف فارس ، فقدّم حبيب أمامه يزيد بن أَسَد البَجَلي جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد القَسْري من

بَجيلة ، وبلغ أهلَ مصر ومن معهم ممّن حاصر عثمان ما كَتَبَ به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدّةً عليه وجدّاً في حصاره ، وحِرصاً على معاجلته بالقتل .

المدائني عن حُبان بن موسى عن مجالد عن الشَعْبي قال : كتب عثمان إلى معاوية أن أَمدّني ، فأمدّه بأربعة آلاف مع يزيد بن أَسد بن كُرْز البَجَلي فتلقّاه الناس بمقتل عثمان فرجع من الطريق وقال : لو دخلت المدينة وعثمان حيّ ما تركت بها محتلماً إلّا قتلته لأن الخاذل والقاتل سواء .

ذكر كراهة عثمان للقتال رضي الله عنه :

قال أبو مخنف والواقدي وغيرهما في روايتهم : إنّ المُغيرة بن شُعبة الثَقَفي أشار على عثمان بأن يأمر مواليه ومن معه من أهل بيته بالتسلّح ليراهم المحاصرون له فينكسروا عنه ، ففعل ، وجعلوا يمّرون على تَعْبِيَتهم ، ثم أمرهم بالانصراف وأن لا يقاتلوا ، فقال الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط :

وكفَّ يَدَيْهَ ثُمَّ أَغْلَقَ بـابَهُ ... وأَيْقَنَ أَنَّ الله ليس بغافِلِ
وقال لأَهْلِ الدّارِ مَهْ لا تُقاتِلوا ... عفا الله عن كُلِّ امرىءٍ لم يُقاتِلِ
وكيف رَأَيْتَ الله أَلْقى عَلَيْهِمُ الـ ... ـعَداوَةَ والبَغْضاءَ بَعْدَ التَواصُلِ
وكيف رَأَيْتَ الخَيْرَ أَدْبَرَ بَعْدَهُ ... عَنِ الناسِ إِدْبارَ المخاضِ الحوامل[1]

قالوا : ولما انصرف أولئك الذين تسلّحوا خرج سِيدان بن حمران المُرادي ـ ويقال سُودان بن حُمْران ـ حتى لحق بهم ، فرجع إليه مروان

١ ـ الأبيات في الأغاني ج ١٦ ص٢٣٣ منسوبة لكعب بن مالك ، مع فوارق .

فاضطربا بسيفيهما فلم يصنعا شيئاً ، فقال عثمان : يا سبحان الله أكلّ هذا في نَزْعي وتأميري ، يا ناتِلُ الْقَ مروان بعزمة منّي أن ينصرف إليّ ومن معه ، فجاء مروان حتى دخل الدار .

قالوا : وأتى قَطَنُ بن عبدالله بن الحُصين ذي الغُصَّة الحارثيُّ عثمانَ وهو محصور فدعاه إلى دفعهم عن نفسه بمن أطاعه ومال إليه فقال : أنا أُكِلُهم إلى الله ولا أقاتلهم فإنّ ذلك أعظمُ لحُجَّتي عليهم فانصرفْ محموداً رشيداً ، فكان يقول : لوددتُ أنّي قُتِلت مع عثمان .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قلت لعثمان يوم الدار يا أمير المؤمنين: أنفرّجهم عنك بالضَرْب ؟ فقال : لا إنّك إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً[1] ، قال : فرجعتُ ولم أقاتل .

حدثني محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا عبدالله بن إدريس الأَزْدي عن هشام بن حسّان عن ابن سيرين قال : جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال له : إنّ الأنصار بالباب يقولون إن شئتَ كّنا أنصار الله مرّتين فقال عثمان : أمّا القتل فلا .

حدثني يحيى بن مَعِين حدثنا ابن إدريس عن يحيى بن سعيد عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال : قال عثمان يوم الدار : أعظمكم عَنِّي غَناءً رجل كَفَّ يده وسلاحه .

---

١ ـ إشارة إلى قوله تعالى في سورة المائدة ـ الآية ٣٢ : ﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا أبو داود الطَيالسي عن قُرّة بن خالد عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : كنتُ في الدار يَوْمَ قُتل عثمان فسمعته يقول : عَزمتُ على مَن رَأى لنا عليه سَمْعاً وطاعةً أن يُلقي سلاحه ، فألقى القوم أسلحتهم إلاّ مروان فإنّه قال : وأنا أعزم على نفسي ألاّ أُلقي سلاحي ، قال : وكان شُجاعاً ، قال أبو هريرة ، فألقيت سيفي فلا أدري من أخذه .

وحدثنا يحيى بن أيّوب الزاهد حدثنا اسماعيل بن عُلَّية[1] عن ابن أبي مُليكه عن عبدالله بن الزبير قال : قلت لعثمان يومَ الدار إنّ في الدار معك عصابة مستبصرة تنصر الله فأذَنْ لي أقاتلْ ، فقال : أُذَكِّرُ الله رجلاً هراق فيَّ دماً .

وحدثني يحيى بن أيّوب عن اسماعيل بن عُلَيّة عن ابن عَوْن عن ابن سيرين قال : كان مع عثمان في الدار سبعمائة لو يدعهم لضَربوهم إن شاء الله حتى يُخرجوهم من أقطارها منهم الحسن والحسين ابنا عليّ وابن الزبير .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا أبو أُسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن الزبير قال : قلت لعثمان يوم الدار قاتِلْهم فوالله لقد أُحلّ لك قتالهم فقال : لا والله لا أقاتلهم أبداً ، فدخلوا عليه وهو صائم فقتلوه ، وكان عثمان قد أمرّ ابنَ الزبير على الدار وقال : من كانت لي عليه طاعة فليُطِعْ عبدالله بن الزبير .

---

١ ـ هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم مولى بني أسد بن خزيمة ، أمه علية ، يكنى أبا بشر ، مات ببغداد سنة ثلاث وتسعين ومائة . طبقات خليفة ـ ط ـ . بيروت ١٩٩٣ ص ٦١٣ .

وفي رواية أبي مخنف وغيره أنّ عثمان بن أبي العاص الثقفي دخل على عثمان وهو محصور فعرض عليه أن يقاتل لِيقاتل معه فأبى ، فاستأذنه في إتيان البصرة فأذِن له في ذلك فلحق بالبصرة .

أمر عمرو بن العاص وغيره :

قالوا : وكان عمرو بن العاص قال لعثمان حين حضر الحصار الأوّل : إنّك يا عثمان ركبت بالناس النَهابِيرَ[1] فاتّق الله وتُب إليه ، فقال له : يا بن النابغة وإنّك لممّن تؤلّبُ عليّ الطغام لأن عزلتك عن مصر ، فخرج إلى فلسطين فأقام بها في ماله هناك ، وجعل يحرّض الناس على عثمان حتى رُعاة الغنم ، فلما بلغه مقتله قال : أنا أبو عبدالله إنّي إذا حككتُ قَرْحة نكأْتها .

قالوا : ومرّ مجمِّع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيدالله فقال : يا مجمّع ما فَعَلَ صاحبك ؟ قال : أظنّكم والله قاتليه ، فقال طلحة : فإن قُتل فلا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبي مُرْسل .

قالوا : وقال عثمان لعبدالله بن سلام : اخرج إليهم فكلّمْهم ، فخرج إليهم فوعظهم وعظَّم حرْمة المدينة وقال لهم : إنّه ما قُتل خليفة قطّ إلاّ قُتل به خمسة وثلاثون ألفا ، فقالوا : كذبتَ يا يهوديّ ابن اليهودية .

قالوا : ولما اشتدّ الأمر على عثمان أمر مروانَ بن الحَكَم وعبد الرحمن بن عتّاب بن أُسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحجّ فقالا لها : لو أقمتِ فلعلّ الله

---

١ ـ النهابير : المهالك . القاموس .

يدفع بك عن هذا الرجل ، فقالت : قد قُرِّبْت رِكابي وأوجبت الحجّ على نفسي ووالله لا أفعل ، فنهض مروان وصاحبه ومروان يقول :

وحَـرَّق قَيْسٌ عَـلَيَّ البِـلادَ   حَتَّى إذا اضْطَرَمَتْ أَجْذَمَـا

فقالت عائشة : يا مروان وددت والله أنّه في غِرارة من غرائري هذه وأنّي طُوِقّتُ حَمْلَه حتى أُلقيه في البحر ، ومرّ عبدالله بن عبّاس بعائشة وقد ولّاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها فقالت : يا بن عبّاس إنّ الله قد آتاك عقلاً وفَهْماً وبياناً فإيّاك أن تردَّ الناس عن هذه الطاغية .

حدثنا خلف بن هشام البّزار حدثنا حمّاد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن أبي أُمامة بن سَهْل قال : كنّا مع عثمان وهو محصور فدخل يوماً لحاجته فسمع كلامَ من بالبلاط ثم خرج إلينا وهو متغيّر اللون فقال : إنّهم لَيتوعّدونني بالقتل ، أما إنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «لا يحلّ دم امرىء مسلم إلاّ في إحدى ثلاث : رجل كَفَرَ بعد إيمانه أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفساً بغير نفس» ، ووالله ما زنيت في جاهليّة ولا إسلام ولا تمنّيت أنّ لي بديني مُذ هداني الله بَدَلاً ولا قتلت نفساً ، فبماذا يقتلونني ؟

حدثنا عَفّان عن حمّاد عن يحيى بن سعيد عن أبي أُمامة بن سَهْل بنحوه .

حدثني القاسم بن سلاّم ـ أبو عبيد ـ حدثنا كثير بن هشام أنبأنا جعفر بن بُرْقان عن ميمون بن مِهْران قال : لما حوصر عثمان في الدار بعث رجلاً فقال له : اسمع ما يقولُ الناسُ ، فأتاه فقال : سمعت بعضهم يقول : لقد حلَّ دمه ، فقال عثمان : «ما يحل دم مسلم إلا أن يكفر بعد

إيمانه أو يزني بعد إحصانه أو يقتل رجلاً فيُقتَل به أو يسعى في الأرض فساداً» .

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود حدثنا أبو أُسامة حمّاد بن أُسامة عن عبد الملك بن أبي سليمان عن أبي ليلى الكِنْدي قال : شهدت عثمان وهو محصور فاطّلع من كُوٍّ فقال : أيّها الناس لا تقتلوني فوالله لئن قتلتموني لا تصلّون جميعاً أبداً ولا تجاهدون جميعاً ابدا ولتختلفُنْ [حتى تصيروا هكذا][١] وشبك بين أصابعه ، ثم قال : ﴿يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُم مِثْلُ مَا أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُم بِبَعيدٍ﴾[٢] ثم دعا ابنَ سلام فقال : ما ترى ؟ قال : الكفّ فإنّه أبلَغُ في الحُجّة .

حدثنا عفّان بن مسلم أبو عثمان حدثنا جرير بن حازم انبأنا يَعْلَى بن حكيم عن نافِع حدثني عبدالله بن عمر قال : قال عثمان وهو محصور : ما تقول فيما أشار به عَليَّ المغيرة بن الأخنس ؟ قال : قلت : وما هو ؟ قال : إنّ هؤلاء القوم يرون[٣] خلعك ، فإن فعلتَ وإلاّ قتلوك ، فدَعْ أمرهم إليهم قال : فقلت : أرأيتَ إن لم تَخْلَعْ هل يزيدون على قتلك ؟ قال : لا ، قال: فقلت : فلا أَرَى أن تسنّ هذه السنّة في الإسلام فكلّما سخِط قومٌ أميرَهم خلعوه ، لا تخلَعْ قميصاً قمّصكه الله .

---

١ ـ زيد ما بين الحاصرتين من ابن سعد .
٢ ـ سورة هود ـ الآية : ٨٩ .
٣ ـ بهامش الأصل : يريدون .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف بإسناده قال : أشرف عثمان على الناس فسمع بعضهم يقول لا نقتله ولكن نعزله فقال : أمّا عزلي فلا وأمّا قتلي فعسى ؛ وسلَّم على جماعة فيهم طلحة فلم يردّوا عليه فقال : يا طلحة ما كنتُ أرى أنّي أعيش إلى أن اسلِّم عليك فلا تردّ عليَّ السلام .

قال : وجاء الزبير إلى عثمان فقال له : إنّ في مسجد رسول الله ﷺ جماعة يمنعون من ظلمك ويأخذونك بالحقّ فاخرجْ فخاصِم القومَ إلى أزواج النبيّ ﷺ ، فخرج معه فوثب الناس عليه بالسلاح فقال : يا زبير ما أرى أحداً يأخذ بحقّ ولا يمنع من ظلم ، ودخل ومضى الزبير إلى منزله .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا شَبابة بن سّوار عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جدّه قال : سمعت عثمان بن عفّان يقول : إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجليَّ في القيود فضَعُوهما .

وقال أبو مخنف والواقدي في روايتهما : أنّ أمّ حَبيبة بنت أبي سفيان زوج النبيّ ﷺ أتت عثمان بإداوة وقد اشتدّ عليه الحصار فمنعوها من الدخول فقالت : إنّه كان المتولّي لوَصايانا وأمر أَيْتامنا وأنا أريدُ مناظرته في ذلك ، فأذنوا لها فأعطته الإداوة .

وحدثني عبدالله بن صالح عن عبد الجبّار بن الوَرْد قال سمعت ابن أبي مُليكة يقول قال جُبير بن مُطعِم : حُصر عثمان حتى كان لا يشرب إلاّ من فَقِير[1] في داره ، فدخلتُ على عليّ فقلت : أَرَضيت بهذا أن يُحصَر ابن عمّتك

---

١ ـ بهامش الأصل : «الفقير : البئر القريب القعر» .

حتى والله ما يشرب إلاّ من فقير في داره ؟ فقال : سبحان الله أَوَقد بلغوا به هذه الحال ؟ قلت : نعم ، فعمد إلى روايا ماء فأدخلها إليه فسقاه .

وحدثني اسحاق الفَرْوي أبو موسى حدثنا عبدالله بن إدريس حدثنا يحيى بن سعيد قال : كان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار ، فبعث عثمان عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب إلى عليّ بهذا البيت :

إنْ كُنتُ مَأْكولاً فكُنْ أنت آكِلي ... وإلاّ فـأَدْرِكْني ولَمّا أُمَـزَّقِ

وقال هشام ابن الكلبي : هذا البيت للمُمَزَّق العَبْدي واسمه شَأس بن نَهار بن الأسود بن حزيل ، وبه سميّ الممزَّق .

قالوا : وقال أُسامة بن زيد بن حارثة لعليّ بن أبي طالب : والله يا أبا الحسن والله لأنت أعزّ عَلَيَّ من سمعي وبصري فأَطِعْني وأخُرج إلى أرضك يَنْبُع فإنّ عثمان إن قُتل وأنت بالمدينة رُميتَ بدمه ، وإن أنت لم تشهدْ أمره لم يَعدِل الناس بك ، فقال ابن عبّاس لأسامة : يا أبا محمد أَتطلب أَثراً بعد عَيْنٍ ؟ أبعد ثلاثةٍ من قريش ينبغي لعليّ أن يعتزل ؟

وقال أبو مخنف : صلّى عليٌّ بالناس يومَ النحر وعثمان محصور ، فبعث إليه عثمان ببيتِ الممزق :

إنْ كُنتُ مَأْكولاً فكُنْ أَنتَ آكلي ... وإلاّ فـأَدْرِكْني ولَمّا أُمَـزَّقِ

وكان رسوله به عبدالله بن الحارث ، ففرّق عليٌّ الناس عن طلحة ، فلما رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر فقال له عثمان : يا بن الحَضْرَميّة ألّبت عليَّ الناس ودعوتهم إلى قتلي حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً ، لا قَبِلَ الله ممّن قبل عذرك .

وقال أبو مخنف في روايته : نظر مروان بن الحكم إلى الحسين بن عليّ فقال له : ما جاء بك ؟ قال : الوَفاءُ ببيعتي ، قال : اخرج عنّا ، أبوك يؤلّب الناس علينا وأنت هاهنا معنا ؛ وقال له عثمان : انصرف فلست أريد قتالاً ولا آمر به .

حدثنا عمرو الناقد عن عبدالله بن جعفر الرَقّي عن عبيدالله بن عمرو عن اسحاق بن راشد عن أبي جعفر انبأنا أبان بن عثمان قال : لما كثر علينا الرمي بالحجارة أتيت عليّاً فقلت : يا عمّ قد كثرت علينا الحجارة ، فمشى معي فرماهم حتى فَترت يده ، ثم قال : يا بن أخي اجمعْ مواليكم ومن كان منكم بسبيل ثم لتكن هذه حالكم .

قال أبو مخنف في روايته : إنّ زيد بن ثابت الأنصاري قال : يا معشر الأنصار إنّكم نصرتم الله ونبيّه فانصروا خليفته ، فأجابه قوم منهم فقال سَهْل بن حُنيف : يا زيد أشبعك عثمانُ من عِضْدان المدينة ـ والعَضِيدة نخلة قصيرة يُنال حَمْلَها ـ فقال زيد : لا تقتلوا الشيخ ودَعوه حتى يموت فما أقْرَبَ أجلَه ، فقال الحجّاج بن غَزِيّة الأنصاري أحد بني النجّار : والله لو لم يبقَ من عمره إلاّ ما بين الظهر والعصر لَتقرَّبنا إلى الله بدمه . وجاء رِفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري ثم الزُرَقي بنارٍ في حطب فأشعلها في أحد البابَين فاحترق وسقط وفتح الناس الباب الآخر واقتحموا الدار . وقال عديّ بن حاتم الطائيّ : أيّها الناس اقتلوه فإنّه لا تَحْبِقُ فيه عَناقٌ . وتهيّأ مروان وعدّة معه للقتال فنهاهم عثمان فلم يقبلوا منه وحملوا على من دخل الدار فأخرجوهم ، ورُمي عثمان بالحجارة من دار بني حَزْم بن زيد بن لَوْذان الأنصاري ونادوا :

لسنا نرميك الله يرميك ، فقال : لو رماني الله لم يخطئْني . وشدّ المغيرة بن الأخنس بالسيف وهو يقول :

قد عَلِمَتْ جارِيَةٌ عُطْبول لها وشاحٌ ولها جَديل
أَنّي بِمَنْ حارَبْتُ ذو تَنْكيل

فشدّ عليه رفاعة بن رافع وهو يقول :

قد عَلِمَتْ خَوْدٌ سَحوبٌ لِلذَّيْلْ تُرْخي قُروناً مِثْلَ أَذْنابِ الخيلْ
أَنَّ لِقِرْني في الوَغى مِنّي الويلْ

فضربه على رأسه بالسيف فقتله ـ ويقال بل قتله رجل من عُرْض الناس ـ وقاتل يومئذ عبدالله بن الزبير حتى جُرح جراحاتٍ ، وخرج مروان بن الحكم وهو يقول :

قد عَلِمَتْ ذاتُ القُرونِ الميلِ والكَفِّ والأَنامِلِ الطُّفولِ
أَنّي أَروعُ أَوَّلَ الرَعيـــــل

ثم ضرب عن يمينه وشماله ، فحمل عليه الحجّاج بن غِزيّة وهو يقول :

قد عَلِمَتْ بَيْضاءُ حَسْناءُ الطَّلَلْ واضِحَةُ اللِيتَيْنِ قَعْساءُ الكَفَلْ
أَنّي غَداةَ الرَوْعِ مِقْدامٌ بَطَلْ

فضربه على عنقه بالسيف فلم يقطع سيفُه وخّر مروان لوجهه ، وجاءت فاطمة بنت شَريك الأنصاريّة من بَلِيّ . وهي أمّ إبراهيم بن عربيّ الكناني الذي كان عبد الملك بن مروان ولّاه اليمامة وهي التي كانت رَبَّتْ مروان ، فقامت على رأسه ثم أمرت به فحُمل وأُدخل بيتاً فيه كتب . وشدّ عامر بن بُكير الكِناني وهو بَدْريٌّ على سعيد بن العاص بن سعيد بن

العاص بن أُميّة فضربه بالسيف على رأسه فصرعه ، وقامت نائلة بنت الفَرافِضة على رأسه ثم احتملته فأدخلته بيتاً وأغلقت بابه .

المدائني عن مسلمة بن مُحارب عن خالد بن حرب قال : لجأ بنو أميّة يوم قُتل عثمان إلى أم حَبيبة ، فجعلت آل العاص وآل حَرْب وآل أبي العاص وآل أُسيد في كَنْدُوج[1] وجعلت سائرهم في مكان آخر ؛ ونظر معاوية يوماً إلى عمرو بن سعيد يختال في مِشْيته فقال : بأبي وأُمي أُمُّ حَبيبة ما كان أَعْلَمَها بهذا الحيّ حين جعلتك في كَنْدُوج .

قالوا : ومشى الناس إلى عثمان وتسلّقوا عليه من دار بني حَزْم الأنصاري ، فقاتل دونه ثلاثة نفر من قريش : عبدالله بن زَمْعة بن الأَسود أحد بني أَسَد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ ، وعبدالله بن عوف بن السَبّاق بن عبد الدار بن قُصيّ ، وعبدالله بن عبد الرحمن بن العَوّام بن خُوَيْلد ، وكان عبدالله بن عبد الرحمن بن العَوام يقول : يا عباد الله بيننا وبينكم كتاب الله ، فشدّ عليه عبد الرحمن بن عبدالله الجُمَحي وهو يقول :

لأَضرِبَنَّ اليَوْمَ بـالقِرْضابِ بَقِيَّـةَ الكُفّـارِ والأَحْـزابِ
ضَرْبَ امْرِىءٍ ليس بِذَي آرْتِياب أأَنْتَ تَـدْعُـونا إلى كِتاب
نَبَـذْتَهُ في سائِرِ الأَحقاب

فقتله ، وشدَ جماعةٌ من الناس على عبدالله بن وهب بن زَمْعة وعبدالله بن عوف بن السَبّاق فقتلوهما في جانب الدار .

---

١ ـ الكندوج : هو مخزن تجمع فيه الغلال .

وقال المدائني : كان كنانة مولى صفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب أخرج أربعةً محمولين كانوا يذودون عن عثمان : الحسن بن عليّ ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن حاطب ، ومروان بن الحكم . والذي قتله رجلٌ من أهل مصر يقال له جَبَلة بن الأَيْهم طاف بالمدينة ثلاثة أيّام يقول : أنا قاتل نَعثَل ، وكان عليٌّ في داره .

قالوا : وجاء مالك الأشتر حتى انتهى إلى عثمان فلم ير عنده أحداً فرجع ، فقال له مسلم بن كُريب القابضي من هَمْدان : يا أشتر دعوتنا إلى قتل رجل فأجبناك حتى إذا نظرتَ إليه نَكَصتَ عنه على عقَبيك ، فقال له الأشتر : لله أبوك أما تراه ليس له مانع ولا عنه وازع ، فلما ذهب لينصرف قال ناتِل مولى عثمان : واثُكلاه هذا والله الأشتر الذي سَعّرَ البلاد كلَّها على أمير المؤمنين ، قتلني الله إن لم أقتله ، فشدّ في أثره فصاح به عمرو بن عبيد الحارثي من هَمْدان وراءَك الرجل يا أشتر ، فالتفت الأشتر إلى ناتل فضربه بالسيف فأطار يده اليسرى ، ونادى الأشتر : يا عمرو بن عبيد إليك الرجلَ ، فاتّبع عمرو ناتلا فقتله .

وقال مروان في يوم الدار :

وما قُلْتُ يَوْمَ الدّارِ لِلْقَوْمِ حاجِزوا رُوَيداً ولا آختاروا الحياةَ على القَتْلِ
ولكِنّني قد قلتُ لِلْقَوْمِ قاتلوا بِأَسيافِكُمْ لا يُوصَلَنَّ إلى الكَهْلِ

المدائني عن قيس بن الربيع عن أبي حصين قال ، قال عليّ : لو أعلم أنّ بني أميّة يُذهِب ما في أنفسها أن أحلف لها لَحلفت خمسين يميناً مردَّدة بين الرُكْن والمقام أنّي لم أقتل عثمان ولم أُمالىءْ على قتله .

المدائني عن أبي جَزِيّ عن أيّوب وابن عَوْن عن ابن سيرين قال : لم يكن أحد من أصحاب النبيّ ﷺ أشد على عثمان من طلحة .

المدائني عن أبي جَزِيّ عن قتادة عن أبي موسى قال : لو كان قتل عثمان هُدىً لاحتلبوا به لَبَناً لكنّه كان ضلالاً فاحتلبوا به دماً .

المدائني عن أبي جَزِيّ عن قتادة قال : رأى عليٌّ الحسن عليهما السلام يتوضّأ فقال له : أَسبغ الوضوء ، فقال الحسن : لقد قتلتم رجلاً كان يُسبغ الوضوء لكلّ صلاة ، فقال عليّ : لقد طال حزنك على عثمان .

رؤيا عثمان رضي الله تعالى عنه ومقتله :

قالوا : لما كان اليوم الذي قُتل فيه عثمان ، وقد أصبح صائماً ، قال لأصحابه : إنّي مقتول ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما أتوني في منامي البارحةَ ، فقال لي رسول الله ﷺ : «أَفْطِر عندنا غداً يا عثمان» .

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا فَرَج بن فَضالة عن مروان بن أبي أميّة عن عبدالله بن سلّام قال : أتيت عثمان وهو محصور فقال حين دخلت عليه : مرحباً بأخي ، رأيتُ رسول الله ﷺ في هذه الليلة فقال لي : «يا عثمان حصروك ؟ قلت : نعم ، قال : أعطشوك ؟ قلت : نعم ، قال : فأدلى لي دلواً فشربت منها حتى رويت فإنّي لأجد برد الماء بين ثَدْيَيَّ وكتفيَّ ، ثم قال : إن شئتَ أُفطرتَ عندنا وإن شئت نُصِرْتَ عليهم فاخترتُ أن أُفطر عنده» ؛ فقُتل ذلك اليوم .

حدثنا عفّان بن مسلم حدثنا وهُيب بن خالد حدثنا موسى بن عقبة عن أبي عَلقَمة مولى عبد الرحمن بن عوف عن كثير بن الصَلْت الكندي قال : قال عثمان في اليوم الذي قُتل فيه ، وهو يوم الجمعة ، وقد استيقظ من النوم : رأيت رسول الله ﷺ وسلّم في منامي هذا فقال : «إنّك شاهدٌ فينا الجمعةَ» .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وَهْب بن جَرير حدثنا أبي قال : سمعت يَعْلَى يحدّث عن نافع أنّ عثمان رأى في الليلة التي قُتل في صبيحتها أنّ النبيّ ﷺ أتاه فقال له : «أَفْطِر عندنا يا عثمان» فقُتل وهو صائم .

قال الواقدي : ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان حتى جلس بين يديه وأخذ بلحيته فقال : يا نعثل ـ ونعثل دهقان اصبهان كان جميلاً جيّد اللحية فشبّهوا عثمان به ـ كيف ترى صَنَعَ الله بك ؟ قال : خيراً اتّق الله يا بن أخي ودَعْ لحيتي فإنّ أباك لو كان حيّاً لم يقعد منّي هذا المقعد ولم يأخذ بلحيتي ، فقال محمد : إنّ أبي لو كان حيّاً ثم رآك تعمل هذا العمل لأنكره عليك ، وتناول عثمان المصحف فوضعه في حجره وقال : عباد الله لكم ما فيه والعُتْبَى ممّا تكرهون ، اللهمّ أشهد . فقال محمد بن أبي بكر ﴿أَلآنَ وَقَد عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفسِدِين﴾[1] ثم رفع جماعة قِداحٍ[2] كانت في يده فوجأ بها خُشَشائه[3] حتى وقعت في أَوْداجه فحزّت ولم تقطع فقال : عبادَ الله لا تقتلوني فتندموا وتختلفوا ، فرفع كِنانة بن بِشر بن عتّاب التُجيبي عموداً من حديد كان معه

١ ـ سورة يونس ـ الآية : ٩١ .
٢ ـ بهامش الأصل : أي سهام .
٣ ـ بهامش الأصل : الخششاء : عظم خلف الأذن .

فضرب به جبهته فوقع ، وضربه سُودان بن حُمْران ـ ويقال سِيدان بن حمران ـ المُرادي بالسيف ضربةً فكانت أوّل قطرة قطرت من دمه في المصحف على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] وقعد عمرو بن الحَمِق الخُزاعي على صدره فوَجأه تسع وجآت بمشاقص كانت معه فكان عمرو يقول : طعنْتُه تسع طعنات علمتُ أنّه مات في ثلاث منهنّ ، ولكني وَجَأْتُه الستَّ الأُخَر لِما كان في نفسي عليه من الحَنَق والغيظ ؛ وانصرف الناس عن عثمان وتُرك قتيلاً في داره يوماً أو يومين حتى حمله أربعةٌ فيهم امرأةٌ ، أحدُ الأربعة جُبير بن مُطعِم .

المدائني : يُقال إنّ أوّل من دَمَّى عثمان رضي الله تعالى عنه نِيار بن عِياض الأَسْلَمي ، وَجأَهُ بمِشقَص في وجهه فدمّاه ، وكان بالمدينة نِياران فكان يُقال لهذا نيار الشرّ وللآخر نيار الخير[2] .

ومن رواية أبي مخنف لوط بن يحيى : أنّ عثمان رضي الله عنه قُتل يومَ الجمعة فتُرك في داره قتيلاً ، فجاء جُبير بن مُطعِم ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ومِسوَر بن مَخرمة الزُهْري ، وأبو الجَهْم بن حُذيفة العَدَوي ليصلّوا عليه ويُجنّوه ، فجاء رجال من الأنصار فقالوا : لا نَدَعُكم تصلّون عليه ، فقال أبو الجهم : إلاّ تَدَعونا نصلّي عليه فقد صلّت عليه الملائكة ، فقال الحجّاج بن غَزِيّة : إن كنتَ كاذباً فأَدْخَلَك الله مدخله قال : نعم

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٣٧ .

٢ ـ نيار بن مكرم الأسلمي ، هو أحد الذين دفنوا عثمان بن عفان رحمه الله . طبقات خليفة ص ٤١٦ . طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٨ .

حَشَرَني الله معه ، قال ابن غَزِيّة : إنّ الله حاشِرُك معه ومع الشيطان ، والله إن تَرْكي إلحاقَك به لخطأ وعجزٌ ، فسكت أبو الجهم ؛ ثم إنّ القوم أغفلوا أمر عثمان وشغلوا عنه فعاد هؤلاء النفر فصلّوا عليه ودفنوه ، وأمّهم جُبير بن مُطعِم ، وحملت أُمّ البَنِين بنت عُيَيْنة بن حِصْن امرأة عثمان لهم السراج ، وحُمل على باب صغير من جَرِيد قد خرجت عنه رِجْلاه .

وقال : إنه لقيهم قوم من الأنصار فقاتلوهم حتى طرحوه ثم توّطأ عُمير بن ضابىء بن الحارث بن أرطاة التميمي ثم البُرْجُمي بطنه ، وجعل يقول : ما رأيت كافراً أَلينَ بطناً منه ، وكان عُمير أشدّ الناس على عثمان ، وكان أبوه ضابىء اندسّ ليتوجّأ عثمان ويفتك به ففطِنَ به ، فحبسه عثمان فقال في الحبس :

هَمَمْتُ ولَمْ أَفْعَلْ وكِدتُ ولَيْتَني فَعَلْتُ فكان الُمْعْولات حَلائِلُهْ
وما الفَتْكُ إلّا لامْرِىءٍ ذي حَفيظَةٍ إذا رِيعَ لم تُرْعَدْ لجبنٍ خَصائِلُهْ
وما الفَتْكُ ما آمرْتَ فيهِ ولا الذي تُخَبِّرُ مَن لاقَيْتَ أنَّك فاعِلُهْ
فلا يَرأَمَنْ[1] بَعْدي امْرُؤٌ ضَيْمَ ضائِمٍ حِذارَ لِقاءِ المَوْتِ فالمَوْتُ نائِلُهُ

وكان عُمير بن ضابىء ممّن شهد الدار ، وكان أشدَّ الناس على عثمان فكان يقول يومئذ : أُرني ضابئاً ، أُحْيِ لي ضابئاً ، يقول ليرى ما عثمان عليه من الحال وما فَعَلَتْ به ، فقرّعه الحَجّاج بن يوسف بذلك يومَ قَتَله . وكان من خبر ضابىء أنّ بني جَرْوَل بن نَهْشَل وهبوا له كلباً سألهم إيّاه ، ثم ركبت إليه جماعة منهم فارتجعوه منه ، وكان الكلب يُسَمّى قُرْحانَ فقال فيهم :

١ ـ رئم الشيء : أحبه وألفه ، ورئمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته فهي رؤوم . وشاة رؤوم : ألوف . والجرح عالجه حتى رئم . والحبل فتله شديداً . القاموس .

تَجاوَزَ نحوي ركْبُ قُرْحانَ مَهْمَهاً　　تظَل به الوَجْناءُ وهي حَسيرُ
فأُمُّكُمُ لا تَعْقِلوها لِكَلْبِكُمْ　　فإنَّ عُقوقَ الوالِدَيْنِ كَبيرُ
فمَنْ يَكُ مِنْكُمْ ذا غفولٍ فإنّهُ　　عَليمٌ بما تحت النطاقِ بَصيرُ
رَدَدتُ أَخاهُمْ فاسْتَمَرُّوا كأنَّما　　حَباهُمْ بِتاجِ الهُرْمُزانِ أَميرُ

فاستَعْدَوا عليه عثمانَ لِما قال في أمّهم وفيهم ، فيقال إنّه أدّبه وخلّاه ، ويقال بل حبسه ثم خلّاه ، فأراد الفتك ففُطن له وأُخذ فحُبس حتى مات في السجن ، فقال في الحبس :

هَمَمْتُ ولَمْ أَفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَني　　فَعَلتُ فكان المُعْولاتِ حَلائِلُهْ
ما الفَتْكُ إلّا لامْرِىءٍ ذي حَفيظَةٍ　　إذا رِيعَ لَمْ تُرْعَدْ لجِبنٍ خَصائِلُهْ

قالوا : ودُفن عثمان في حَشّ كَوْكَب وهو نخلٌ لرجل قديمٍ يقال له كوكب ، ثم أقبل الناس حين دُفن إلى عليّ فبايعوه ، وأرادوا دفنَ عثمان بالبَقيع فمنعهم من ذلك قوم فيهم أسلم بن بَجْرة الساعدي ويقال جَبَلة بن عمرو الساعدي ، وقال ابن دأب : صلّى عليه مِسوَر بن مَخرَمة .

وقال المدائني عن الوقّاصي عن الزهري : امتنعوا من دفن عثمان فوقفت أمّ حبيبة بباب المسجد ثم قالت : لتُخَلّنَّ بينَنا وبين دفن هذا الرجل أو لأكشفنّ سِتْر رسول الله . فخلُّوا بينهم وبين دفنه .

قال الواقدي : بُويع عثمان بالخلافة أوّل يوم من المحرّم سنةَ أربع وعشرين وقُتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين بعد العصر ، ودُفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حَشّ كَوْكَب إلى جانب البَقيع في موضع نخل ، وكوكب رجلٌ ، فهي مقبرة بني أميّة اليوم ، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوماً ، وقُتل وهو ابن

اثنتين وثمانين سنة ؛ وكان الذين حملوه جُبير بن مُطعِم بن عَدِيّ بن نوفل بن عبد مناف وهو ممّن أسلم في هدنة الحُدَيْبية وحَكيم بن حِزام بن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزّى ، وأبو الجَهْم بن حُذيفة بن غانم العَدَوي ، واسمه عُبيد ، ونِيار بن مُكْرَم الأسلمي . ويقال إنّ عبد الرحمن بن أبي بكر ، والمِسوَر بن مَخرَمة الزهري كانا معهم .

قال الواقدي : لما حجّ معاوية نظر إلى منازل أسلم شارعةً في السوق فقال : أَظلموا عليهم بيوتَهم أَظْلَم الله عليهم قبورَهم ، فإنّهم قتلةُ عثمان ، فقال نِيار بن مُكْرَم الأسلمي : تُظْلِمُ عليَّ بيتي وأنا رابع أربعةٍ حملنا عثمان وقبرناه ؟ قال : فعرفه ، فقال : لا تبنُوا في وجه داره ، ثم دعا به خالياً فقال : حَدِّثني كيف صنعتم ؟ فقال : حملناه ليلة السبت بين المغرب والعشاء الآخرة ، فكنت أنا ، وحَكيم ، وجُبير ، وأبو الجهم بن حُذيفة ، وتقدّم جُبير فصلّى عليه ونزّلناه في حُفرته . قال الواقدي : ويقال إنّه قُتل في عشر ذي الحجّة ، والأوّل أثبت .

قال هشام بن محمد الكلبي: قال عَوانة وغيره : كان مقتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً من مقتل عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، وقُتل صلاةَ العصر ، وبايع الناس عليّاً يوم السبت لتسع عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين .

حدثنا عفّان بن مُسلم الصفّار حدثنا مُعْتَمِر بن سليمان قال: سمعت أبي يقول : حدثنا أبو عثمان النَهْدي أنّ عثمان بن عفّان قُتل في أوسط أيّام التشريق .

قال الواقدي : وكان عثمان رجلًا ليس بالقصير ولا الطويل ، حسنَ الوجه رقيق البشرة كبير اللحية عظيمها ، أسمر اللون ، عظيم الكراديس ، بعيدَ ما بين المنكَبين ، كثير شعر الرأس يصفّر لحيته ، وكان يشُدّ أسنانه بالذهب .

وقال أبو مخنف في روايته : أقبل القاسم بن ربيعة بن أميّة بن أبي الصَلْت الثقفي ، وكان عاملَ عثمان على الطائف ، لينصُره ، فلما انتهى إلى العَقيق بلغه أنه قد قُتل فانصرف ؛ وأقبل عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، وكان عامله على مخاليف الجَنَد ، لينصُره ، فلما انتهى إلى بطن نَخْلة[1] سقط عن راحلته فانكسرت رجله فانصرف إلى أهله ، وهو أبو عمر [بن] عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر ؛ وأقبل مُجاشِع بن مسعود السُلَمي من البصرة فيمن وجّه معه عبدالله بن عامر ، فلما كان ببعض الطريق إذا راكبٌ مُقبلٌ ، فلقيه زُفَر بن الحارث الكِلابي وكان مع مُجاشِع فقال له : ما وراءك ؟ قال : قَتَلَ المسلمون نَعْثَلاً ، قال : ويحك ما تقول ؟ قال : الحقُّ ، وهذه طاقاتٌ من شعره معي ، فقال له زُفَر : لعنك الله ولعن ما أقبل منك وما أدبر ، وشدّ عليه فقتله ، فكان أوّل قتيل بعثمان . وخرج النُعمان بن بَشير الأنصاري يريد الشام ، فدفعت إليه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ قميصَ عثمان وعليه الدم ، فخرج به يركُضُ حتى لقي يزيد بن أَسَد البَجَلي بوادي القُرى ، وهو على مقدّمة حبيب بن مَسْلَمة ، فرجع إلى

١ ـ لعله أراد نخلة اليمانية ، حيث هناك أكثر من نخلة هي جميعاً على مقربة من مكة المكرمة . معجم البلدان .

حبيب فانصرفا جميعاً . وفي حبيب يقول شُريح القاضي حين بعثه معاوية في الخيل من الشام لنصر عثمان :

كلُّ امْرِىءٍ يُدْعى حَبيباً ولو بَدَتْ مُرُوَّتُهُ يَفْـدي حبيبَ بني فِهْرِ
أمـيرٌ يَقودُ الخَيْـلَ حتى كأنَّمـا يَطَأْنَ بِرَضْراضِ الحَصَى جاحِمَ الجَمر

قالوا : وبلغ عمروَ بن العاص مقتلُ عثمان وهو بفلسطين فقال : أنا أبو عبدالله ، إنّي إذا حَكَكتُ قَرْحةً أدميْتُها ونكأْتُها .

قالوا : ولما قُتل عثمان قال حُذيفة بن اليَمان : إنّ عثمان استأثر فأَساءَ الأثَرةَ ، وجزِعنا فأسأنا الجَزَع ، رَأَوا منه أشياءَ أنكروها ولَيَرَوُنَّ أَنْكَرَ منها فلا يُنكرونها ؛ وقال عمرو بن العاص : أَسخط عثمانُ قوماً ، وأرضى قوماً ، وآثرهم فأنكر ذلك أهل السخط فغلبوا أهلَ الأَثرة فقُتل .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا أَبي عن يونس بن يزيد الأَيْلي عن الزهري قال : كان مّما عابوا على عثمان أن عزِل سعدَ بن أبي وقّاص ، وولّى الوليد بن عُقْبة ، وأقطع آلَ الحَكَم دُوراً بناها لهم واشترى لهم أموالاً ، وأعطى مروان بن الحَكَم خُمس إفريقية ، وخصَّ ناساً من أهله ومن بني أميّة فقال له الناس : قد ولي هذا الأمر قبلك خليفتان فمنعا هذا المالَ أنفسَهما وأهليهما ، فقال : إنّما صنعا ذلك احتساباً ووصلتُ به احتساباً ، فقال له الناس إنّ أبا بكر استسلف من بيت المال شيئاً فقضَتْه عنه عائشةُ بعد وفاته ، واستسلف عمر شيئاً ضمنه عنه عبدالله وحَفْصة فباعوا سهامه ووفوا عنه ، واستسلفتَ من بيت المال خمسمائة ألف درهم وليس عندك لها قضاء ، وقال له عبدالله بن الأرقم خازن بيت المال وصاحبه : اقبضْ عنّا مفاتيحك ، فلم يفعل وجعل يستسلف ولا يردّ ،

فجاء عبدالله بالمفاتيح هـو وصاحبه يوم الجمعة فوضعاها على المنبر وقالا : هذه مفاتيح بيت مالكم ـ أو قال : مفاتيح خزائنكم ـ ونحن نبرأ إليكم منها ، فقبضها عثمان ودفعها إلى زيد بن ثابت .

قال الزهري : وكان في الخزائن سَفَط فيه حلي فأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه ، وبلغه ذلك فخطب فقال : هذا مال الله أعطيه مَن شئتُ وأَمنعهُ من شئت ، فأرغم الله أنفَ مَن رغم ، فقال عمّار : أنا والله أوّل من رغم أنفه من ذلك ، فقال عثمان : لقد اجترأت عليَّ يا بن سُمَيّة ، وضربه حتى غُشي عليه ، فقال عمّار : ما هذا بأوّل ما أُوذِيتُ في الله ، وأَطْلعت عائشة شَعراً من شعر رسول الله ﷺ ونعله وثياباً من ثيابه ـ فيما يحسب وَهْبُ ـ ثم قالت : ما أَسْرَعَ ما تركتم سُنّة نبيّكم ، وقال عمرو بن العاص : هذا منبر نبيّكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يَبْلَ فيكم وقد بدّلتم وغيّرتم ، فغضب عثمان حتى لم يَدْرِ ما يقول ، والتجّ المسجد واغتنمها عمرو بن العاص ، وقد كان عثمان قال لعمرو قبل ذلك وقد عزله عن مصر : إن اللقاح بمصر قد دَرَّتْ بَعْدَكَ أَلبانُها ، فقال : لأنّكم أَعجفتم أولادَها ، فقال له عثمان : قَمِلَتْ جُبّتك مذ عُزلتَ عن مصر ، فقال : يا عثمان إنّك قد ركبت بالناس نَهابِيرَ وركبوها بك فإما أن تعدل وإمّا أن تعتزل ، فقال : يا بن النابغة وأنت أيضاً تتكلّم بهذا لأنّي عزلتك عن مصر ؟! وتوعّده .

ونشِب الناسُ في الطعن على عثمان ، وأرسل عثمان إلى امرائه سعيدِ بن العاص وابن عامر ومعاوية فجمعهم وقال : إنّ الناس قد صنعوا ما تَرَوْنَ فأشِيروا عَليَّ ، فقال سعيد بن العاص : جَمِّرْهم وتابع البعوث عليهم حتى

تكون دَبَرةُ دابّة أحدِهم أهمَّ إليه من الكلام ، وقال ابن عامر : أَعْطِهم ما بين لَوْحَي المصحف تُرْضِ الناس كلّهم ، وقال معاوية : قد أشارا عليك بما أشارا به فَأْمُرهما فليعملا بذلك في أهل عمليهما ، وأنا أكفيك أهلَ الشام .

حتى إذا كان أوّل سنة خمس وثلاثين قدم عليه المصريّون فنزلوا ذا خُشُب ، فخرج إليهم عليُّ بن أبي طالب فردّهم فقال بعض الناس : ـ قال جرير[1] : يعني مروانَ ـ استَقَلَّهم عليٌّ وأَمَرهم أن يجتمعوا فيكونوا أكثر ممّا هم ، فانصرفوا ثم رجعوا أكثر ممّا كانوا ، وقدم طوائف من أهل الأمصار فاجتمعوا بالمدينة ، فخرج عثمان إلى الجمعة وكان رجلاً مربوعاً حسن الشعر والوجه أصلع أَرْوَح الرجلين ، فلما صعد المنبر قام إليه رجل من أهل مصر من تُجيب عليه كساء خزّ أصفر فشتمه وعابه وقال : فعلت كذا وفعلت كذا ، فجعل عثمان يلتفت إلى الناس فلا يتكلّم أحد ولم يردّ عليه ، فقعد ولم يكَدْ ، فقام جَهْجَاهُ بن سعيد الغفاري ، فقال مثل قول المصري ، ثم انتزع منه عصا كانت في يده فكسرها ، فما ردّ أحدٌ عليه ولا منعه ، فقام عثمان على دهش شديد فتكلَّم بكلمات يسيرة وصلّى ، وحفّ به الناس من بني أميّة وغيرهم حتى دخل داره وحصروه .

واجتمعت الأنصار إلى زيد بن ثابت فقالوا : ماذا ترى يا أبا سعيد ؟ فقال أتطيعوني ؟ قالوا : نعم إن شاء الله ، فقال : إنّكم نصرتم رسول الله ﷺ فكنتم أنصار الله ، فانصُروا خليفته تكونوا أنصاراً لله مرّتين ، فقال

١ ـ أي جرير بن حازم .

الحجّاج بن غَزِيَّة : والله إن تَدْري هذه البَقَرةُ الصَّيْحاءُ ما تقول ، والله لو لم يْبقَ من أجله[1] إلّا ما بين العصر إلى الليل لتقرّبنا إلى الله بدمه ؛ فقال عبدالله بن سلام : الله الله في دم هذا الرجل ، فوالله ما بقي من أجله إلا اليسير ، فدَعُوه يَمُتْ على فراشه فإنّكم إن قتلتموه سُلّ عليكم سيف الله المغمود فلم يُغْمد حتى يُقْتَل منكم خمسةٌ وثلاثون ألفاً .

وكان الزبير وطلحة قد استَوليَا على الأمر ، ومنع طلحةُ عثمانَ مِن أن يدخل عليه الماء العذب ، فأرسل عليٌّ إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بئره - يعني بئر رُومة - ولا تقتلوه من العطش ، فأبى ، فقال عليّ : لولا أنّي قد آليت يوم ذي خُشب أنّه إن لم يُطِعْني لا أردّ عنه أحداً لأدخلتُ عليه الماء .

قال : وسمعهم عثمان يقولون لنقتلنه فقال : أيريدون قتلي ؟ فوالله ما يحلّ لهم ذلك ، ولقد كنت في أوّل المسلمين إسلاماً ، ولقد مات رسول الله ﷺ وهو عنّي راضٍ ، ثم أبو بكر من بعده ، ثم عمر ، ثم أمر بكتابٍ فكُتب وأمر عبدالله بن الزبير أن يقرأه على الناس ، فلم يدّعوه حين اطّلع من الدار يقرأه حتى تَرَّسوه بالتِرَسَة ، ثم قرأه بأعْلى صوته ولم ينزع حتى فرغ منه ورموه بالنبل ، فكان فيما كتب به عثمان : «إنّي أنزع عن كلّ شيء أنكرتموه منّي وأتوب من كلّ قبيح عملته ، ولا آتَمِرُ إلّا ما أجمع عليه أزواجُ النبيّ ﷺ وذوو الرأي منكم ، ولست أخلع قميصاً قمّصنيه الله ولا أُقيلكم بيعتكم .

---

١ - بهامش الأصل : أجلي .

وأرسل عثمان عبدَالله بن الحارث بن نوفَل إلى عليّ فقال قل له :

إنْ كُنْتُ مَأكولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ

أترضى بأن يُقْتَل ابن عمّتك وتُسلَب مُلْكَك ؟ فقال عليّ : صدق والله لا نترك ابن الحَضْرَمِيّة يأكلها ـ يعني طلحة ـ فلم يُرَع الناسُ ـ صلاةَ الظهر ـ إلاّ بعليّ وهو يقول لهم : أيّها الناس هلمّوا إليَّ ، فتقدّم فصلّى بهم فمال الناس إليه وصلّى بهم يوم النّحْر ، وعثمان محصور في الدار .

وقد كان عثمان بعث عبدالله بن عبّاس على الموسم ، فلما صدر ابن عبّاس بلغه قتل عثمان بالطريق فقال : وددت أنّي لا أبرح حتى يأتيني الذي قتل عثمان فيقتلني ، جَزَعاً مِن قَتْله .

وقد كانت عائشة وأمّ سَلَمة حَجَّتا ذلك العام ، وكانت عائشة تؤلّب على عثمان ، فلما بلغها أمره ، وهي بمكّة ، أمرت بقُبتها فضُربت في المسجد الحرام وقالت : إني أرى عثمان سيشوم قومه كما شَأَمَ أبو سفيان قومه يوم بَدرٍ .

وقُتل عثمان فزعم بعض الناس أنّه قُتل في أيّام التشريق ، وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثمانيَ عشرة ليلة خَلَتْ من ذي الحجّة ، وولي قتلَه محمد بن أبي بكر ومعه سُودان بن حُمْران ، وبايع الناسُ عليّاً ، ومكث عثمان في الدار يوماً أو يومين حتى أخرجه أهله على باب من جَريد النخل صغير خرجت عنه رِجلاه ، وتلّقاهم قوم فقاتلوهم حتى طرحوه وتوطّأه بعضهم ، ثم حملوه وقد حُفر له قبر إلى جانب البَقيع ودفنوه ،

وخرجت عائشة من مكّة حتى نزلت بِسَرِف ، فمرّ راكب فقالت : ما وراءك ؟ قال : قُتل عثمان ، فقالت : كأنّي أنظر إلى الناس يبايعون طلحة

وإصبُعه تحس أيديَهم ، ثم جاء راكب آخر فقال : قُتل عثمان وبايع الناس عليّاً فقالت : واعُثماناه ، ورجعت إلى مكة فضربت لها قبّتها في المسجد الحرام وقالت : يا معشر قريش إنَّ عثمان قد قُتل ، قَتَلَهُ عليّ بن أبي طالب ، والله لأَنْمُلَةٌ ـ أو قالت لَلَيْلَةٌ ـ من عثمان خيرٌ من عليٍّ الدهرَ كلَّه ، وخرجت أمّ سَلَمة إلى المدينة وأقامت عائشة بمكة .

حدثني أبو عُبيد حدثنا ابن عُلَيّة عن ابن عَوْن عن الحسن عن وثّاب ، وكان مع عثمان يوم الدار وأصابته طعنتان كأنّهما كيّتان ، قال : بعثني عثمان فدعوتُ الأَشْتَرَ له فقال : يا أشتر ما يريد الناس منّي ؟ قال : يخيرونك أن تَخْلَع لهم أمرهم أو تُقِصَّ من نفسك وإلّا فهم قاتِلوك ، قال : أمّا الخلع فما كنت لأَخْلَعَ سِربالاً سَرْبَلَنيه الله ، وأمّا القِصاص فوالله لقد علمتَ أنّ صاحَبيَّ كانا يعاقبان ، وما يقوم بَدِني للقِصاص ، وأمّا قتلي فوالله لئِن قتلتموني لا تتحابّون بعدي أبداً ولا تُقاتلون عدوّاً جميعاً أبداً .

حدثني خَلَف بن هشام البّزاز حدثنا أبو شهاب عن ليث عن رجل عن حُذيفة أنّه قال : اللهمّ إنّي بريء إليك من دم عثمان ، عهِدوا إليه واستعتبوه ثم قتلوه .

حدثني هُدْبة حدثنا أبو الأشْهب عن عوف عن محمد بن سيرين أنّ حُذيفة بن اليَمان قال : اللهمّ إن كان قتل عثمان خيراً فليس لي منه نصيبٌ ، وإن كان شرّاً فأنا منه بريء ، ولئِن كان خيراً لَيحتلبُنّها لَبَناً ، وإن كان قتله شرّاً ليمتصرُنّها دماً .

وحدثني هُدْبة بن خالد حدثنا أبو هلال قال سمعت الحسن يقول : عمل عثمان اثنتي عشرة سنة ثم جاء فَسَقَةٌ فقالوا : يا عثمان أَعطنا كتاب

الله ، وترامَوا بحصباء المسجد حتى ما يُرَى أديمُ السماء من الغُبار ، فحصروه ثم أغلقوا باب القصر ؛ قال الحسن: فحدثني وثاب مولى عثمان قال : أصابتني جراحة فأنا أَنزفُ مرّةً وأقوم مرّةً ، فقال لي عثمان : هل عندكَ وضوءٌ ؟ قلت : نعم ، فتوضّأ ثم أخذ المصحف فتحرّم به من الفسَقة فبينا هو كذلك إذ جاء[1] هرٌّ كأنّه ذئب فاطلّع ثم رجع فقلنا لقد ردّهم أمرٌ ونهاهم ، فدخل محمد بن أبي بكر حتى جثا على ركبتَيْه ، وكان عثمان حسن اللحية ، فجعل يَهُزّها حتى سُمِع نَقيضُ أضراسه ثم قال : ما أَغنى عنك معاويةُ ، ما أغنى عنك ابن أبي سرح ، ما أَغنى عنك ابنُ عامر ؟ فقال : يا بن أَخي مهلاً فوالله ما كان أبوك لِيجلس منّي هذا المجلس ، قال : فأَشْعَرَهُ وتعاوَوا عليه فقتلوه ، فوالله ما أفلت منهم مُخبر .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثني محمد بن الأعرابي الراويةَ حدثني سعيد بن سلم عن ابن عَوْن قال : سمعت القاسم بن محمد بن أبي بكر يقول وهو ساجد : اللهمّ اغفر لأبي ذنبه في عثمان .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا قُريش بن أَنَس عن سليمان التَّيْمي عن أبي نَضْرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال : دخل المصريّون على عثمان فضربه أحدُهم على يده فقطر من دمه في المصحف على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾ فقال عثمان عند ذلك : أما إنّها لأوّل يد خطّت المفصَّل .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا محمد بن أبي عَديّ عن ابن عوْن عن ابن سيرين قال : لما نزل القوم بابن عفّان قال ابن عمر : صحبتُ

---

١ ـ في ابن سعد ج ٣ ص ٧٣ «رويجل» .

رسول الله ﷺ فلا أعلمه ظَلّ يوماً ولا بات ليلةً إلاّ وهو عني راضٍ ، ثم صحبت أبا بكر فكان كذلك ، ثم صحبت عمر فرأيت له حقّين حقّ الإبّوة وحقّ الإمامة فكان كذلك ، ثم صحبتُك يا أمير المؤمنين فرأيت لك مثل الذي رأيت لمن مضى ، أو كما قال ، فقال له عثمان : جزاكم الله خيراً يا آل عمر ، وسأله عن القوم فقال : اعرضْ عليهم كتاب الله فإن أبَوْ فهو خيرٌ لك وشرّ لهم ، وإن قبلوه فهو خير لهم [وخير لك] . فأرسل علي بن أبي طالب فعرض عليهم كتاب الله فقبلوه ، واشترطوا جميعاً : أنّ المَنْفيَّ يُقْلَبُ والمحرومُ يعطَى ويُوفَّر الفيء ويُعدَل في القسم ويُستعمَل ذوو القوّة والأمانة ؛ وقال : لقد قُتل عثمان وإنّ في الدار لسبعمائة منهم الحسن وابن الزبير ، فلو أُذِن لهم لأخرجوهم من أقطار المدينة .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا يزيد بن هارون ومحمد بن يزيد الواسطي عن العّوام بن حَوْشب عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال : بعث عثمان إلي عليّ يدعوه وهو محصور فأراد أن يأتيه فتعلّقوا به ومنعوه فقال : اللهمّ إنّي لا أرضى قتله ولا آمُرُ به ، مرّاتٍ .

وحدثني محمد بن سعد حدثنا كَثير بن هشام حدثنا جعفر بن بُرْقان حدثني راشد أبو فَزارة العَبْسي أنّ عثمان بعث إلى عليّ وهو محصور ، فأراد أن يأتِيَه فقام إليه بعض اهله فحبسه وقال : ألا ترى ما بين يديك من الكتائب ولن تَخْلصَ إليه ، فنفض عمامةً سوداء كانت على رأسه ثم رمى بها إلى رسول عثمان وقال : أَخْبِرْه بالذي رأيتَ ، ثم إنّه خرج إلى سوق المدينة فقال : اللهمّ إنّي ابرأ إليك من دمه أن أكون قتلتُه أو مالأْتُ على قتله[1] .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٨ ـ ٦٩ .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يعقوب بن عبدالله القُمّي عن جعفر بن أبي المُغيرة عن سعيد بن عبد الرحمن بن أَبْزَى عن أبيه قال : لما رجع أهل مصر وأحاطوا بالدار بعث عثمان إلى عليّ بن أبي طالب أن ائْتِني ، فبعث إليه حسيناً ابنه ، فلما جاءه قال له عثمان : يا بن أخي ما جاء بك ؟ قال : جئتُ لأَفِيَ ببيعتي ، قال : يا بن أخي أتقدر على أن تمنعني من الناس ؟ قال : لا ، قال : فأنت في حِلٍّ من بيعتي ، فقُل لأبيك يأتِني ، فجاء الحسين إلى عليّ فأخبره بقول عثمان ، فقام عليّ ليأتيه فقام إليه ابن الحَنَفيّة فأخذ بضَبْعَيه يمنعه من ذلك ، قال ابن أَبْزَى : فأنا رأيت علياً يَطْرِف له ويقول: لا أُمَّ لك ، حتى جاء الصَريخُ أن قد قُتل عثمان فمدّ عليٌ يده إلى القِبْلة ثم قال : اللهمّ إنّي أبرأ إليك من دم عثمان .

حدثني عمرو بن محمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مُنْذِر أبي يَعلَى عن ابن الحَنَفيّة قال : لما كان اليومُ الذي أرادوا فيه قَتْلَ عثمان أرسل مروان إلى عليّ : ألا تأتي هذا الرجلَ فتمنعه فإنّهم لن يُبرموا أمراً دونك ولو كنتَ بمُنْقَطَعِ التُرابِ ، قال : فقام عليّ ليأْتِيَهم فأخذ ابن الحَنَفيّة بكتفيه ـ أو قال بحَقْوَية ـ وقال : والله ما يريدونك إلاّ رهينةً ، فجلس وأرسل إليهم بعمامته ينهاهم عنه .

حدثني الحسين بن عليّ العِجْلي عن عبيدالله بن موسى عن إسرائيل عن عبد الأعلى عن محمد بن عليّ قال : والله لقد قُتل عثمان وعليٌّ في داره ما علم به وبمن قتله .

وحدثني عمرو بن محمد عن عبدالله بن جعفر الرَقّي عن عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن محمد بن عبيد الأنصاري عن أبيه قال :

أتيتُ عليّاً في داره يومَ قُتل عثمان فقال : ما وراءك ؟ قلتُ: شَرٌّ ، قُتل أمير المؤمنين ، فاسترجع ثم قال : أَحْبِب حبيبك هَوْناً ما عسى أن يكون بغيضَك يوماً ما ، وأَبْغِض بغيضك هَوْناً ما عسى أن يكون حبيبَك يوماً ما ، قال: وسمعته يقول مراراً : اللهمّ إنّي أبرأ إليك من قتل عثمان .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا موسى بن داود حدثنا نافع بن عمر الجُمَحي عن عمرو بن دينار قال : كلَّم أهل المدينة ابن عبّاس في أن يُحُجّ بهم وعثمان محصور ، فاستأذنه في ذلك فقال : حُجّ بهم ، ثم رجع وقد قُتل عثمان فقال لعليٍّ : إنّك إن قُمْتَ بهذا الأمر أُلزَمَك الناسُ دمَ عثمان إلى يوم القيامة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا بَهْز حدثنا حُصين بن نُمير عن جُهيم الفِهْري قال : أنا حاضر أمر عثمان ، فذكر كلاماً في أمر عمّار ، فانصرف القوم راضين ، ثم وجدوا كتاباً إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق رؤساء المصريّين فرجعوا ودفعوا الكتاب إلى عليّ فأتاه به فحلف له أنّه لم يكتبه ولم يعلم به ، فقال له عليّ : فمن تتّهم فيه ؟ فقال : أتّهم كاتبي وأتّهمك يا عليّ لأنّك مُطاع عند القوم ولم تردَّهُمْ عنّي ، قال : فحصروه .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا الضحّاك بن مَخلَد أبو عاصم النبيل عن سعدان بن بشر الجُهَني عن أبي محمد الأنصاري قال : شهدت عثمان في الدار ، والحسنُ بن عليّ يضارب عنه فجُرح الحسن ، فكنت فيمن حمله جريحاً ، قال : وجاء رجل فضرب عثمان فرأيت الدم ينثعب على المصحف .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا سليمان بن حرب أنبأنا حمّاد بن

زيد حدثنا أبو سَلَمة عن أبي نَضْرة العَبْدي المنذر بنِ مالك عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال : كلَّم المصريّون ومن معهم عثمان وذكروا ما نقموا عليه فيه ، فأعطاهم الرضى وحلف على الكتاب الذي وجدوه ، فقال الأشتر : أي قومِ ارجعوا فوالله إنّي لأَسمع حَلْفَ رجلٍ قد مُكر به ومُكر بكم عنه ، فقال رجل : انتَفَخَ سَحْرُك يا أشتر - يا مالك - ثم أَقاموا حتى قتلوه .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا أبي قال : سمعت حُميد بن هلال قال ، حدّث رجل ممّن دخل على عثمان يوم الدار قال : قتلوه ثم فتحوا تابوتاً له فاستخرجوا منه جَوْزاً فجعلوا يأكلونه ويضحكون فقلت في نفسي : لا يُصيب هؤلاء خيرٌ أبداً ، قتلوا أمير المؤمنين ثم هم يأكلون ويضحكون .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا ابن أبي عَديّ عن ابن عَوْن عن نافع قال : لبس ابن عمر الدرع يوم الدارِ مرّتَيْن .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا جُوَيْرية بن أَسْماء حدثنا محمد بن الحارث بن زَهْدَم وهو ابن فاخِتة عمّة مالك بن أنس أَنَّ مالك بن أبي عامر حدّثه قال : احتملنا عثمان فانتهينا به إلى أقصى البَقِيع إلى حائط قد كان عثمان اشتراه ليَصِلَه بالمقبرة ، فكان الناس يتحامونه للدعوة التي ذُكرت في أهل البَقِيع[1] فقيل : يا أمير المؤمنين لو أُكرهت الناس عليه ، فقال : دَعُوه لعلّه يُدفَن فيه رجل صالح فيستنّ الناس في الدفن به ، فكان عثمان أوّل من دُفن فيه .

١ - حول البقيع ودعاء النبي ﷺ بالمغفرة لمن دفن به ، انظر تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي - ط. القاهرة ١٩٥٥ ص ١٢٣ - ١٢٩ .

المدائني عن أبي جَزِيّ عن عمرو بن دينار عن طاوس قال : لما قُتل عثمان قال أبو موسى : هذه حَيْصَةٌ من حَيْصَات الفِتَن ، وبقيَت المُثْقِلَةُ الرَّداحُ التي من هاج فيها هاجت به ومن أَشْرَفَ لها أشرفت له .

المدائني عن الوقّاصي عن الزهري قال : كان سعيد بن المسيّب يسمّي العام الذي قُتل فيه عثمان عام الحُزْن .

المدائني عن أبي جَزِيّ عن عمرو عن طاوس أنّه سمع رجلاً يقول : ما رأيت رجلاً أجرأ على الله من فلان ، فقال : إنّك لم تر قاتِلَ عثمان .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن الحَكَم بن القاسم عن [ابن عَوْن مولى] المِسوَر بن مَخرَمة قال : كان المصريّون كافّين حتى بلغهم أنّ الأَمْداد قد اقبلتْ إلى عثمان من قِبَل عُمّاله فعند ذلك عاجَلوه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن [عبدالله] بن أبي سَبْرة عن عبد المجيد بن سُهيل قال : قال سعد بن أبي وقّاص حين رأى الأشتر وحُكيم بن جَبَلة وعبد الرحمن بن عُديس : إنّ أمراً هؤلاء أُمراؤُهُ لأَمْرُ سَوْءٍ .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد عن أبي جعفر القارىء مولى بني مخزوم قال : كان المصريّون الذين حصروا عثمان ستّمائة عليهم عبد الرحمن بن عُديس البَلَوي وكِنانة بن بِشر بن عَتّاب الكِنْدي وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي ، والذين قدموا من الكوفة مائتين عليهم مالك بن الأشتر النَخَعي ، والذين قدموا من البصرة مائة رجل رئيسهم حُكيم بن جَبَلة العبدي وضَوَتْ إليه حثالة من الناس قد مَرِجَت أماناتهم وسفِهت أحلامهم ، وكان أصحاب النبيّ ﷺ الذين خَذَلوه لا يرون أنّ الأمر يبلغ به

القَتْلَ فلما قُتل ندِموا ، وَلَعَمْري لو قام بعضُهم فحثا التراب في وجوه أولئك لانصرفوا[1] .

وقال الواقدي في روايته : تَسَوَّر على عثمان من دار عمرو بن حَزْم محمدُ بن أبي بكر ، وكِنانةُ بن بِشْر ، وسُودان بن حُمران المُرادي ، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي ، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلةَ وهو يقرأ سورة البقرة في المصحف ، فتقدّمهم محمد وأخذ بلحيته وقال : قد أخزاك الله يا نَعْثَل ، فقال عثمان : لست بنعثل ، ولكنّي عبدالله أمير المؤمنين ، فقال محمد : ما أَغنَى عنك معاويةُ وفلان وفلان ؟ فقال : يابن أخي دع لحيتي فما كان أبوك لِيجلس هذا المجلس ، ولا يقبض عَلَى ما قبضتَ عليه منها ، فقال : الذي أُريد بك أَشَدُّ من هذا ، فقال عثمان : أَستعين بالله وأستنصره عليك ، فاجتمعوا على قتله .

المدائني عن أبي هلال عن ابن سيرين قال : جاء ابن بُديل إلى عثمان ، وكان بينهما شَحْناءُ ، ومعه السيف وهو يقول : لأقتلنّه ، فقالت له جارية عثمان : لأنت أهونُ على الله من ذاك ، فدخل على عثمان فضربه ضَرْبَةً لا أدري ما أَخذتْ منه .

وقال الواقدي في روايته : لما ضرب محمد بن أبي بكر عثمان بمشاقصه قال عثمان : بسم الله توكّلت على الله ، وإذا الدم يسيل على لحيته وعلى المصحف حتى وقع على : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله﴾ وأطبق عثمان المصحف .

وقال الكلبي : ضرب كِنانةُ بن بِشْر التُجيبي عثمان بعمودٍ ضربةً على مُقَدَّم رأسه وجبينه ، فقال الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعيط .

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧١ - ٧٢ .

أَلا إنَّ خَيْرَ الناسِ بَعْدَ ثَلاثَةٍ قتيلُ التُجيبِيِّ الذي جاءَ مِن مِصْرِ

قال : وقال الوليد أو غيره :

عَـلاهُ بِالعَمـودِ أخـو تُجيبٍ فأَوْهَى الرَّأسَ مِنْـهُ والجبينا

حدثني محمد بن سعد حدثنا عفّان حدثنا حوثرة بن بشير حدثني أبو خلدة : أنّه سمع علياً رضي الله تعالى عنه يقول وهو يخطب ، فذكر عثمان فقال : والله الذي لا اله الاّ هو ما قتلته ولا مالأْتُ على قتله ولا ساءني .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن رجل عن الزهري قال : قُتل عثمان عند صلاة العصر ، وشَدَّ عبدٌ أسود على كِنانة بن بِشْر فقتله ، وشدّ سُودان بن حُمران على العبد فقتله ، وركب الغوغاءُ دار عثمان ، فصاح إنسان منهم : أيَحلُّ دم عثمان ولا يحلّ ماله ؟ فانتهبوا متاعه ، فقالت نائلة امرأته : لُصوصٌ وربِّ الكعبة ، والله ما أردتم الله بقتله ، ولقد قتلتموه صوّاماً قوّاماً يقرأ القرآن في ركعة . وخرج الناس من الدار وأُغلق الباب على ثلاثة قَتْلَى : عثمان وعبدٍ لعثمان وكِنانة بن بشر .

قال محمد بن سعد: قال الواقدي : والثبت أنّ كنانة بن بشر قُتل بمصر حين قُتل ابن أبي بكر بها ، وذِكرُ كنانةَ هاهنا وَهْم .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن غياث بن إبراهيم قال : تُوفّي عثمان وله خمس وثمانون سنة . وقال الواقدي وابن الكلبي : تُوفّي وله اثنتان وثمانون سنة .

وقال المدائني عن أبي مخنف ومَسْلَمة بن مُحارب : كتبت نائلةُ بنت الفَرافِصة امرأة عثمان إلى معاوية كتاباً تُخبره فيه بأمر عثمان ومقتله ، وتُعلمه أنّ أهل مصر أُسندوا أمرهم إلى عليّ بن أبي طالب ، وابن أبي بكر ، وعمّار بن

ياسر فأمروهم بقتله، وأنّ فيمن حصره خُزاعةَ وسعد بن بكر وهُذيلاً وطوائف من جُهينة ومُزينة وأنباط يثرب ، وبعثت بقميصه إليه ، فقال قوم من أهل الشام : والله لنقتلنّ علياً .

حدثني عبدالله بن صالح عن إسرائيل عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن مسلم بن يسار قال : سألت ابن عمر هل شرك عليٌّ في دم عثمان ؟ فقال : لا والله ما علمت ذلك في سرّ ولا علانية ، ولكنّه كان رأساً يُفْزَعْ إليه فأُلْحِقَ به ما لم يكن .

حدثني عبدالله بن صالح العِجلي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : خرجت نائلةُ امرأة عثمان ليلة دُفِنَ ومعها سراج وقد شَقَّت جيبها وهي تصيح واعُثماناه واأمير المؤمنيناه ، فقال لها جُبير بن مُطعِم : أَطْفِئي السرج فقد تَرَيْنَ مَن بالباب ، فأطفأت السراج وانتهوا به إلى البَقيع فصلّى عليه جُبير ، وخَلْفه حَكيم بن حِزام بن خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العُزّى ، وأبو جَهْم بن حُذيفة ، ونِيار بن مُكْرَم ، ونائلة ، وأمّ البنين بنت عُيينة بن حِصن امرأتاه ، ونزل في حُفرته : نيار ، وأبو جَهْم ، وجُبير ، وكان حَكيم والامرأتان يُدَلُّونه على الرجال حتى قُبر ، وبُنِيَ عليه وعمُّوا قبره وتفرّقوا .

وخرجت نائلة إلى الشام فخطبها معاوية فنزعت ثنيتيها ولم تُجِبْه .

وخلفَ أبو هريرة على فاختِةَ بنت غَزْوان وهي بُسرَةُ فكان يقول : كنت أجيرَ ابن عفّان بطعام بطني وعُقْبة رجْلي أَخدُمُهم إذا نزلوا ، وأسوق بهم إذا ركبوا ، فغضب عَلَيَّ يوماً فقال : لتمشينّ حافياً ، ثم تزوجتُ امرأته .

وقال أبو الحسن المدائني في روايته : طلّق عثمان ابنة عُيينة في حصاره ، وكان فيها جَفاء كجفاء أبيها ، بلغها أنّ النبيّ ﷺ قال : مُزينةُ وجُهينة وأَسْلَم وغفار خير من تَميم وأسد وعامر وغَطَفان ، فقال عُيينة : لأن أكون مع هؤلاء في النار أحبّ أليَّ من أن أكون مع أولئك في الجنّة ، فقالت : والله ما أَبْعَدَ أبي .

حدثني هُدْبة بن خالد البصري حدثنا المبارك بن فَضالة عن الحسن قال : أدركتُ عثمان على ما نقموا منه ، وما يأتي على الناس يومٌ إلّا وهم ينالون فيه خيراً ويقال : اغدُوا على أعطياتكم فيغدون فيأخذونها ، ويقال : اغدوا على كسوتكم فيأخذونها ، حتى لَربّما أُعطوا العَسَل والسمن ، فالأعطيات دارّة ، والعدوّ مقموعٌ وذاتُ البيْن صلح .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا سليمان بن حرب . حدثنا حمّاد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : كانت الامرأة تجيء على عهد عثمان فتحْمِل وِقْرها من الطعام والثياب وغير ذلك ثم تقول : اللهمّ بَدِّلْ ؛ فلما قُتل عثمان قال حسّان بن ثابت :

ما نَقَمْتُمْ مِنْ ثِيابٍ خِلْفَةٍ وعَبيدٍ وإماءٍ وذَهَبْ[1]

قال : وقال أبو حُميد الساعدي ـ وكان بَدْريّاً ـ : والله ما كُنّا نَرَى أنّه يُقْتَل ، اللهمّ إنّ لك عليَّ ألّا أفعل كذا ولا أُضْحَكَ حتى ألقاك .

حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا حمّاد بن زيد أنبأنا هشام بن حسّان عن ابن سيرين قال : لقد قُتل عثمان يوم قُتل وما أحدٌ يتّهم عليّاً في قتله .

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٢٢ .

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام حدثنا وكيع أنبأنا الأعمش عن ثابت بن عُبيد عن أبي جعفر الأنصاري قال : رأيتُ عليّاً يومَ قُتل عثمان وعليه عمامة سوداء وهو مُحْتَبٍ بسيفه في ظُلّة النساء فسمعتُه يقول : تبّاً لكم سائرَ الدهرِ .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن الحكَم بن الصَلْت عن محمد بن عمّار بن ياسر عن أبيه قال : رأيت عليّاً على منبر رسول الله ﷺ حين قُتل عثمان وهو يقول : ما أحببت قَتْلَه ولا كرهتُه ، ولا أمرتُ به ولا نهيت عنه .

حدثنا سُريج بن يونس أبو الحارث الزاهد حدثنا أبو معاوية الضَرير أنبأنا لَيْث عن طاووس عن ابن عبّاس أنّه سمع عليّاً يقول حين قُتل عثمان : والله ما قتلتُ ولا أمرتُ ولكنّي غُلِبتُ ، يقولها ثلاثاً .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد أبو عثمان حدثنا عبدالله بن نمير انبأنا شريك عن عبدالله بن عيسى عن ابن أبي ليلى قال : رأيتُ عليّاً عند أحجار الزَيْت رافعاً يديه يقول : اللهمّ إنّي ابرأ إليك من دم عثمان .

حدثني عمرو بن محمد عن اسحاق بن يوسف الأزرق عن مِسْعَر بن كِدام عن عبد الكريم عن طاووس عن ابن عبّاس قال: أَشهدُ على عليٍّ أنّه قال في قتل عثمان : لقد نهيتُ عنه ولقد كنت كارهاً لقتله ولكنّي غُلِبتُ[1] .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا عبدالله بن إدريس عن ليث عن زياد بن أبي المليح عن أبي المليح قال: قال ابن عبّاس : لو أنّ الناس أجمعوا على قتل عثمان لرُمُوا بالحجارة كما رُمي قومُ لُوطٍ .

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٨٢ .

حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال: سمعت يَعْلَى بن عبيد يحدّث عن نافع عن ابن عمر قال : مازال ابن عبّاس يَنْهَى عن قتل عثمان ويعظِّم شأنَه حتى جعلتُ أَلومُ نفسي على أن لا أكونَ قلتُ مثلَ ما قال .

حدثنا أبو خَيْثَمة زُهير بن حرب وأحمد بن إبراهيم قالا: حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن النعمان بن راشد عن الزهري عن عُروة عن عائشة قالت : ليتني كنت نَسياً مَنْسِيّاً قبل أمر عثمان فوالله ما أحببت له شيئاً إلاّ مُنِيتُ بمثله ، حتى لو أحببتُ أن يُقْتَلَ لَقُتِلتُ .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا أبو داود الطَيالسي انبأنا وكيع عن قيس بن مسلم عن أمّ الحجّاج العَوْفيّة قالت : كنت عند عائشة وعثمانُ محصورٌ فجاء الأشتر فقال لها : يا أمّ المؤمنين ما تقولين في أمر هذا الرجل ؟ فتكلّمت امرأةٌ صَيِّتةٌ بيّنةُ اللسان فقالت : معاذ الله أن آمُرَ بسفك دماء المسلمين ، وقَتْلِ إمامهم واستحلال حُرْمتهم ، فقال الأشتر : كَتَبْتُنَّ إلينا حتى إذا قامت الحربُ على ساق أنشأتن تَنْهَيْنَنا .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم عن أبي داود عن حَزْم القُطَعي عن أبي الأسود عن طَلْق بن خُشّاف قال : قدمتُ المدينة بعد مقتل عثمان فسألتُ عائشة عن قتله فقالت : لعن الله قَتَلتَه فقد قُتل مظلوماً ، أَقادَ الله من ابن أبي بكر وأهدى إلى الأشتر سهماً من سهامه وهراق دم ابنَي بُديل ، فوالله ما من القوم أحد إلاّ أصابته دَعْوَتُها .

المدائني عن النَضْر بن إسحاق عن قتادة أنّ رجلاً من بني سَدُوس قال : كنتُ فيمن قَتل عثمان فما منهم رجلٌ إلاّ أصابته عقوبةٌ غيري ؛ قال

قتادة : فما مات حتى عَمِيَ ، قال أبو داود : وقُتل ابنا بُديل بصِفّين .

وقال ثُمامة بن عَديّ ، وكان أميراً على صنعاء ، وكانت له صُحبة : أَقُتِلَ عثمان ؟ قالوا : نعم ، فقال : هذا حِينَ انْتُزِعَتْ خلافة النبوّة وصار الأمرُ مُلكاً وجَبْرِيَةً مَن غَلَبَ على شيءٍ أَكَلَه .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثني عبد الرحمن بن مهديّ عن سفيان عن موسى الجُهَني عن ابنة عبدالله بن عُكيم أبي معبد الجُهَني قالت : كان أَبي يُحبّ عثمان وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يحبّ عليّاً ، وكانا مُتآخِيَيْن ، فما سمعت أبي يقول لعبد الرحمن شيئاً قطّ في عليٍّ إلاّ إنّي سمعته يوماً يقول : لو أنَّ صاحَبك صَبَر لأَتاه الناسُ .

حدثني أحمد بن إبراهيم عن ابن إدريس عن محمد بن [أبي] أيّوب عن حميد بن هلال عن عبدالله بن عُكيم الجُهَني قال : لا أُعينُ على دم خليفة أبداً بعد عثمان ، فقيل له : يا أبا معبد وأَعنتَ على دمه ؟ قال : إنّي أَعُدُّ ذِكْرَ مساويه إعانةً على دمه .

حدثنا عبدالله بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قال : كان أبو هُريرة إذا ذُكر ما صُنع بعثمان بكى فكأنّي أسمعه يقول هاه هاه ، ينتحب .

المدائني عن سَلَمة بن عثمان عن عليّ بن زيد عن الحسن قال : دخل عليٌّ يوماً على بناته وهنّ يمسحن عيونهنّ فقال : مالكنّ تَبْكِينَ ؟ قُلْنَ : نبكي على عثمان ، فَبَكَى وقال : ابْكِين .

حدثني سُريج بن يونس ومحمد بن سعد قالا: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن خَيْثمة عن مسروق عن عائشة أنّها قالت حين قُتل عثمان :

تركتموه كالثوب النَّقيّ من الدَنَس ثم ذبحتموه كما يُذْبَح الكبش ، فهَلاّ كان هذا قبل هذا ؟ فقال مسروق : هذا عملكِ ، كتبتِ إلى الناس تأمُرينهم بالخروج إليه ، فقالت : لا والذي آمنَ به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبتُ إليهم بسوداء في بياض حتى جلستُ مجلسي هذا ؛ قال الأعمش : فكانوا يَرَوْن أنّه كُتب على لسانها .

وحدثني هُدبة بن خالد حدثنا أبو الأشهب عن الحسن أنّه كان لا يسمّي محمد بن أبي بكر إلّا بالفاسق .

وقال مصعب الزُبيري : أُوصى عثمان إلى الزبير إلى بلوغ عمرو ابنه .

حدثني محمد بن خالد الطحّان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون عن اليمان بن المغيرة عن اسحاق بن سُويد قال : رثى حسّان بن ثابت عثمان رضي الله تعالى عنه فقال :

أَبْكي أَبا عَمْرٍو لِحُسنِ بَلائِهِ   أَمْسَى رَهيناً في بَقيع الغَرْقَدِ
وكأَنَّ أَصْحابَ النَبيِّ عَشِيَّةً   بُدُنٌ تُنَحَّرُ عِنْدَ بابِ المَسْجِدِ[1]

وقال مصعب بن عبدالله الزبيري : لقي الوليد بن عُقبة بِجاداً مولى عثمان بن عفّان بالمِراض وهو صادر عن المدينة فسأله عن الخبر فأعلمه بقتل عثمان فقال :

ليتَ أَنّي هَلكْتُ قبلَ حَديث   سَلَّ جِسْمي وريعَ مِنْهُ فُؤادي
يَوْمَ لاقَيْتُ بالمِراضِ بِجاداً   ليتَ أَنّي هَلَكْتُ قبلَ بِجادِ

وقال الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط في أمر عثمان :

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١١٨ .

بَني هاشِمٍ رُدّوا سِلاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ ولا تُنْهِبوهُ لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ
هُمُ قَتَلوهُ كَيْ يَكونوا مَكانَهُ كما غَدَرَتْ يَوماً بِكِسْرَى مَرازبه
وكَيفَ يُرَجُّونَ البَراءَةَ عِنْدنَا وعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ ونَجائِبُهْ
فإلّا تكونوا قاتِليهِ فإنَّهُ سَواءٌ عَلَيْنا مُمْسِكاهُ وضارِبُهْ

في أبيات .

وقال حسّان بن ثابت :

انْ تُمْسِ دارُ بني عَفّانَ خاوِيَةً بابٌ صَريعٌ وبابٌ مُحْرَقٌ خَرِبُ
فقد يُصادِفُ باغي الخَيْرِ حاجَتَهُ فيها ويَأْوِي إِلَيْها العِزُّ والحَسَبُ
يا أيُّها الناسُ أَبْدوا ذاتَ أَنْفُسِكُمْ لا يَسْتَوِي الصِدْقُ عِندَ اللهِ والكذبُ
إلّا تتوبوا إلى الرحمنِ تَعْتَرفوا بِغارَةٍ عُصَبٍ مِنْ خَلْفِها عُصَبُ
فيهِمْ حَبيبُ إمام القَوْمِ يَقْدُمُهُمْ مُسْتَلْئِماً قد بدا في وَجْهِهِ الغضب(١)

وقال حسّان أيضاً :

صَبْراً جَميلاً بني الأَحرار لا تَهِنُوا قد يَنْفَعُ الصَبْرُ في المَكْروهِ أَحيانا
يا ليتَ شَعْري وليتَ الطير تخبرني ما كان شأنُ عَلِيٍّ وَآبْنِ عَفّانا
لَتَسْمَعُنَّ وشيكاً في دِيارِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ يا ثاراتِ عُثْمانا(٢)

وقال عليّ بن الغدير بن المضرّس الغَنَوي ، ويقال إهاب بن همّام بن صَعْصَعَة بن ناجية بن عِقال المجاشِعي ، ويقال ابن الغَريرة النَهْشَلي :

لَعَمْرُ أَبيكِ فلا تُكْذَبي لقد ذَهب الخيْرُ إلّا قليلا
لقد فُتِنَ الناسُ في دينِهِمْ وخَلَّى ابنُ عَفّانَ شَرّاً طويلا

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٢٠ .
٢ ـ ديوانه ج ١ ص ٩٦ .

وقال حبيب بن عوف العَبْدي :

أرَى عَيْني تَـأوَّبَهـا قَـذاهـا فـما تُغْفي فيَنْفَعَهـا كَـراهـا
لقد كَرِهَتْ قِتالَ الشيخ إنّي أرَى حَرْباً سَيَنْدَمُ منْ جَناها
أتى الـرَحْمنُ أُمَّتَنـا بِـأمْـرٍ وأقْشَعَ عن جَماعَتِها دُجاهـا
وأصْلَحَ بَيْنَهـا حتى نـراهـا تُقـارِعُ أُمَّةً أُخْـرَى سِواهـا

وقال الأعْوَر الشَنّي :

بَكَتْ عَيْنُ مَنْ يَبْكي ابْنَ عَفّانَ بَعْدَما نَفَى وَرَقَ الفُرْقانِ كُلَّ مَكانِ
ثَوَى تارِكاً لِلحَقِّ مُتَّبعَ الهَوَى وأوْرَثَ حَـرْباً حَشُّهـا بِطعـانِ
بَرِئْتُ إلى الرَحْمنِ مِنْ دينِ نَعْثَلٍ ودينِ ابن صَخْرٍ أيُّها الرَجُلانِ

وقال عبد الرحمن بن الحَكَم :

لَقَدْ شَرِكَتْ زُرَيْقٌ في ابْنِ أرْوَى فقـدْ ضَلَّتْ زُرَيْقٌ أجْمَعونـا

حدثني المدائني عن ابن جُعْدُبة قال : مرّ عليّ بدار بعض آل أبي سفيان فسمع بعض بناته تضرب بدُفّ وتقول :

ظُلامَةُ عُثْمـانَ عِنْدَ الـزّبَيْرِ وَأوْتَـرُ مِنْـهُ لنـا طَلْحَـهْ
همـا سَعَّراهـا بِأجـذالهـا وكـانـا حَقيقَـيْن بـالفضْحَـهْ
يهرّان شـرّ هريـر الكلاب ولـو أعلنـا كـانت النبحـه

فقال عليّ : قاتلها الله ما أعْلَمَها بموضع ثأرها .

وولد لعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

عبدالله الأصغر ، أمّه فاخِتة بنت غَزْوان أخت عتبة بن غزوان ، وعبدالله الأكبر ، أمّه رُقَيّة بنت النبي ﷺ نقر عينَه ديكٌ فمات وقد ذكرناه فيما تقدّم ، وعمرو ، وأبان ، وخالد ، وعمر ومريم ، أمّهم أمّ عمرو بنت جُنْدب بن عمرو بن حُمَمَة الدَوْسي من الأَزْد ، وسعيد ، والوليد ، وأمّ سعيد ، أمّهم أمّ عبدالله بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومي واسمها فاطمة ، والمُغيرة ، أمّه أسماء بنت أبي جَهْل بن هشام ، وعبد الملك ، أمّه مُلَيْكة بنت عُيَيْنة بن حِصْن الفَزاريّة وهي أمّ البنين .

قال أبو الحسن المدائني : تزوّج عثمان أمّ البنين بنت عُيَيْنة بن حِصْن فدخل عليها عُيَيْنة ليلاً وهي عند عثمان وهو يُفْطِر فدعاه إلى العشاء فقال : إنّي صائم فقال عثمان : سبحان الله أَيُصامُ بالليل ؟ قال : إنّي مثلتُ بين صوم الليل والنهار فوجدتُ صيامَ الليل أخفّ عليّ ، فتبسّم عثمان .

وأمّ أبان ، وأمّ عمرو ، وعائشة ، أمّهنّ رَمْلة بنت شَيْبة بن رَبيعة بن عبد شمس وكانت من المهاجرات ، ولها تقول هند بنت عُتْبة :

عَـدِمْنا كُـلَّ صـابِئَـةٍ بِـوَجٍّ ومَكَّةَ أو بأَطْـرافِ الحَجُونِ
تَـدِينُ لِمَعْشَرٍ قتلوا أَبـاهـا أَقَتْلُ أَبيكِ جـاءَكِ باليقـينِ

ومريم الصُغرى ، وأمها نائلة بنت الفَرافِصة الكلبي ، وأخواتٌ لها وهنّ أمّ خالد ، وأرْوَى ، وأمّ أَبان الصغرى .

فأمّا أمّ عمرو فتزوجها سعيد بن العاص بن أميّة فهلكت عنده فتزوّج أختها مريم الكبرى بنت عثمان ، ثم هلك عنها فخلف عليها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فهلكت عنده .

وأمّا عائشة فتزوجها الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص ، ثم خلف عليها عبدالله بن الزبير .

وأمّا أمّ أَبان فتزوجها مروان بن الحَكَم بن أبي العاص .

وأمّا أمّ سعيد فتزوجها عبدالله بن خالد بن أُسيد بن أبي العِيص .

وأمّا مريم الصُغرى فتزوجها عمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط .

وأمّا عمرو فكان أكبر بني عثمان وأشرفهم ولداً ، دعاه مروان إلى أن يَشْخَصَ إلى الشام ليبايع له فأبى ومات بمنًى ؛ وكان مع أهل المدينة حين قدم مُسْلم بن عُقبة لقتالهم بالحَرّة فدعا به فقال له : إيهِ يا فاسق إذا خرج أهل المدينة قُلْتَ : أنا رجل منكم ، وإذا ظهر أهل الشام قلت : أنا ابن أمير المؤمنين عثمان ، ثم التفت إلى من معه فقال : هذا الخبيث بن الطيّب ، وإنّما أُتي من قِبَل أمّه ، لقد بلغني أنّها كانت تجعل الشيء في فيها ثم تقول لأمير المؤمنين : حازَيْتُك ما في فمي ، وفي فَمِها ما ساءها وناءها ، ثم أمر فضُرب بالسياط .

فولد عمرو بن عثمان بن عفان عثمان الأكبر ، وخالداً ، أمّهما رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، وعبدَالله الأكبر ، أمّه حَفْصة بنت عبدالله بن عمر بن الخطّاب وأمّها صفيّة بنت أبي عُبيد أُخت المُختار بن أبي عُبيد الثقفي وأمّها عاتكة بنت أُسيد بن أبي العيص ، وعثمانَ الأصغر بن عمرو ، وأمّه بنت عُمارة بن الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّي ، وعبدالله الأصغر ، والمغيرة وكان شاعراً ، وعَنْبَسَةَ ، وعمرَ ، والوليدَ لأمّهات أُولاد شتّى .

فأمّا عبدالله الأكبر بن عمرو بن عثمان فكان يسمّى المُطْرَف لجَماله ، وفيه يقول الفرزدق :

أَعبْدَ الله إنَّك خَيْرُ ماشٍ … وسـاعٍ بـالجَـراثيمِ الكِبـارِ
نَمى الفاروقُ جَدَّكَ وابنُ أرْوَى … أبوكَ فأَنْتَ مُنْصَـدِعُ النَهارِ
كِلا أَبَوَيْـكَ عِنْدَ الله حَيٌّ … شَهيدٌ في المنازِلِ بـالخِيارِ[1]

يعني عمراً وعثمان .

وفي المُطْرَف يقول الثعلبيّ عباد :

جميلُ المُحَيَّا واضِحُ اللَوْنَ لم يَطَأْ … بِحَزْنٍ ولم تَأْلَمْ له النَكْبَ إصْبَعُ
مِن النفرِ الشُمِّ الذين إذا أَتَوْا … وهابَ اللِئامُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا
إذا النفر الأُدْمُ اليمانون يَسَّروا … له حَوْكَ بُرْدَيْهِ أَرَقُّوا وأَوسَعُوا[2]

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٩٢ .
٢ ـ في كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري ـ ط . القاهرة ١٩٥٣ ص ١١٣ ، لابن الرئيس الثعلبي .

وأمّا **خالد بن عمرو** فولد سعيد بن خالد ، أمّه ابنة سعيد بن العاص وأمّها ابنة جرير بن عبدالله البَجَلي ، وكان سعيد بن خالد بن عمرو هذا بخيلاً وله يقول موسى شَهَواتٍ يذمّه :

أبـا خالدٍ أعْني سعيدَ بن خالدٍ أخا العُرْفِ لا أعْني ابنَ بِنْت سعيدِ[1]

وقال كُثيِّر يمدحه :

أذْكُرْ سَعيداً بِخَلاّتٍ سَبَقْنَ لَهُ ميراث والِدِهِ والعِرْقُ مُنْتَسَبُ
يابْنَ الأكارِمِ والمحْمودِ سَعْيُهُم وابْنَ الذي عُوقِبَتْ في قَتْلِهِ العربُ[2]

وكانت ابنة له عند هشام بن عبد الملك وكانت أخرى عند الوليد بن يزيد فطلّقها قبل الخلافة ثم خلف على ابنة له أخرى وهو خليفة ، وله يقول الفرزدق :

كُلُّ امْرِىءٍ يرضى وإنْ كان كامِلاً إذا نالَ نِصْفَا مِنْ سَعيد بْنِ خالِد
له من قُرَيْشٍ طَيِّبُوها وَقِبْصُها وإنْ عَضَّ كَفَّيْ أُمِّهِ كلُّ حاسِدِ[3]

وكان يقول إذا برقت السماءُ : آمطري حيث شئت فما تَمطُرين إلاّ على بلد لي فيه مالٌ ، وهو صاحب الفَدَّين ، وكان الديباج بن المُطْرَف يمرّ فَيَصلُه ، فقيل له لِمَ تمرّ به وتعدل إليه ؟ فقال : إنّه يَصِلُني في كلّ مرّة بألف دينار فيَقَعُ منّي موقعاً حسناً .

وأمّا **عثمان بن عمرو** بن عثمان فكان يلقّب خَرْءَ الزَنْج ، وكان مَضْعوفاً وفيه يقول الشاعر :

---

١ ـ الشعر والشعراء ص ٣٦٧ .
٢ ـ ديوان كثير عزة ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ص ٣٩ ـ ٤٠ .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٥٢ . وقبصها : نشاطها وخفتها .

لَعَمْرُكَ ما يَأْتي وإنْ كان مُعْرِقاً   خَرُ الزَنْج عُثْمانُ بنُ عَمْرٍو بطائلِ

وأمّا عَنْبَسة بن عمرو فله يقول الشاعر :

ياقَصْرَ عَنْبَسَةَ الذي بالرابع[1]   لا زِلْتَ تُحْيا بِالحيا المُتَتابعِ

كم لذَّةٍ قد نِلْتُها ومَسَرَّةٍ   بِفِنَائِكَ الحَسَنِ الرحيبِ الواسِعِ

حدثني[2] أبو الحسن عليّ بن محمد المدائني عن سُحيم بن حَفْص وغيره قالوا : كان عبدالله بن عمرو بن عثمان يلقَّب المُطْرَف لجماله وبهائه ، وقيل سُمِّي بذلك لأنه قيل هذا حسنٌ مطرف بعد عمرو بن الزبير ؛ وكان [عبدالله بن] عمرو فائق الجمال فأتاه مُدْرِك الفقعسي فقال له : أنا ابن عمّك قال : ومن أنت ؟ قال : مُدْرِك الفَقْسي من بني أَسَد ، فقال : إنّما بنو عمّي من قريش ، فقال مدرك :

كَأَنّي إذ دَخَلْتُ على ابنِ عَمْرٍو   دَخَلْتُ على مُخَبَّأَةٍ كَعابِ

مُنَعَّمةٍ لها آباءُ صِدْقٍ   تحلُّ بُيُوتُهُمْ أَعْلَى الروابي

تَخُونُ بِغَيْبِهِمْ ويَكونُ مِمّا   يُعَدُّ عَلَيْهِمُ يَوْمَ السِبابِ[3]

وكان عثمان بن حَيّان المُرّي أيّامَ وِلايته المدينةَ أخذ مشجور بن غيلان في قصر لعبد الله بن عمرو بن عثمان المطرف لأنّه كان استخفى فيه من الحجّاج وقد هرب من العراق ، فادّعى المطرف دروعاً له ، فقال لعثمان : ذَهَبَ بها أصحابُك ، فقال عثمان بن حيّان : ما دروعك إلاّ دروع النساءِ يا مخنَّث ـ

١ ـ فناء من أفنية المدينة . المغانم المطابة .

٢ ـ بهامش الأصل : رجع المصنف إلى خبر عبدالله المطرف وأولاده .

٣ ـ في المعارف لابن قتيبة ـ ط . القاهرة ١٩٣٤ ص ٨٥ ـ ٨٦ ، الشاعر هو مدرك بن حصن .

ويقال قال له : يا منكوح ـ فلما استُخلفَ سليمان بن عبد الملك وعزل عثمان بن حيّان وولي أبو بكر بن عمرو بن حزم جلد عثمانَ له حدّاً .

وكان للمُطْرف من الولد خالد ، وعائشة ، أمهما أسماء بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المُغيرة المخزومي وأمّها أمّ الحسن بنت الزبير بن العوّام وأمّها أسماء بنت أبي بكر الصدّيق ؛ وعبد العزيز ، وأميّة ، وأمّ عبدالله ، أمّهم أمّ عبد العزيز بنت عبدالله بن خالد بن أسيد ، ومحمد الأصغر ، والقاسم ، ورُقيّة ، أمّهم فاطمة بنت حسين بن عليّ بن أبي طالب ، ومحمد الأكبر ، لأمّ ولد وهو الحازوق ، وعمرو ، وسعدة ، أمّهما أمّ عمرو بنت أبان بن عثمان بن عفّان .

فأمّا عائشة بنت المطرف فتزوّجها عبدالله بن سليمان بن عبد الملك ، وأمّا سعدة فتزوّجها يزيد بن عبد الملك ، وأمّا أمّ عبدالله فتزوّجها الوليد بن عبد الملك .

وكان يقال **لمحمد الأصغر بن المطرف الديباج** لجماله ، وكان له قَدْر ونُبْل وصلاة طويلة ، حدثني الزبير بن بكّار عن عمّه مصعب بن عبدالله قال : أمّ الديباج ـ وهو محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ـ فاطمة بنت حسين بن عليّ بن أبي طالب ، وكان الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب خطبها إلى الحسين فزوّجه إيّاها ، فلما حضرت الحسنَ بن الحسن الوفاةُ قال لها : كأنّي بكِ قد نظرتِ إلى عبدالله بن عمرو بن عثمان المطرف مُرَجِّلاً جُمَّته لابساً حُلَّته معترضاً لك ، فانكحي من شئتِ سواه ، فحلفت أن لا تتزوّجه وكانت جميلةً يُرْغَب فيها ، ومات الحسن بن الحسن وخُرج بجنازته فحضرها المطرف عبدالله بن عمرو بن عثمان ، فنظر إلى فاطمة حاسراً تلطم وجهها

فأرسل إليها : إنّ لنا في وجهك حاجةً فارفقي به ، فعُرف فيها الاسترخاءُ وخمّرت وجهها ، ثم خطبها حين حلّت للأزواج فقالت : كيف أُصنع بيميني ؟ فقال : لكِ مكانَ كلّ شيء شيئانِ ، فتزوّجها وكفّر عن يمينها ، فولدت له محمداً الذي يقال له الديباج . وكان جميلٌ يقول لبُثَيْنَةَ : ما رأيتُ عبدالله بن عمرو بن عثمان يَخطِر على البلاط قطّ إلاّ أخذتني الغيرة عليك خوفاً أن ترَيْه أو تريْ مثله وإن بَعُدَت دارك .

وقال موسى شهَواتٍ[1] يمدحه :

ليس فيما بدا لنا مِنْكَ عَيْبٌ عابَهُ الناسُ غَيْرَ أَنَّكَ فاني
أَنْتَ خَيْرُ المَتاعِ لو كُنْتَ تَبْقَى غَـيْرَ أَنْ لا بقـاءَ لِـلإنسـانِ

وقال فيه رجل من ولد عُوَيْم بن ساعِدة[2] :

يا بْنَ عُثمانَ وابْنَ خَيْرِ قُرَيْشٍ أَبْغني مـا يُقـرُّني بِقُبـاءِ
رُبّمـا بـلّني نَـداكَ وجـلَّى عن جبيني عَجاجةَ الغُرَماءِ

وحدثني المدائني قال : كان الديباج نبيلاً فقال الناس : هو سَميّ النبيّ وابن سميّ أبي النبيّ ومن ذرّيته ونسل الخليفة المظلوم ، فعظم في أعينهم وجلّ أمره عند أهل الشام خاصّة وهمّوا بأن يبايعوا له . وكان كثير التزويج كثير الطلاق فقالت له امرأة من نسائه : إنّما مثلك مثل الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تُؤْمَن فجعاتها ؛ فأخذه أمير المؤمنين المنصور مع الطالبيّين أيّام

١ ـ موسى شهوات هو موسى بن يسار مولى قريش ، ترجم له صاحب الأغاني في ج ٣ ص ٣٥١ ، والبيتان في ص ٣٦٠ .
٢ ـ هو السري بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري . الأغاني ج ٢٠ ص ١٩٨ ، ٢٠٣ .

محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ فضُربت عنقه صَبْراً وبُعث برأسه إلى الهند وأظهر أنّه رأس محمد بن عبدالله بن الحسن .

قال أبو اليَقْظان : زوّج الديباج ابنتَه محمدَ بن عبدالله أو إبراهيمَ بن عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ ، فدعا به المنصور أمير المؤمنين بالمدينة فعاتبه على مَيْله إلى ولد عبدالله بن حسن بن حسن وضربه ستّين سوطاً وأمر بحبسه ، فلما خرج محمد وإبراهيم دعا به فضرب عنقه صَبْراً بالهاشميّة وقال : والله لا تقرّ عينُك بخروج صاحبَيْك ، وبعث برأسه إلى خراسان ، وكان الديباج أخا عبدالله بن حسن بن حسن لأمّه ، أمّهما فاطمة بنت حسين .

وكان القاسم بن المطرف شديد النفس واللسان ، وخطب عليه هشام ابنتَه وهو خليفةٌ على ابنه فأبى أن يزوّجه إلاّ على حكمه وشروطٍ يشترطها ، ومات في خلافة هشام فزوّج ابنَهُ ابنَته .

وأما خالد بن المطرف فكان نبيلاً وفد إلى يزيد بن عبدالملك فخطب إليه يزيدُ أُختَه فقال له : إنّ عبدالله بن عمرو بن عثمان أبي قد سنّ لنسائه عشرين ألف دينار فإن أعطيتَنيها وإلاّ لم أزوّجك ، فقال يزيد : أَوَما ترانا أكْفاءً إلاّ بالمال ؟ قال : بَلى والله إنّكم بنو عمّنا ، قال : إنّي لأظنّك لو خطب إليك رجل منْ قريش لزوّجته بأقل ممّا ذكرت من المال ، قال : أي لعمري لأنّها تكون عنده مالكة مُملّكة وهي عندكم مملوكة مقهورة وأبى أن يزوّجه ، فأمر أن يُحمل على بعير ثم يُنْخَسَ به إلى المدينة ، وكتب إلى ابن الضحاك[1] بن

١ ـ هو عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري . تاريخ خليفة ـ ط . دمشق ـ ج٢ ص ٤٨٢ .

قيس الفِهْري وهو عامله على المدينة أن وكِّل بخالد من يأخذ بيده في كلّ يوم وينطلق به إلى شَيْبة بنِ نِصاح المُقْرىء ليقرأ عليه القرآن فإنّه من الجاهلين ، فأُتي به شيبة فقيل له : يقول لك أمير المؤمنين عَلِّمْه القرآن فإنّه من الجاهلين فقال شيبة حين قرأ عليه : ما رأيت أحداً قطّ أقرأ للقرآن منه وإن الذي جهّله لأجهل منه . ثم كتب يزيد إلى عامله : بلغني أنّ خالداً يذهب ويجيء في سِكَك المدينة فمُرْ بعض مَن معك أن يبطش به ، فضربوه حتى مرض ومات ، وله عقب بالمدينة .

وأمّا عبد العزيز بن المُطْرَف فكان على الجيش الذين قاتلوا الإباضيّة بقُديد ، فسقط لواؤه يومَ سار فتطيّروا من ذلك ، وانهزم ، وقُتل يومئذ أُميّة بن المطرف أخوه . وولّى يزيد بن الوليد بن عبد الملك عبد العزيز هذا مكة والطائف .

المدائني قال ، قال المطرف : أنا ابن أبي العاص ، فقال له محمد بن المنذر بن الزبير : دون ذلك ما يَدُقُّ عُنُقَك ، يعني عفّان ، كان مُوضَّعاً .

وأمّا عمر بن عمرو بن عثمان فمن ولده:عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان وأمّه ابنة عمر بن عثمان بن عفان وكان ينزل عَرْج الطائف فكان يُعرَف بالعَرْجي ، وكان شاعراً سخياً له يَسار وحال؛ فحُدْثتُ أنّ عمر بن أبي ربيعة المخزومي لما نُعِي وكان موتُه بالشام بكت عليه مولَّدة من مولّدات مكة كانت لبعض بني مروان وجعلت توجع له وتفجع عليه وقالت : مَن لأباطح مكة بعده ؟ وكان يَصف حسنها وملاحة نسائها ، فقيل لها : إنّه قد حدث فتى من ولد عثمان بن عفّان يسكن بَعرْجِ الطائف شاعرٌ

يذهب مذهبه ، فقالت : الحمدلله الذي جعل له خلفاً ، سرَّيْتم والله عَنّي .
وضُرب العَرْجيُّ الحَدَّ في السكر في أيّام هشام بن عبدالملك .

قالوا : وكان العَرْجي من فتيان قريش ، وكان فتيان قريش وغيرها يَفِدون إليه فيُفْضل عليهم ويُعْطيهم ، وغزا مع مَسْلَمة بن عبد الملك في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك فقال : يا معشر التجّار من أراد من الغُزاة المُعْدمين شيئاً فأَعْطوه إيّاه ، فأعطَوهم عليه عشرين ألف دينار ، فلما استُخلف عمر بن عبد العزيز قال : بيتُ المال أَوْلَى بمال هؤلاء التجّار من مال العرجي ، فقضى ذلك من بيت المال .

ولم يزل العرجي فتى قريش حتى حبسه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، وهو والي المدينة من قِبَل هشام بن عبد الملك ، وكان العرجي هجا إبراهيم هذا فقال وقد حجّ بالناس :

كَأَنَّ ٱلعامَ ليس بعامِ حَجٍّ   تَغَيَّـرتِ المَـواسِمُ والشُكُولُ
وقد بَعَثوا إلى جَيْدا رَسولاً   لِيُخْبِرَها فلا رَجَعَ الرَسولُ[1]

وجَيْداء أُمّه بعث إليها رسولاً بسلامته ، وقال أيضاً :

حتى دُفِعْتَ إلى جعداء جالِسةٍ   قد ترَّكَتْ أَهْلَ بيت الله في ضيقِ

فلم يزل في الحبس حتى مات ، وقال في حبسه :

يا ليتَ شِعْري وليتَ الطَيْرَ تُخْبِرُني   هَلْ أَدْخُلُ القُبَّةَ الحَمْراءَ مِنْ أَدَم
أَسْلَمَني أُسْرَتي طُرّاً وحاشِيَتي   حتى كَأَنِّيَ مِنْ عادٍ ومِنْ إرَمِ

---

١ ـ الأغاني ج١ ص ٤٠٦ .

وحدثني المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهْري قال : كان ابن هشام بن اسماعيل والياً لهشام بن عبدالملك على مكة وهو ابن خاله وأُمُّه أمّ هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة فحبس عبدَالله بن عمر بن عمرو بن عثمان في تُهمة دمٍ مولى لعبدالله بن عمر ادَّعَى عليه قَتْلَه ، فلم يزل محبوساً حتى مات ، وكان ابن هشام متحاملاً عليه فقال في السجن :

أَضاعوني وأيَّ فَتىً أَضاعوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وسِدادِ ثغْرِ

قال المدائني : ويقال إنّ هذا البيت لمحمد بن القاسم الثقفي وإنّما تمثّل به العرجي .

وقال أبو الحسن المدائني : يقال إنّ إبراهيم بن هشام حبس العرجي ، ويقال بل حبسه اسماعيل بن هشام بن اسماعيل .

قال مصعب الزبيري : وكَّلَ العرجيُّ مولى له بحُرَمه فكان يخالف اليهنّ وصحّ ذلك عند العرجي فقتل مولاه ثم أحرقه ، فاستَعْدَت عليه امرأة مولاه محمدَ بن هشام بن اسماعيل وكان حَنِقاً عليه بهجائه إيّاه ، فحبسه وضربه وشَهَرَه .

قال : وله في زوجة محمد بن هشام :

عُوجي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ إنَّكِ إنْ لا تَفْعَلي تَحْرَجي

نَلْبَثْ حَوْلاً كامِلاً كُلَّهُ لا نَلْتَقي الاّ على مَنْهَجِ

وفيها يقول :

عُوجي عليَّ فَسَلِّمي جَبْرُ فيمَ الوُقوفُ وأَنْتُمُ سَفْرُ

وقال الواقدي : كان من قول العَرجي في سجن ابن هشام :

سَيَنْصرُني الخَليفَـةُ بَعْدَ رَبّي ويَغْضَبُ حينَ يُخْبَرُ عن مَساقي
عـليَّ عَبـاءَةٌ بَـرْقـاءُ ليستْ مع البَلْوَى تُغَيِّبُ نِصْفَ ساقي
ويَغْضَبُ لي بِـأَجْمَعِها قُصَيٌّ قَطينُ البَيْتِ والدُّمْثِ الرِّقاقِ

قال : فلما طال حبسه ولم يُغَثْ قال :

أضاعوني وأيَّ فَتىً أضاعوا لِيَـوْمِ كَريهَـةٍ وسِـدادِ ثَغْـرَ
وخَـلَّوْني بمُعْـتَـرَكِ المنـايـا وقد شُرِعَتْ أَسِنَّتُها لِصَدْري
كـأَنّي لم أَكُن فيهِمْ وسيطاً ولم تَكُ نِسبْتَي في آلِ عَمْرِو[1]

يعني عمرو بن عثمان ، وقال أيضاً :

ياليتَ سَلْمَى رَأَتْنا لا نزاعَ لنا لَمّا هَبَطْنا جَميعاً أَبْطَحَ السُوقِ
وكشْـرَنَا وكُبُـولُ القَيْنِ يَنْكُبُنـا كالأُسْدِ تَكْشِرُ عن أَنْيابِها الرُوقِ
والنّاسُ صَفّانِ مِن ذي بِغْضَةٍ حَنِقٍ ومُمْسكٍ لِدُمـوعِ العَيْنِ مَخْنـوقِ
وفي السطوحِ كأَمْثالِ الدُّمى خُرُدٌ يَكْتُمْنَ لَوْعَةَ حُبٍّ غَيْرِ مَمْذوقِ
مِنْ كُلِّ ناشِرَةٍ فَرْعـاً لِرُؤْيَتنـا ومَفْرِقاً ذا نَباتٍ غَيْرِ مَفْـروق
يَضْرِبْنَ حُرَّ وُجوه لا يُلَوِّحُها لَفْحُ السَمومِ ولا شَمْسُ المَشاريق
كـأَنَّ أَعْنـاقَهُنَّ التُلعَ مُشـرِفَـةً مِنْ كُلّ جِيزٍ[2] كأَعْناق الأباريقِ

ومن ولد عمر بن عثمان [سوى] العرجيِّ عاصمُ بن عمر الذي يقول فيه الشاعر[3]:

١ ـ الأغاني ج ١ ص ٤٠٦ ـ ٤١٤ .
٢ ـ الجيز : جانب الوادي . القاموس .
٣ ـ هو الحزين الكناني ـ عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك . الأغاني ج ١٥ ص ٣٢٣ ، ٣٤٠ .

سِيرَا فقد جَنَّ الظلامُ عَلَيْكُما فيا بُؤْسَ مَن يَرجو القِرَى عِنْدَ عاصِم
فما كان لي ذَنْبٌ إليهِ عَلِمْتُهُ سِوَى أنَّني قد زُرْتُهُ غَيْرَ صائِمِ

وقال أيضاً وهو من كِنانة :

فقُلْ لابْنِ عُثْمانَ بنِ عَفّانَ عاصِمٍ إليكَ سَرَتْ عِيسٌ فطال سُراها
أَتَتْكُمْ بنا نُدْلي بِحَقٍّ وحُرْمَةٍ ونَقْطَعُ أَرْضاً ما يُثارُ قَطاها
فقد صادَفَتْ كَزَّ اليَدَيْنِ مُلَعَّناً[1] جباناً إذا ما الحَرْبُ شَبَّ لظاها
بخيلاً بما في رَحْله غَيْرَ أنَّهُ إذا ما خَلَتْ عِرْسُ الصديقِ قفاها

فقال عاصم : الآن أُنضج الكَيُّ .

وحُدّثت أنّ العرجي أو غيره من قريش بعث إلى امرأة فأتته على حمار ومعها جارية على أتان فوثب الحمار على الأتان ، وغلامه على جاريتها ، وقام فباضعها فقال : هذا يوم قد غاب عُذّاله .

واتهم العرجيُّ جاريةَ أبي جراب أحد بني أميّة الأصغر عنده بشعرٍ قاله فيها فحملها أبو جراب على غِرارتي بعير إلى مكة ، فأحلفها بين الرُكْن والمقام على كذبه ، فحلفت فرضي عنها .

وأما الوليد بن عثمان بن عفّان فكان من فتيان قريش سَخاءً وفتّوة وشَرَفاً ، قال أبو اليقظان ، قال رجل من ولد عثمان : قبح الله الوليد فإنّ أباه عثمان قُتل وهو مُخَلَّقٌ في حَجَلته .

وفي الوليد يقول عبد الرحمن بن أَرْطاة بن سِيحان المُحاربي ورأى عنده إداوةً كان بُعث إليه فيها بشراب :

---

١ - في الأغاني ج ١٥ ص ٣٤٠ «مبخلا» .

لاتَبْعدَنَّ إداوَةٌ مَطْروحَةٌ كانت قَديماً لِلشَراب العاتِقِ
بأبِي الوليدُ وأُمِّ نَفْسي كُلَّما طَلَعَ النجومُ وذرَّ قَرْنُ الشارقِ
لَّما أتَيْناهُ أتَيْنا ماجداً ضَخمَ الدَسائِعِ [1] ذا ندىً وخَلائِقِ
أثْوَى وأَحْسَنَ في الثَّواءِ وقُضِّيتْ حاجاتُنا مِن عندِ أرْوَعَ باسِقِ

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : كان ابن سيحان حليفُ بني حرب بن أُميّة شاعراً حُلْو الحديث وهو على ذلك يقارف الشراب ، فكان ينادم أُحداث بني أميّة ، وكان يشرب مع الوليد بن عُتْبة بن أبي سُفيان ، وكان الوليد بن عثمان بن عفّان ينادم الوليد بن عتبة ، وهو جاءَ بابن سيحان إليه ، فأصاب الوليدَ بن عُتبة خُمارٌ فدعا بابن سيحان فقال له : اشرَبْ ، فأتى بإداوة فيها فَضْلة شراب فشربها ، ثم أمدّوه فقال :

بأبي الوليدُ وأُمِّ نفسي كُلَّما كان الصَباحُ وذرَّ قَرْنُ الشارقِ
أثْوَى فَأَحْسَنَ في الثَواءِ وقُضِّيَتْ حاجاتُنا مِن عند أبْيَضَ باسقِ
كَم عِنْدَهُ مِن نائِلٍ وسمَاحَةٍ وشَمائِلٍ مَيْمونةٍ وخَلائِقِ
وكَرامَةٍ لِلْمُعْتَفِينَ إذا آعْتَفَوْا في مالِهِ حَقاً وقَوْلٍ صادِقِ
فالى الوَليد يدي لكم ولِغَيْرِكُمْ رَهْنٌ بِصامِتِ مالِهِ والناطِقِ
لا تَبْعَدَنَّ إداوَةٌ مَطْروحَةٌ كانت زَماناً للشَرابِ العاتقِ

وحدثني المدائني قال : ويقال أنّ أبا زُبيد قال هذا الشعر في الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط ، والأوّل أثبت .

١ ـ الدسيعة : الجفنة ، والمائدة الكريمة . القاموس .

وكان للوليد بن عثمان بن عفّان ابنٌ يُظهر التّألُّهَ يقال له عبدالله بن الوليد ، وكان يلعن عليّاً ويقول : قَتَلَ جدَّيَّ عثمانَ والزبيرَ ، وكانت أمّه ابنة الزبير بن العوّام ، وقام إلى هشام بن عبد الملك وهو على المنبر عشيّةَ عَرَفة فقال : يا أمير المؤمنين إنّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحبّ فيه لَعْنَ أبي تُراب ، فقال له : يا عبدالله إنّا لم نَأتِ ها هنا لسبّ الناس ولعنهم .

وأما **خالد بن عثمان بن عفّان** فتُوفيّ في خلافة أبيه ، ركَضَ دابّةً فأصابه قَطْعٌ فهلك منه ، وله عقب ، وهو الذي يقال له الكسير ، وكان مُصْحَف عثمان الذي قُتل وهو في حجره عند ولده . وقال الواقدي : كان بالسُّقْيا[1] فركب بغلةً ليلحقَ صلاة الجُمعة مع أبيه عثمان وأسرع السَيْرَ فسقطت البغلة نافِقَةً وأصاب خالداً كسر .

وكان زيد بن عمر بن عثمان تزوّج سُكَينة بنت الحسين بن عليّ ، فنهاه سليمان بن عبد الملك عنها فطلّقها ، لأنّ عبد الملك خطبها بعد مصعب بن الزبير فأبَتْه .

وأما **سعيد بن عثمان بن عفّان** ويكنى أبا عثمان فإنّ معاوية ولاّه خراسان ففتح سمرقند ، وكان أعور نحيلاً أُصيبت عينُه بسمرقند ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

سَعيدُ بنُ عُثْمانَ بنِ عَفّانَ لا يَرَى ... لِصَاحِبِهِ قَرْضاً عليهِ ولا فَرْضا

وفيه يقول ابن مُفَرّغ :

---

١ ـ السقيا : قرية جامعه من عمل الفرع على يومين من المدينة . المغانم المطابة .

إنَّ تَرْكي نَدَى سعيدِ بنِ عُثما نَ بنِ عَفّانَ ناصِري وعَديدي
واتِّباعي أخا الرَضاعَةِ واللؤ مِ لَنَقْصٌ وفَوْتُ شَأْوٍ بعيد
قُلْتُ قَوْلَ المَحْزونِ والليلُ داجٍ ليتني مُتُّ قبلَ تَرْكِ سعيد(١)

هذا حين تركه وخرج مع ابن زياد .

وكان عند سعيد غِلمانٌ من أبناء ملوك السُغْد دُفعوا إليه رهائنَ ، فقدم بهم معه حين عزله معاوية لما خاف من طلبه الخلافة ، فلما صار بهم إلى المدينة جعل يأخذ كسوتهم ومناطقهم فيدفعها إلى غلمانه ، وألبسهم جِبابَ الصوف وألزمهم السَوانيَ والعملَ الصعب ، فدخلوا عليه في مجلسه ففتكوا به ثم قتلوا أنفسهم ، فقال الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط :

ألا إنَّ خَيْرَ الناسِ نَفْساً ووالِداً سَعيدُ بنُ عثمانٍ قتيلُ الأَعاجِمِ

وقال عبد الرحمن بن سِيحان المُحارِبي :

يَلومونني في الدار أنْ غِبْتُ عَنْهُمُ وقد فَرَّ عَنْهُمْ خالدٌ وَهْوَ دارِعُ
فإنْ كان نادَى دَعْوَةً فسَمِعْتُها فشَلَّتْ يَدي وآستَكَّ مِنّي المَسامِعُ

يعني خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيط ، وكان قاضياً بالمدينة في أيّام مروان بن الحكم .

فقال خالد :

لَعَمْري لقد أَبْصَرْتَهُمْ فَتَركْتَهُمْ بِعَيْنِك إذْ تَمْشاكَ في الدارِ واسِعُ

قالوا : ولما بويع يزيدُ بن معاوية جعل صبيانُ أهل المدينة وعبيدهم ونساؤهم يقولون :

والله لا يَنالُها يزيدُ حتى ينالَ رأْسَهُ الحديدُ إنَّ الأميرَ بعده سعيدُ

١ - ديوان يزيد بن مفرغ ص ١٠٩ - ١١٠ .

فقدم سعيد على معاوية فقال له : يا بن اخي ما شيء بلغني يقوله أهل المدينة ؟ قال : وما تُنْكر من ذلك يا معاوية ؟ والله إنّ أبي لَخَيْرٌ من أبي يزيد ، وإنّ أمّي لخير من أمّه ، وإنّي لخير منه ، ولقد استعملناك فما عزلناك ، ووصلناك فما قطعناك ، وصار أمرنا في يدك فحلأتَنا عنه أجْمَع ، فقال معاوية : قد صدقت في قولك إنّ أباك خير منّي وأنّ أمّك خير من أمّه لأنّ أمّك من قريش وأمّه من كلْب ، وبحَسْب امرأة أن تكون من صالحي نسائها ، وأمّا قولك أنك خير منه فوالله ما يَسرُّني أن بيني وبين العراق حَبْلاً نُظِمَ لي فيه أمثالُك . ثم قال له : الحَقْ بعمّك زياد فقد أمرته أن يولّيك خراسان ، وأن يولّي الخراج رجلاً حازماً ، فولاّه زياد خراسان ، وولّى أسلم بن زُرْعة الكلابي خراجها ، ثم عزله خوفاً منه .

وقال مصعب بن عبدالله الزبيري : لما قتل السغدُ سعيداً كان معه في الدار عبد الرحمن بن أرطاة بن سيحان ، فقال خالد بن عقبة بن أبي مُعَيط :

يا عينُ جودي بِدَمْعٍ منكِ تَهْتانا وآبكي سعيدَ بنَ عُثمانَ بنِ عَفّانا
إنَّ المُواكِلَ لم تَصْدُقْ مَوَدَّتُهُ وفَرَّ عَنْهُ ابْنُ أرطاةَ بن سِيحانا

المواكِل الضعيف ، يعني بالمواكل ابنَ أرْطاة لم تصدق مودّته وفرّ عنه ، فقال ابن سيحان :

يقولُ خليلي قد دَعاكَ فلم تُجبْ وذلك من تِلْقاءِ مِثْلكَ رائِعُ
فإنْ كان نادَى دَعْوَةً فسَمِعْتُها فشَلَّتْ يَدي واسْتَكَّ مِنّي المَسامِعُ
يَلومونَني أنْ كُنْتُ في الدارِ حاسِراً وقد فَرَّ عنه خالدٌ وهو دارِعُ

وقال بعضهم لابن سِيحان :

فإنَّكَ لم تَسْمَعْ ولكنْ رَأَيْتَهُ بعَيْنِكَ إذ مَجْراكَ في الدارِ واسِعُ
فأَسْلَمْتَهُ لِلْسُّغْدِ تَدْمَى كُلومُهُ وفارَقْتَهُ والصوتُ في الدارِ شائِعُ
وما كان فيها خالدُ اللُّؤْمِ مُعْذِراً سواءً عليه صمٌّ أو هُوَ سامِعُ
فلا زِلْتُما في حالِ سَوْءٍ ذَميمَةٍ ودارَتْ عَلَيْكُمْ بِالبَلاءِ القَوارِعُ

قال: وقال بعض ولد أبي مُعَيط:

يــا نفسُ مــوتي حَسْرَةً وآبْكي هُبِلْتِ على سعيـدِ
وابكـي لِقَــرْمٍ مــاجِــدٍ بيــن الخــليفة والولــيد
ولـقــد أُصِبْتَ بِغَــدْرَةٍ وحَمَلْتَ حَتْفَـك مِن بَعيـدِ

قال: وقال الوليد أو خالد بن عُقبة:

ألا إنَّ خَيْرَ الناسِ نَفْساً ووالِداً سعيد بن عُثمانٍ قتيلُ الأعاجمِ
فإنْ تَكُنِ الأَيّامُ أَرْدَتْ صُروفُها سعيداً فهل حَيٌّ على الدهر سالِمُ

المدائني عن سُحيم بن حفص قال: لقي الحسين بن عليّ سعيداً وأبناء السُغْد معه فقال متمثّلاً:

أَبا عُمارَةَ إمّا كُنْتَ ذا ثَقَلٍ فإنَّ قَوْمَكَ لم تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

وكان قوم من بني عثمان يقولون: ما قتله إلّا عَيْنُ الحسين؛ قال: فبينا سعيد في حائط له وقد جعل أولئك السغد فيه يعملون بالمساحي إذ أغلقوا باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه، فجاء مروان بن الحكم يطلب المدخل عليهم فلم يجده، وقتل السُغْدُ أنفسهم، وتسوّرت الرجال ففتحوا الباب وأخرجوا سعيداً.

وأما **أبان بن عثمان بن عفّان** ويكنى أبا سعيد فشهد الجملَ مع عائشة فكان أوّل من انهزم ، وكان أبرص أحول أصمّ ، وقال مالك بن الريب المازني :

ولَولا بنو حَرْبٍ لَطُلَّتْ دماؤُكُمْ بُطونَ العظايا مِنْ كَسيرٍ وأَعْوَرا
وما كان في عثمانَ عَيْبٌ عَلِمْتُهُ سِوَى عَقْبِهِ مِنْ بَعْدِهِ حينَ أَدْبَرا

يعني ببطون العظايا البُرْصَ .

المدائني قال : ولّى عبد الملك عَلْقَمة بن صَفْوان[1] بن المُحَرّث مكة فشتم طلحةَ والزبير على المنبر ، فلما نزل قال لأبان : أرْضيتُك في المدهِنَيْن في أمير المؤمنين عثمانَ ، قال : لا والله ولكن سُؤْتَني ، بِحَسْبي بَلِيّةً أن يكونا شركاء في دَمه .

ووليَ أبان المدينة في أيّام عبد الملك فقال عُرْوة بن الزبير : الله أكبر جاء في الحديث إنّ هَلاك بني أميّة عند ولاية رجل أحول وأرجو أن يكون هذا ، وإنما كان الأحول هِشاماً ، وكانت عند أبان أمّ كلثوم بنت عبدالله بن جعفر خلف عليها بعد الحجّاج ، وكان أبان صاحب رشْوة وجَوْر في عمله .

وقال الواقدي : أصاب أبانَ فالج شديد قبل موته بسنة ، فكانوا يقولون بالمدينة اذا دَعَوا : أصابك فالجُ أبانَ ، ومات في خلافة يزيد بن عبد الملك .

وكان عبد الرحمن بن أبان بن عثمان ، وأمّه بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، مصلّياً يصلى في كلّ يوم ألف ركعة ويكثر

١ ـ الصواب : نافع بن علقمة بن صفوان . تاريخ خليفة ج ١ ص ٣٨٤ .

الحج والعُمْرة ، وكان له خَطَر ومروءة وصلاح وصدقة كثيرة ؛ وكان إذا تصدّق بصدقةٍ قال : اللهم هذا لوجهك الكريم فخَفِّف عنّي الموتَ ، فانطلق حاجّاً فصلّى الغداة ثم نام ، فذهبوا يوقظونه للرحيل فوجدوه ميّتاً ، فأقاموا عليه المَأْتَم بالمدينة ، وجاء أُشعب أبو العَلاء الطَمعُ وقد طينّ رأسه ووجهه ـ ويقال : بل جعل على رأسه كُمّة من طينْ ـ فجعل يلتدم مع النساء ، وكان إليه محسناً .

وكان عبد الرحمن بن أبان يخرج إلى مكة للحج ومعه أصحابه فيقول لغلامه : قدِّم لنا طعامنا يا خداش ، على الطعام يقتل الناس الناس .

ولأبان ولدٌ بالأندلس . وكان لأبان ابنٌ يقال له مروان وكان ردّياً فَسْلاً ، وكان مُخَنَّثاً مَأْبونا يجمع بين الرجال والنساء على الريبة والفاحشة ، فلما مات لم يبق أحد بلغه موته ممّن في مسجد رسول الله ﷺ إلاّ لعنه وذكره بسوء ، فقال ربيعة الرَأْي : لو شاؤوا لأخفوا موته فكان ذلك أجمل .

وحدثني بعض العَدَويّين من قريش قال : قدم الوليد بن عبد الملك المدينة وهو خليفة فوضع أربعة كراسيّ جلس عليها أربعة أشراف من قريش ، أُمُّ كلّ واحد منهم عدويّة : عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان المُطْرَف ، أمّه حَفْصة بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب ؛ ومحمد بن المنذر بن الزبير ، أمّه عاتكة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ؛ وطلحة النَدى بن عبدالله بن عوف بن عبد الحارث بن زُهْرة ، وأمّه ابنة مُطِيع بن الأسود العَدَوي ؛ ونَوْفَل بن مُساحِق بن عبدالله بن مَخْرَمَة بن عبد العُزّى بن أبي قيس بن عبد وُدّ من بني عامر بن لُؤَيّ ؛ [وأمُّه] ابنة مُطيع بن الأسود العَدَوي أيضاً .

ووقع بين محمد بن المنذر وبين المطرف كلام فقال محمد : ما كنت أظنّك إلاّ جارية لقد هممت أن أخطبك إلى ابيك ، فقال : أنا عبدالله أبو محمد بن عمرو بن عثمان ، فقال : لك اسمٌ أُحبُ إليك من هذا ، يعني المُطْرَف .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : كان المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفّان شاعراً وهو الذي يقول :

أَرْوَ سَقْيَا لِعَهْدِكِ المعهودِ ولنا في ودادِكِ المودودِ
ولشرْب لَـدَيْكِ يا أُرْوَ يَشْفي مِنْ جوى حائم الحِين الورود
حَـذراً أَنْ نُردَّ منكِ بيأسٍ أو صُدودٍ فتولعي بالصدود
أَرْوَ إنّي سِلْمٌ لأَهلِكِ أَرْوَى فصليني وأَنْجِـزي موعـودي

وحدثني الزبير بن بكّار عن عمّه وغيره قالوا : زوّج بكيرُ بن عمرو بن عثمان بن عفّان ابنته أمَّ عثمان بنت بكير ، وأمُّها سُكينة بنت مصعب بن الزبير، عامرَ بن حمزة بن عبدالله بن الزبير، فبلغ ذلك إبراهيم بن هشام المخزومي وهو على المدينة ، فبعث إلي بكير فقال له : ما حملك على أن زوّجت ابنتك زُبَيْرِيّاً وبالشام مَن به من فتيان بني الحَكَم بن أبي العاص لم تعرضها عليهم وهم بنو عمّك ، فقال له : إنّ يدَ عبدالله بن الزبير عندنا يوم الدار ما علمتَ ، فسكت .

وحدثني الزبير بن بكّار قال: لما زوّجت فاطمة بنت الحسين ابنتها من عبد الله المُطَرفِ دخَلَتْ وسُكينة بنت الحسين على هشام بن عبد الملك فقال لفاطمة : صفي لنا يا بنت حسين ولدك من ابن عمّك ـ يعني حسن بن حسن ـ وصفي لنا ولدك من ابن عمّنا ـ يعني المطرف ـ فقالت : أمّا

عبدالله بن حسن فسّيدنا وشريفنا والمطاع فينا ، وأمّا حسن بن حسن بن حسن فلِسانُنا ومِدْرَهنا ، وأمّا ابراهيم بن حسن فأشبه الناس برسول الله ﷺ شمائلاً ولوناً وتقلُّعاً ـ وكان رسول الله ﷺ إذا مشى تقلّع فلا تكاد تمسّ عقباه الأرض ـ وأمّا اللذان من ابن عمّكم فإنّ محمد بن عبدالله ـ تعني الديباج ـ جَمالُنا الذي نُباهي به ، والقاسم عارضتنا التي نمتنع بها وأشبه الناس بأبي العاص بن أُمية عارضةً ونفساً ، فقال : والله لقد أحسنتِ في صفاتهم يا بنتَ حسين ، ووثب فجبذت سكينة بردائه وقالت : والله يا أَحول لقد أصبحتَ تَهكّم بنا ، أما والله ما أَبْرَزَنا لكَ إلاّ يومُ الطَفِّ ، فضحك وقال : أنتِ امرأة كثيرة الشرّ ، ولكنّك كبيرة السنّ فنحن نكرمك .

قال الزبير: وأنشدني عمّي لأبي وجزة[1] السعدي في الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان:

وَجَدْنا المحضَ الأَبْيَضَ مِنْ قُرَيْشٍ ... فتىً بَيْنَ الخَليفَةِ[2] والرسولِ
أَتاكَ المجدُ مِنْ هُنّا وهُنّا ... فَكُنْتَ لـه بِمُعْتَلَجِ السُيولِ
فما لِلْمَجْدِ دونكَ مِن مَبيتٍ ... وما للمجدِ دونَكَ مِن مَقيلِ
فِدى لكَ من يذودُ الحَقَّ عنه ... ومَن يُـرضي أَخاهُ بـالقليلِ
فلوْلا أَنتَ ما رُحِلَتْ رِكابي ... مُحَمَّلَةً ولا حمـدَتْ رحيـلي

قال المدائني: وخطب الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان امرأة، وخطبها عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وكان يقال له الديباج أيضاً، فجعلت تبحث عن أَحسنهما، فبينا هي كذلك

١ ـ اسمه يزيد بن عبيد، وقيل يزيد بن أبي عبيد. الأغاني ج١٢ ص٢٣٩ .
٢ ـ بهامش الأصل: يعني عثمان رضي الله عنه.

إذ خرجت ليلة فرأت الديباجَيْن جميعاً يتعاتبان في أمرها أو أمرٍ غيره في ليلة مُقْمِرة، وكان وَجْهُ عبد العزيز إليها فرأت بياضه وطوله فقالت: حَسبي به، فتزوّجها ودعا محمدَ بن عبد الله في وليمتها فأكرمه، فلما أكل بَرك له ثم خرج وهو يقول:

بَيْنا أُرَجّي أَنْ أكونَ وَلِيَّها رَضيتُ بِعِرْقٍ مِن وليمتها سُخْنِ

وحدثني الزبير قال: أتى الرَّماح بن مَيّادة، وهو ابن أَبْرَد، المدينةَ وعليها عبد الواحد بن سليمان، فسمع عبدَ الواحد يقول: إنّي لأهمُّ بالتزويج فابغوني أيماً، فقال الرَمّاح: أنا أدُلّك، فقال: على من ياأبا شرحبيل؟فقال: دخلت مسجدكم فإذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنّة وأهلها، فبينا أنا أمشي إذ قادتني رائحة عِطْرِ رجل، فلما وَقَعَتْ عيني عليه استلهاني حسنُه، وتكلّم فكأنّما قرأ قرآنا أو زبوراً حتى سكت، فلولا علمي بالأمير لقلت: هو هو، فسألت عنه فأُخبرت أنّه بين الحَيَّيْنْ للخليفتين عُثمان وعليّ رضي الله عنهما، وأنّه قد نالته ولادة من النبيّ صلى الله عليه وسلّم فلها نور ساطع في غرَّته، فإن اجتمعتَ وهو على ولد بأن تتزوّج ابنته سادَ العِبادَ وجاب ذكرُه البلادَ؛ فقال: ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان لفاطمة بنتَ الحسين ياأبا شرحبيل، فقال ابن مَيّادة:

لَهُمْ نَبْرَةٌ لَمْ يُعْطِها الله غَيْرَهُمْ وكُلُّ عَطاءِ الله فَضْلٌ مُقَسَّمُ[1]

قال: وكان محمد الأكبر ابن المُطْرَف، وهو الحازوق، يلبس أَسرى الحُلَل، فإذا تعجَب الناس من حُلّة قالوا: كأنها حُلّة الحازوق، وإذا فخر أحد بحلّة قالوا: لو كانت حلّة الحازوق ماعدا.

١ ـ شعر ابن ميادة ـ ط. دمشق ١٩٨٢ ص٢٢٣ وفيه: «لهم نبوة».

قال: وقُتل أميّة بن المُطْرَف بقُدَيْد، وكان عبد الواحد بن سليمان قد ولاه على أسد وطيّء فجاءه سبعون من فزارة، وذلك في أيّام مروان بن محمد، فسألوه أن يخرج بهم معه ليغيروا على طيّء لثأرٍ كان لهم فيهم، فخرج بهم. وتجمّع إليهم ناس من أهل المعادن طَلَباً للغنائم، فلقيه مَعْدان الطائيّ بالمُنْتَهَب[1] في جماعة من طيّء فهزموه، وقد كانوا عرضوا عليه أن يردّ فزارة ويأتي فيمن أحبّ لأخذ صدقة أموالهم، وفي ذلك يقول مَعْدان يعتذر إلى عبد الواحد وأهل المدينة ويذكر عرضهم على أميّة أن يردّ فزارة ويعطوه صدقاتهم:

أَلا هل أَتى المَدينَةِ عَرْضُنا   خِصالاً مِنَ المَعْروفِ يُعْرَف حالُها
على عامِلينا والسّيوف مَصونَةٌ   بِأَغْمادِها ما زايَلَتْها نِصالُها
أَتَيْنا إلى فِرْتاجٍ[2] سَمْعاً وطاعةً   نُؤَدّي الزكاةَ حين حانَ عِقالُها
ومِنْ قَبْلِ ما صِرْنا وجاءَتْ وفُودُنا   إلى فَيْدَ[3] حتى مايُعَدُّ رِجالُها
فقالوا أَغِرْ بالناسِ تُعْطِكَ طَيّءٌ   إذا وَطِئَتْها الخَيْلُ وَاجْتيحَ مالُها
ودون الذي مَنَّوْا أُمَيَّةَ هَبْوَةٌ   مِنَ الضَّرْبِ قِدْماً لاتُجَلَّى ظِلالُها
دَعَوْا بِنِزارٍ فَاعْتَزَيْنا بِطَيّءٍ   هنالك زَلَّتْ في نِزارٍ نِعالُها

وولّى يزيد بن الوليد عبد العزيز بن المطرف مكة والطائف.

---

١ ـ المنتهب: قرية في طرف سلمى أحد جبلي طيء. معجم البلدان.
٢ ـ فرتاج: موضع في بلاد طيء. معجم البلدان.
٣ ـ فيد: منزل بطريق مكة في نصف الطريق من الكوفة. معجم البلدان.

مروان بن الحكم

ومن بني أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس أيضاً مروان بن الحَكَم بن أبي العاص، وهو ابن عمّ عثمان، ويكنى أبا عبد الملك؛ وأمّه آمنة بنت عَلْقَمة بن صَفْوان بن أُميّة بن المحرِّث بن جمل بن شِقّ بن رَقَبة بن مُخْدَج بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزيمة.

وكان الحَكَم أبو مروان مغموصاً عليه في إسلامه وكان إظهاره الإسلام في يوم فتح مكة؛ فكان يمرّ خلف رسول الله ﷺ فيَخْلِج بأنفه ويَغْمِز بعينَيْه فبقي على ذلك التخليج وأصابته خَبْلة؛ فقال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاري لمروان:

إنَّ اللَّعينَ أباكَ فَأرمِ عِظامَهُ ... إنْ تَـرْمِ تَرْمِ مُخَلَّجاً مَجْنونا
يُضحي خَميصَ البَطنِ مَنْ عَمِلَ التُّقى ... ويُظلُّ مَنْ عَمِلَ الخَبيثَ بَطينا

وطلع الحكم ذات يوم على رسول الله ﷺ وهو في بعض حُجَر نسائه فخرج إليه بعَنَزة[1] وقال: «من عذيري من هذه الوَزَغَة»[2]، وكان يفشي

١ ـ رمح قصير.
٢ ـ الوزغة: الرجل الحارض الفشل. القاموس.

أحاديث رسول الله ﷺ فلعنه وسيّره إلى الطائف ومعه عثمان الأزرق، والحارث وغيرهما من بنيه وقال لا يساكّني فلم يزالوا طُرَداءَ حتى ردَّهم عثمان رضي الله تعالى عنه ، فكان ذلك ممّا نُقم فيه عليه .

وقال المدائني عن أشياخه : كان مروان من رجال قريش وكان من أَقرأ الناس للقرآن وكان يقول : ماأَخللت بالقرآن قطّ، أي لم آتِ الفواحش والكبائر قط .

ورُوي : أنّ النبي ﷺ قال للحكم : «كأنّي ببنيه يصعدون منبري وينزلون» .

وكان مروان يكنى أبا القاسم ثم اكتنى أبا عبد الملك .

حدثنا روح بن عبد المؤمن المُقرىء حدثنا مسلم بن إبراهيم عن جعفر بن سليمان عن سعيد بن زيد عن عليّ بن الحَكَم عن أبي الحسن الجَزَري عن عمرو بن مرة الجُهَني قال : استأذن الحَكَم بن أبي العاص على النبي ﷺ فقال : «ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ماهم، يشرفون في الدنيا ويتّضعون في الآخرة» .

قال المدائني : نزل الحَكَمُ في الجاهلية على حاتم طيّء فتناوله قوم من رهط أَوْس بن حارث فغضب حاتم فقال :

الآنَ إذْ مَطَرَتْ سَماؤُكُمُ دَماً وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ مِثْلَ رَأْسِ الأصيد[1]

قالوا : وكان مروان يلقّب خيط باطل لدقّته وطوله، شبه الخيط الأبيض الذي يُرَى في الشمس، فقال الشاعر، ويقال انّه عبد الرحمن بن الحكم أخوه :

١ ـ ديوان حاتم الطائي ـ ط. دار صادر بيروت ص٤٢ مع فوارق.

لَعَمْرُكَ ما أَدْري وإنّي لسائِلٌ　　حَليلَةَ مَضروبِ القَفا كيف يصنع
لَحَى الله قَوْماً أَمَّروا خَيْطَ باطِلٍ　　على الناسِ يُعْطِي ما يَشاء ويمنع

وكان ضُرِب يوم الدار على قفاه.

وكانت أمُّ آمنة أمِّ مروان وإخوتِهِ صفية، ويقال الصَعْبة، بنت أبي طلحة العَبْدَري، وأمّها مارية بنت موهب كندية، وهي الزَرْقاء التي يُعَيَّرون بها فيقال بنو الزرقاء وكان موهب قَيْنا.

وولى معاوية بن أبي سفيان مروان بن الحكم البَحْرَيْن وولاه المدينة مرّتين؛ وهو الذي كان رمى طلحة بن عبيد الله بالبصرة، فمات من رميته.

وقال أبو مخنف والواقدي في روايتهما: كان مروان بالمدينة حين مات مسلم بن عقبة المُرّي بعد إيقاعه بأهل الحَرَّة، ثم أُشخص إلى الشأم فلم يزل بها حتى ولي الخلافة بعد معاوية بن يزيد بن معاوية.

وقال المدائني: لم يزل مروان بالمدينة حتى كتب ابن الزبير بعد موت يزيد، وشخوصِ حُصين بن نمير السَكوني، إلى ابن مُطِيع في تسيير بني أميّة فسيّره وسيّرهم فورد الشأم ومعاوية بن يزيد قد بويع؛ وكان مروان لما سُيروا اكترى أَبعِرة ركبها وبنوه وأمر أن يُحَثَّ به وبهم، فقال راجزه:

حَـرَّمَ مَروانُ علَيْهِنَّ النَّـوْمْ　　إلا قليـلاً وتَـلاهُنَّ القَـوْمْ
حتى يَقِلْنَ أو يَبِتْنَ بالدَوْمْ

والدوم على مسيرة ليلتين من المدينة؛ وكان عبد الملك بن مروان عليلا فقال للرسول الذي وُكل بإزعاجهم: قل لأبي خُبيب: يصنع الله، وفي ذلك يقول أبو قطيفة، واسمه عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط وإنّما قيل له

أبو قطيفة لأنه كان كثير شعر الرأس ثائره عظيمَ اللحية، وكان ممّن سيّره ابن الزبير إلى الشام.

بكى أُحُدٌ لما تَحَمَّـلَ أَهْلُهُ فكيف بِذي وَجْدٍ مِنَ القَوْمِ آلِفِ

وقال أيضاً، ويقال غيره:

ألا هل أتاها والحَوادِثُ جَمَّةٌ بِأَنَّ قَطينَ الله بَعْدَكَ سُيِّرا

ولما بنى مروان داره قال له أبو هريرة: ابنِ شديداً، وَأَمِّلْ بعيداً وعِشْ قليلاً وكلْ خَضماً[1] والموعِدُ الله.

وكان مروان إذا سمع الأذان قال مرحباً بالقائلين عدلاً وبالصلاة مرحباً وأهلِها؛ ويُروى هذا عن معاوية أيضاً.

وأمر مروان عبد الملك حين ولاه فلسطين بتقوى الله، وقال له: مُرْ حاجبك أن يخبرك بمن يحضر بابك في كلّ يوم فتأذن أو تحجب، وآنس من يدخل عليك بالحديث يبسطوا إليك، ولاتعجل بالعقوبة إذا اشكل عليك أمرٌ فإنّك على العقوبة إذا أردتها أقدر منك على ارتجاعها إذا أمضيتها؛ ويقال إنّه اوصى بهذه الوصيّة عبد العزيز حين ولاه مصر، والأوّل أثبت.

ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية أبو ليلى، علم ابن الزبير أنّه لم يبق أحد يضاده فولى الضحّاك بن قيس الفِهْري دمشق، وكان صاغياً إليه وقد كاتبه فبعث إليه بعهده وكتابٍ إلى من قِبَله يدعوهم إلى طاعته، وبعث إلى النعمان بعهده على حمص، وكان النعمان مائلاً إليه، وولّى ناتل بن قيس بن زيد الجُذامي فلسطين وكان لناتل فيه هوى، ويقال: بل كان عنده بمكة فقال

---

١ ـ الخضم: الأكل، أو بأقصى الأضراس، أو ملء الفم بالمأكول، القاموس.

له: ألا تكفيني قومك فخرج ناتل حتى أتى فلسطين، وكان والِيهَا ووالِيَ الأردنّ من قِبَل يزيد بن معاوية حسّانُ بن مالك بن بحْدَل، فبَقِيَتا في يده وفيهما عُمّاله فأرسل إليه ناتل: إما تخرج من بلاد قومي وإمّا أن أدخل عليك فأقاتلك فعرف ابن بحدل أنّه لاقوة له به وبقومه من جُذام، فخرج ابن بحدل إلى الأردنّ فنزل طبريّة وبويع لابن الزبير بفلسطين، وضبط له الضحّاك بن قيس دمشق، وأخذ له بيعة أهلها وفرق عُمّاله فيها، وأخذ له النعمان بن بشير الأنصاري بيعة أهل حمص فاستقامت لابن الزبير الشام كلّها إلا الأردنّ وهذا الثبت.

ويقال: إنّ بعض أهل الأردن قد كانوا مائلين إلى ناتل، ومنحرفين عن حسّان بن مالك بن بحدل وكانت الزبيريّة بالشام تقول: ابن الزبير أولى أهل زمانه بالأمر لأنّه ابن حَواري رسول الله ﷺ، والطالب بدم الخليفة المظلوم عثمان، ورجل له شجاعة وسِنٌّ وفضل، وولّى ابن الزبير مصر عبدَ الرحمن بن عُتْبة بن جَحْدَم الفِهْري فضبطها له، وأظهر حسّان بن مالك بن بحدل الدعاء لخالد بن يزيد بن معاوية وعزم عليه فسار في كلب حتى نزل الجابية[1] فاجتمع إليه بها الحُصين بن نمير السَّكوني ومالك ابن هُبيرة السكوني، ورَوْح بن زِنْباع الجُذامي وزَمْل بن عمرو العُذْري وعبد الله بن مسْعَدة الفَزاري، وعبد الله بن عضاه الأشعري، وأبو كبشة حيويل بن يسار السَكْسَكي، وصار إليه مروان بن الحَكَم وهو لا يفكر في الخلافة وخالد بن يزيد بن معاوية، وعمرو الأشدق بن سعيد بن العاص وغيرهم من الأمويين ودعا قوما من أهل البلقاء وأَذْرِعات فأجابوه؛ فقال له ابن عِضاه الأشعري:

١ ـ على مقربة من بلدة نوى بحوران سورية.

أراك تريد هذا الأمر لخالد بن يزيد، وهو حدث السنّ فقال: إنّه معدن المُلْك ومقر السياسة والرئاسة، فأتى ابن عِضاه خالدا في جماعة من نظرائه من الوجوه فوجده نائماً متصبحاً، فقال: ياقوم أتُجعَل نحورنا أغراضاً للأسنّة والسهوم بهذا الغلام وهو نائم في هذه الساعة، وإنما صاحب هذا الأمر المُجِدُّ المُشمِّر الحازم المتيقظ، ثم أتى مروان بن الحكم فألفاه في فسطاط له وإذا درعه إلى جانبه والرمح مركون بفنائه وفرسه مربوط إلى جانب فسطاطه، والمصحف بين يديه وهو يقرأ القرآن، فقال ابن عِضاة ياقوم هذا صاحبنا الذي يصلح له الأمر وهو ابن عم عثمان أمير المؤمنين وشيخ قريش وسِنُّها؛ فرجعوا إلى حسّان بن مالك فأخبروه بخبر خالد ومروان، وأعلموه انّهم مُجمعون على مروان لأنّه كبير قريش وشيخها، فقال ابن بحدل: رأيي لِرأيكم تَبعٌ، إنّما كرهتُ أن تُعْدَل الخلافة إلى ابن الزبير، وتخرج من أهل هذا البيت؛ ثم قام حسّان خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر مروان فقال: هو كبير قريش وسِنّها، وابن عمّ الخليفة المظلوم والطالب بدمه قبل الناس أجمعين فبايِعوه رحمكم الله فهو أولى بميراث عثمان وأحق بالأمر من المُلْحِد ابن الزبير الذي خلع الخلافة وجاهر الله بالمعصية، فسارَعوا إلى بيعته وماسحوه ودعوا له والتفّت إليه بنو أميّة فقالوا: الحمد لله الذي لم يخرجها منا.

وقال مروان أَحيَيْتُ ليلةً كلّها فلما طلع الفجر صلّيتُ الغداة ونمتُ فجاء عمر حين أصبحتُ، فقال: مابال مروان لم يحضر الصلاة؟ فقيل له: أَحيى ليلته ونام حين صلّي الغداة، فقال:لأن أصلّيها في جماعة يعني العشاء والغداة أَحبُّ إليّ من أن أحيي مايمِيتها.

وقال مروان حين وَلِيَ: لقد رأيتني عند عمر في فِتْيَةٍ من قريش كلّهم يقرب دوني فما زال إيثاري الحقَّ حتى كان يبعثني في مهمّ أمره، ولو لم يبق من أَجلي إلا ظِمءُ حمار ثم أُخيَّر بين أَمْرَيْن من الدنيا والآخرة لاخترت الآخرة.

وكان بين مروان وعمرو بن العاص منازعة فقال عمرو: يابن الزرقاء، فقال مروان: إن كانت زرقاء فقد أنجبت وأدّت الشبه إذ لم تؤده النابغة.

المدائني؛ قال: قال مروان. لـحُبَيْش بن دُلجة: إنّي لأظنك أحمق فقال حُبَيْش: أحمقُ مايكون الشيخ إذا أَعْمَلَ ظَنَّه.

المدائني عن مسلمة، قال: كان لمروان بأرضه بذي خُشُب غلام يقال له جُرَيْج، فقال له يوما: ياجريج أَدْرَكَ شيءٌ من غَلاتنا؟ قال: يوشك أن يدرك، وكأنّك بها، فركب مروان إلى أرضه فتلقّته أحمالٌ، فقال: من أين هذه؟ قالوا: من ضيعتك بذي خُشُب، فأتى الأرض فقال: ياجُرَيْج إنّي أظنّك خائناً؟ قال: وأنا والله اظنّك أيّها الأمير عاجزاً اشتريتني وأنا في مِدْرَعة صوف، ثم أنا اليوم موسرٌ قد اتّخذتُ الخدم وابتنيت المنازل والله إني لأخونك، وإنّك لتخونُ أمير المؤمنين، وإنّ أمير المؤمنين ليخون الله فلعن الله شرَّ الثلاثة.

المدائني، قال: قيل لمروان وهو بمكة إنّ عمرا الكناني يبيت في دارك فبعث مروان ابن جحش الكناني وأمره أن يحمل كلّ من يجد في الدار، فسار من مكة إلى المدينة على ناقة له يقال لها الزلوج، وكان يقال إن في ظهرها زيادة فَقارتَيْن، فورد ليلا فحمل كلّ من وجد في الدار من عيال مروان إلى مكة ودخل الدار وهو يقول:

يـــأَيُّهـا الخـــالِفَـةُ اللجـــوجُ   أُخْرُجْ فقد حانَ لَكَ الخُروج
أنا ابنُ جَحْشٍ وَهِيَ الزَّلوجُ   كَـأَنَّ فـاهــا قَتَبٌ مَعـروج

وأتى أعرابيّ مروانَ فقال: أفرض لي، فقال: قد طوينا الدفتر وفرغنا قال الأعرابيّ أَما إنّي الذي أقول:

إذا مُدِحَ الكَريمُ يَزيدُ خَيْراً   وإنْ مُدِحَ اللئيمُ فلا يَزيد

وقد كان مدح مروان ثم هجاه فقال: أنت هو لابدّ لك من فرض ففرض له.

المدائني قال: قال الجارود بن أبي سَبْرة: دخلتُ على مروان فإذا رجل أحمر أزرق كأنّه من رجال خراسان لو أشاءُ أن أُدخل يدي في عَلابي عنقه لفعلت، وكان ضُرِب يوم الدار على قفاه وله يقول عبد الرحمن بن الحكم:

واللّهِ ما أَدْري وإنّي لَسائِـلٌ   حَليلَةَ مضْروبِ القَفا كَيفَ يَصْنَعُ
لَحَى اللّهُ قَوْماً أَمَّروا خَيْطَ باطِلٍ   على الناسِ يُعْطي مَن يَشاءُ وَيَمْنَعُ

وكان على شرطة مروان يحيى بن قيس الغسّاني.

المدائني عن أبي مخنف، وعوانة، ومَسْلَمة بن مُحارب: أنّ مروان قاتَلَ أهل المرج[1] فظفر بهم وقتل الضحاك، ثم قدم دمشق فبايعه الناس بيعة جديدة فقال بعض الأنصار أو غيرهم:

اللّهُ أَعْـطاكَ التي لا فَوْقَهـا   وقد أَرادَ المُلْحِدونَ عَـوْقَها
عَنْكَ ويَأْبى الله إلاّ سَوْقَها   إِلَيْكَ حتى قلَّدوكَ طَوْقَها[2]

---

١ - مرج راهط على مقربة من بلدة جوبر خارج دمشق إلى الشرق منها.
٢ - ليسا في ديوان كثير عزة المطبوع.

ويقال : ان هذا الشعر قيل في عبد الملك قاله كثيّر بن عبد الرحمن .

قالوا: ودخل زياد الأعجم على مروان بالمدينة فقال له يا أبا أمامة أنشِدْني فقال له : بألف دينار فأنشده :

رَأَيْتُكَ أَمْسِ خَيْرَ بَني لُؤَيٍّ وأَنْتَ اليَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسِ
وأَنْتَ غَداً تَزيدُ الضِعْفَ خيْراً كَذاكَ تَكونُ سادَةُ عَبْدِ شَمْسِ[1]

فأعطاه أَلفَيْ دينار ؛ ويقال : إنّه قال هذا في غير مروان .

قالوا : وكان عُبيد الله بن زياد بن أبي سفيان لما أخرجه أهل البصرة بعد موت يزيد بن معاوية قدم دمشق فبلغه خبر ابن بحدل ونزوله الجابية ، وكان الضحاك بن قيس الفهري بدمشق ، قد بايعه الناس لابن الزبير وتابعوه على أمره ، فقال له ابن زياد قد بويع صاحبك واستقامت له النواحي وأنت ها هنا قد حصرت نفسك بدمشق فاخرُجْ فعَسْكِر ناحيةً يأتك الناس من كلّ أَوْب فإنّك كبير قريش والمنظور إليه منها ؛ فخرج الضحاك إلى مرج راهط فعسكر فما هو الا أن خرج حتى دخلها عمرو بن سعيد الأشدق فأغلقها على نفسه وذلك أنه كانت بلغت عمراً حركة الضحاك ، وكتب إليه بها ابن زياد فدنا من دمشق فاستعد لدخولها وأتى ابن زياد مروان وهو بالجابية فقال : إنّي قد أخرجت الضحَاك إلى الصحراء وأدخلتها عمرو بن سعيد .

وقال عوانة بن الحكم : لما مات يزيد بن معاوية ، وأُخرج عبيد الله بن زياد من البصرة ، قدم دمشق وعليها الضحّاك بن قيس بن خالد الفِهْري عاملاً لعبد الله بن الزبير ، وقد ثار زفر بن الحارث الكلابي بقنّسرين

١ ـ شعر زياد الأعجم ـ ط . دمشق ١٩٨٣ ص ١٣١ .

يبايع لابن الزبير والنعمان بن بَشير بحمص على طاعته ، وكان حسّان بن مالك بن بحدل عاملاً ليزيد بن معاوية على فلسطين ، وكان بفلسطين ناتل بن قيس وهو ممالىء لابن الزبير وكان سيّد أهل فلسطين فاستخلف حسّان روح بن زنباع الجذامي على فلسطين، وأتى الأردن فوثب ناتل على روح بن زنْباع فأخرجه عن فلسطين ، واستولى عليها وبايع لابن الزبير لهواه فيه ، وقد كان ابن الزبير أمر بنفي بني أميّة عن المدينة فسيّرهم عامله على المدينة إلى الشام وفيهم مروان ، وكان الناس فريقين حسّاني وزبيريّ فقال عبد الرحمن بن الحَكَم أخو مروان :

وما الناس إلاّ بَحْدَليٌّ عنِ الهَوَى وإلاّ زُبَيْـرِيٌّ عَصَى فَتَزَبَّـرا

فقام حسّان بالأردنّ فقال : يا أهل الأردن ما تقولون في عبد الله بن الزبير وقَتلَى أهل الحرّة قالوا : عبد الله منافق وقتلى أهل الحَرّة في النار، قال : فما تقولون في يزيد بن معاوية ومن قُتل بالحَرّة من أهل الشأم ؟ قالوا يزيد في الجنّة وقتلانا في الجنة ، فقال:لئن كان يزيد يومئذ على حقّ إنّ شيعَتَهُ على حقّ ، ولئن كان ابن الزبير يومئذ على باطل إنّه اليومَ لَعلى باطل ، قالوا : صدقت نبايعك على قتال من خالفك وأطاع ابن الزبير على أن تجنّبنا هذين الغلامين : خالد بن يزيد ، وأخيه عبد الله فإنّهما حديثةٌ أسنانُهما ، ونحن نكره أن يأتي الناس بشيخ ونأتيهم بصبي .

وكان الضحاك بدمشق يبايع الناسَ لابن الزبير سرّاً خوفاً من بني أمية وكلب ، فكتب إليه ابن بحدَل كتاباً يشتم فيه ابن الزبير ، ويعظم له حق بني أمية ويُذكره إحسانهم إليه واصطناعهم له وبرهم به ، وأنفذ الكتاب إليه مع رجل يقال له ناعصة من ولد تغلب بن وبَرَة إخوة كلب ، ودفع إليه

نسخته وقال : إن لم يظهر الضحَاك هذا الكتاب وكَتَمَه فاقرأْه أنت على الناس ، فأوصل الكتاب إليه فقرأه ولم يظهره فقرأ ناعصة نسخته فقام الوليد بن عُتْبة بن أبي سفيان فقال:صدق حسّان وكذب ابن الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبي النِمْس ، واسم أبي النمس الأسود بن المعد بن شَراحيل الغسّاني ، فصدّق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير ، وقام سفيان بن الأبرد الكلبي فقال مثل ذلك ، ثم قام أبو رجاء عمر بن زيد الحكمي فشتم حسّان بن مالك وكذّبه وأثنى على عبد الله بن الزبير ، واضطرب الناس بنعالهم ، ثم أمر الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان فحبسوا ، وجال بعض الناس في بعض ، ووثبت كلب على عمر بن زيد الحكمي ، وقام خالد بن يزيد بن معاوية على مرقاتين من المنبر فتكلم وسكَّن الناس ، وجاءت كلب فأخرجت سفيان من الحبس ، وجاءت غسان فأخرجت ابن أبي النمس ، فقال الوليد بن عتبة : لو كنت من كلب أو غسّان أُخرجتُ فجاء خالد بن يزيد ، وعبد الله بن يزيد ومعهما أخوالهما من كلب فأخرجوا الوليد ؛ فكان أهل الشأم يسمّون هذا اليوم يوم جَيْرون(١) ، وجيرون موضع بدمشق عند المسجد .

قال : وخرج الضحاك بن قيس إلى مسجد دمشق فجلس فيه فوقع في يزيد بن معاوية ، فقام إليه شاب من كلب بعصاً فضربه بها والناس جلوس في الحلق وعليهم سيوفهم ، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا ، وقيس تدعو إلى ابن الزبير ونُصرةِ الضحاك ، وكلب تدعو إلى بني أميّة وإلى خالد بن يزيد

١ ـ كان باب جيرون الباب الرئيسي لمسجد دمشق ، وما زال قائماً يعرف الآن باسم باب النوفرة .

وتتعصب ليزيد بن معاوية ؛ قال : ودخل الضحاك دار الإمارة ولم يخرج لصلاة الفجر وبعث إلى بني أميّة فاعتذر إليهم ، وقال : لم يقم منكم قائم ، وكتب إليَّ هذا الرجل فولاني وذكر حسن بلائهم عنده ، وأنّه لا يريد شيئاً يكرهونه ، وقال : اكتبوا ونكتب إلى حسان حتى يوافي الجابية ونوافيه فنبايع لرجل منكم ، فرضِيت بنو أميّة بذلك ، فكتب الضحاك إلى حسّان وكتبوا ، وخرج الناس وبنو أميّة للميعاد ، فجاء ثَوْر بن معن بن يزيد السُلَمي ، ويقال معن بن يزيد بن الأخنس نفسه، إلى الضحاك فقال له: عجباً لك دعوتنا إلى طاعة رجل فبايعناك ، ثم أنت الآن تسير إلى هذا الأعرابي من كلب ليستخلف ابن اخته خالد بن يزيد وهو صبي غُمْر قال الضحاك : فما الرأي ؟ قال : أن تُظهر ما كنا نستره من بيعة ابن الزبير ، ونقاتل على طاعته فعرّج الضحاك بمن معه وعطفهم وأقبل حتى نزل مرج راهط ، وأظهر بيعة ابن الزبير وخلع بني أمية .

وصار بنو أمية إلى الجابية ، ووافى حسّان فصلى بهم أربعين ليلة والناس يتشاورون ، وكتب الضحّاك إلى النعمان بن بشير وهو بحمص وإلى زُفَر بن الحارث وهو على قنَّسرين ، وإلى ناتل وهو بفلسطين فأمدّوه فصار إليه خلق من الخلق بمرج راهط ؛ وكانت الأهواء بالجابية مختلفة : حُصينُ بن نُمير يهوى أن يولى مروان ، ومالك بن هُبيرة يهوي أن يولّى خالد بن يزيد ، فقال مالك بن هُبيرة للحُصين : هلم نبايع خالد بن يزيد فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه ، فقال الحصين : لا والله لا يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي ، فقال : ما لك ويحك إنّ مروان وآل مروان يحسدونك على سوطك وشراك نعلك ، وظلّ شجرة تستظل بها ، ومروان أبو عشرة وأخو عشرة ، وعم

عشرة وإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ، ولكن عليكم بابن أختكم خالد فقال : مروان شيخ قريش ، والطالب بدم الخليفة المظلوم ، وهو يدبرنا ويسوسنا ولا يحتاج إلى أن ندبره ونسوسه ، وغيره يحتاج إلى أن يدبر ويساس ! وذكر بعضهم عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال روح بن زنباع : إنكم تذكرون عبد الله بن عمر وفضله وهو كما ذكرتم إلا أنه ضعيف وليس صاحب أمة محمد بالضعيف ، وتذكرون ابن الزبير ، وهو والله ابن حواري رسول الله وابن أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين ، وهو بعد كما ذكرتم في قدمه ولكنه منافق خلع خليفتين: يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، وسفك الدماء ، وشق العصا ، وأما مروان فما كان في الإسلام صدع إلّا كان ممن شعبه وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان يوم الدار ، وقاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ، ورمى طلحة فاستقاد منه لعثمان ، أفنبايع الصغير وندع الكبير ؟! فتم رأيهم على البيعة لمروان وأجمعوا عليها ، ثم لخالد من بعده ، ثم لعمرو بن سعيد الأشدق من بعد خالد ، فبويع مروان ، فلم يقع البيعة لغيره ، وسار مروان حتى نزل مرج راهط فصار بازاء الضحاك وحاربه ودعا الناس فاجتمع إليه خلق .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد والقاسم بن سلام قالا: حدثنا محمد بن يزيد الواسطي عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي قال : دعاني مروان إلى القتال معه فقال: ألا تخرج فتقاتل معنا ؟ قلت : لا لأن أبي وعمي شهدا بدراً مع رسول الله ﷺ وقد عهدا إلي أن لا أقاتل انساناً يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن أتيتني ببراءة من النار قاتلت معك ، فقال : انطلق لا حاجة لنا بك فقلت :

ولستُ مقاتلاً رجلاً يُصَلّي   على سُلْطانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشِ
لـه سُلْطانُـهُ وعَـليَّ إثْمي   مَعاذَ اللّهِ مِنْ سَفَهٍ وطَيْشِ
أأقتل مُسلِماً في غَيْرِ ذَنْبٍ   فلَيْسَ بنافِعي ما عِشْتُ عَيْشي

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال : سُلِّمَ على حسان بن مالك بن بَحْدَل أربعين ليلة بالخلافة ، ثم سلّمها إلى مروان وقال :

فإلا يَكُنْ مِنّا الخَليفَةُ نَفْسُهُ   فـما نالَهـا إلاّ ونحن شُهـودُ

وقال بعض الكلبيّين :

نزلنا لكُمْ عن مِنْبَرِ المُلْكِ بَعْدَ ما   ظَلَلْتُمْ وما إنْ تَسْتَطيعُونَ مِنْبَراً

خبر يوم مرج راهط

قال عَوانة بن الحَكَم وغيره : جعل مروان على ميمنته عمرو بن سعيد الأشدق ، وعلى ميسرته عبيدالله بن زياد ، وجعل الضحّاك بن قيس على ميمنته زياد بن عمرو بن معاوية العُقَيْلي ، وعلى ميسرته زَحْر بن أبي شَمِر الهلالي من أهل حمص ، وثار يزيد بن أبي النِمْس بدمشق ، فغلب عليها وأخرج عامل الضحّاك منها ، وغلب على الخزائن وبيوت الأموال ، وبايع بها لمروان ، وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح ، وأقبل عَبّاد بن زياد من حُوّارين في أَلفَيْن من مواليه وغيرهم ، وكان الضحّاك في ستّين ألفاً ، فقاتل مروان الضحّاك بالمرج عشرين ليلة ، ثم هُزم أهل المرج وقُتلوا ، وقُتل من قيس مَن لم يُقتل مثلهم قطّ وقُتل الضحاك ، وقُتل معه من الأشراف ثمانون كلُّهم كان يأخذ القطيفة ، كان لكلّ رجل منهم في العَطاء أَلفان وقطيفة يُعْطَونها مع عطائهم وقُتل من أهل الشأم مقتلة عظيمة ، وقُتل ثَوْر بن مَعْن السُلَمي ، وجاء رجل من كلب برأس الضحّاك فلما رآه مروان قال : الآن حينَ كبرتْ سنّي ، ودقّ عظمي ، وصرت في مثل ظِمْء الحمار ، أقبلتُ أضرب الكتائب بالكتائب ؟!

قال الهيثم : ولم يحضر عبد الملك يوم المرج تورّعاً .

وقال ابن مُقْبِل :

يا جَدْعَ آنُفِ قَيْسٍ بَعْدَ هَمّامٍ   بَعْدَ المُذَبِّبِ عن أَحْسَابِها الحامي[1]

يعني همّام بن قَبيصة وكان ممّن قُتل يوم المرج .

وقال الفرزدق :

ولَوْلا بَنو حَسّانَ أَسْيافُ عِزِكُمْ   لَعادَ نِصابُ المُلكِ في آلِ هاشمِ

ولكِنْ أبَى مَرْوانُ أنْ يَقْبَلَ التي   يُسَبُّ أبو العاصي بها في المواسم[2]

ويقال : إنّه قال هذا حين بايع مروان لابنيه عبد الملك وعبد العزيز بالعهد .

قال الكلبي : مرّ رجل يوم المرج فقال :

وما ضَرَّهُمْ غَيْرُ حَيْنَ النُفو   سِ أيُّ رَئيسَيْ قُرَيْش غَلَبْ

ويقال : إنّ مروان رأى رجلاً يعرفه صريعاً فتمثّل بهذا البيت ؛ ويقال : إنّ ابنه عبد العزيز قال له : يا أَبَهْ الله أن يسمع هذا منك أحد ، فقال : صدقت يا بنيّ آستُرها على أبيك .

وقال المدائني : أُتي مروان برأس زياد بن عمرو العُقَيْلي ، وثَوْر بن مَعْن السُلَمي ، فتمثّل بهذا البيت ، وهو لأَيْمَن بن خُرَيْم الأسدي .

حدثني عبّاس بن يزيد البصري عن عبد العزيز بن عبد الحميد عن عَوانة قال : وفد الوازع بن ذُؤالة الكلبي على الحجّاج بن يوسف ، وكانت عينه أُصيبت يوم المرج ، فقال له الحجّاج : ما الشجاعة ؟ قال : غرائز

---

١ - ليس في ديوان ابن مقبل المطبوع .

٢ - ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .

يجعلها الله في الناس ، فقد تجد الرجل شجاعاً لا رأيَ له ، فتلك الشجاعة الضارّة لصاحبها لأنّها تُقدم به في غير حال الإقدام ، وتُحجم به في غير وقت الإحجام فيُهْلِك ويَهلك ، وقد تكون الشجاعة نافعة لصاحبها إذا أقدمت به حين الإقدام ، وأحجمت به في حين الإحجام ، والله أصلح الله الأمير لقد رأيتُني يوم مرج راهط وإنّ همّام بن قبيصة النُميري لَواقفٌ وقد انفضَّ عنه أصحابه ، وإنّه من شجاعته لواقف لا يدري ما يصنع ، لو فرّ لكان الفرار يُمكنه ، ولكن حَمِيَ أنفاً فحمل عليَّ وحملت عليه فبادرته بضربة على عاتقه فأَرْدَيته عن دابته ، ثم نزلت إليه لأحتزّ رأسه فتفل في وجهي ثم قال :

ألا يا بْنَ ذاتِ النَوْفِ أَجْهِزْ على آمْرِىءٍ يَرَى المَوْتَ خَيْراً مِنْ فِرارٍ وأَكْرَما
ولا تَـتْرُكنّي بـالحُشـاشـةِ إنـني أَكُرُّ إذا ما الناسُ مثلك أَحْجَما

فأخذتُ رأسه وأتيت به مروان ، وقلت : هذا رأس همّام بن قَبيصة ، قال : أأنت قتلته ؟ قلت : نعم ، قال : فهل أعانك عليه أحد ؟ قلت : نعم الله وإنقضاءُ مدّته ، فقال : هو والله كما قال الشاعر :

وفارِسِ هَيْجَا لا يُقامُ لِبأْسهِ له صَوْلَةٌ يَزْوَرُّ عَنْها الفوارِسُ
وشِدَّةُ لَيْثٍ تَرْهَبُ الأُسْدُ وَقْعَها وتُذْعَرُ مِنْها العاوياتُ العَساعِسُ
جَريءٌ على الإقدامِ ليس بِناكِلٍ ولا يَزْدَهِيهِ الأَحْوَشيُّ المُغامِسُ

قالوا : وقال مروان في حربه يوم المرج :

لّما رَأيتُ الأمْرَ أمْراً صَعْباً يَسَّـرْتُ غَسّـانَ لَهُمْ وكَلْبـا

ويُروى :

لّما رَأَيْت الناسَ مالوا جَنْبا والسَكْسَكِيّينَ الرِجـالَ الغُلْبا
والقَيْنَ تَمْشي في الحَديدِ نَكْبا وَطَيِّئاً يَـأْبَـوْنَ إلاّ ضَـرْبـا

وَمِنْ تَنوخَ مُشْمَخِراً صَعْبا لا يَأْخُذونَ المُلْكَ إلا غَصْباً
فإنْ دَنَتْ قَيْسٌ فقُلْ لا قُرْبا

وقال أبو مخنف : جاء عبيد الله بن زياد ، وعبد الرحمن بن عبدالله الثقفي ، وهو ابن أمّ الحَكَم أُخت معاوية إلى مروان ، فقال عبد الرحمن : يا مروان إجمعْ إليك موالي بني أميّة فأنا أُسلّحهم لك أجمعين ، وقال عبيدالله بن زياد : وأنا أبذل لك من المال والقوّة على عدوّك ما شئت ، واجتمع رؤوس أهل الشام ينظرون من يولّون ، فقالوا : مالكم في تولية الأحداث خيرٌ ، وهذا مروان شيخ قريش ، وسيّد بني أمية ، وهو ذو رأي وحيلة وتجربة للحرب ، فقاموا إلى مروان فبايعوه ، ثم بعثوا إلى أهل الأردنّ فجلبوهم وأقبلوا بهم يسيرون إلى الضحّاك ، وأصحر الضحّاك حتى عسكر بمرج راهط ، واستمدّ عُمّال ابن الزبير فأمدّوه من الأجناد ، فبعث مروان على ميمنته الحُصين بن نُمير السَكُوني ، وعلى ميسرته عبد الرحمن بن أم الحَكَم ، وعلى الخيل حسّان بن مالك بن بَحْدَل ، ومالك بن هُبيرة بن خالد السكوني ، وعلى الرجالة عبيدالله بن زياد ، ثم زحف بهم فاقتتلوا أيّاماً ، ثم قُتل الضحّاك بن قيس .

وقال الكلبي والشَرْقيّ بن القُطامي : كان الذي قتل الضحّاك زُحنة بن عبد الله الكلبي، من بني تيم الله بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وَبَرَة ، وأخذ رأسه عُليم بن رقيم التميمي ؛ فقال الشاعر ، وهو رُوَيْفع البَلَوي :

وَيَوْمَ لدى الضَّحَاكُ حين تَألَبَتْ عَلَيْنا العُدَى مِنْ كُلِ شرْقٍ ومَغْرِبِ
حشاهُ ابْنُ تَيْمِ اللاتِ زُحْنَةَ ثَعْلَباً طَريراً كَقَبْسِ القابِسِ المُتَلهّبِ

قالوا : وكانت بيعة مروان بالجابية يوم الأربعاء لثلاث ليال خلون من ذي القعدة سنة أربع وستّين ؛ ويقال : في رجب سنة أربع وستّين ؛ وكانت وقعة مرج راهط ، ومقتل الضحّاك بن قيس الفِهري في سنة أربع وستين

وقال ثُمامة بن قيس بن حِصن أحد بني العُبيد من كلب :

أَشْهِدُكُمْ أَنِّي لِمَرْوانَ سامِعٌ مُطيعٌ وللضَّحّاكِ عاصٍ مُخالِفُ

قالوا : ولما برز مروان إلى المرج جعل الناس يقولون : أبا أُنَيْس ، أَعَجْزاً بعد كَيْس ؟ فقال : نعم قد يكون العجز بعد الكيس .

قالوا : وكانت مع بشر بن مروان يوم المرج راية يقاتل بها وهو يقول :

إنْ عَلى كُلّ رَئيسٍ حَقّاً أَنْ يَخْضِبَ الصَعْدَةُ أو تَنْدَقّا

ورأى مروان رجلاً من مُحارِب يقاتل في قِلّة فقال له : لو انضممت إلى الناس فإنّك منفرد في قلّة ، فقال : إنّ معنا مدداً من السماء ، فسُرّ مروان وضحك وأمر قوماً كانوا حوله أن ينضموا إليه ، وقال سَهْم بن حَنْظَلة :

نصر الإلٰهُ بَني أُميّة إنّهُ مَن يُعْطِهِ سَبَبَ الخلافَةِ يُنْصَرِ
الوارِثينَ مُحَمَّداً سُلطانَهُ وجَوازَ خاتَمِهِ وعودَ المِنبَرِ
لما لقوا الضّحّاكَ ضَلَّ ضَلالُهُ في يَوْمِ مَوْتٍ لِلْجَبانِ مُحَيِّرِ
حطّوا سُيوفَهُمُ بِحَبْلِ نَخاعِهِ وفَلَقْنَ هامَتَهُ وَراءَ المِغْفَرِ
ألق السِلاحَ أبا خُبَيْبٍ إنَّهُ عارٌ عليك وخُذْ وِشاحَيْ مُعْصِرِ
لو أَدْرَكَتْ زُفَرَ الضَّلالَةِ خَيْلُنا لَتَرَكْنَهُ لِخَوامِعٍ ولأَنْسُرِ

وقال ضَبْثَم الكلبي : وقفت مع عبد العزيز بن مروان ومعي راية قومي فقال :

إقْدَمْ بها يا ضَبْثَمُ فالمَوْتُ قَدْماً أَكْرَمُ

فإذا رجل يَفْرِي الفَرِيّ ، فأقبل حتى فرّق جمعنا عن عبد العزيز ثم طعنه فأرداه ثم نجله برُمحه وقال خُذها يداً مشكورةً أو مكفورةً ، ثم انصرف فسألتُ عنه فقيل : هذا خالد بن الحصين الكِلابي ، وقُتل خالد يوم المرج قتله بشر بن مروان وعمرو بن سعيد .

وهرب زُفَر بن الحارث الكِلابي إلى قَرْقيسيَا وبها عِياض فمنعه من دخولها ، فقال له زفر بن الحارث : • أوثق لك بالطلاق والعِتاق إذا أنا دخلت الحمّام بها أن أخرج منها ، فأذن له فدخلها فلم يدخل الحمّام وأقام بها ، وأخرجَ عِياضاً عنها وتحصّن بها وثابَتْ إليه قيس ؛ وهذا قولُ من زعم أنّ زفر لم يحضر وقعة المرج .

وهرب ناتل بن قيس الجُذامي من فلسطين ، فلحق بعبدالله بن الزبير بالحجاز .

قال الواقـدي : لما رأى قوم ناتل قوّة أمر مروان قالوا : إنّه لا طاقة لنا بمروان ، فألحق بابن الزبير لتأمن ، ونأمن فشخص إلى ابن الزبير .

قال الهَيْثَم عن عَوانة : قال عبدالله بن صفوان الجُمَحي لأبي العبّاس الأعمى : أخبرني عن مروان ، ويوم المرج ؟ فقال : لم أسمع بمثله . وإنّه لَكَما قال حُصين بن الحُمام المُريّ[1] :

تَرَى المَوْتَ لا يُنْحاشُ عنه تَكَرُّماً ... وصَبْراً وإنْ كانَ القِيامُ على الجَمْرِ
حفاظاً على ما أَوْرَثَتْنا جُدودُنا ... وصَبْراً وما في الناس خَيْرٌ مِنَ الصَبْرِ
بذلك أَوْصانا ابْنُ عَوفٍ فلم نَزَلْ ... على مُلْكِ نَمْضي لا نَضِجُّ مِنَ الدَهْرِ

١ ـ شاعر جاهلي مقل ، يعد من أوفياء العرب . الشعر والشعراء ص ٤١٠ . الأغاني ج ١٤ ص ١ ـ ١٦ .

فقال : ما أَبْصَرَكَ بأبي عبد الملك وإن قدر الله لابن الزبير شيئاً فهو كائن ، وإن أكبر ظنّي أنّه وبنيه سيملكون لأنّ عثمان ضمّ عبد الملك إلى صدره وقال : رأيْتني وقد أخذتُ بُرْنُسي فوضعته على رأسه ، وقد وَلده أبو العاص مرتين .

قالوا : وقاتل عبدالله بن معاوية بن أبي سفيان ، وأمه فاخِتة بنت قَرَظَة بن عبد عمرو بن نَوْفَل بن عبد مَناف ، مع الضحّاك يوم المرج ، وكان يحمق ، فأخذ أسيراً وأُتي به عمرو بن سعيد الأشدق فقال له عمرو : يا أبا سليمان نحن نقاتل لنشدّد ملككم ، وأنت تقاتل لتضعفه ؟ فقال له : اسكت يا لطيم الشيطان .

ومن رواية أبي مخنف أيضاً : أنّه لما قدم عُبيدالله بن زياد من البصرة فنزل الشام وجد بني أميّة بتَدمُر قد نفاهم ابن الزبير من مكة والمدينة والحجاز كلّه ، وألفىٰ الضحّاكَ بن قيس أميراً على الشام من قِبَل عبدالله بن الزبير ، ووافى مروان وهو يريد الركوب إلى ابن الزبير ليبايعه بالخلافة ، ويأخذ منه الأمان لبني أميّة فقال له ابن زياد : أنشدك الله أن تفعل أتنطلق وأنت شيخ قريش إلى أبي خبيب فتبايعه وهو منافق مضطرب الرأي ،ولكن ادعُ اهل تَدْمُر فبايِعهم وسِرْ بهم وبمن معك من بني أميّة ومواليهم وأتباعهم إلى الضحّاك حتى تُخْرِجَه من الشام ، فقال عمرو بن سعيد : صدق والله عبيدُ الله ، ثم قال عمرو : أنت سيّد قريش وفَرْعها وأنت أحقّ الناس بهذا الأمر ، وإنّما ينظر الناس إلى هذا الغلام يعني خالد بن يزيد بن معاوية فتزوَّج أمّه فيكون في حجرك ، قال : ففعل مروان ذلك ، ووعدها أن يولّي ابنها عَهْدَه ، فتزوّج أم خالد ، وهي فاخِتة بنت أبي هاشم بن عُتْبة بن ربيعة ولقبُها حَبَّة ،

وجمع بني أميّة فبايعوه بالإمرة عليهم ، وبايعه مواليهم وأتباعهم ، وبايعه أهل تَدْمُر ، ثم سار في جمع عظيم إلى الضحّاك ، وهو يومئذ بدمشق ، فلما بلغه خروج مروان إليه خرج بمن معه من أهل دمشق وغيرهم ، وفيهم زُفَر بن الحارث ، فاقتتلوا بمرج راهط أشدّ قتال ، فقُتل الضحّاك وعامّة أصحابه ، وانهزم بقيَّتهم وتفرّقوا ، ولحق زفر بقَرْقيسيًا فاجتمعت إليه قيس ورأّسوه عليهم فذلك حين يقول زُفَر بن الحارث :

أريني سلاحي لا أبا لَكِ إنَّني ... أَرَى الحَرْبَ لا تَزْدادُ إلاّ تمادِيا
أتاني عن مَرْوانَ بـالغَيْبِ أنَّهُ ... مُقيدُ دَمي أو قاطعٌ من لِسانيا
ففي العِيسِ لي مَنْجىً وفي الأَرْضِ مهرب ... إذا نَحْنُ رَفَّعْنا لَهُنَّ المَثانيا
فلا تَحْسِبوني إنْ تَغَيَّبْتُ غافِلاً ... ولا تَفْرَحوا إنْ جِئتكمْ بِلِقائيا
فقدْ يَنْبُتُ المَرْعى على دِمنِ الثَّرَى ... وتَبْقَى حَزازاتُ النُفوسِ كَما هِيا
أَتَذْهَبُ كَلبٌ لَمْ تَنْلها رِماحُنا ... ونَتْرُكُ قَتْلَى راهِطٍ وَهْيَ ما هيا

وكان معه رجلان من سُليم فلما حاص يومَ المرج تركهما ونجا فلذلك يقول :

فَلَمْ تُرَ مِنِّي نَبْوَةٌ قَبْلَ هٰذِهِ ... فِراري وتَرْكي صاحِبَيَّ وَرائيا

فأجابه جَوّاس بن القَعْطَل ، واسم القعطل ثابت ، وهو أحد بني حِصن بن ضَمْضَم بن جَناب الكلبي فقال :

لَعَمْري لَقَدْ أَبْقَتْ وَقيعَةُ راهِطٍ ... على زُفَرٍ داءً مِنَ الداءِ باقيا
يُبَكِّي على قَتْلَى سُلَيْمٍ وعامِرٍ ... وذُبْيان مَعْذوراً ويُبْكِي البَواكيا
دَعا بِسلاحٍ ثم أَحْجَمَ إذْ رَأَى ... سُيوفَ جَنابٍ والطِوالَ المذاكيا
عليها كأَسْدِ الغابِ فِتْيانُ نَجْدَةٍ ... إذا أَشْرَعوا يَوْمَ الطِعانِ العَواليا

قال الكلبي : وكان هشام بن عبد الملك في أيّامه عزل حَنْظَلة بن صَفْوان الكلبي عن إفريقية ، ولاّها عبيدة بن عبد الرحمن السُلمي ، فأضرّ بمن هناك من كلب وتعصّب عليهم ، فقال أبو الخَطّار الحُسام بن ضِرار :

أَقادَتْ بنو مروانَ قَيْساً دِماءَنا وفي الله إنْ لَمْ تَعْدِلوا حَكَمٌ عَدْلُ
كأنَّكُمُ لَمْ تَشْهَدوا مَرْجَ راهِطٍ ولَمْ تَعْلَموا مَنْ كانَ ثَمَّ لَهُ الفَضْلُ
وَقَيْناكمُ وِرْدَ القَنا بِنُحورِنا ولَيْسَ لَكُمْ خَيْلٌ سِوانا ولا رَجْلُ

قال الكلبي : وكاد مروان يُقْتَل يوم المرج فاستنقذه مُحْرِز بن حُزيب بن مسعود أحد بني هُزيم بن عَديّ بن جَناب الكلبي ، هو والحراق بن حصين بن غرار أحد بني نوفل بن عَديّ بن جَناب ، فرأى جوّاس بن القَعْطَل من عبد العزيز بن مروان جفوة له وتقديماً للحراق فقال له :

ألا بِئسَ آمْرُىءٍ مِنْ ضَرْبِ حِصْنٍ أَضاعَ قَرابَتي وحَبا الحراقـا

يقال في بني فلان ضرب نساء من فلان ؛ وأمّ عبد العزيز كلبّية من بني حصن .

ومُخْتَـرمٍ علـى رَأْيٍ أَصيـلٍ إذا ما شَدَّ حـازِمُهُ النِطاقـا
أبى لي أَنْ أُقِرَّ الضَيْمَ قَـوْمٌ هُمُ راحَـوْا لِمَـرْوانَ الخِنـاقـا
وإني فـآعْلَمنَّ لَـذو انْصِرافٍ إذا ما صاحِبي رامَ الفِـراقـا
فـإلا تَقْبَـلِ الأُمَـراءُ عَـذلي ونُصْحي الغَيْبَ لا أَهب[1] الشِقاقا

قال : وقُتل هَمّام بن قَبيصة فرثته عُميرة بنت عامر الجَعْونَيّة فقالت :

لقد فَجَعَتْني الحادِثاتُ بِسَيِّدٍ كَريمٍ نَشاهُ من نُمَيْرٍ[2] بنِ عامِرِ

---

١ ـ بهامش الأصل : أهب من الهيبة .
٢ ـ بهامش الأصل : تميم .

أعزّ إذا ماشى الرِجالَ عَلاهُمُ بآباء صِدْقٍ جَدُّهُمْ غَيْرُ عاثِرِ
هم يردونَ المَوْتَ إذْ طابَ وِرْدُهُ ببيضٍ خِفافٍ في الأَكُفِ بَواتِرِ
فإن كان هَمّامٌ أَتَتْهُ مَنِيَّةٌ فما كان وَقّافاً غَداةَ التَغاورِ
ولا حائِداً عن قِرْنِهِ إذْ تَبادَرَتْ فَوارِس قَيْسٍ بالرماحِ الشَواجِرِ
لقد كر حتى نالَهُ المَوْتُ مُقْدِماً وحامَى بِمَسْنونِ الغِرارَيْنِ باتِرِ
فإن تَكُ كَلْبٌ أَقْصَدَتْهُ فَرُبَّما رَمَى حَيَّ كَلْبٍ بالدَواهِي الفَواقِرِ
وغادرهمْ شَتّى عِزِينَ فُلولُهُمْ عَلَى كُلِ عِدٍ مِنْ مِياهِ قُراقِرِ

حدثنا خَلَف بن سالم المخزومي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن أشياخهم قالوا : لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية ولم يستخلف اجتمع أهل الأردنّ فبايعوا خالد بن يزيد ، وهو يومئذ غلام شابّ ، وأمّه أمّ هاشم بنت هاشم بن عُتْبة ، وبايع أهل العراق والحجاز ابن الزبير ، وأخرج أهل البصرة عبيدالله بن زياد فألحقوه بالشام ، وذاك حيث أخرجه مسعود بن عمرو فيمن أخرجه من الأَزْد حتى أبلغوه الشام ، فقدم ابن زياد الأُردن على بني أميّة وقد بايعوا خالداً فقال : إنّكم قد أخطأتم الرأي في بيعة خالد ، وقد بايع الناس ابن الزبير وهو ابن حواريّ رسول الله ﷺ ورجل له سنٌّ وصلاح في دينه وفضل وتبايعون أنتم غلاماً حديث السنّ ليست له حُنكة وتريدون أن تقارعوا به ابن الزبير؟ قالوا : فما ترى ؟ قال : أرى أن تبايعوا مروان بن الحكم فإنّ له سناً وفقهاً وفضلاً ، وتشترطون عليه أن يبايع خالد بن يزيد من بعده ففعلوا ، وبعث ابن الزبير الضحّاك بن قيس الفِهْري فغلب على دمشق وناحية الشام والجزيرة ، فحاربه مروان بمرج راهط فقتله .

حدثني هشام بن عمّار قال : ذكروا أنّ مروان قال عجبتُ للضحّاك يقاتلني ، وإنّما قتل أباه تيس حَبَلَّقِيٌّ[1] ، فأدركوه وما به حَيص ولا بَيص فقتل هذا عبدُ الرحمن ابنه فنال سَوءة .

وقال مروان لابن زياد : إيّاك والفِرار يا بن زياد فقال ابن زياد :

سَيَعْلَمُ مَرْوانُ ابنِ فَسْوَةَ أنَّني   إذا التَقَتِ الخَيْلانِ غَيْرُ حيود

فقال مروان : وأيّ أُمهّاتي فسوة إنّه لشديد العضيهة[2] ، رَمَتْني بِدائِها وانسلت ، وأقبل رجل يريد مروان ، فقال : يا بنَ زياد الرجل فشدّ عليه ابن زياد فقتله .

وقال حبيب بن كُرز : كانت معي راية مروان يوم المرج فدفع بِنَعْل سيفه في ظهري ، وقال : ادْنُ بها لا أبا لك فإنّ هؤلاء لو قد وجدوا أَلَم الجراح انفرجوا .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارِب عن أبيه : أنّ مروان غزا أهل مصر فامتنعوا منه ، وتحّصنوا فقاتلهم حتى ظهر عليهم ، ثم رجع إلى الأُردن فخطب أمّ خالد فدعت ابنها فذكرت له ذلك فنهاها ، وقال : والله ما له فيك حاجة وما يريد إلاّ فضيحتي والتقصير بي وإسقاط منزلتي في الناس ، فأبت إلاّ أن تُزَوَّجَهُ فلما كانت ليلة البناء وأُدخلت عليه جلست معه على فراشه ، فأقبل ينظر إلى سقف البيت ويحدث نفسه ولم يكلمها حتى أصبح ، فخرج إلى الصلاة وأرسلت إلى صاحب شرطه ألا ترى إلى ما صنع بي صاحبك من الإستخفاف ، وقد عصيتُ الناس فيه فدخل على مروان فذكر له ذلك ،

---

١ ـ الحبلق : غنم صغار لا تكبر ، أو قصار المعز ودمامها . القاموس .
٢ ـ العضيهة : الكذب ، والسحر ، والافك ، والبهتان . القاموس .

فقال : صدقَتْ قد فعلتُ ، إنّي كنت وأنا شابٌ مُقْبلًا على أمرِ آخِرَتي ، ولا أُوثر عليها شيئاً ، فلما كبرتْ سنّي واقترب أجلي آثرت دنيايَ على آخرتي ، فليس يعرض لي أمران أحدهما للدنيا إلاّ آثرته ، فأُتيت بها وأنا في ذلك فشغلني عنها ، ثم إنّ مروان استخف بابنها خالد وأقصاه فدخل عليه يوماً فكلمه في شيء فأغلظ له وتَجَهَّمَهُ ، فردّ عليه خالد ، فقال له مروان : أراك تجيبني يا بن الرطبة . فقال له : أمين مختبر ، وخرج الفتى إلى أُمّه فأخبرها فقالت : أَفَعل ؟ قال : نعم ، قال : فزعم بعض الناس أنّها سقته شربة لبن مسموم فقتلته ؛ وزعم بعضهم أنّها ألقت على وجهه مِرْفَقة حين أخذ مضجعَه بعد العشاء الآخرة، ووثَبَتْ عليه وهي وجواريها فَغَممته حتى أتينَ على نفسه ثم صرخن وقالت : مـات فُجاءةً ؛ وكان بين بيعته وموته سنة وبايع لابنه عبد الملك ، ولعبد العزيز من بعده ، ونقض بيعة خالد ، ولما ولي عبد الملك ولّى أخاه عبد العزيز مصر ، فلم يزل عبد العزيز عليها حتى مات بها .

المدائني عن خليد بن عَجْلان ، قال : كان من بني طابِخة كلبٍ سبعة إخوة جاء كلّ واحد منهم برأس يضعه فيقول : أنا ابن زُرارة ، فقال مروان : إنّ زرارة كان مُخْبِثاً مكثراً فقيل له : أمسك عن هذا وإلاّ لم يقاتل معك أحد .

قال الواقدي في بعض روايته : كان ابن زياد قال لمروان حين بويع : إنّي ذاهب إلى الضحّاك بن قيس فمبايعه لابن الزبير ومُخْبِرهُ إنيّ قد كرهتكم ، فقدم ابن زياد على الضحّاك فبايعه فسر بذلك ، وجعل ابن زياد يدبّ في الناس فيفسدهم ويدعوهم إلى مروان ، وكان ابن زياد أعطى مروان مالاً

عظيماً فأنفقه على جيشه ، ولم يزل ابن زياد حتى لطفت الحال بينه وبين الضحاك ووثق به ، فقال له : والله العجب لرأيك في بيعتك ابنَ الزبير وأنت أُولى بهذا الأمر منه ، أنت شيخ قريش اليومَ وسيّدها فادْعُ الناس إلى بيعتك ، فلم يزل به حتى خلع ابن الزبير ، ودعا إلى نفسه فاختلف عليه جنده ، ثم عاد إلى أمره فكتب ابن زياد إلى مروان : إنّي قد صدعت على الرجل أمره وأفسدته ، فأقبل مروان حتى نزل مرج راهط ، فأراد الضحّاك أن يُغْلِق أبواب مدينة دمشق ويتحّصن فيها ، فقال له ابن زياد : ألا تستحي ممّا تريد أن تصنع والناس كلّهم معك ، أخرجْ إليه فقاتلْه ، وأنا معك فأخرجه ، فلما التقوا انصرف ابن زياد إلى مروان بمن كان تابعه فقُتل الضحّاك وقُتلت قيس معه يومئذ قتلاً ذريعاً ، وكانت قيس زبيريّة إلّا قليلاً منهم كانوا مع مروان ، فذلك حيث يقول القائل :

إنْ تَكُ قَتْلَى راهِطٍ قد تُنوسِيَتْ فَسُقْيَا لأَصْداءٍ هُناكَ وهامِ

ودخل مروان دمشق فبايعه أهلها ، واستوسقت له الشام والجزيرة وبايعه أهلها .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : قتل الوازع بن ذُؤالة الكلبي همّام بن قَبيصة ، فقال وعتب على بعض الأمراء :

أَتَنْسَى الذي أَسْدَيْتُهُ يَوْمَ راهِطٍ وقَدْ ضاقَ عَنْكَ المَرْجُ والمَرْجُ واسِعُ
وأَقْبَلَ حادي المَوْتِ يَحْدو مُشَمّراً بِفُرْسانِ حَرْبٍ لم تَرُعْها الرَوائِعُ
عَلَيْها قُرومٌ مِنْ قُضاعَةَ سادَةٌ لَهُمْ شِيَمٌ مَحْمودَةٌ ودَسائِعُ
إذا لَقِحَتْ حَرْبٌ مَرَتْها سُيوفُهُمْ وأَيْدٍ طِوالٌ لم تَخُنْها الأَشاجِعُ

يَرَوْنَ وُرُودَ المَوْتِ حَقاً عَلَيْهِمُ إذا حادَ عن وِرْدِ المَنايا المُخادِعُ
فكَم مِنْ كَريمٍ قد تَرَكْنا مُلَحَّباً وآخَرَ قد سُدَّتْ عَلَيْهِ المَطالِعُ

قال: ورَثَتْ هَمّاماً عُمَيْرَةُ الجَعْوَنِيَّة فقالت:

لَعَمْري لَقَدْ قَرَّتْ عُيونٌ كَثيرَةٌ بمَصْرَعِ هَمّامٍ وما كان مُدْبِرا
لَقَدْ صادَفَتْ مِنْهُ المَنايا مُجَرَّباً صَبوراً على دَفْعِ الصَوارِمِ قَسْوَرَا
أَبَيْتَ فَلَمْ تَلْحَقْ بِعِرْضِكَ سُبَّةٌ وغامَرْتَ في وِرْدٍ مِنَ المَوْتِ أَحْمَرا

مقتل النعمان بن بشير

ابن سعد بن ثعلبة من بني الحارث بن الخزرج

قالوا : لما بلغ النعمان بن بَشير الأنصاري رضي الله تعالى عنه الهزيمة يومَ مرج راهط، ومقتلُ الضحّاك بن قيس الفِهْري، وهو على حمص من قِبَل ابن الزبير خرج ليلاً هارباً منها يريد المدينة ، ومعه امرأته نائِلة بنت عُمارة الكلبي ، ومعه ثقله وولده فتحيّر ليلته كلّها ، وأصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذي جدّ في طلبه رجل من الكَلاعيّين يُقال له عمرة بن الخَليّ قد كان النعمان حَدَّهُ في الخمر ومعه غوغاء أهل حمص ، فلحقه فقتله ، فأقبل برأسه وبنائلة امرأته وولدها فألقى الرأس في حجر أمّ أبان بنت النعمان بن بشير ، وهي التي كانت عند الحجّاج بن يوسف بعدُ فقالت نائلة امرأة النعمان : أَلْقوا الرأس إليَّ فإنّي أحقّ به فألقي الرأس في حجرها ، ثم أقبلوا بهم إلى حمص فجاء مَن بحمص من كلب فأخذوا نائلة وولدها وبعثوا بثقله إلى المدينة ، ويقال : انّهم بعثوا بولده وامرأته نائلة إلى المدينة .

وكان النعمان رضي الله تعالى عنه أوّل مولود في الإسلام من الأنصار بالمدينة .

وقال الضحّاك بن فيروز بن الدَيْلَمي من أبناء اليمن :

أَصَحوْتَ أَمْ سَلَبَتْ فُؤادَكَ دَوْسَرُ ... أَمْ أَنْتَ عَنْ أَبْياتِ دَوْسَرَ أَزْوَرُ
زعموا بِأَنّ أَخا التَفَضُّلِ والنَدَى ... قَتَلَتْهُ غَدْراً إِذْ تَعاوَتْ حِمْيَرُ
غدروا بِنُعْمانَ بْنِ سَعْدٍ غَدْرَةً ... ولَرَأْسُ حِمْيَرَ مِثْلُها أو أَكْثَرُ

في أبيات .

وقال عبد الرحمن بن الحَكَم :

إن يُمكِنِ الله مِنْ خاءٍ ومِنْ حَكَمٍ ... ومِنْ جُذامٍ نُقَتِّلْ صاحِبَ الحَرَمِ
نفري جماجِمَ أَقْوامٍ على حَنَقٍ ... فَرْياً يُنَكِّلُ عَنّا سائِرَ الأُمَمِ

وقال عمرو بن مُخلّى الكلبي :

رَدَدْنا لِمَرْوانَ الخِلافَةَ بَعْدَما ... جَرَى لِلزُّبَيْرِيّينَ كُلُّ بَريدِ

وقال أيضاً :

أَصابَت رِماحُ القَوْمِ بِشْراً وثابِتاً ... وثَوْراً وكُلٌّ لِلْعَشيرَةِ فاجِعُ
وأَدْرَكَ هَمّاماً بِأَبْيَضَ صارِمٍ ... فتىً مِن بَني عَمْرٍو صَبورٌ مُدافِعُ

فأجابه زُفر :

فَخَرْتَ ابنَ مُخْلاةِ الحِمارِ بِمَشْهَدٍ ... عَلاكَ بِهِ بِالمَرْجِ مَنْ قد تُدافِعُ
عَلاكَ بِهِ قَوْمٌ كَأَنَّكَ بَيْنَهُمْ ... إذا الحَرْبُ شَبَّتْ ثَعْلَبٌ مُتَضالِعُ

وقال ابن طُرامة الكلبي :

وبادِيَةُ الجَواعِرِ مِن نُمَيْرٍ ... تُنادي وَهْيَ حاسِرَةُ النِقابِ
قَتَلْنا مِنْكُمُ أَلْفَيْنِ صَبْراً ... وأَلْفاً بِالتِلاعِ وبِالرَوابي

فتح مروان مصر

قالوا : وخرج مروان بعدما اجتمع له أمر الناس بالشام إلى مصر وذلك في جمادى سنة خمس وستّين ، واستخلف ابنه عبد الملك على دمشق ، وكان والي مصر من قِبَل ابن الزبير عبد الرحمن بن عُتبة بن أبي إياس بن الحارث بن عبد أَسَد بن جَحْدَم بن عمرو بن عايِس بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ، فوجّه ابن جَحْدَم إلى مروان ثلاثة آلاف فارس عليهم السائب بن هشام بن عمرو بن ربيعة العامري ، وكان مروان لما مرّ بفلسطين أشار عليه رَوْحُ بن زِنْباع بأخذ ابنَيْن له كانا هناك ، ويقال : إنّهما كانا برَفَح فكانا رهينةً عنده ، وقال قوم : إنّ الغلامين كانا ابني ابن جحدم ، فلما لقي السائب مروان بجمعه دون الفسطاط أمر أن يوقَف الغلامان بين الخيلين ويقال له : يقول لك أمير المؤمنين : قد ترى هذين الغلامين ، والذي نفسي بيده لتَصرِفنّ خيلك إلى الفسطاط أو لأضربنّ أعناقهما ولأرمينّ إليك برؤوسهما فانصرف السائب راجعاً إلى الفسطاط ، فغضب ابن جَحْدَم فقال كُريب بن أَبْرَهة الحِمْيَري : إنّه لم يبتل بمثل ما ابتُلي به السائب أحدٌ إلاّ فعل مثل فعله

فَرَضي ، ووجّه مروان عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق إلى ابن جَحْدَم في أربعة آلاف ، فأخرج إليه ابن جحدم خيلاً فاقتتلوا فهُزم المصريّون وصالحَ ابن جحدم مروانَ على أن يخلّي مصر ويلحق بمأمَنه ، فلحق بابن الزبير وصارت مصر في يد مروان ، وكان الذي سفر بين ابن جَحْدَم وعمرو بن سعيد كُريب بن أبْرَهة بن الصَبّاح الحميري .

وقال الكلبي : قُتل عبد الرحمن بن عُتبة بن أبي إياس بن جَحْدَم .

قال جَرير :

هلا سَألْتَ بِهِمْ مِصْرَ التي نَكَثَتْ وراهطاً يَوْمَ يَحْمي الرايَةَ البُهَم[1]

ودخل مروان الفسطاط حتى فُتحت مصر ، وولّى عُقْبة بن نافع الفِهْري حربها وصلاتها وجباياتها ، فلم يزل واليها حتى مات مروان ، فولّاها عبد الملك أخاه عبد العزيز ، وكان مروان أوصاه بتوليته إيّاها عند مصير الأمر إليه فيما يقال ، وولّى مروان عبد الملك فلسطين حين صار إلى دمشق .

قالوا : ولما أقبل راجعاً يريد دمشق بلغه أنّ عبدالله بن الزبير قد بعث أخاه مصعباً نحو فلسطين حين بلغه خبر ناتل واقباله إليه هارباً ، فوجّه إليه عمرو بن سعيد في جيش لُهامٍ ، فلقيه عمرو قبل أن يدخل إلى الشام ، فقاتله عمرو فهَزمَ أصحابه ، فرجع ورجعوا إلى الحجاز ورجع عمرو بن سعيد إلى مروان .

المدائني عن مَسْلمة وغيره : أنّ مروان ولّى عبد الملك فلسطين ، وجعل رَوْح بن زنباع خليفة لعبد الملك عليها ، وشخص مروان يريد

---

١ ـ ديوان جرير ص ٤١٥ .

دمشق ، فلما كان بالصِنّبْرة[١] من عمل الأُردنّ بلغه أنّ مالك بن هُبيرة السكوني يقول : شرط لي مروان بالمرج أن يجعل لي ولقومي كورة البَلْقاء ، وكان عمرو يقول : الأمر لي بعد مروان ، وذلك أنّ مروان كان يَعِده ذلك ليستنزل به طاعته ونصيحته، وكان خالد بن يزيد بن معاوية يقول: الأمر لي بعد مروان ، فقال مروان لحسّان بن مالك بن بَحْدَل : إنّ قوماً يزعمون أنّي اشترطت لهم شروطاً ووعدتهم عِداتٍ منهم : عطّارة مكحّلة مخضّبة ، يعني مالك بن هُبيرة ، فقال مالك : هذا ولم تَفتح تهامة ولم يبلغ الحِزامُ الطُبْيَيْنْ[٢] ، فقال مروان : يا أبا سليمان إنّما داعَبْناك ، ومنهم عمرو بن سعيد يزعم أنّي جعلت له الخلافة ويُطمع نفسَه فيها ، ومنهم خالد بن يزيد ، وقال : إنّي أريد البيعة لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده بالعهد فقال حسّان : أنا أُكفيك هذا الأمر ، فلما اجتمع الناس عند مروان قام ابن بحدل فقال:إنّه يبلغنا أنّ رجالاً يتمنّون أمانيّ ويدّعون أباطيلَ ، فقوموا فبايعوا لعبد الملك ابن أمير المؤمنين بالعهد ، ولعبد العزيز من بعده ، فقام الناس فبايعوا مسارعين من عند آخرهم . وكان مروان قال لحسّان بن مالك بن بحدل : بلغني أنّك تقول : إنّي اشترطت على مروان أن يولّي خالد بن يزيد الخلافة بعده ، فحداه ذلك على الجدّ في بيعة ابنيه ليُكذب ما أُبلغ مروان عنه ، ولقي عمرو بن سعيد حسّانَ بن مالك فقال : ما أُسْرَع ما خُرْتَ! فقال : اسكتْ يا لطيم الشيطان ، ثم إنّ مروان عقد لعبيدالله بن زياد بدمشق وَوَجَّهَهُ

---

١ ـ قرب بحيرة طبرية .
٢ ـ جاوز الحزام الطبيين : اشتد الأمر وتفاقم . القاموس .

إلى الجزيرة والعراق فقُتل بالموصل ، قَتَلَه ابراهيم بن الأشتر ، وسنذكر خبره فيما يستقبل إن شاء الله .

وقال الهيثم بن عَديّ : خرج مروان إلى مصر فقتل حمام بن أَكْدَرَ اللَخْمي ، وهلال بن عمرو ، وفتحها ثم انصرف ، فلما كان بالأردنّ بايع لعبد الملك وعبد العزيز ، وخلع خالد بن يزيد ، وعمرو بن سعيد[1] .

١ - بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

خبر يوم الربذة

قالوا : ووجّه مروان جيشاً من فلسطين أو غيرها مع حُبيش بن دُلْجة القَيْني أحد بني وائل بن جُشَم إلى ابن الزبير، في ستّة آلاف وأربعمائة فيهم يوسف بن الحَكَم الثقفي ومعه ابنه الحجّاج بن يوسف ، وكانوا يتنزّلون على الناس ولا يعطون أحداً لِشيء ثمناً ، فلما صاروا إلى وادي القُرَى هرب عامل عبدالله بن الزبير منها فوضعوا على أهلها ضريبة أدّوها إليهم ، ونزلوا بذي المَرْوة فلقي أهلها منهم عنتاً .

وبلغ أهل المدينة خبر جيش حُبيش بن دُلْجة، فتغيّب بَشَر من الصالحين، وقيل لسعيد بن المسيَّب : لو تغيّبت أو أتيت البادية ، فقال : فأين فضل الجماعة ، والله لا رآني الله والناسُ أَخْوَفُ عندي منه ، وهرب عامل ابن الزبير وهو المنذر ، ويقال : عبيدة بن الزبير ، ويقال : جابر بن الأسود بن عوف ، وكان عبدالله بن الزبير لما بلغته حركة هذا الجيش حين أُنفذ ، كتب إلى الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة ، والحارث هو القُباع ، وكان عامله على البصرة ، يأمره أن يوجّه إليه جيشاً كثيفاً ، وكتب إلى ابن مُطِيع وهو عامله

على الكوفة بمثل ذلك ، فوجّه الحارث الحَنْتَف بن السِجْف التميمي ، ثم أحد بني العُجيف بن ربيعة بن مالك بن حنظلة في ثلاثة آلاف ، ويقال في ألْفين ، ووجّه ابن مُطِيع محمد بن الأشعث بن قيس في أَلْفَين من أهل الكوفة ، ووجّه ابن الزبير من مكة مسروقاً النَصْري ، وقدم حُبيش بن دُلْجة فعسكَرَ بالجُرْف ، وكان مروان امره أن لا يعرض لأهل المدينة ، وأن لا يكون صَمْدُه وقَصده إلاّ لمن يوجّهه ابن الزبير للمحاربة ، فالتقى النَصْري وحُبيش بالمُنْبَجِس[1] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان أول الوقعة لابن الزبير ثم صارت الدولة لحُبيش وأهل الشام ، فقَتلوا من أصحاب النَصْري خلقاً ، وهزموهم ، فأمر ابن دُلجة بدفن من قُتل من أصحابه وبقي أصحاب النصري بالعراء تأكلهم السباع والطير ، وقدم محمد بن الأشعث بن قيس ، فلما بلغه خبر الوقعة تداخله وأصحابه رُعبٌ وهيبة ، فانكفأ منصرفاً إلى الكوفة ، وكتب ابن الزبير إلى ابن مطيع بتولية محمد بن الأشعث الموصل إذا وافاه ، وقد رُوي : أنّ محمداً كان بالموصل والِيهَا وأنّ القادم بالجيش والمنصرفَ عن حُبيش عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث ، والله أعلم .

قالوا : ودخل حُبيش المدينة ، فنزل دار مروان وخطب على منبر رسول الله ﷺ ، فقال : يا أهل المدينة نِفاقكم قديم بقول الله : ﴿لَئِنْ لَمْ ينتهِ المُنَافِقُون والذِينَ في قُلوبِهم مَرَضٌ والمُرْجِفُونَ في المَدينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاّ قليلاً﴾[2] كيف رأيتم صُنْعَ الله بكم ، والله لا يتكلّم

---

١ ـ المنبجس : وادي العرج ، أو أدناه ، فيه عين . المغانم المطابة، والعرج هنا بين مكة والمدينة . معجم البلدان .

٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٦٠ .

أحد منكم بكلمة إلا ضربته بسيفي هذا .

قال الهيثم بن عَديّ : كان حُبيش بن دُلْجَة يأكل التمر على منبر رسول الله ﷺ ، ويحذف أهل المدينة بالنَوىَ ، ويقول إنّي لأعلم أنّه ليس بأكل تمر ، ولكنّني أحببت أن أُعلمكم هوانكم عليَّ ، وقيل له : إنّ بها الأنصار ولهم بك قرابة فقال : إنّهم خذلوا أمير المؤمنين عثمان

وبلغ حُبيشاً قربُ الحَنْتَف بن السِجْف ، فأُشير عليه أن يتلقّاه ولا يُمْهِله حتى يصير إلى المدينة فيُعينَه أهلُها ومَن حولها ، ويأتيه مدد عبدالله بن الزبير ، فجمع حبيش أصحابه وقوّاهم بالسلاح والعدّة ، وسار ليلقي الحَنْتَف فيحاربه دون يثرب ، فسار في أربعة آلاف من أصحابه ، وخلّف بالمدينة سائر من معه وولّى أمرهم رجلاً من أهل الشام يقال له ثعلبة ، وخرج معه من أهل المدينة يزيد بن يزيد أخو السائب بن يزيد الذي يُعرف بابن أُخت النِمْر ، وهو كِنْدي حليف في قريش ، وذَكْوان مولى مروان ، وكعب مولى سعيد بن العاص ، وعبيدالله بن إياس بن أبي فاطمة في آخرين ، فلما انتهى إلى الرَبَذة وجد الحَنْتَف قد وردها قبله بيوم ، فجعل حُبيش يدعو إلى طاعة مروان ، والحنتف يدعو إلى طاعة عبدالله بن الزبير ، ثم إنّهما التقيا في وقت الظهر ، وكان للحنتف أَلْف فارس قد أكمنهم في غيابة من الأرض ، أي هبطة ، وعليهم رجل من قومه يقال له رباح ، فاقتتل البصريّون والشاميّون ساعة والشاميّون ظاهرون ، ثم إنّ كمين الحَنْتَف خرج عليهم ، فلم يشعروا إلاّ وهم من ورائهم فانهزم أصحاب حُبيش في كلّ وجه وقُتل حبيش بن دُلْجَة عند حوافر الخيل وتقطّع أصحابه ، ويقال : إنّ أصحاب حُبيش كرّوا بعد الهزيمة ، وثابوا فنادى رجل من أصحاب

الحَنْتَف: هل من مبارز فبارزه رجل من الشاميّين، فلم يلبث أن قتله البصري وأخذ هميانًا معه وجرّده فأغضب ذلك حُبيشاً فقال: هل من مبارز، فبارزه الرجل الذي قتل الشامي وأخذ هميانه، فضرب حبيشاً ضربة أثخنَتْه، ثم ثنى باخرى فقتله، وانهزم الشاميّون فقُتلوا قتلاً ذريعاً، وأُسر منهم خمسمائة، ويقال أكثر، وهرب منهم ثلاثمائة فأتوا المدينة فاستَخْفَوا بها، ثم قُدِر عليهم فخُلطوا بالأسْرى، وهرب يوسف بن الحَكَم وقد أردف الحجّاجَ ابنَه خلفه، فلم يعرّج دون نَخْل، فكان الحجّاج يقول: ما أَقبحَ الهزيمة، لقد كنتُ ورجل آخر - يعني أباه - في جيش حُبيش بن دُلْجة فانهزمنا فركضنا ثلاثين ميلاً حتى قام الفرس، وإنّه ليُخَيَّل إلينا أنّ رماح القوم في أكتافنا.

قالوا: ولم يُقتَل رجل من أصحاب ابن دُلْجة إلاّ كان أقلّ ما وُجد معه مائة دينار.

وقال تَوْسِعَة من بني تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة:

ونَجَّى يوسُفَ الثَقَفِي رَكْضٌ دِراكٌ بَعْدَ ما سَقَطَ اللِواءُ
ولَوْ أدْرَكْنَهُ لَقَضَيْنَ نَحْباً بِهِ ولِكُلِّ مُخْطَأةٍ وِقَاءُ

يريد لكلّ نفس مخطأة، وكان مع يوسف لواء، ويقال: أراد أنّه حين قُتل حبيش سقط لواءُ القوم عند الهزيمة.

قالوا: وقدم الحَنْتَف بن السِجْف بالأسارى إلى المدينة، فتطلّع أهل المدينة إلى قدومه وتلقّوه واستبشروا به وجعل قوم يقولون: ليس هو الحَنْتَف إنما هو الحتف، وهرب ثعلبة حليفة حبيش، ويقال طرده أهل المدينة، ويقال إنّ قوماً من أهل المدينة وثبوا به فقُتل والله أعلم، وبعث عبدالله بن الزبير أخاه مصعباً لقتل الأسارى لا غير، وقوم يقولون: ولاّه المدينة، فلما قدم

المدينة قتل أولئك الأسارى، ثم انصرف إلى مكة، وكان جميع من قتل ثمانمائة أسير، وكان قتْلُه إيّاهم بالحَرّة في مصارع ابن الغَسيل وأصحابه، وجعل مصعب لمن جاء بيوسف بن الحَكَم وابنه أو أحدهما جُعْلاً فلم يُقْدَر عليهما، وكان يزيد بن يزيد أخو السائب بن يزيد في الأسارى، فدعا به مصعب أوّل الأسارى فقال: أي عدوّ الله ألستَ الذي صنعت بالحَرّة ما صنعت، فلم ترض بذلك حتى عُدت الثانيةَ مع ابن دُلْجة، ألِدينٍ طلبت ذلك أم لدنيا، إنّك لَصفرٌ منهما، وأمر به فقُتل في الموضع الذي قَتل فيه مُسْلِم بن عُقْبة أسراء الحرّة، فكان السائب أخوه يقول: لقد مرّ بنا مِن صياحِ من صاحَ بنا من النساء والصبيان بالشماتة والفرح بمقتل يزيد ما كان أشد علينا مِن قتله، وقيل لسعيد بن المسيَّب ألا تعزي السائب عن أخيه؟ فقال: لا رحمه الله، والله إنّي لأحسب السائب قد سُرّ بقتله، وأُخذ في المعركة يوم الرَبَذة ذَكْوان مولى مروان، وكعب مولى سعيد بن العاص وابن أبي فاطمة، فقال مصعب: السيف أرْوَح لهم، فضربهم بالسياط ضرباً شديداً.

وقال الواقدي: جعلت المرأة من أهل المدينة تأتي الحَنْتَف فتقبّل رأسه وتقول شفيتَ النفوس وثأَرْتَ لنا بقتلَى أهل الحَرّة، وكان انصراف الحنتف إلى البصرة مع مصعب حين ولّاه إيّاها أخوه عبدالله بعد أيّام الرَبَذة، ويقال: إنّ ابن الزبير أمره أن يُنفذ إلى الشام فيغير على أطرافه، فمات بوادي القرى وأهل المدينة يقولون: أمر ابن الزبير حَنْتَفاً أن يقيم بالمدينة ليعاضد عامله فلم يزل مقيماً حتى وجّه عبدالملك طارقاً مولى عثمان إلى وادي القرى فلقيه

الحَنْتَف بموضع يقال له شَبَكَة الدَوْم فقتله طارق ، وقال بعضهم : واقعه بوادي القرى والله أعلم .

قالوا : وخطب المصعب بالمدينة فقال : يا أهل المدينة احمدوا الله على ما ابلاكم وأولاكم من نفي عدوّكم عن ساحة بلادكم واتقوا الله واسمعوا وأطيعوا فقد غضبنا لما انتُهك من حرمتكم حتى أقادكم الله من عدوّكم ، فأعينوا رحمكم الله ولاتكم ، وليبلغ أميرَ المؤمنين أصلحه الله ما يحبّ عنكم ، وأقام بالمدينة خمسة أيام ثم رجع إلى مكة ، وشخص معه الحَنْتَف ثم ولّاه أخوه العراق ، فشخص إلى البصرة ، وولّى عبدالله بن الزبير المدينة عبدَالله بن عبيدالله بن أبي ثور حليف بني عبد مناف ، وهو الذي خطب ذات يوم فقال:اتّقوا الله وخافوه فإنّ عقابه شديد ، وقد علمتم ما صنع بالقوم الذين عقروا ناقته ، وإنما قيمتها خمسمائة درهم فسميّ مُقَوِّم الناقة .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ وغيره : وجّه مروان عبيدالله بن الحَكَم أخاه مع حُبيش ، وقال:إنّ حدث بحبيش حدثٌ فأنت على الجيش ، فقتله الحَنْتَف يوم الرَبَذة في المعركة .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي ، وأبو خَيْثَمة زهير بن حرب قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كيسان قال : بعث ابن الزبير جيشاً فلقي ابن دُلْجة بوادي القرى فهزمه ابن دلجة ، وقدم الحَنْتَف بن السجف في ثمانمائة ، وابن دُلْجَة في أربعة آلاف ، فاقتتلوا بالرَبَذة فقُتل حُبيش وعامة أصحابه ، ولحق باقوهم بالشام .

وقال أبو مخنف في بعض رواياته : انتهى ابن دُلْجة إلى المدينة ، وعليها جابر بن الأسود بن عوف الزُهري ، فهرب جابر ، ولما سمع ابن دلجة بمسير

الحَنْتَف إليه سار من المدينة نحوه ووجّه عبدالله بن الزبير عبّاس بن سَهْل بن سعد الساعدي إلى المدينة وأمره أن يسير في طلب ابن دلجة ويحاربه إلى قدوم الحنتف وأهل البصرة ، فأسرع في إثره وهو متوجّه نحو الربذة ، لأنّه أُشير على ابن دُلْجة بأن يتلقّى الحَنْتَف ولا يواقعه بالمدينة ، فلحقه بالربذة وقد وافى الحنتف وأهل البصرة ، وكان بعض أصحاب ابن دُلْجة قال له : لا تعجل إلى قتال أهل البصرة ، فقال : لا والله لا أنزل حتى أشرب من مقندهم يعني سويقهم ، فاقتتلوا فجاء ابن دُلْجة سهمُ غَرْبٍ فقتله ، وقُتل المنذر بن قيس الجُذامي ، وتحرّز من الشاميّين في عمود الرَّبَذة نحوٌ من خمسمائة ، فحصرهم عبّاس بن سهل والحَنْتَف ، فعرض عليهم الحنتف أن ينزلوا على حكمه فلم يفعلوا ، فقال لهم عبّاس : انزلوا على حكمي ، وكانوا له أَرْجَى منهم للحنتف للأَنْصاريّة وأنّه يماني الأصل ، فنزلوا فضُربت أعناقهم ورجع الفلّ إلى الشام .

وحدثني زهير بن حرب ، وخَلفَ بن سالم ، وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي قالوا : حدثنا وهب بن جرير حدثنا جُوَيْرِية بن أَسماء قال : سمعت المدنيّين تحدّثوا قالوا : لما رجع حُصين بن نمير واستوسقت البلاد كلّها لابن الزبير والشام أيضاً غير طبريّة مدينة الأُردن ، بلغ عمرو بن سعيد أنّ الضحّاك بن قيس وهو عامل ابن الزبير ليس بمناصح له ، فقال لمروان : ما يمنعك من طلب الخلافة وأنت شيخ قريش وكبيرها وسيّدها ، وأحقّ بهذا الأمر من غيرك فقال مروان : ليست لي بالضحّاك طاقة ، قال : بلى إن شئت نكحتَ أمّ خالد بن يزيد فيصير موالي معاوية وأتباعهم معك ، قال : فدونك فأتاها عمرو بن سعيد ، فقال لها : أما تريدين أن يرجع مُلك أهل بيتك ؟

فقالت : بلى ، قال : فما الذي يمنعك من شيخ قريش وسيّدها فلم يزل بها حتى فعلت ؛ فقوي أمر مروان ، واشتدّ عليه الضحّاك في البيعة لابن الزبير فقال اخرج إلى المرج حتى أشترط عليك على رؤوسُ الناس أشياءَ ثم أبايعك ، وقد كان مروان أراد أن يبايع لابن الزبير قبل ذلك ، فاتّعدوا المرجَ على أن يَغْدوا إليه فقال مروان لعمرو : اركب فرسك الفلاني ـ وكان ذلك الفرس خبيث الخُلُق لا يمشي إلاّ معترضاً ويكدم كلّ دابّة تكون إلى جانبه ـ ثم سِرْ بيني وبين الضحّاك فإنّي سأتأذى بك وبفرسك فآمرك أن ترجع فتركب غيره ، فإذا رجعت فأغلقْ أبواب المدينة عليك ، وخلّ بيني وبين العبد حتى يحكم الله ثمّ بيني وبينه ، وخرج مروان وعمرو والضحّاك فلما جاوز المدينة جعل فرس عمرو يكدم ويعترض ولا يستقيم فقال له مروان : ما هذا الشيطان تَحْتَكَ ؟ ارجعْ فاركب غيره ، فرجع ، وكان محبَّباً في أهل الشام ، فأغلق عليه أبواب دمشق ، ومضى مروان وصاحبه وجعل الضحّاك يقول ساعةً بعد ساعة : يا مروان أين عمرو؟ فيقول : يلحقنا . حتى نزل المرج ، فقال : هلمّ حتى يلتئم الناس ، وينزلوا ، فأمر الضحّاك بمنبره فنُصب وانخزل مروان فانضمّت إليه كلب وسائر السُفْيانيّة وقد واطأهم ، وبعث إلى الضحّاك : مالك ولهذا الأمر لا أُمَّ لك ، وأنت رجل من مُحارِب بن فِهْر ، وانّما هذا الأمر في بني عبد مَناف ، وأنت وإن أظهرت الدعاء لابن الزبير ، فإنّه رجل من بني أسد بن عبد العُزّى ، فتزاحفوا بالمرج ، ومع مروان أهل اليمن ، ومع الضحّاك قيس ، فاقتتلوا فقُتل الضحّاك وهُزمت قيس ؛ وفي ذلك يقول زُفَر بن الحارث :

لَعَمْري لَقَدْ أَبْقَتْ وَقيعَةُ راهِطٍ   لَدَى المَرْجِ صَدْعاً بَيْنَنا مُتَبايِنا

ووجّه مروان حُبَيش بن دُلْجة في جيش إلى ابن الزبير ، وبلغ ابن الزبير أنّه قد يُسّر له جيش ، فكتب إلى عامله على البصرة في توجيه جيش إليه ، فوجّه الحَنْتَف التميمي ، فقيل لحبيشَ : قَاتِلْهُ قبل دخوله المدينة ، فلقيه بالرَبَذة فقتله الحنتف وقتل الشاميينّ .

وحدثني أبو خَيْثَمة وأحمد بن إبراهيم عن وهب بن جرير عن جُوَيْرِيَة قال : بلغني أن زُفر بن الحارث قال ذات يوم : أيّ المصائب أشدُّ ؟ فقال بعض القوم : المصيبة بالولد ، وقال بعضهم : المصيبة بالوالد ، وقال بعضهم : المصيبة بالأخ ، فقال زفر : ما مصيبة أشدّ من مصيبة في مال ، لقد رأيتني عشيّةُ راهط وانهزمنا ومعي بنون لي أربعة، ولي مع الأكبر مائتا دينار وعطفَتْ علينا الخيل ، فقلت للأكبر حين غشيتنا الخيل : ادفع النفقة التي معك إلى أخيك فلان ورُدّ عنّا الخيل ، فدفع الدنانير إلى أخيه وقاتل حتى أصيب ، ثم لحقتنا الخيل ، فقلت : يا فلان ادفع النفقة إلى أخيك فلان وردّ عنا الخيل ، فما زلت أقول هذا القول حتى أصيب الثلاثة ، ثم قلت للرابع : ادفع النفقة إلى فلان مولانا ورد عنا الخيل ، ففعل وقاتل حتى قتل ، وقتل مولانا ، فما وجدت على أحد من ولدي كما وجدت على مولاي في ذلك لمكان نفقتي .

واجتمع أهل الشام لمروان فعاش ثمانية أشهر ثم هلك ؛ فبلغني أنه كان بينه وبين خالد كلام فقال له مروان : يا بن الرَطِبة فقال خالد : والله لئن كان أُؤتمَنَ فما أدَّى الأمانة ولا أحسنَ ، ودخل على أمّه فقال لها ما صنعتِ بي، قال لي مروان على رؤوس الناس كذا ، فقالت : أما والله لا تسمع منه

شيئاً تكرهه أبداً فسقته شراباً فيها يزعمون مسموماً فلم يزل يضطرب حتى مات .

قال جُوَيْرِية : وبلغني أنّ مروان قد كان بايع لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده ، واشترط على عبد الملك أنّ مصر لعبد العزيز حياتَه ليس لعبد الملك أن يعزله .

وحدثني هشام بن عمّار الدمشقي قال : أقصى مروان خالد بن يزيد بر معاوية وجفاه فدخل عليه يوماً وهو يتمثّل :

وما الناسُ بِالناسِ الذين عَهِدْتَهُمْ وما الدارُ بِالدارِ التي كُنْتَ تَعْرِفُ

فشتمه مروان وقال : ما الذي تنكر وتعرف يا بن الرطبة ؟ وأخبر أمّه بذلك . فقتلته غماً .

المدائني عن مسلمة بن محارب ، وعامر بن حفص عن عبد الحميد ، أنّ ناتل بن قيس الجُذامي كان من شيعة ابن الزبير فلما مات الحَنْتَف بوادي القرى، أو قُتل، وقد وجّهه ابن الزبير إليها وأمره أن يصير منها إلى نواحي الشام ، ويقال : بل أمره أن يكون مسلحةً بها ، بعث ناتلاً لما بعث الحنتف له فدخل الشام فلقيه عبد الملك بأَجْنادَين[1] فحاربه فقتل ناتلاً ، وكان مع ناتل قوم من الرُماة وكانت سهامهم تكاد تصل إلى عبد الملك بن مروان ، ثم إنّ عبد الملك مضى إلى بُطنان حبيب[2] وهو يريد الجزيرة والعراق ، فلم يَنفُذ

١ - بهامش الأصل : «ويقال بكسر الدال» . وتقع أجنادين في أراضي خربتي «جنابة» الفوقا «وجنابة» التحتا في ظاهر قرية عجور الشرقي في منطقة الخليل . معجم بلدان فلسطين لمحمد شراب .

٢ - على مقربة من حلب ، وتوجه عبد الملك إلى بطنان حبيب بعد نيله الخلافة وعزمه على قصد مصعب بن الزبير بالعراق ، وهكذا يبدو أن أصل الرواية مبتور .

في مرّته ورجع إلى دمشق لمحاربة عمرو بن سعيد حين أغلقها على نفسه ؛ فقال الشاعر وهو من كلب :

قَتَلْنا بِأَجنادَيْنِ يا قَوْمُ ناتِلاً قِصاصاً بِما لاقى حُبَيْشُ بني القَيْنِ

وقال أيضاً :

بَشِّرْ بني القَيْنِ وخُصِ وَائلا أَنّا أَبَأنا بِحُبَيْشٍ ناتلا
غداةَ نَقْرِيهِ القَنا الذَوابِلا حتى أَذَقْناهُ حِماماً عاجِلا

ويقال : إنّ مروان لما مات أَمَرَ ابنُ الزبير ناتلاً أن يأتي فلسطين فيغلب عليها وقد خرج منها ، فغلب ناتل على فلسطين ، وبلغ ذلك عبد الملك فسار كلّ امرىء إلى صاحبه فالتقوا بأجنادين ومع عبد الملك عمرو الأشدق ، فقُتل ناتل وصار عبد الملك إلى بُطْنان حَبيب ومضى فانسلّ عمرو من عسكره ، وصار إلى دمشق فأغلق أبوابها ، فرجع عبد الملك إليه فقتله .

وقال هشام بن محمد الكلبي : كانت ولاية مروان بن الحكم سنة وشهرين ، وقال غيره : سنة إلاّ شهرين ، وقال بعضهم : سنة ؛ وقال الكلبي : كان سبب وفاته أنّه تزوّج أمّ هاشم بنت [أبي] هاشم بن عُتْبة بن ربيعة ، واسمها فاختة ولقبها لقصرها حَبّة ، وغدر بآبنها خالد بن يزيد بن معاوية فيما وعده من ولاية العهد ودخل عليه خالد على مرحلة من دمشق ، فقال له : ما أَدْخلك عليَّ في هذا الوقت يابن الرطبة ؟ فقال خالد : أمين مختبرٌ أَبْعدَها الله وأَسحقَها ، وأتى أمّه فأخبرها بما قال له مروان ، فقالت له : لن تسمع منه مثلها أبداً ، ودخل مروان على أمّ خالد فتركته حتى نام ثم عمدت إلى مِرْفَقة محشوّة ريشاً فجعلتها على وجهه وجلست وجواريها عليها

حتى مات غماً ، ثم صرخت وجواريها وولْوَلْنَ وقُلْن مات أمير المؤمنين فجاءة .

وقال عَوانة : كان اللبن يُعجبه فجاءته بلبن مسموم فقال : ائتوني به إذا أفطرت ، فلما أفطر أتوه به فشربه فاعتُقِل لسانه فصرخت وجواريها وأقبل يشير إلى من اجتمع إليه من ولده وغيرهم إنّها قتلتني ، وجعلت تقول : أما ترونه يوصيكم بي ويشير إليكم بحفظي .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : أخبرني عبدالله بن عياش الهمداني وغيره قالوا : مات مروان في سنة خمس وستّين في شهر رمضان وله ثلاث وستّون سنة ، وصلّى عليه ابنه عبد الملك .

وقال المدائني : صلى عليه عبد الرحمن بن أمّ الحكم ، وكان خليفته بدمشق .

وقال الواقدي : قُبض النبي ﷺ ومروان ابن ثماني سنين ، ومات بدمشق سنة خمس وستّين ، وهو ابن ثلاث وستّين سنة ، ودُفن بمقبرة الباب الصغير وصلّى عليه عبد الملك ابنه وكان حاضره .

وقد رَوَى مروان عن عمر ، وعن عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنهما ، وفي مروان يقول الراجز :

مَرْوانُ نَبْعٌ[1] وسَعيدٌ خِرْوَعُ   مَرْوانُ يُعْطي وسَعيدٌ يَمْنَعُ

يعني سعيد بن العاص بن سعيد .

---

١ ـ النبع شجر جبلي أصفر العود ثقيله في اليد ، إذا تقادم احمرّ يتخذ للقسي . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للدمياطي .

وولد الحكم بن أبي العاص

سوى مروان عثمان الأزرق وهو أكبر ولده ، وعبد الرحمن ، والحارث ، وصالح بن الحَكَم ، وأمّ البنين ، وزَيْنَب ، أمّهم آمنة بنت علقمة الكِنانيّة ، وهي أمّ مروان ، وأمّها صفّية بنت أبي طلحة من بني عبد الدار ، وأمّها مارية بنت موهب الكندي وهي الزرقاء التي يعيّرون بها ؛ وعثمانَ الأصغر ، ويحيى ولاّه عبد الملك المدينة ، وأبان ، وعمر ، وحبيباً ، وأمّ يحيى ، وأمّ سلمة ، وأمّ عثمان ، أمّهم مُلَيكة بنت أَوْفَى بن الحارث بن عوف المُريّة ، وأمّها من بني عوف بن أبي حارثة المُري وأمّها مُلَيكة بنت قيس بن زحل بن ظالم المُرّي ؛ ويوسف ، وأمّه أمّ يوسف بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، والنعمان ، وأوساً ، وعمراً ، وأمّ الحَكَم ، وأمّ أبان ، وأُمامة ، وسُهيلا ، أمّهم أمّ النعمان بنت حذيفة ثَقَفيّةٌ ؛ وعبيدالله ، وعبدالله ، والحَكَم ، أمّهم أمّ ولد ؛ وخالداً ، وعبد الرحمن الأصغر ، لأمّ ولد ؛ ومسلماً ، لأمّ ولد .

فتزوّج أم البنين سعيد بن العاص ، وتزوّج زينبَ أسيد بن الأخنس الثَقَفي ، وتزوّج أمّ يحيى عروة بن الزبير بن العوّام ، وهي أصغر ولد

الحَكَم ، وتزوّج أمّ أبان عبدالله بن المطلب بن حُنْطُب المخزومي ، ثم خلف على أختها أمّ الحَكَم ، وتزوج أُمامةَ عبدُ الرحمن بن الحارث بن أبي ذئب من بني عامر بن لُؤَيّ .

وأمّا خالد بن الحَكَم فكان حضر عبدَ الملك يومَ قتل عمرو بن سعيد الأشدق ، فانتدب قومٌ يقاتلون عن عمرو ، فبعث عبد الملك إليهم من يقاتلهم فكان خالد عليهم .

وأمّا أبان بن الحَكَم فتزوّج أمّ عثمان بنت خالد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط ، فولدت له ، فتزوّج سليمانُ بن عبد الملك مِن ولده أمَّ أبان بنت أبان .

وأمّا عبيدالله بن الحَكَم فقتله الحَنْتَف بن السِجْف يوم الرَبَذة .

وأمّا الحارث بن الحكم فتزوج مُفَدّاة بنت الزِبْرِقان بن بَدْر ، فولدت له ، وولّى هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة فكان مذموم السيرة ولُقّب فَرْقَداً .

وأمّا عبد العزيز بن الحارث بن الحكم فولد سعيدَ بن عبد العزيز خُذَيْنَةَ ، ولاّه مَسْلَمة بن عبد الملك في أيّام يزيد بن عبد الملك خراسان ، حين ولي مسلمة العراق ، ولُقّب خذينة لأنّ بعض دهاقين ما وراء نهر بلخ دخل عليه وعليه مُعَصْفَرة وقد رجّل شعره فقال : هذا خذينة ، وهي الدهقانة والقيّمة بمنزل زوجها بكلامهم ، وكان سعيد صهر مسلمة على ابنته ، وقدّم خُذَيْنة سَوْرةَ بن أَبْجَر الحَنْظَلي من ولد أبان بن دارِم بن مالك بن حنظلة ، ثم اتبعه فتوجّه إلى ما وراء نهر بلخ فنزل إشتيخن[1] وقد صارت

١ ـ إشتيخن : من قرى صغد سمرقند ، بينها وبين سمرقند سبعة فراسخ . معجم البلدان .

التُّرْك إليها ، فحاربهم وهزمهم ومنع الناس من طلبهم جبناً وخوفاً من أن تكون لهم كرّة ، ثم لقي الترك بعدُ فهزموه وأكثروا القتل في أصحابه وولّى خدينة نَصْر بن سَيّار طُخارستان ؛ وكان يقول سُميتُ خدينة لأنّي لم أطاوع على قتل اليمانيّة فضعّفوني ؛ وقال الشاعر في سعيد بن عبد العزيز خدينة :

وسرت إلى الأعداءِ تَلْهو بِلَعْبَةٍ   وأَيْرُكَ مشهورٌ وسَيْفُكَ مُغْمَدُ

ويروى : تِسْعينَ لَيْلَةً وأَيْرُكَ .

وأنت امرؤٌ عادَيْتَ عِرْسَ حِفيَّةٍ   وأَنْتَ عَلَيْنا كالحُسامِ تُجَرَّدُ

وكلّم خُدَيْنَةُ بعض الأسديّين في شيء فقال له : يا مِلْط ، فقال :

زَعَمَتْ خُـدَيْنَـةُ أَنَّني مِلْطُ   ولِخَـدْنَـةَ المِقْـراضُ والمُشْطُ
ومَكـاحِـلٌ ومَجـامِـرٌ ولَهـا   مِنْ دَلّها في خَـدِّهـا خَطُّ

وشخص قوم من أهل خراسان إلى مَسْلَمة ، فشكوا سعيدَ بن عبد العزيز ، خدينة ، فعزله وولّى سعيد بن عمرو الحَرَشيّ خراسان .

وفي أيّام خُدينَة قُتل جَهْم بن زَحْر بن قيس الجُعْفي ، سعى به إليه ترْفل ، وهو عبيدالله بن عبد الحميد بن عبد الكريم بن عامر بن كُريز ، الذي قتله أبو مسلم بخراسان ، وسعى بِعدّة معه من اليمانيّة ، وقال إنّهم قد ولُوا ليزيد بن المهلّب وعندهم أموال قد احتجنوها واختانوها وسمّاهم له ، فأرسل إليهم فحبسهم في قَهَنْدَز مَرْوْ فقيل له : إنّهم لا يؤدّون بالحبس دون البسط عليهم ، فأمر بإحضار جَهْم فجيء به على حمار فقام إليه الفَيْض بن عمران فوجأ انفه فقال له جهم : يا فاسق هلاّ فعلتَ هذا حين ضربتك في الخمر ، فغضب سعيد على جهم وقال أتجترىء علي أن تكلّمه بهذا الكلام بحضرتي ، وحمل عليه فضربه مائتي سوط ، فكبّر أهلُ السوق ثم دفع جَهْماً

وأولئك اليمانية إلى الزبير بن نشيط مولى باهِلة ليستأديهم فعذّبهم ، فمات جهم في الحبس فقال ثابت قُطْنةٍ الأزدي ، وكان أعور يضع على عينه قطنةً :

أَتَذْهَبُ أَيّامي وَلَمْ أَسْقِ ترْفلاً وأَشْياعَهُ الكَأْسَ التي صَبَّحوا جَهْما
وَلَمْ تُقْرَها السَعْديُّ عَمْرُو بنُ مالِكٍ فيُشْعَبَ مِنْ حَوْضِ المَنايا لها قِسْما

وكان خدينة يقول قبح الله الزبير قَتَلَ جهماً .

وولّى عبد الملك عبد الواحد بن الحارث بن الحكم المدينة وفيه يقول القُطامي :

أهل المدينة لا يَحْزُنْك شَأْنُهُم إذا تَخَطَّأَ عَبْدَ الواحِدِ الأَجَلُ

وأمّا يحيى بن الحكم فكان والياً على المدينة لعبد الملك ، وكان يُكنى أبا مروان ، وله يقول أَيْمَن بن خُرَيْم بن فاتك الأسدي :

تَرَكْتُ بَني مَرْوانَ تَنْدَى أَكُفُّهُمْ وصاحَبْتُ يَحْيَى ضَلةً مِنْ ضَلاليا
لقد كان في ظِلّ الخَليفَةِ وآبنِهِ وظِلِ ابنِ لَيلَى ما يَسُدُّ آخْتِلاليا

يعني عبد العزيز بن مروان :

أَميرٌ إذا ما جِئْتُ طالِبَ حاجَةٍ تَهَيَّا لِشَتْمي أو أَرادَ قِتاليا
فإنك لَوْ أَشْبَهْتَ مَرْوانَ لَمْ تَقُلْ لِقَومِيَ هُجْراً إذْ أَتَوْكَ ولا لِيا

وقال فيه عمرو بن أحمر بن العَمَرَّد الباهلي :

يَحْيَى أيا بْنَ مُلوكِ الناسِ أَحرَقَنا ظُلْمُ السُعاةِ وبادَ المَاءُ والشَجَرُ
إنْ تَنْبُ يا بْنَ أبي العاصي بِحاجتِنا فما لِحاجَتِنا وِرْدٌ ولا صَدَرُ

وتزوّج زَيْنَبَ بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال عبد الملك ادركوا بيت المال . وولّاه أيضاً فلسطين .

وكان الحُرّ بن يوسف بن يحيى بن الحَكَم على الموصل فمات وهو عليها فقال أبو ماوية حين دُفن : لا رحم الله مُتوفّاكم ولا أكرم مَمْشاكم .

وكانت أمّ يحيى بن الحكم مُرّية .

وأمّا عبد الرحمن بن الحكم ويُكنى أبا مُطَرِّف ، ويقال أبا حرب ، فكان شاعراً ، وهاجى عبدَ الرحمن بن حسّان ، وهو الذي يقول لمروان بن الحكم :

تَجَبَّرْتَ وَٱسْتَكْبَرْتَ حتى كَأَنَّما نَرَى بِكَ فينا قَيْصَراً وَٱبْنَ قَيْصَرا
فَذا العَرْشِ لا يغفِر لِمَرْوانَ إنني أَراهُ بِأَخْلاقِ المَكارِمِ أَعْسَرا[1] .

وقال في ابنته واسمها زينب :

لعَمْرُكَ ما زُنَيْبَةُ أُمُّ عَمْرو بِحَمْدِ الله مِن قَزَمِ الجَواري
ألم تَرَ أنَّها كَرُمَتْ وطـابتْ وكانَتْ مِنْ قُرَيْشٍ في النُّضارِ

وتزوجها يحيى بن سعيد بن العاص ، وكنية زينب هذه أمّ عمرو .

١ ـ بهامش الأصل : من العسرة .

ولد مروان بن الحكم

ولد مروان بن الحكم : عبد الملك ، ومعاوية ، وأمّ عمرو تزوّجها سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأمّهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة وأمّها جُمَحيّةٌ ، ومعاوية بن المغيرة وهو الذي جدع أنف حمزة بن عبد المطّلب يوم أُحُد فقتل على أحد بعد إنصراف قريش بثلاثة أيّام قتله عليٌّ بن أبي طالب بأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أنّه تخلّف بعد مضيّ قريش فظُفر به .

وعبيدالله ، وأبانَ ، وداود أمّهم أمّ أبان بنت عثمان بن عفّان .

وعبد العزيز ، وعبد الرحمن مات صغيراً ، وأم عثمان تزوّجها الوليد بن عثمان بن عفّان ، أمّهم ليلى بنت زبّان بن الأَصْبَغ الكلبي ، وفيها يقول عبد الرحمن بن الحَكَم وكان يشبّب بنساء أخيه :

لَيْلَى وَهَلْ في الناسِ أُنْثى كَمِثْلها إذا ما آسْبَكَرَّتْ[1] بَيْنَ دِرْعٍ ومِجْسَدِ

---

١ ـ اسبكرت : اعتدلت واستقامت . القاموس .

وعمرو بن مروان ، أمّه زَيْنَب بنت عمر بن أبي سَلَمة بن عبد الأسد المخزومي .

وبشر بن مروان ، وأمّه قُطَيّة بنت بشر بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، ولقُطَيّة يقول عبد الرحمن بن الحَكَم :

قُطَيَّةُ كَالتِمْثالِ أحسِنَ نَقْشُهُ   وأُمُّ أَبانَ كَالشَرابِ المُبَرَّد

ومحمد بن مروان ، لأمّ ولد .

فأمّا عبد الملك فولي الخلافة وسنذكر أخباره إن شاء الله .

وأما معاوية بن مروان :

ويُكنى أبا المغيرة ، فكان من أحمق الناس ، طار له بازيّ فأمر بغلق أبواب دمشق ، ومرّ بحقل له وقد سمع أهل الشام يقولون : لا يُفلح حقل لا يَرَى آست صاحبه ، فنزل وأحدث فيه .

ثم ركب ومرّ ذات يوم بدَيْرانيّ وهو في غرفة له فصعد إليه فوجده يقرأ كتاباً ، فقال له : ما تقرأ ؟ قال له : إنجيل وجعل الديرانيّ يقول مرّة بعد مرّة : حَرّ ، فقال له : أفي الإنجيل حَرّ ؟ قال : لا ، ولكنّ حماراً لي يطحن أسفلَ هذه العُلِيّة وفي عنقه جُلْجُل ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه قد وقف فأزجرهُ فقال له وما يُدريك لعلّه يقف ثم يحرّك رأسه فقال الديرانيّ لو كان له مثل عقل الأمير لفعل هذا .

وقال يوما لعبد الملك : يا أمير المؤمنين متى يكون الأضحى في شهر رمضان ؟ فغمز عبد الملك أبا الزعيزية فأقامه .

وقال هشام بن عمّار : بلغني أنّ معاوية بن مروان زُوّج امرأة من كلب ، فلما رأى أباها قال له : أخذتُ ابنتك فخجأتُها بأَيْر كأنّه عمود المنبر ، فملأتْني دماً ، فقال : إنّها من نسوة يحفظن ذاك لأزواجهنّ ، ولو كنتَ عِنّيناً لما زوّجتُك .

المدائني : قال له رجل : يا أبا المغيرة أنت ابن مروان ، وأمّك عائشة فأنت مقابَل مدابر في بني أبي العاص ، قال : فأنا كما قال القائل : مردّد في بني اللَخْناءِ ترديداً .

فولد لمعاوية بن مروان : عبد الملك ، والمغيرة ، وبشر ؛ وقوم يقولون : كان الوليد بن معاوية بن مروان على دمشق من قِبَل مروان بن محمد الجَعْدي فحصره عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس ثم فتح دمشق وقتل الوليد وهدم عبدُالله سور مدينة دمشق .

وقال ابن الكلبي وأبو اليقظان : ولد معاوية هذا : عبد الملك ، والمغيرة ، وبشراً فقط ، والثبت أنّ صاحب دمشق كان الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان ، والأوّل قول قومٍ لا علم لهم .

وقال أبو اليقظان : قال خالد بن يزيد بن معاوية لمعاوية بن مروان : يا أبا المغيرة لا أرى أخاك يولّيك ، ولا يعتدّ بك فقال : لو أردتُ ذلك لولّاني قال فَسَلْهُ أن يولّيك بيت لَهْيَا[1]، فغدا على عبد الملك فقال : يا أمير ألست أخاك ؟ قال : بلى وشقيقي ، قال : فولني ، قال : وما تريد ؟ قال بيت لَهْيَا ، قال : متى لقيتَ خالد بن يزيد ؟ قال : عشيّة أمس ، قال :

---

١ ـ بيت لهيا : قرية معروفة بغوطة دمشق . معجم البلدان .

لا تكلّمْه ، ودخل خالد فقال : كيف أصبحت أبا المغيرة ؟ قال : قد نهانا هذا عن كلامك .

وقال له خالد بن يزيد يوماً : لو كان لك قلب كنت أمير المؤمنين ، قال : كيف ؟ قال : إذا دخل أمير المؤمنين المقصورة فآسبِقْه إلى المنبر فآصعده فإنّه إذا رآك على المنبر كنتَ أمير المؤمنين ، ففعل ذلك ، فالتفت عبد الملك إلى خالد فقال له : أنت أمرتَه ؟ قال : نعم ، قال : قد علمتُ فلا تَعُدْ إلى مثلها .

قالوا : وسُرِق لمعاوية بن مروان برذون فقال لغلام له : انظر من سرقه ؟ قال الغلام : لو علمت من سرقه لأتيتك به .

وأمّا أبان بن مروان فوَلِيَ فلسطين لأخيه عبد الملك ، وكان الحجاج بن يوسف على شُرَطه ، وهو الذي يقول فيه ابن أقْرَم النُمَيْري ، وكان أبان أخذه فأفلت منه :

طَليقُ اللّهِ لم يَمْنُنْ عَلَيْهِ أبو داودَ وابنُ أَبي كبيرِ
ولا جَزءُ ولا ابنُ أبي شَرِيفٍ ولا أَهْلُ الأَميرِ مَعَ الأَميرِ
ولا الحَجّاجُ عَيْنا بِنْتِ ماءٍ تُقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصُقورِ

أبو داود يزيد بن هُبيرة المحاربي ، وابن أبي كبير رجل من ولد أبي كبير المُنْهِب بن عبد [1] بن قُصَيّ بن كِلاب ، وكان الحجّاج أخفش فشبّه عينه بعين طائر ماء .

١ - بهامش الأصل : عدي .

وأما داود بن مروان فولد سليمان وكان أعور فتزوج فاطمة بنت عبد الملك بن عبد العزيز بعد زوجٍ كان لها فقيل : نذل أُعْوَرُ .

وأما بشر بن مروان

فكان يُكنى أبا مروان وشهد المرج فقتل خالد بن حصين الكلابي ومعه عمرو بن سعيد ، فقال الشاعر يرثيه :

ثَوَى خالِدٌ بِالمَرْجِ غَبْرَ مُلَوَّمٍ ... ولا بَرِمٍ عامَ الرِياحِ الصَوارِدِ
لَعَمْري لَقَدْ أَرْداهُ بِشْرٌ لِحَيْنِهِ ... وعَمْرٌو فَقَدْ نالا كريمَ المَشاهِدِ
هَلاّ بني العاصي ذكرْتُمْ بَلاءَهُ ... وما شاكِرُ المَعْروفِ يَوْماً كجاحِدِ
بَراهِطَ إِذْ عَبْدُ العَزيزِ مُعَفَّرٌ ... لَدَى مُسْنَدٍ مِنْكُمْ وآخَرَ ساجِدِ
فلا صُلْحَ أَوْ تَزْقو لِمَروانَ هامَةٌ ... عَلَيْهِ بِأَيْدينا بَواءً لخالِدِ

وكان خالد صَرَعَ عبد العزيز يوم المرج ثم استبقاه ، وهو من بني [أبي] بكر بن كِلاب .

وكان بِشْر منقطعاً إلى عبد العزيز قبل ولاية عبد الملك الخلافة ، فلما ولي الخلافة استجفاه بِشر فقال :

أَتَجْعَلُ صالح الغنوي دوني ... ورَحلي مِنْكَ في أَقْصى الرِحالِ
سَيُغْنيني الـذي أغناكَ عَنّي ... وَيَفْرِجُ كُرْبَتي ويَـرُبُّ مالي
إذا أَبْلَغْتَني وحَمَلْتَ رَحْلي ... إلى عَبْدِ العَزيزِ فما أُبالي

فولاه عبد الملك الكوفة ، ثم أضاف إليه البصرة ، فكتب إلى عبد العزيز :

غَنينا فأَغنانا غنانا وعاقَنا ... مَآكِلُ عَمّا عِنْدَكُمْ ومَشارِبُ

فكتب إليه عبد العزيز : هلاّ كتبتَ بأحسن من هذا ، وهو قول عبد العزيز بن زرارة الكلابي :

فَأَصبَحْتُ قد وَدَّعْتُ نَجْداً وأَهْلَهُ وما عَهْدُ نَجْدٍ عِنْدَنا بِذَميمِ

فقال بشر : صدق أبو الأَصبغ رعاه الله فما عَهْده بذميم .

وكان بِشْر لينّ الولاية ، سهل الحجاب ، طلق الوجه كريماً ، وكان صاحب شراب ينادَم عليه . وقال كُثَيِّر يمدح بشراً :

أبا مَرْوانَ أَنْتَ فَتَى قُرَيْشٍ وكَهْلُهُمُ إذا عَدُّوا الكُهولا[1]

وقال الأخطل :

إذا أَتَيْتَ أَبا مَرْوانَ تَسْأَلُهُ وَجَدْتَهُ حاضنيه المَجْدُ والحَسَبُ
ترى إِلَيْهِ رِفاقَ الناسِ سَائِلَةً مِنْ كُلِّ أَوْبٍ عَلَى أَبْوابِهِ عُصَبُ
لا يبلغُ الناسُ أَقْصَى وادِيَيْهِ ولا يُعْطِي جَواد كما يُعْطي ولا يَهَبُ[2]

وقال أيضاً :

إِنّي دَعاني إِلَى بِشْرٍ فَواضِلُهُ والخَيْرُ قد عَلِمَ الأَقوامُ مُتَّبَعُ
يا بِشْرُ لَوْ لَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةٍ أَلْقَى عَلَيَّ يَدَيْهِ الأَزْلَمُ الجَذَعُ
أَنْتُمْ خِيارُ قُرَيْشٍ عِنْدَ نِسْبَتِها وأَهْلُ بَطْحائِها الأَثْرَوْنَ والفَرَعُ[3]

١ ـ ديوان كثير عزة ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ص ١٦٧ وفيه : «وكهلهم إذا عدّ الكهول» .
٢ ـ ديوان الأخطل ـ ط . بيروت ١٩٨٦ ص ٤٢ .
٣ ـ ديوان الأخطل ص ٢٠٤ . والأزلم الجذع : الدهر الكثير البلايا .

وقال أيضاً :

إذا وُزِنَ الأَقْوامُ لَمْ تَلْقَ فيهِمُ كَبِشْرٍ ولا ميزانُ بِشْرٍ يُعادِلُهْ
أَغَرُّ عَلَيْهِ التـاجُ لا مُتَعَبِّسٌ ولا زِبْرِجُ الدُّنْيا عَنِ الحَقِّ شاغِلُهْ
إذا انْفَرَجَ الأَبْوابُ عَنْهُ رَأَيْتَهُ كَصَدْرِ اليَماني أَخْلَصَتْهُ صَياقِلُهْ[1]

قال الهَيْثَم بن عَديّ : وكان الفرزدق هجا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وأميّة أخاه ، فطلبه خالد وهو يتقلّد البصرة قبل بشر فآلى أن يقتله إن ظفر به ، ووضع عليه الأرصاد فكان منطمراً لا يظهر ، فلما قدم بشر البصرة استبطأه فبلغه أنه وجد عليه ثم إن بني تميم وجهوا معه من أبلغه البصرة فقال :

لَوْ أَنَّني كُنْتُ ذا نَفْسَيْنِ إنْ هَلَكَتْ إحداهُما بَقِيَتْ أُخْرَى لِمَنْ غَبَرا
إذاً لجِئْتُ عَلَى ما كانَ مِنْ حَذَرٍ وما رَأَيْتُ حِذاراً يَغْلِبُ القَدَرا
كُلُّ امْرِىءٍ آمِنٌ لِلْمَوْتِ آمَنَهُ بِشْرُ بْنُ مَرْوانَ والمَذْعورُ مَنْ ذَعَرا
تَغْدو الرِياحُ وتُمْسي وَهْيَ فاتِرَةٌ وأَنْتَ ذو نائِلٍ يُمْسي وما فَتَرا[2]

في قصيدة ، فَحَبَاهُ بشر وأكرمه وحمله على فرس رائع وكساه ، وكان الفرزدق إذا حُمل حَمالة أدّاها بشرٌ عنه ، وإذا سأل حاجة قُضيت له في نفسه ومن شفع له ، ويدخل دار بشر فيدعو بشهوته من الطعام فيؤتى بها ، حتى قيل إنّه نادَمَ بشراً .

---

١ - ديوان الأخطل ص ٢٤٤ .
٢ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٣٣ مع فوارق .

وقال جرير أو غيره يذكر لين حجابه :

بَعيدُ مَرادِ الطَرْفِ لم يَثْنِ طَرْفَهُ حِذارَ الغَواشي بابُ دارٍ ولا سِتْرُ
ولَوْ شاءَ بِشْرٌ حَلَّ مِنْ دون بابِهِ طَماطِمُ سُودٌ أَوْ صَقالِبَةٌ حُمْـرُ
ولكِنَّ بِشراً سَهَّلَ البابَ لِلَّتي يَكونُ له في غِبِّها الحَمْدُ والأَجْرُ[1]

أبو الحسن المدائني ، قال : اقحط الناس في أيّام بشر فاستسقوا وهو معهم فمُطروا فقال سُراقة بن مِرْداس البارقي بالكوفة :

دعا الرَحْمنَ بِشْرٌ فَاسْتَجابـا لِـدَعْوَتِـهِ فأَسْقـانا السَحـابـا
وكان دُعاءُ بِشْرٍ صَوْبَ غَيْثٍ يُعاشُ به ويُحْيِي مَنْ أُصابا

ومرَّ بشر بعد استسقائه بسُراقة وقد دخل الماء داره فقال : ما هذا يا سُراقة ؟ قال : قد نرى أيّها الأمير هذا ولم ترفع يديك بالدعاء ، فلو رفعتهما لجاءنا الطوفان فضحك بشر .

وقال أَعْشَى بني شَيْبان :

رَأَيْنـا ماخَـلا أَخَوَيْـهِ بِشْراً مِنَ الفِتْيانِ سَيِّدَ عَبْدِ شَمْسٍ
وسَيِّدَ مَنْ سِواهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ فَيُصْبِحُ خَيْرَهُمْ أَبَداً ويُمْسي
إذا خَلَّى أَخوكَ إلى أَخيـهِ خِلافَتَهُ لِسَـعْدٍ غَيْـرِ نَحْسٍ
فـأنْتَ الثالِثُ المُـوصَى إِلَيْهِ وَصِيَّةَ حازِمٍ فـي غَيْرِ لَبْسٍ

وله يقول أَيْمَن بن خُرَيم بن فاتك الأسدي :

ركِبْتُ مِنَ المُقَطَّمِ في جُمادَى إلى بِشْرِ بْنِ مَرْوانَ البَريدا
فلو أعطاك بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ رَأَى حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَـزيدا

---

١ ـ ليست في ديوان جرير المطبوع .

وقال أعشى بني أبي ربيعة بن ذُهْلِ بن شيبان :

لعْمري لقد أَمْسَتْ مَعَدّاً وأَصْبَحَتْ تُحِبُّك يا بِشْرُ بْنَ مَرْوانَ كُلُّها
تمنى وتَرْجو أَنْ تَكونَ خَليفَةً وتَرْجوكَ لِلدُنْيا ولِلدينِ جُلُّها

في أبيات .

وقال هشام بن محمد الكلبي : قام بشر بن مروان على المنبر فقام عبد الرحمن بن أرطاة بن شراحيل الجُعْفي ، فقال له وقد تكلّم بشيء : اتق الله فانك ميت ومحاسَب ، فأمر به فضُرب أسواطاً مات منها .

قالوا : وأمر بشر بن مروان سُراقة البارقي بهجاء جرير فهجاه سراقة ، ويقال : بل هجاه مبتدئاً فقال جرير :

يا بِشْرُ حَقَّ لِوَجْهِكَ التَبْشيرُ هَلاَّ غَضِبْتَ لَنا وَأَنْتَ أَميرُ
قد كانَ حقاً أَنْ تَقولَ لِبارِقٍ يا آلَ بارِقٍ فيمَ سُبَّ جَريرُ
أَسُراقُ إنَّكَ قد كَسَبْتَ لِبارِقٍ أَمْراً مَطالِعُهُ عَلَيْكَ وعُورُ
لا يَدْخُلُون عَلَيْكَ إنَّ دُخولَهُمْ رِجْسٌ وإنَّ خُروجَهُمْ تَطْهيرُ
تُعْطَى النِساءُ مُهورَهُنَّ سِياقَةً ونِساءُ بارِقٍ ما لَهُنَّ مُهورُ[1]

فلما سمع قوله

قد كانَ حَقّاً أن تَقولَ لِبارِقٍ يا آلَ بارِقٍ فيمَ سُبَّ جَريرُ

قال : أخزاه الله أما وجد وكيلاً غيري .

وحدثني محمد بن الأعرابيّ قال : لقي سُراقة جريراً فقال له جرير : من أنت ؟ قال : بعض من أخزاه الله على يدك ، قال : أيُّهم أنت ؟ قال :

١ - ديوان جرير ص ٢٣٢ - ٢٣٤ .

سُراقة ، قال : البارقي ؟ قال : نعم، فقال : والله لو ظننت بك ما رأيت منك لعفوت عن زلّتك .

قال : وولّى بشر شرطته بالكوفة عكرمة بن رِبْعِيّ من بني تيم الله بن ثعلبة .

وقال هشام ابن الكلبي : بعث بشر بن مروان إلى موسى بن طلحة بمال وأمره أن يقسمه بين قرّاء أهل الكوفة ، فأمّا مُرّة الهَمْداني فلم يقبل من المال شيئاً وما في بيته ما يساوي عشرة دراهم ، وردّ أبو رَزين العُقَيْلي ما بعث به إليه ، وامتنع منه ، وقبل عمرو بن ميمون الأَوْدي ما بعث به إليه ، وقبل أبو جُحَيْفة السُوائي واسمه وهب بن عبد الله .

حدثنا خَلَف بن هشام حدثنا هشيم بن حضين قال : أوّل من أحدث الأذان في العيدين بالكوفة بشر بن مروان ، فلما سمع الناس ذلك أنكروه واستشرفوا له ، وجعلوا يرفعون رؤوسهم تعجّباً .

عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن حصين بن عبد الرحمن عن عُمارة بن رُوَيْبة الثقفي : أنّه رأى بشر بن مروان في يوم جمعة يرفع يده للدعاء ، وهو على المنبر ، فقال : انظروا إلى هذا الفاسق لقد رأيت رسول الله ﷺ ، وما يزيد على هذا ، وأشار بإصبعه السبّابة .

المدائني ، قال : عزل عبدالملك خالد بن عبدالله عن البصرة ، وضمّها الى بشر بن مروان ، وبعث إليه بعهده عليها ، فجمع له العراق

كلّه ، وقد كان شرب التياذريطوس[1] ، فلم يزل بالبصرة عليلاً ، ولما قدم ولّى المهلّب قتال الأزارقة .

قال : وقدم الأخطل البصرة عليه وقد حمل ديات عن قومه ، فأتى بني سَدوس وفيهم سُويد بن منجوف ، ورجل من بني أسعد بن همّام فسألهم ، فقال له الأسعدي : ألست القائل :

إذا ما قُلْتَ قد صالَحْتُ بَكْراً ... أبَى الأضْغَانُ والنَسَبُ البَعيدُ
وأيّــامٌ لَـنــا ولَهُمْ طِـوالٌ ... يَعَضُّ الهامَ فيهِنَّ الحَديدُ[2]

لا لعمر الله لا نرفدك ولا نعينك وإنّك منّا لِلْهَوان لأَهلٌ فقال :

مَتَى آتِ الأراقِمَ لا يَضِرْني ... نَتيتُ الأسعديِّ وما يَقـولُ
فـإنْ تَمْنَعْ سَـدوسٌ دِرْهَمَيْها ... فـإنَّ الـريـحَ طَيبَـةٌ قَبـولُ
وإنَّ بَـني أُمَيَّــةَ ألْـبَسَـتْـني ... ظِـلالَ كَرامِـةٍ لَيْسَتْ تَزولُ
سَيَحْمِلُهـا أبو مَـرْوانَ بِشْرٌ ... فَـذاكَ لِكُـلِّ مُثْقِلَةٍ حَمـولُ
ويَكْفيني التي اسْتَكْفَيْتُ مِنْها ... بِفِعْـلٍ لا يُمَنُّ ولا يَحـولُ[3]

فقال له بشر : يا أبا مالك وكم حمالتك ؟ قال : خمسون ألفاً ، فأمر له بها ، وقال أنا أحقّ برفدك من بني سدوس وبني أسعد .

ولبشر يقولِ أعْشَى بني أبي ربيعة

ياسَيِّدَ الناسِ مِنْ عُجْمٍ ومِنْ عَرَبِ ... وأفْضَلَ الناسِ في دينٍ وفي حَسَبِ

١ ـ أصيب بشر بالاستسقاء ، ولعل هذا اسم الدواء الذي تناوله . انظر الفتوح لابن الأعثم ـ ط . بيروت ١٩٩٢ ج ٢ ص ٤٤٢ .
٢ ـ ديوان الأخطل ص ٩٥ .
٣ ـ ديوان الأخطل ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥ .

قالوا : وكان بشر صاحب شراب ، فدخل البصرة بين الحَكَم بن المنذر بن الجارود ورجل آخر كان مُدْمناً للشراب ، فعلم الناس أنّه لا يدع الشراب فلم يزالا نديميه حتى مات .

وكان بشر يقول الشعر فلما اشتدّت علّته قال لعبد الملك :

إذا مِتُّ يا خَيْرَ البَرِيّةِ لَمْ تَجِدْ أخاً لك يُغْني عَنْكَ مِثْلَ غَنائِيا
يُواسيكَ في الضَرّاءِ واليُسْرِ جَهْدَهُ إذا لَمْ تَجِدْ عند الحِفاظِ مُواسِيا
شَرِيجانِ لَوْني مِنْ سَوادٍ وحُمْرَةٍ تَبَدَّلْتُهُ مِن واضِحٍ كان صافِيا
وكَمْ مِن رَسولٍ قد أَتاني بَعَثْتَهُ إليَّ وَرُسْلٌ يَكْتُمونَكَ ما بِيا

وحدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : كان بشر إذا سكر يقول خضِبّوا يدَيّ ، ويقول ائتوني برأس عبيدالله بن أبي بَكْرة ، فلما بلغت أبيات بشر هذه ابن أبي بكرة قال : مالك بن الرَيْب كان أشعر منه حين يقول :

لَعَمْري لَئِنْ غالَتْ خُراسانُ هامَتي لقد كُنْتُ عن بابَيْ خُراسانَ نائِيا

ولم يكترث لموته بل كان هيِّناً عليه، ويقال: إنّ عبد الملك قال ذلك.

حدثنا رَوْح بن عبد المؤمن حدثنا أبو عَوانة عن مغيرة عن إبراهيم عن شُريح : أنّه حبس رجلاً في السجن ، فأرسل إليه بشر أن أَخْرِجه فقال : السجن سجنك والبّواب عاملك ، وأمّا أنا فإنّي رأيت في الحقّ أن أحبسه .

وحدثنا عن سعيد عن الحَكَم عن خَيْثَمة عن عبدالله بن شهاب قال : شهدت بشر بن مروان وأتاه رجل وامرأة في خُلْع فأبى أن يجيزه ، فقال عبدالله بن شهاب : شهدت عمر بن الخطّاب وأتاه رجل وامرأة في خلع فأجازه ، وقال: إنّما طِلْقُك بمالِكِ .

المدائني ، قال : بينا بشر ، وخالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وخالد بن عتّاب بن وَرْقاء ، وعِكْرمة بن رِبْعيّ في شربهم . أَمَرت امرأة بشر وصيفةً لها أن تخبرهم أنّ الشراب قد نفد ، فجعل بشر يقول :

إسْقِي ابْنَ رِبْعِي قُعَيْباً واحِدا وخالِداً مِن بَعْدِهِ وخالِدا
أما تَرَيْنَ اللَّيْلَ لَيْلاً بارِدا ولا تَقولِنَّ لِشَيْءٍ نافِذا

حدثنا العُمَري عن الهَيْثَم بن عَديّ ، عن مجالد ، عن الشَعْبي قال : كانت اليَّ مظالم بشر بن مروان ، فأتيتُه يوماً لأمر فإذا أَعْيَنَ مولاه جالس ، وكان حاجبه وصاحب حرسه فقلت : أبا عمر استأذن لي عليه ، فقال : إنّ الأمير لا يؤتى بالعشي ، فقلت : أنّه امرٌ لابدّ من ذكره له.فأعلَمه مكاني في رُقعة رفعها إليه ، فأذن لي فدخلت فإذا هو جالس على فُرُش صُفْر وعن يمينه وشماله وخلفه مرافق ، وعلى رأسه إكليل رَيْحان ، وعنده عكرمة بن رِبْعِيّ ، وخالد بن عتّاب بن ورقاء فقال : يا شعبي لو غيرك من الناس ما أذنت له ، فقلت : إنّ عندي لك خلالاً ثلاثاً : الستر لما يجب أن يُستَر ، والشكر لما تُولي ، والدخول معك فيما يحِلّ ويجمل ، ثم التفتُّ فإذا حُنين بن بَلْوَع العِبادي[1] المغنّي جالس على كرسيّ ، وعليه قباءُ حُشك شَوِي[2] وقد لاث رأسه بمنديل مصريّ فتغنى ، فقلت : يا حُنين أَرْخِ من البم[3] ، واشدد من الزِير[4] ، فقال بشر : وما يُدْريك ما هذا ؟ قلت : ظننت أنّ الأمر هناك

١ ـ ترجم له صاحب الأغاني في ج ٢ ص ٣٤١ ـ ٣٥٨ .
٢ ـ أي قباء ضيق من جلود الغنم .
٣ ـ البم : من أوتار العود ، وهو الوتر الذي يلي المثلث ويدعى الأبح لغلظ صوته . معجم الموسيقى العربية لحسين محفوظ ـ ط . بغداد ١٩٦٤ .
٤ ـ الزير : من أوتار العود ، وهو الدقيق من الأوتار . معجم الموسيقى العربية .

ووجدته في نفسي ، قال : فهو والله هناك ، ثم قال : من يلومني على الشعبي ، قم يا نافع فأعطِهِ عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً ؛ قال الشعبي : فلا أظنّ أحداً انصرف إلى أهله بمثل ما انصرفت به أُعطيت ما أُعطيتُ ، ولم أدخل معهم في شيء ممّا هم فيه .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن كُناسة قال : لما قدم بشر بن مروان الكوفة قال لأبي بُرْدة بن أبي موسى : إنّي أكره أن أبيت ليلة عَزَباً فهل من امرأة أتزوجُها ؟ قال : نعم هند بنت أَسْماء بن خارجة ، قال : فاخطبْها عليّ ؛ قال : فقال لأبيها: إني أتيتك خاطباً لهند ، قال : على نفسك ، فإنّك كفوء كريم ؟ قال : لا بل على من هو خير لها منّي ، الأمير بشر بن مروان ، فقالت هند : زوّجه فأرسل إلى رجلين فأشهدهما أنّه قد زوّجها بشرا ؛ قال : ودخل بها فأقام عندها ثلاثاً وأرسل إليها بمائة ألف درهم منها خمسون ألفاً صداقها وخمسون ألفاً صِلة ، ثم قعد عنها أيّاماً فقالت : ما له ؟ قالوا : إنّه يصيب الشراب ، وأنتِ لا تشربين ، فأرسلت إلى مولى لها بالسليحون[1] فحمل إليها شراباً جيّداً ، وأمرت فعُمل له سمك وجُعل في محسي ، ثم ارسلت إليه ليكن غداؤك عندي فأتاها فتغدّى فاستطاب غداءَه ثم قال: لهذا ما يُصلحه ، فدعت بالشراب فوجده أجود من شرابه ، فقال بقَيتْ واحدة ، فقالت : ما هي ؟ قال : من يحادثنا ، فأرسلت إلى أخويها : مالك بن أسماء ، وعُيَيْنَة فنادماه، فحَظَيتْ عنده وولدت له عبد الملك بن بشر .

١ ـ بلدة قرب الحيرة . معجم البلدان .

قالوا : وكانت لحجّار بن أبجر العِجْلي منزلة من بشر ، فبينا هو جالس على سريره إذ دخل المتوكّل اللَّيثي عليه فأنشده أبياتاً فيها :

تَجَـرَّمَ لي بِشْرٌ غَداةَ أَتَيْتُـهُ فَقُلْتُ له يا بِشْرُ ماذا التَجَرُّمُ

فقال بشر : ويلك لو صرتَ إلى ذلك لضربت عنقك ، فقال : أصلح الله الأمير هذا كلام تُسقط منه الحَبالَى ، فقال حجّار : أَوَ حُبْلَى أنت يا متوكّل ، فقال : ما إيّاك اخاطب ، ولا عليك أُدلّ ، فقال حجّار : والله لو سألتني بمثل هذا الشعر درهماً ما أعطيتك إيّاه ، ولا رأيتك له أهلاً ، فقال : صدقت والله لو أتاك عيسى بن مريم فطلب مثل ذلك لمنعته إيّاه ، فلما خرج حجّار قال له بشر : ويلك يا متوكّل كيف جئت بعيسى بن مريم من بين الأنبياء ؟ قال : لأنّ أباه كان نصرانيّاً ، وهو يرقّ للنصرانيّة ، فضحك بشر وقال : أتراه فَطِنَ لما أردتَ ؟ قال : نعم والله وما أقامه إلّا ذلك .

حدثني عليّ بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة مَعْمَر بن المثَّنى قال : قال بشر بن مروان لسُراقة : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال : الفرزدق ، قال : فقل في ذلك أبياتاً فقال :

أَبْلِغْ تَميمـاً غَثَّهـا وسَمينَهـا والحُكْمُ يَقْصِـدُ مَرَّةً ويَجـورُ
أنّ الفَـرَزْدَقَ بَـرَّزَتْ آبـاؤُهُ عَفْواً وغودِرَ في الغُبارِ جَريرُ
ما كُنْتَ أَوَّلَ مُقْرِفٍ عَثَرتْ بِهِ أعْـراقُـهُ إنّ اللَئيمَ عَثـورُ
ذَهبَ الفَرَزْدَقُ بالفَضائِلِ والعُلى وابنُ المَراغَةِ مُفْحَمٌ مَحْسـورُ

فكتبها بشر ، وبعث بها إلى جرير مع رسول ، وقال : لا تبرح حتى ينقضها فذلك حين يقول جرير :

يا بِشْرُ حَقٌّ لِوَجْهِكَ التَّبْشيرُ   هَلّا غَضِبْتَ لَنا وأَنْتَ أميرُ
قد كان حَقاً أَنْ تَقولَ لِبارِقٍ   يا آلَ بارِقٍ فيمَ سُبَّ جَريرُ
أَسُراقُ إنَّكَ قد كَسَبْتَ لِبارِقٍ   أَمْراً مَطالِعُهُ عَلَيْكَ وعُورُ
تُعْطَى النِساءُ مُهورَهُنَّ سِياقَةً   ونِساءُ بارِقٍ ما لَهُنَّ مُهورُ
لا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ أَنَّ دُخولَهُمْ   رِجسٌ وإنَّ خُروجَهُمْ تَطْهيرُ
إنّ الكَريمَةَ تَنْصُرُ الكَرَمَ ابْنُها   وابْنُ اللَئيمَةِ لِلّئامِ نَصورُ

فلما قُرئت القصيدة على بشر قال : أما وجد ابن المراغة رسولاً غيري

وقال جرير :

يا رُبَّ قائِلَةٍ تَقولُ وقائِلٍ   أَسُراقُ إنَّكَ قَدْ غَوَيْتَ سُراقا
إنَّ الذين عَوَوْا عُواءَكَ قد لَقُوا   مِنِّي صَواعِقَ تَقْطَعُ الأَعْناقا
ولَقَدْ هَمَمْتُ بِأَنْ أُدَمِّرَ بارِقاً   فَحَفِظْتُ فيهِمْ عَمَّنا إسْحاقا(١)

قالوا : وجعل جرير يوماً ينشد ، وسُراقة يقول : أحسنت والله ، فقال له : يا فتى من أنت ؟ قال بعض من أَخْزَى الله على يدك ، قال ؛ وأيّهم أنت ؟ قال : سُراقة البارقي ، قال : لو علمتُ أنّك على ما شاهدتُ لعفوتُ عنك .

وقال ابن قيسَ الرُقَيّات في بشر بن مروان :

يا بِشرُ يا بنَ الجَعْفَرِيَّةِ ما   خَلَقَ الإلهُ يَدَيْكَ لِلْبُخْلِ
جاءتْ بِهِ عُجُزٌ مُقابَلَةٌ   ما هُنَّ مِنْ جَرْمٍ ولا عُكْلِ

فقال له بشر : آحتَكِمْ ، قال : أُعطِني عشرين ألف درهم ، قال : قبحك الله لك عشرون وعشرون ، وعشرون وعشرون ، فأعطاه مائة ألف

١ - ديوان جرير ص ٣١٣ - ٣١٤ مع فوارق وتقدم هذا في ص ٢٥٨٣ .

درهم ؛ وقد قال قوم : إن هذا الشعر لابن الزبير الأسدي ، وقيل : لأعشى بني أبي ربيعة ، وفيها

أنت ابْنُ آلاشْياخِ الذين لَهُمْ   في بَطْنِ مَكَّةَ عِزَّةُ الأَصْلِ[1]

وقال ابن الزبَير :

كَأَنَّ بَني أُمَيَّةَ حَوْلَ بِشْرٍ   نُجومٌ وَسْطَها قَمَرٌ مُنيرُ
هُوَ الفَرْعُ الْمُقَدَّمُ في قُرَيْشٍ   إذا أَخَذَتْ مَآخِذَها الأُمورُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

وكان بشر يغري بين الشعراء ، قالوا : أنشد أَعْشَى بني أبي ربيعة بشرا :

أَمْسَتْ أُمَيَّةُ بَعْدَ اثْنَيْنْ قَدْ عَلِموا   لَوْ يوزَنونَ بِبِشْرٍ كُلُّهُمْ غُلِبوا

فقال ما صنعت شيئاً فقال :

وَجَدنْا ما خَلا أَخَوَيْهِ بِشّراً   مِنَ الأَحْياءِ سادَةَ عَبْدِ شَمْس
وَجَدْتُكَ أَمْسِ خَيْرَ بَني مَعَدٍّ   وأَنْتَ اليَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْس
وأَنْتَ غداً تَزيدُ الخَيْرَ ضِعْفاً   كَذاكَ تَزيدُ سادَةُ عَبْدِ شَمْسِ

فقال ما صنعت شيئاً فقال :

مَكَثْتَ زَماناً ثالِثاً ثُمَّ لَمْ يَزَلْ   بِكَ الجَرْيُ حَتَّى كُنْتَ أَنْتَ الْمُصَليّا[2]

قال : نعم ، قال:إن شئت جعلتك سابقاً ؟ قال : أمّا هذا فلا ، وأعطاه عشره آلاف درهم وكساه .

١ ـ ديوان ابن قيس الرقيات ـ ط . دار صادر بيروت ص ١٩١

٢ ـ المصلي : الثاني بحلبة السباق .

حدثني عمر بن شَبّة قال : أعوَز بشر بن غالب حتى لزم بيته فأتت امرأته عِكْرمة بن رِبْعِيّ فقالت: هل أنت مُسْلِفي خمسائة درهم، فدفعها إليها وبعث رسولاً ليعلم اين صارت ، فلما عرف الذي له استسلفت الخمس المائة الدرهم أخذ ألف دينار وقرع على بشر بن غالب الأسدي بابه ليلاً وقال : هذه ألف دينار فاقبضْها ، وقال إن تَيسَّر رددتَ وإن تَعذَّر فهو لك ، قال ومن أنت ؟ قال : إذا قبضت المال أخبرتك فلما قبضه قال : أنا عكرمة بن رِبْعِيّ جابر عَثَرات الكرام ، فدخل بشر بيته مهموماً فقالت له امرأته : مالك ؟ فأخبرها خبر عكرمة وما صنع وقال : لا أُزالُ متضائلاً حتى أردّ ماله أو أُكافيه ، قالت : فمنه والله أخذت الخمس المائة ، فلما قدم بشر بن مروان الكوفة أرسل إلى بشر بن غالب الأسدي يسأله أن يلي شرطته ، وكان إذا ولّى رجلاً شرطته أمر له بمائة ألف درهم ، فقال : لست أُضبطُ أمر الشرطة ولا أقوم به ولكنّي أُشير عليك برجل ؟ قال : ومن هو؟ قال : عكرمة بن ربعي فولاه شرطته وأمر له بمائة ألف درهم.

قال المدائني : كان أَيْمَن بن خُريم بن فاتك عند عبد العزيز بن مروان بمصر، فدخل عليه نُصيب فأنشده مديحاً امتدحه به فقال لأيْمَن: نصيب أَشعرُ منك ، قال : لا والله ولكنّك ظَرِفٌ مَلول ، فقال : أتقول إنني ملول وأنا أؤاكلك مذ كذا وكذا ، وكان بأيمن بياض في يده فغضب ، ولحق ببشر بن مروان وقال :

رَكْبتُ مِنَ المُقَطَّمِ في جُمادَى ... إلى بِشرِ بْنِ مَرْوانَ البَرِيـدا
فلو أَعطاكَ بشر أَلْفَ أَلْفَ ... رَأى حقاً عَلَيْهِ أَنْ يَـزِيدا

فأمر له بمائة ألف درهم .

قال : ومرّ به نُصيب بالكوفة فقال له : إنّي تركت غديراً ناضباً وأتيت بحراً زاخراً .

وكان بشر لا يؤاكل أيمن واشتهى يوماً لبناً وقال للحاجب اخرج فانظر لي من يأكل معي ، فخرج فأدخل أيمن بن خريم فلما رآه بشر ساءه ، فقال : إنّي اشتهيت البارحة لبناً فهُيِّىء لي ، وأصبحت أنوي الصوم فأُتيت باللبن فلما وُضع بين يديّ ذكرت أني صائم وليس أحد بأحقّ بأكله منك ، فدونَكَهُ فلم يلبث أن صفّره وكان يغّير بياض يده بالزعفران .

حدثني الحسن الورّاق عن هشام ابن الكلبي قال : كانوا يقولون إنّ دية الضرطة أربعون درهماً وقطيفة ، فأُتي بشر بن مروان بتراس فأمر جلساءه بغمزها ، فغمز رجل من بني هلال ترساً منها فضرط ، فضحكوا منه فغضب بشر وقال : وكم دية الضرطة ؟ قالوا : أربعون درهّماً وقطيفة ، فأمر للهلاليّ بأربعين ألفاً وأربعين قطيفة خز ، فقال الشاعر :

أَيَضْرِطُ ضارِطٌ مِنْ غَمْزِ تُرْسٍ فَيُعطيهِ الأَميرُ لها بُدورا
فَيا لكِ ضَرْطَةً عادَتْ بِخَيْرٍ ويا لَكِ ضَرْطَةً أَغْنَتْ فَقيرا
فَوَدَّ القَومُ أَنْ ضَرَطوا جَميعاً فَنالوا مِنْ عَطِيَّتِهِ عَشيرا
أَيُقْبِلُ ضارِطاً أَلْفاً بِأَلفٍ لَيُرْخِصُ أَصْلَحَ اللهُ الأَميرا

فلما أُنشد الشعرَ قال : لا حاجة لنا في ضُراطه ، وأمر له بأربعة آلاف درهم وهذا الثبت ؛ وقوم يزعمون : أنّ الضارط كان عند خالد القَسْري .

المدائني ، قال : دخل الأخطل على بشر وعنده الراعي عُبيد بن حُصين فقال بشر : أأنت أَشعرُ أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم ، فقال للراعي : ما تقول ؟ قال : أمّا شعره فلا أدري ، وأمّا قوله أكرم فإن كان في

أمّهاته مَن ولدت مثل الأمير فقد صدق ، فلما خرج الأخطل من عند بشر قال له رجل : ويلك أتقول لخال الأمير أنا اكرم منه ؟ قال : إنّ أبانسطوس الخمّار وضع في جمجمتي ، أكؤساً لا والله ما أعقِل معها ما أقول ؛ وللأخطل في بشر شعر .

وقال الكلبي : كان ممّن ينادم بشراً بالبصرة الهُذيل بن عِمْران بن الفَضيل التميمي ثم الحنظلي .

قال : ولم يزل بشر على الكوفة حتى ضُمّت إليه البصرة سنةَ أربع وسبعين ، فانحدر إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حُريث المخزومي ، فكان عليها حتى مات بشر بالبصرة ، وولي الحجاج العراق .

وقال مالك بن دينار : لما مات بشر ودُفن مات أسودُ فدفن إلى جانبه فتبعنا جنازته ودفن عند قبر بشر بن مروان ، فلما أتت عليه أيام مررتُ فلم أعرف قبر هذا من قبر هذا ، فذكرت قول الشاعر :

وسَواءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلٌّ

وقال المدائني : كان مُقام بشر بالبصرة شهرين ، ويقال : أربعة اشهر ، وكان شرب التياذريطوس فأمرضه حتى هلك ، وكان أوّل أمير بالبصرة مات بها ؛ ودُفن بشر إلى جانب قبر سَلْم بن زياد ومشى الفرزدق في جنازته ومعه فرس كان حمله عليه ، وهو يقوده حتى إذا فرغ من دفنه عقر الفرس على القبر وأنشأ يقول :

أقولُ لِمَحْبوكِ السَّراةِ مُعاوِدٍ سِباقَ الجيادِ قد أُمَرَّ علَى شَزْرِ
أَلَسْتَ شَحيحاً إنْ رَكِبْتُك بَعْدَهُ لِيَوْمِ رِهانٍ أوْ غدَوْتَ مَعي تجْري
حَلَفْتُ له لا أَرْكَبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ صَحيحَ النَّسا حتى يكوسَ على القَبْرِ

وقال الفرزدق يرثيه :

أَعَيْنَيَّ إلَّا تُسْعِداني أَلُمْكُما فَما بَعْدَ بِشْرٍ مِنْ عَزاءٍ ولا صَبْرِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْماً دافَعوا المَوْتَ بَعْدَهُ بِشَيْءٍ لَدافعْتُ المَنِيَّةَ عَن بِشْرِ
ولكِنْ فُجِعْنا والرَزِيئَةُ مِثْلُهُ بِأَبْيَض مَيْمونِ النَقيبَةِ والأَمْرِ
فإلَّا تَكُنْ هِنْدٌ بَكَتْهُ فَقَدْ بَكَتْ عَلَيْهِ الثُرَيّا في كَواكِبِها الزُهْرِ
أَغَرُّ أبو العاصي أبوهُ كأنَّما تَفَرَّجَتِ الأَبْوابُ عن قَمَرٍ بَدْرِ
على مَلِكٍ كادَ النُجومُ لِفَقْدِهِ تُدَهْدَى وتلكَّ الراسِياتُ مِنَ الصَخْرِ
سيأتي أَميرَ المُؤْمِنينَ مُصابُهُ وعَبْدَ العَزيزِ لِلإمارَةِ في مِصْرِ
بأنَّ أبا مَرْوانَ بِشْراً أَخاهُما ثَوَى غَيْرَ مَتْبوعٍ بِعَجْزٍ ولا غَدْرِ[1]

في قصيدة .

ولما احتُضر بشر استُخلف خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد بن أبي العيص على البصرة فكان عليها بعد وفاة بشر حتى ولي الحجّاج العراق ، فولّى الحَكَم بن أيوب ، ويقال : وجّه ابن أبي بكرة ، حتى قبض العمل من خالد ثم ولّى الحكم بعده .

وقال أبو اليقظان : قدم بشر البصرة فأقام بها ستة أشهر ويقال أربعة أشهر ، فشرب التياذريطوس فاشتد وجعُه ، ويقال : شربه بالكوفة ثم شخص إلى البصرة فأمرضه السعب[2] فمات بالبصرة بعد أشهر .

---

١ ـ ديوان الفرزدق : ج ١ ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .
٢ ـ يقال سال فمه سعابيب : امتد لعابه كالخيوط ، والسعب كل ما تسعب من شراب وغيره . القاموس .

قال : ولما قدم بشر جعل يسأل عن الأشعار والشعراء وكان جواداً .

وقال ابن الكلبي وغيره : كتب ابن الزبير بعد مقتل مصعب بن الزبير إلى أهل العراق يدعوهم إلى طاعته مع رجل من الأنصار ، فنزل الرجل على نُعيم بن القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دارِم ، وكان نُعيم يذمّ بِشْراً وينسبه إلى الفسق والأُفَن ، ويقرّظ ابن الزبير ، ويدعو إلى طاعته سِرّاً ، ويقال : إنّه كان مع الأنصاريّ كتابٌ إلى نعيم ، فعلم حَوشَب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْم الشَيباني بخبر الأنصاري ونعيم ، فسَعَى بنعيم إلى بشر فقتل الأنصاري وقتل نُعيماً ؛ وقال بعضهم : سعى بنعيم يزيد بن الحارث ، وذلك وَهْم لأنّ يزيد قُتل بالريّ حين لقِيَتْه الخوارج ؛ وقال بعضهم : إنّ الأنصاريّ لما قُتل جعل نُعيم يذكر ابن الزبير بخير ويذكر بشرا بشرّ ، فسعى به يزيد فدعا به بشر فقتله صَبْراً ، وأنّه لم ينزل على نعيم ولا كان معه كتاب ، والله أعلم .

قالوا : وكان بشر بن مروان يُطعم خاصّته وحَرَسَه ، ولا يطعم العامّة ، وكذلك كان مصعب بن الزبير قبله .

فولد بشر بن مروان :

الحَكَم . وأمّه أمّ كلثوم بنت أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ؛ وعبد العزيز بن بشر بن مروان ، وأمّه ابنة خالد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط ؛ وعبد الملك بن بشر ، أمّه هند بنت أسماء بن خارجة الفَزاري ، وكان عبد الملك سخيّاً مِطعاماً للطعام .

فحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : كان بالكوفة فتيان يُطعمون الطعام منهم : عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان أكثرهم طعاماً وأسخاهم به ، وعبد الله بن عُمارة بن عُقْبة بن أبي مُعَيط ، وخالد بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، وعمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فقدم المغيرة الأعور بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي الكوفة فغمرهم ، وكان يتخذ فيها يقال حَيْسة يأكل منها الراكب ، وتُجْعَل على الأنطاع ، وكان ينفق في كلّ يوم على مائدته دنانير كثيرة ؛ فقال الأُقَيشر :

أتاكَ البَحْرُ طَمَّ على قُرَيْشٍ مُغيرِيٌّ فقد راغَ ابنُ بِشْرِ
وراغَ الجَذْيُ جَذْيُ التَّيمِ لَمَّا رَأَى المعْروف مِنْهُ غَيْرَ نَزْرِ
ومِنْ أَوْلادِ عُقْبَةَ قد شَفاني ورَهْطِ الحاطِبِيِّ ورَهْطِ صَخْرِ[1]

وكان مسلمة بن عبد الملك ولّى عبد الملك بن بشر البصرة ، ثم عزله فقال الفرزدق .

عُزِلَ ابْنُ بِشْرٍ وَابْنُ عَمْرٍو عَنْهُمُ وأخو هَراةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّـعُ[2]

ورأى عبد الملك بن بشر ابنَ عَبْدَل الشاعر فقال له : ما أغضبك عليّ ؟ قال : جفاؤك لي ، وقد رأيت رؤيا قال : وما هي ؟ قال فأنشده :

ما بالُ عَيْنِكَ لايَجِفُّ سِجامُها أَقَذًى بِها أَمْ عادَها تِهْمامُها

حتى بلغ قوله :

١ ـ ليست في ديوان الأقيشر المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٠٨ مع فوارق .

أَغْفَيْتُ عِنْدَ الصُبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ في ساعةٍ ما كُنْتُ قَبْلُ أنامُها
فَرَأَيتُ أَنَّكَ جُدْتَ لي بِوَصيفَةٍ مَغْنوجَةٍ حَسَنٍ عَلَيَّ قِيامُها
وبِبَـدْرَةٍ حُمِلَتْ إليَّ وبَـغْلَةٍ شَقْراءَ ناجِيَةٍ يَصِلُّ لجامُها
فدَعَوْتُ رَبّي أَنْ يُثيبَك جَنَّةً عَنّي يَنالُكَ بَرْدُها وسَـلامُها

فبعث إليه بذلك كلّه ، وزاده وقال : هذا كان في رؤياك فنسيتَ أن تذكره ؛ ويقال : إنّه قال : كلّ هذا عندي إلّا البغلة فما عندي شقراء ، ولكن دهماء فقال الطلاق لازم له إن كان رآها إلّا دهماء ولكن غلط .

وولد عبد الملك بن بشر أبان والحكم كانا مع ابن هبيرة وقتلا معه بواسط يوم قتل .

وقال خلف بن خليفة الأقطع من بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة ، وذكر في شعره من كان يدخل على ابن هُبيرة :

وقامَتْ قُرَيْشُ قُرَيْشُ البِطاحِ هِيَ العُصَبُ الأُوَلُ الداخِلَةْ
يَقـودُهُمُ الفيلُ والـزَنْـدَبيـلُ وذو الضَرْسِ والشَفَةِ المائلَةْ

الفيل والزندبيل أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر ، وذو الضرس خالد بن سلمة المخزومي ، وهو ذو الشفة المائلة أيضاً .

قالوا : وتزوّج عبد الملك بن بشر أم سعيد بنت سعيد بن خالد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، فقال عبد الله بن عمرو بن الوليد بن عقبة :

أَسَعْدَةُ هَلْ إلَيْكِ لنا سَبيلُ وهَلْ حَتَّى القِيامَةِ مِنْ تَلاقِ
بَلَى ولَعَلَّ ذلـك أَنْ يُوافَى بِمَوْتٍ مِنْ حَليلِكِ أَوْ طَلاقِ
فـطَلِّقْها فلَسْتَ لهـا بِكَفءٍ ولَوْ أَعْطَيْتَ هِنْداً في الصَداقِ

قالوا : ولّى مسلمة بن عبد الملك البصرة عبدَ الملك بن بشر ، فولّى شرطته شريك بن معاوية الباهلي ، وولّى القضاء موسى بن أنس بن مالك ، وأقام مسلمة بالعراق ثمانية أشهر ، ويقال ستة أشهر ، فلما ولي عمر بن هبيرة وعزله عبد الملك قال :

جِئْتُ بِشْراً زائِراً فوَجَدْتُهُ و اللّهِ سَحًا

في أبيات .

وقال ابن عَبْدَل الأسدي :

إنّي امْرُؤٌ نَزِهٌ يَعْصي الهَوَى كَرَمي فَمَرْبِضي مَرْبِضُ الوَحْشيِ ذي الزَمَعِ
وقد تَرَكْتُ ابْنَ بِشْرٍ أنْ أُلَمَّ بِهِ وما تَرَكْتُ أبا مَرْوانَ مِنْ شَبَعِ

في أبيات .

وقال ذو الرمّة :

إذا ما عَدَدْنا يا بْنَ بِشّرٍ ثِقاتِنا عَدَدْتُكَ في نَفْسي بِأُوَلى الأصابعِ[1]

---

١ ـ ديوان ذي الرمة ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ص ٨١٨ .

وأما عبد العزيز بن مروان

ويُكنى أبا الأصبغ ، فإنّه كان جواداً كريماً ، وليَ العهد بعد عبد الملك بن مروان فمات قبله بمصر ، وكان عبد الملك أراد خلعه وتولية الوليد ابنه فمات قبل ذلك ، وفيه يقول كُثَيِّر :

شَهِدْتُ ابْنَ لَيْلَى في مَواطِنَ جَمَّةٍ　　يَزيدُ بِها ذا الحِلْمِ حِلْماً حُضورُها
فلا هَجَراتُ القَوْلِ تُؤْثَرُ عِنْدَهُ　　ولا كَلِماتُ النُصْحِ مُقْصىً مُشيرُها[1]

وقال كثير :

قليـلُ الألايا حـافِظٌ لِيَمينِهِ　　إذا سَبَقَتْ مِنْهُ الأَلِيَّةُ بَرَّتِ[2]

وقال أيْمَن بن خُرَيْم بن فاتك في عبد العزيز حين ولّاه أخوه مصر :

فبشر أَهْلَ مِصْرَ فقد أتاهُمْ　　مَعَ النيلِ الذي في مِصْرَ نيلُ
فـتى لا يَـرْزَأُ الخُـلّانَ إلّا　　مَوَدَّتَـهُـمْ ويَـرْزَؤُهُ الخَليـلُ

---

١ ـ ديوان كثير ـ ط . بيروت ص ١٠٨ مع فوارق .
٢ ـ ديوان كثير ص ٥٩ . والألايا جمع ألوه وهي اليمين وما يقسم به .

وقال أيضاً :

أما يَسْتَحي الناسُ أنْ يَعْدِلوا بِعَبْدِ العَزيزِ ابنِ لَيْلَى أميرا
وقد جَرَّبَ الناسُ عَبْدَ العَزيزِ صَغيراً وقد جَرَّبوهُ كَبيرا
ترى قِدْرَهُ مُعْلَماً بالفِناء تُلَقَّمُ بَعْدَ جَزورٍ جَزوراً

وقال رجل من كلب :

إلى عَبْدِ العَزيزِ فَتَى قُرَيْشٍ رَحَلْنا العِيسَ عَشْراً بَعْدَ عَشْرِ

وقال رجل من خَثْعَم زار عبد العزيز فجفاه :

أرى عَبْدَ العَزيزِ يَصُدُّ عَنّي بِأنفٍ مِثْلِ فَيْشَلَةِ الحِمارِ
فما عَبْدُ العَزيزِ لنا بِربٍّ وما دارُ الهَوانِ لنا بِدارِ

وقال عبيد الله بن قيس الرُقَيّات :

أعْني ابْنَ لَيلَى عَبْدَ العَزيزِ بِبا بِ اليُونِ[1] تَأْتي جِفانُهُ رُذُما
الواهِبُ البُخْتَ والوَصائِفَ كالـ ـغِزْلانِ والخَيْلَ تَأْلُكُ اللُجُما[2]

فوهب له من كلّ ما ذكره وأعطاه مالاً .

وقال كُثَيِّر يرثيه :

أَبَعْدَ ابْنِ لَيلَى يَأْمُلُ الخُلْدَ واحِدٌ مِنَ الناسِ أوْ يَرْجو الثَراءَ مُثْمِرُ[3]

---

١ ـ باب اليون حيث أقيمت الفسطاط .
٢ ـ ديوان ابن قيس الرقيات ص١٥٢ ـ ١٥٥ مع فوارق .
٣ ـ ديوان كثير ص ١٠٠ .

وقال أبو بكر بن أبي جهم بن حُذَيْفة العَدَوي :

أَبَعْدَكَ يا عَبْدَ العَزيزِ لَحَاجَـةٌ وبَعْدَ أبي الزَبّانِ يُسْتَعْتَبُ الدَهْرُ
فلا صَلَحَتْ مِصْرٌ لِحَيٍ سِواكُما ولا سُقِيَتْ بالنيلِ بَعْدَكُما مِصْرُ
ولا زالَ مَجْرَى النيلِ بَعْدَكَ يابِساً يَموتُ به العُصفورُ واستُبْطِيءَ القَطْرُ

أبو الزبّان الأصبغ بن عبد العزيز ، مات قبل أبيه بخمس عشرة ليلة .

وقال المدائني وغيره : كان عمرو بن سعيد الأشدق ، ويقال : مصعب بن عبد الرحمن بن عوف حدّ عبد العزيز بن مروان في الشراب فقال الشاعر :

وَدِدْتُ وبَيتِ اللّهِ أَنّي فَدَيْتُهُ وعَبْدَ العَزيزِ حينَ يُجْلَدُ في الخَمْرِ

قالوا : فوجد عمر بن عبد العزيز اسحاق بن عليّ بن عبد الله بن جعفر في بيت خُلَيدة العَرْجاء فجلده عمر الحدّ ، فقال له اسحاق : يا عمر على ودّك الناس كلهم مجلودون يعرّض بأبيه عبد العزيز .

وقال الواقدي : خطب عبد العزيز بن مروان أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب فزُوّجها ، وحُملت إليه وهو بمصر والِيَها فتوُفّيت عنده ، فتزوّج حفصة بنت عاصم وكان زوجها قبله إبراهيم بن نُعيم النحّام العَدَوي ، فقُتل عنها بالحرّة وحُملت إليه إلى مصر أيضاً وكانت أم عاصم حين مرّت بأَيْلةَ أهدى لها معتوهٌ كان هناك ، يقال له شَرْشِير هديّةً فأثابته وأحسنت إليه ، فلما مرّت به حفصة أهدى لها كما أهدى لأمّ عاصم أُختها فدنت فيما وهبت له ، أو أغفلته فقال : هيهات ليست حفصة من رجال أم عاصم .

وولد عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز وليَ الخلافة وسنذكر خبره إن شاء الله ؛ وأبا بكر بن عبد العزيز ، وعاصما ، أمهما أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر الخطاب ، وأمّها عُمارة ثقفيّة ؛ والأصبغ لأمّ ولد ؛ وسَهْلاً ، وسُهيلا ، وأم الحكم ، أمّهم أمّ عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ وزبّان ، وأم البنين كانت عند الوليد بن عبد الملك ، أمهما ليلى بنت سهيل جعفريّة .

وكان أبو بكر من خيار المسلمين ، وكان عمر بن عبد العزيز على توليته عهده وكان مُعْجَباً به .

وأمّا عاصم بن عبد العزيز فكان مخنَّثاً .

وأمّا سهيل فولد عمرو بن سهيل ، وكان يلقَّب كَيلَجَة لقصره ، وكان عمرو من رجال قريش ولاه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز البصرة ، فعزل المِسْوَر عن شرطته وولّاها رجلاً من بني سَدوس ، وكان المسور يتولّى الشرطة لمن قبله فجانبه المسور ودب في بني تميم فكان في فتنة حتى عُزل ابن سهيل ، وسنذكر خبره في موضعه إن شاء الله .

وكان الأصبغ بن عبد العزيز ، وهو أبو الزّبّان ، عالماً ، وكان له قدر في بني أمية يتعاطى الزجر والنجوم ، هلك بمصر قبل أبيه بخمس عشرة ليلة . ومن ولده دحية بن مصعب بن الأصبغ ، خرج على أمير المؤمنين موسى الهادي بن المهدي ، فقتله الفضل بن صالح بن عليّ بمصر بعد قتال ، وبعث برأسه إلى الهادي ، ويقال : بل حاربه وقتله عليّ بن سليمان بن عليّ .

وأما محمد بن مروان

ويُكنى ـ فيما أخبرني به هشام بن عمار ـ أبا عبد الرحمن ، وأمه أم ولد ، وكان من أشد ولد مروان وأشجعهم في حسن خلق ، وكان عبد الملك يحسده على شجاعته ، ويحب أن يضع منه ، وكان وجهه لمحاربة مصعب فقتله وقتل إبراهيم بن الأشتر ، فازداد عبد الملك حسداً له ، وفيه يقول الشاعر :

جَمَعَ آبْنُ مَرْوانَ الأَغَرُّ مُحَمَّدٌ   بَيْنَ ابْنِ أَشْتَرِهِمْ وبَيْنَ المُصْعَبِ

وكان عبدالله بن يزيد بن معاوية متقدِّماً محمَّداً عند عبد الملك ، وذلك لأنّ أُخته عاتكة بنت يزيد كانت عنده ، وكان يحبّها ؛ فقال ابن وابصة :

لا تَجْعَلَنَّ مُشَدَّياً ذا سُرَّةٍ   ضَخْماً سُرادِقُهُ عَظيمَ المَوْكِبِ
كَأَغَرَّ يَتَّخِذُ السُيوفُ مَعاقِلاً   يَمْشي بِسِكَّتِهِ كَمَشْيِ الأَنْكَبِ

وقد كتبنا الشعر في خبر مصعب .

المدائني ، قال : كان عبد الملك يحسد محمداً لما يرى من جَلَده وبأسه وعارضته ، ولاسيّما بعد قتله مصعب بن الزبير ، فعزم محمد على إتيان أرمينية لغزو العدوّ بها فأمر بإبله فرحلت وعزم على الشخوص إليها ، فدخل على عبد الملك مودعّاً فقال : إنّي أريد أرمينية والغزو بها وتمثّل :

فإنَّك لَنْ تَرَى طَرْداً لِحُرٍ كَـالْزاقٍ بِـهِ طَـرْفَ الهَـوانِ
ولَـوْ كُنّـا بِمَنْـزِلـةٍ جميعـاً جَرَيْتُ وأَنْتَ مُضْطَرِبُ العِنانِ

فقال عبد الملك : أَقسمتُ عليك يا أخي لَمّا أَقمْتَ فوالله لا أقذيتُ عينك أبداً ، ولا رأيتَ منّي مكروهاً أبداً ، وولّاه الموصل والجزيرة وأرمينية .

وغزا محمد بن مروان في سنة خمس وسبعين فهربت الروم منه . وفي هذه السنة غزا يحيى بن الحَكَم كلباً فنال منهم .

فولد محمد بن مروان :

يزيد ، وأمّه أمّ يزيد بنت يزيد بن عبيدالله بن شَيبة بن ربيعة ؛ وعبد الرحمن ، وأمّه أمّ جميل من ولد عمر بن الخطّاب ؛ وعبد العزيز بن محمد ، لأمّ ولد ؛ ومروان بن محمد ، ويُكنى أبا عبد الملك وأمّه كردّية أخذها أبوه من عسكر ابن الأشتر ، فيقال : إنّه أخذها وبها حَبَلٌ ، فولدت على فراشه ، ومروان هو الجَعْديّ ، وقد ولي الخلافة وسنذكر خبره إن شاء الله .

وكان مروان قد ولي الجزيرة وأرمينية لهشام بن عبد الملك ، وللوليد بن يزيد بن عبد الملك من بعده ، فلما بلغه مقتل الوليد انصرف إلى الجزيرة ، ثم طَلَبَ بدم الوليد وسمّاه الخليفة المظلوم ، وقال : أمري شبيه بأمر معاوية

في طلبه بدم عثمان ، وكان مروان رجلًا من الرجال ، إلّا أنّه كان بخيلًا ، فولي الأمر بعد خلع إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك خمس سنين ، وقتل بمصر في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وهو ابن تسع وستّين سنة ، وسنذكر أخباره إن شاء الله تعالى .

أمر عبدالله بن الزبير في أيام مروان وعبد الملك بن مروان والأحداث في فتنته

حدثني جماعة من العلماء سُقْتُ حديثهم قالوا : لما دعا ابن الزبير الناس إلى بيعته بعد موت يزيد بن معاوية بايعوه على كتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وكان ممّن بايعه عبيدالله بن عليّ بن أبي طالب ، وقبض ابن مُطيع يده ، فقام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف فبايع ، فقال الناس : أبَى ابن مطيع أن يبايع ، وبايع مصعبٌ أمْرٌ فيه صعوبة ، وبايعه عبدالله بن جعفر ، وأراد ابنَ الحنفيّة على البيعة فأبى ، وأبى ابن عمر أن يبايع ، وقال : أنا لا أُعطي صفقة يميني في فرقة ، ولا أمنعها في جماعة ، وقال له آلزم المدينة حيث بويع الخلفاء فلم يفعل .

وقال أبو حُرّة مولى خُزاعة لما دعا لنفسه : ألِهذا نصرناك إنّما كنت تدعو إلى الرضي والشورى ، أفلا صبرتَ وشاورت فنختارَك ونبايعك وقال :

أَبْلِغْ أُمَيَّةَ عَنّي إنْ عَرَضْتَ لَها ... وابنَ الزُبَيْرِ وأَبْلِغْ ذلك العَرَبا
أنَّ المَوالِيَ أَضْحَتْ وَهْيَ عاتِبَةٌ ... عَلَى الخَليفَةِ تَشْكو الجوعَ والحَرَبا
إخْوانُكُمْ إنْ بَلاءٌ حَلَّ ساحَتَكُمْ ... ولا تَرَوْنَ لَنا في غَيْرِهِ نَسَبا
نُعاهِدُ الله عَهْداً لا نَخيسُ به ... أَنْ نَقْبَلَ اليَوْمَ شورَى بَعْدَ مَنْ ذَهَبا

وأتت ابنَ الزبير بيعةُ الآفاق إلاّ الأردنّ ، وأخرج ابن زياد من البصرة وتراضى أهلها بِبَبَّة ، ثم كثر الخوارج وتحازب أهل البصرة في العصبيّة بين مُضَر ، وربيعة ، والأزد ، فاعتزل أمرهم فكتبوا إلى ابن الزبير يسألونه أن يستعمل عليهم رجلا ، فكتب إلى أنس بن مالك فصلّى بالناس أربعينَ يوماً ، ثم بعث ابن الزبير إلى عمر بن عبيدالله بن مَعْمر القرشي ثم التَّيْمي بعهده على البصرة فوافقه وهو يريد العمرة ، فكتب إلى أخيه عبيدالله بن معمر فصلى بالناس ، وقام بأمرهم حتى قدم .

وبايع لابن الزبير باليمن بجير بن ريسان ، وكان قبله عاملاً ليزيد بن معاوية .

ودعا له بخراسان عبدالله بن خازم السُّلمي .

وولى جابر بن الأسود بن عوف المدينة .

وأصابت الناس بالمدينة مجاعة ، وكان عليها ابن أبي ثور حليف بني عبد مناف ، من قِبَل ابن الزبير ، فكان الناس في جهد ينالون من ليل إلى ليل حسى من حنطة مطبوخة وعدس فوعظهم وأمرهم بالتناهي عن المعاصي ، وقال : إن الله أهلك قوم صالح في ناقة قيمتُها خمسمائة درهم فسمّي مقوِمّ الناقة .

المدائني ، قال : ولى ابن الزبير المدينة جابر بن الأسود ثم عبيدة بن الزبير ، وبعث بمصعب بن الزبير لقتل الأسرى من أصحاب حُبيش بن دُلْجة ، وولّى بعد عبيدة ابنَ أبي ثور ثم عزله ، وولى الحارث بن حاطب الجُمَحي ثم عزله ، وولّى جابر بن الأسود ، ويقال جعفر بن الزبير ، ثم وَهْب بن مُعَتِب مولى الزبير ، ثم رجلاً يكنى أبا قيس ، فقال الناس : كان

لِيزيدَ أبو قيس لا يضرّ ولا ينفع ، يعنون قرد يزيد الذي كان يكنيه أبا قيس ، ولابن الزبير أبو قيس يضرّ ولا ينفع .

المدائني عن عامر بن أبي محمد ، قال : قاتل مع ابن الزبير أربعون امرأة فقتلت امرأةٌ يقال لها شَعْثَاء ، فقال رجل من أهل الشام :

وكانَتْ لِشَعْثا في القِتالِ بَصيرَةٌ ... بَلْ كانَ بُغْيَةُ أَهْلِها بِالأُرْدُنْ

وأخذت مريم بنت طلحة سيفاً وقالت : لئن دخل علينا أهل الشام لنقاتلّنهم .

وأُعطي ابن الزبير الأمان في بعض أيّامه ، إما في أيّام يزيد أو في أيّام عبد الملك فقال : والله لا أخلعها حتى يخلعها الموت ، ولو فعلتُ ما بقيت إلّا قليلاً حتى أموت وتمثّل :

الموتُ أَكْرَمُ من إِعْطاء منقصةٍ ... إلّا تَمُتْ عَبْطةً فالغايَةُ الهَرَمُ

قال : وبلغ ابن الزبير أن الحجّاج كان يقول : احذروا أن يفرّ كما فرّ أبوه فقال : هو عدوّ الله الفرّار بن الفرّار يومَ الرَبَذة .

المدائني ، قال : كان عبدالله بن الزبير يشمّر إزاره ، ويحمل الدِرّة يتشبه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال أبو حُرّة :

لَمْ نَرَ مِنْ سيرَةِ الفاروقِ عِنْدكُمُ ... غَيْرَ الإِزارِ وغَيْرَ الدِرَّةِ الخَلَقِ(١)

قال : وكانت عند عبدالله بن الزبير قهطم بنت منظور بن زَبّان ، ويقال تُماضِر ، فولدت له حمزة وماتت ، فتزوّج أختها أمّ هاشم ، فقال الحجّاج عجباً لرجل تزوّج امرأة لم تنجب ثم تزوّج أختها ؛ وخرج حمزة بن

١ ـ بهامش الأصل : يعني الإزار الخلق .

عبدالله بن [الزبير] يريد الحجّاج فقال ابن الزبير لأمّ هاشم: مَن الخارج؟ قالت : حمزة ، قال أيُّ الحمزتَيْن ، يعني حمزة هذا وحمزة بن الزبير ، وأمّه كلبيّة ، وهو أخو مصعب لأمّه الربّاب بنت أُنَيْف ، قالت : ابن الكلبيّة فقال كذبتِ ولو ولدت الكلبية الناس جميعاً ما كانوا إلاّ صُبُراً ، ولكنّه ابن اختك .

قالوا : واصطلح أهل الكوفة على عامر بن مسعود بعد موت يزيد وهرب ابن زياد إلى الشام ، فأقرّه ابن الزبير أشهراً ثم عزله وولّى عبدالله بن يزيد الخَطْمي من الأنصار الصلاةَ ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة الخراج ، وكان يقال لعامر بن مسعود دُحْروجة الجُعَل لِقَصره ، وهو عامر بن مسعود بن أُمية بن خَلَف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب .

فخطب أهل الكوفة فقال إن لكلّ قوم أشربةً ولذّاتٍ فاطلبوها في مظانّها وعليكم بما يحِلُّ ويحلّ منها ، وآكسروا شرابكم بالماء ، وتواروا عني بهذه الجدران ، فقال عبدالله بن همّام السَلولي :

إشْرَبْ شَرابَكَ وآنْعَمْ غَيْرَ مَحْسودِ ... وآكْسِرْهُ بِالماءِ لا تَعْصِ ابْنَ مَسْعودِ
إنَّ الأميرَ له في الخَمْرِ مأْرَبَةٌ ... فآشرَبْ هَنيئاً مريئاً غَيْرَ تَصريدِ(١)

وقال آخر :

مَنْ ذا يُحَرِّمُ ماءَ المُزْنِ خالَطَهُ ... في قَعْرِ خابِئَةٍ ماءُ العَناقيد
إنّي لأكرَهُ تَشْديدَ الرُواةِ لنا ... فيها ويُعْجِبُني قَوْلُ ابْنِ مَسْعودِ

فلما بلغ ابن مسعود قول ابن همّام قال : قطع الله لسان عِدْل الحمار ، فقد أساء القول ، وذهب إلى قول الأخطل :

---

١ ـ الصرد : الخالص من كل شيء . القاموس .

بئسَ الفَوارِسُ عَنْدَ مُخْتَلَفِ القَنا عِذْلاَ الحِمارِ مُحارِبُ وسَلولُ[1]

وحدثني العُمَري عن الهيثم بن عديّ قال : خطب عامر بن مسعود فقال : يا أهل الكوفة لأُنسينَّكم سيرة عمر بن الخطّاب ؛ قال : وقال يوماً : يا أهل الكوفة إنّي قد تزوّجت امرأة من بني نصر بن معاوية فأعينوني بأرزاقكم شهراً فقال قائل : نعم ، فأخذ أرزاقهم كلّها لشهر ؛ قال : وحُصِب ذات يوم على المنبر فغطى وجهه بكمّه وقال : لِمَ ذا حَسْبُكم الآنَ .

وقال ابن همّام السلولي :

مازِلْتُ أَرْجو أَبا حَفْصٍ وسيرَتَهُ حَتَّى نَكَحْتَ بِأَرْزاقِ المَساكينِ
أَنْكَحْتُمُ يا بَني نَصْرٍ فَتاتَكُمُ وَجْهاً يَشينُ وجُوهَ الرَبْرَبِ[2] العِينِ
أنكَحْتُمُ لا فَتَى دُنْيا يُعاشُ به ولا شُجاعاً إذا شُقَّتْ عَصا الدينِ
يا بْنِ الزُبَيْرِ لَقَدْ وَلَيْتَهُ شَبِقاً كَزَّ اليَدَيْنِ بَخيلاً غَيْرَ عِنّينِ
لا يَسْتَطِفُّ لَهُ مالٌ فيَتْرُكَهُ ولا يقولُ لِما يُعطاهُ يَكْفيني

قالوا : وولّى عامر عُمّالاً فأساءوا السيرة ومالوا إلى الخيانة ، فقال ابن همّام في ذلك :

يا بْنَ الزُبَيْرِ أميرَ المُؤْمِنينَ أَلَمْ يَبْلُغْكَ ما فَعَلَ العُمّالُ بِالعَمَلِ
باعو التِجارَ طَعامَ الأَرْضِ واقْتَسَموا صُلْبَ الخَراجِ شِحاحاً قِسْمَةَ النَفَلِ
وقَدَّموا لَك شَيْخاً كاذِباً خَذِلاً مَهْما يَقُلْ لَكَ شَيْخٌ كاذِبٌ يَقُلِ

الشيخ هو مَرْثَد بن شراحيل كان أميناً على التجار في بيع الطعام .

١ ـ ديوان الأخطل ص ٣٠٢ .
٢ ـ الربرب : القطيع من بقر الوحش . القاموس .

وفيكَ طالِبُ حَقٍّ ذو مَزابنة[1] جَلْدُ القُوَى لَيْسَ بِالواني ولا الوَكَلِ
أُشدُدْ يَدَيْكَ بِزَيْدٍ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ وآشْفِ الأَرامِلَ من دُحْروجَةِ الجُعَلِ

زيد خازنه وهو مولى عتّاب بن وَرْقاء .

إنا مُنِينا بضَبٍّ مِن بَني خَلَفٍ يَرَى الخِيانَةَ شَرْبَ الماءِ بالعَسَلِ

يعني عامرا .

خُذِ العُصَيْفير فَآنْتِفْ ريشَ ناهِضِهِ حَتَّى يَنوءَ بِشَرٍّ بَعْدَ مُقْتَبَلِ

يعني عبدالله بن أبي عصيفير الثقفي ، وكان على المدائن ، وهو الذي مات الأحنف في داره بالكوفة .

ومـا أمـانَـةُ عَتّـابٍ بِسـالِمَةٍ لا غَمْزَ فيها ولكِنْ جَمَّةُ السَبَلِ

يعني عَتّاب بن ورقاء كان على أصبهان .

وقَيْسُ كِنْدَةَ قد طالَتْ إمارَتُهُ بِسُرَّةِ الأَرْضِ بَيْنَ السَهْلِ والجَبَلِ

قال هشام ابن الكلبي : هو قيس بن يزيد بن عمرو بن شراحيل بن النعمان بن المنذر بن مالك بن الحارث الكندي ، وبعض من لا عِلْمَ له يقول : هو قيس بن الأشعث .

وخُـذْ حُجَيْراً فـأَتْبِعْهُ مُحـاسَبَـةً ومَنْ عَذَرْتَ فلا تَعْذِرْ بني قَفَلِ

يعني حجير بن حجّار بن الحُرّ ، ويقال : حجير بن جُعيل الجُمَحي ، كان على الزوابي أو الزاذانات[2] ، وبنو قَفَل من تيم الله بن ثعلبة كان منهم قوم على صدقات بكر بن وائل .

---

١ ـ المزابنة : بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر .
٢ ـ زاذان : موضع الرقة . معجم البلدان .

ما رابَني مِنْهُمُ إلاّ آرْتِفاعُهُمُ إلى الخَبيصِ عَنِ الصَحْناةِ والبَصَلِ
وما غُلامٌ على أرْضٍ مُسالِمَةٍ كَمَنْ غَزا دَسْتَبى غَيْرَ مُحْتَمِلِ
يُجْبى إلَيْهِ خَراجُ الأرْضِ مُتَّكِئاً مُسْتَهْزِئاً بِغِناء القَيْنَةِ الفُضُلِ
والوالِبِيُّ الذي مِهْرانُ أمَّرَهُ فَزالَ مِهْرانُ مَذْموماً ولَمْ يَزَلِ

مهران مولى زياد ، كان شفع في هذا الرجل ، فصار في عِداد العُمّال ، والرجل سعيد بن حَرْمَلة بن الكاهل الوالبي ، ويقال : هو أبو هيّاج عمرو بن مالك الوالبي :

ودونَكَ ابْنَ أبي عُشٍّ وصاحِبَهُ قبل السبيع فقَدْ أُجْرَى على مَهَلٍ

ابن أبي عُشّ همذانيٌّ قدم الكوفة ، فقال مَنْ سيّد قومي ؟ فقالوا : الحجّاج بن عمرو الزبيدي فقال : أنا لا أُقيم ببلدة يسود فيها زُبَيْديٌّ ، وكان على الدِينَور ، وصاحبه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني

لا تَجْعَلَن بيت مال الله مَأكَلَةً لِكُلِّ أزْرَقَ مِنْ هَمْدانَ مُكْتَحِلِ
والدارِمِيُّ يُطيفُ البَهْرَمانُ[1] بِهِ في شاربٍ بُدِّلَتْ مِن رِعْيَةِ الإبِلِ

الدارمي لبيد بن عُطارد ، ويقال مسعود بن قيس بن عطارد .

ومُنْقِذُ بْنُ طَرِيفٍ مِنْ بني أَسَدٍ أُنْبِئْتُ عامِلُهُمْ قد راحَ ذا ثَقَلِ

يعني منقذ بن طريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد ، وأخبر أنّ عاملهم ، وهو رجل منهم ، قد حسنت حاله للخيانة ، وقال ابن الكلبي : وكان عاملهم نُعيم بن دَجّاجة وكان على أسفل الفرات .

---

١ ـ بهامش الأصل : والدارمي القهرمان .

وما أُخَيْنِسُ جُعْفِيٍ يُمانِعُـهُ مِنَ المَتاعِ قِيامُ اللَّيْلِ بِالطُّوَلِ

يعني زحر بن قيس ، ويقال محمد بن أبي سَبْرة كان على جوخى

وآخَرانِ مِنَ العُمّالِ عِنْدَهُما بَعْضُ المَنالَةِ إنْ تَرْفُقْ بها تَنَلِ

مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ والذي كَذَبَتْ بَكْرٌ عَلَيْهِ غَداةَ الرَوْعِ والوَهَلِ

محمد بن عمير بن عُطارد ويزيد بن رُوَيم حين أمر به عمرو بن حُريث .

وما فُراتٌ وإنْ قيلَ امرؤٌ وَرِعٌ إنْ نالَ شَيْئاً بِذاكَ الخائفِ الوَجِلِ

فرات بن زَحْر قتله المختار يوم جَبّانة السَبيع .

والحارثيُّ سَيَرْضَى أنْ تُقاسِمَهُ إذا تَجاوَزْتَ عَنْ أَعْمالِهِ الأُوَلِ

الحارثي السَرِيّ بن وقّاص وكان على نِهاوَنْد

وادع الأقارِعَ فَاَقْرَعْهُمْ بِداهِيَةٍ واَحمِلْ خِيانَةَ مَسْعودٍ على جَمَلِ

مسعود من بني أَسَد

كانوا أتونا رِجالاً لا رِكابَ لَهُمْ فَأَصبَحوا اليَوْمَ أَهْلَ الخَيْلِ والإِبِلِ

لن يُعْتِبوكَ ولَمّا يَعْلُ هامَهُمُ ضَرْبُ السِياطِ وشَدٌّ بَعْدُ في الحُجُلِ

جَمْعُ حجل .

إنَّ السِياطَ إذا عَضَّتْ غَوارِبَهُمْ أَبْدَوْا ذَخائِرَ مِن مالٍ ومِنْ حُلَلِ

وحدثني المدائني عن سُحيم بن حفص عن أشياخه قالوا : كان ابن الزبير يُكنى أبا بكر وأبا خُبيب ، وكان شديد القلب واللسان ، وهو أوّل مولود بالمدينة في الإسلام ، وكان بخيلاً فقال فيه الشاعر :

رَأَيْتُ أَبا بَكْرٍ ورَبُّكَ غالِب على أَمْرِهِ يَبْغِي الخِلافَةَ بالتَمْرِ

وقُتل وهو ابن ثلاث وسبعين ، ويقال : اثنتين وسبعين وأشهرٍ .

وقال لعامله على وادي القُرَى : أكلتَ تمري وعصيت أمري ، وجعل يضربه .

وقال لأعراب أتوه : إنّ سلاحكم لَرَثٌ ، وإن حديثكم لغثّ ، وإنّكم لعيال في الجَدْب ، وأعداء في الخِصب .

وأتاه أعرابيّ يستفرضه فقال : افرضوا له ، فقال : أَعْطِني ، قال : قاتِلْ أوّلاً ، فقال الأعرابيّ : دمي نَقدٌ ودراهمك نسيئة .

قالوا : ولما طال الحصار على ابن الزبير حَبسَ الطعامَ وقال إنْ أخرجتُه فَنِيَ ولكنّكم تنظرون اليه فتقوى قلوبكم وتطيب أنفسكم ، ومتى أكلتموه نفد ، ولا يأتيكم ميرةٌ فتُلْقُون بأيديكم .

قالوا : وشكت امرأة من أهل مكة إلى ابن الزبير فقالت : غَررتَ سفهاءَنا وأخذت رِباعنا ، فأَقِلْ سفهاءَنا واردد رباعنا ، فقال : ما تقول هذه الهرة الثَرْماء[1] .

قالوا:وقال صحير بن أبي الجَهْم : دخلت على ابن مُطِيع وهو عاتب على ابن الزبير ، وعليَّ سيفي ، فقال ضَعْ سيفك وأَرِحْ نفسك فما عند ابن الزبير خير لِدين ولا دنيا ، قال : فأتيت الحجّاج فأعطاني الأمان .

المدائني عن عوانة ، قال : نادى أهل الشام يا بن الزبير يا بن الحواريّ فقال لمولىً له : أَجِبْهم فقال : هل تعيبون من حواريّ رسول الله ﷺ شيئاً ؟ قالوا : يا بن ذات النطاقَيْن فقال أتعيبونها بالنطاق التي كانت تحمل به الطعام إلى رسول الله ﷺ وإلى الصِدّيق أَمْ بالنطاق الذي تَنَطَّقُ به المرأة الحرّة

---

١ ـ الثرماء : التي انكسر لها سن من الثنايا أو الرباعيات . القاموس .

في بيتها وقد قال لها رسول الله ﷺ : «لك نطاقان في الجنة» فقالوا : يا بن الزبير يا مشؤوم فسكت ، فقال له ابن الزبير ، أَجِبْهم ، قال : كيف أجيبهم وقد صدقوا .

المدائني عن المثنَّى بن عبدالله عن عوف ، قال : قال ابن عمر : كنت أتمنى ألَّا اموت حتى أعلم إلى ما يصير أمر ابن الزبير ، فيرحم الله أبا بكر طَلَبَ دراهم العراق ، ورحم الله مروان طلب دراهم الشام .

المدائني عن عبدالله بن فائد ، قال : نظر ثابت بن عبدالله بن الزبير إلى أهل الشام فقال : إنّي لأبغضهم فقال سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان : تبغضهم لأنّهم قتلوا أباك ؟ قال : صدقت قتل أبي علوجُ الشام وجُفاتُه ، وقتل جدَّك المهاجرون والأنصار .

المدائني عن عليّ بن حمّاد ، قال : قال مصعب بن الزبير لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن أنسيتَ حقّ الله عليك في هذا الأمر ؟ قال : نعم كتبت إلى عبد الملك آمره بتقوى الله وأن يكفّ نفسه ، فكتب اليّ:أنا أُخْرِجُ نفسي إنْ أَخرجَ ابنُ الزبير نفسه ويجعل الأمر شورى ، وكتبت إلى أخيك فكتب إليّ : إنّك لست من هذا الأمر في شيء .

المدائني ، قال : قال ابن أبي مُلَيْكة : ما رأيت أحداً أحسن مناجاةً لربّه في عَقِبِ الصدر من عبدالله بن الزبير .

المدائني قال : كان مصعب بن الزبير جواداً ، فكتب إلى أخيه عبدالله : من سألك شيئاً فاكتبْ إليّ له فإنْ أعطيتُه كان حمدُه لك ، وإن منعتُه كان ذَمُّهُ عليّ ، فلم يكتب لأحد إليه إلاّ أعطاه ، فأمسك عن الكتاب لأحد إليه .

قال : وقال عليّ بن زيد : كان عبدالله طويل الصلاة ، كثير الصيام ، شديد البأس ، كريم الجدّات والأمهّات والخالات ، وكانت فيه خلال مباينة لما حاول مِن الخلافة : بُخلٌ وضيق وسُوءُ خلق ، ولجاجٌ .

المدائني عن أبي زكريّاء العَجْلاني عن ابن نَجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : إن هذا الأمر بدأ بنبوّة ورحمة ، وخلافة ، وإنّه اليومَ مُلْك عَقيم ، فمن سمع مقالتي فليهرب من بني أميّة وآل الزبير فإنّهم يدعون إلى النار .

المدائني عن سفيان عن عمرو بن دينار : انّ ابن الزبير أقاد من لَطْمة .

المدائني عن أبي هلال الراسبي : إنّ الحسن[1] كتب إلى ابن الزبير : إنّ لأهل الخير عَلاماتٍ يُعْرَفون بها ويعرفونها من أنفسهم ، فمنها الصبر على البلاء ، والرضى بالقضاء ، وإنّما الإمام سُوق فما نفق فيها حُمل إليها فأنظر أيّ سوقٍ سوقُك .

المدائني عن ابن المبارك قال : قال أبو بَرْزة الأَسْلَمي : إنّكم معشرَ العرب كنتم على الحال التي علمتم من القلّة والذلّة والضلالة ، وإن الله رفعكم بالإسلام وبمحمد عليه السلام حتى بلغتم ما ترون ، وإنّ هذه الدنيا قد أفسدت ما بينكم ، أمّا الذي بالشام ـ يعني مروان ـ فإنّما يقاتل عن الدنيا ، وكذلك الذي بمكّة ـ يعني ابن الزبير ـ وما يقاتل الذين تدعونهم قُرّاءَكم إلاّ على الدنيا ، وما نرى خير الناس إلاّ عصابة لابدةً خِماص البطون من أموال الناس ، خِفاف الظهور من دمائهم .

---

١ ـ الحسن البصري .

حدثني هُدبة حدثنا حمّاد بن سَلَمة عن أبي حمزة قال : قلت لابن عبّاس : إنّي بايعت ابن الزبير فأعطاني وحملني على فرس ، أفأُقاتل معه ؟ قال : لا تقاتل معه ، وَرُدَّ عليه ما أعطاك واشترِ بغلاً أو بغلين ، وغلاماً واغزُ المشركين ، فإن قُتلتَ على ذلك كنت شهيداً إن شاء الله تعالى ، قال : فرددت على ابن الزبير ما أخذت منه .

المدائني عن قيس بن الربيع عن ابن أبي ليلى عن عطاء ، قال : أُتي ابن الزبير برجل فأمر بضرب عنقه فقال امرأته طالق ثلاثاً فورَّثها منه .

المدائني ، قال : بعث يزيد بن معاوية الضحاك بن قيس ليأخذ بيعة ابن الزبير فأبى أن يبايع فقال الضحّاك إنّك إن لم تبايع طائعاً بايعتَ كارها ، فقال ابن الزبير : إنّك يا ثعلبة بن ثعلبة تَيسُ بَحِيْرَةٍ تبيع الصَرَبَة[1] بالقبضة ، أردت الحَقْحَقَة فأخطأت آستُك الحفرة .

المدائني ، قال : جاء رجل إلى ابن عمر فقال : هذه خيلنا ، قال : أيّة خيل ؟ قال : خيل ابن الزبير ، قال : ما هي لنا بخيل ، وجاءه آخر فقال : بايعت ابن الزبير على كتاب الله وسنّة نبيّه ، فأبى ذلك ، فقال : صدق ولو أعطاك ذلك لم يَفِ لك به ؛ قال : وجاءه آخر فقال : بما ذا تأمر يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بطاعة الله ، والجماعة وأنهاك عن الفرقة ، قال : ثم بما ذا ؟ قال : إن كانت لك ضيعة فآلحق بضيعتك .

المدائني عن عبد الله بن فائد ، قال : كان ابن الزبير لا يتكلم يوم الجمعة إلاّ بالمواعظ ، إلاّ أنّه كان يشتم ثقيفاً فيقول قصار الخدود . لِئام الجدود . سود الجلود . بقيّة ثمود .

١ ـ الصربى : البحيرة لأنهم كانوا لا يحلبونها إلاّ للضيف . القاموس .

المدائني عن يزيد بن زُرَيع عن حبيب بن الشهيد : أنّ عبد الله بن جعفر لقي ابن الزبير فقال له ابن الزبير : أتذكر يوم لقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وأحد ابني فاطمة ؟ فقال : نعم ، فحملنا وتركك ، فسكت ولو علم ابن الزبير أنه يقول حملنا وتركك ما سأله

المدائني عن ابن فائد ، قال : سمع معاوية رجلاً من كلب يقول :

ومِنْ رَقاشٍ ماجِدٌ سَمَيْدَعُ   يَأْبَى فَيُعْطِي عَنْ يَدٍ ويَمْنَعُ

فقال ذاك مِنّا ، ذاك عبد الله بن الزبير .

المدائني عن مَسلمة وغيره : انّ فضالة بن شريك الأسدي أتى عبد الله بن الزبير فقال له : إنّي جشمت إليك سفراً بعيداً ، أتعبت فيه نفسي وأنفدت نفقتي ، وأنقبت فيه راحلتي ، فقال ارقعها بِسِبْت ، واخصِفْها بِهُلْب ، وأَنْجِد بها العصرين يَبْرِدُ خُفُّها ، فقال : لعن الله ناقةً حملتني إليك ، فقال : إنَّ وراكبها ، وانصرف ولم يَصِلْه فقال :

أقولُ لِغِلْمَتِي أَدْنوا رِكابي   أُفارِقُ بَطْنَ مَكَّةَ في سَوادِ
فما لي حينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ   إلى ابْنِ الكاهِلِيَّةِ مِن مَعادِ
سُيبعِدُ بَيْنَنا حَثُّ المَطايا   وتَعْليقُ الأَداوَى والمَزادِ
أرَى الحاجات عِنْدَ أبي خُبَيْبٍ   نُكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بِالبِلادِ
وكَيْفَ بِأَنْ يَسوسَ الأَمْرَ مِنْهُمْ   أَغَرُّ مُقابَلٌ واري الزِنادِ
مِنَ الأَعْياصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ   أَغَرُّ كَغُرَّةِ الفَرَسِ الجَوادِ

فلما بلغ ابنَ الزبير الشعر فمرّ به قوله إلى ابن الكاهليّة قال : لو علم أنّ لي جدّة أَلأَمَ من عمّته لَسَبّني بها ، وكانت أمّ خويلد بن أسد بن عبد العُزّى ،

جدّة العوام بن خويلد ، زهرة بنت عمرو بن حَنْثَر[١] ، من بني كاهل بن أسد بن خُزَيْمَة .

وقال بعض قُضاعةَ :

عَدِمْتَ قُرَيْشاً أَنْ رَضُوا بِك سَيِّداً وأَنْتَ بَخيلُ الكَفِّ غَيْرُ جَوادِ

فقال عبد الله بن الحجّاج :

أَتَطْلُبُ شَأْوَ ٱبْنِ الزُّبَيْرِ ولَمْ تَكُنْ لِتُدْرِكَهُ ما حَجَّ لِلَّهِ راكِبُ
تَكَلَّفْتَ أَمْراً لَمْ تَكُنْ لِتَنالَهُ طَوالَ اللَيالي أَوْ تُنالَ الكَواكِبُ
فَمَهْلاً بَني مَرْوانٍ لَسْتُمْ بِذادَةٍ إذا ما ٱلْتَقَتْ يَوْمَ اللِقاءِ الكَتائِبُ
إذا ٱلْتَقَتِ الأَبْطالُ كُنْتُمْ ثَعالِباً وَأُسْدَ الشَرَى في السِلْمِ عِنْدَ الكَواعِبِ

المدائني ، قال : قال وهب بن مُنَبِّه : استعمل ابن الزبير على اليمن رجلا دميما ، وكان يلقّب عجوز اليمن ، فكتب إليه ابن الزبير يأمره بالجباية ، فقال : لي أرضيكم مجرودةٌ فانطلقوا إلى أمير المؤمنين ، فادفعوا عن أنفسكم ، فقدمتُ في وفد ، ودخلت عليه وعنده عبد الله بن خالد بن أَسيد ، فقال لي : كيف عجوز اليمن ؟ فقلت : ﴿أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[٢] ولكن ما فعلت عجوز قريش أُمّ حَبْلٍ حَمالة الحَطَب ؟ فضحك ابن الزبير وقال لابن خالد : أَسَأْتَ المسألة وأَحْسَنَ الجواب .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه قال : أُهدى أبو حَمَل ـ أحد بني حصين بن سَعْدانة بن حارثة الكلبي ـ إلى عبد الله بن الزبير

---

١ ـ بهامش الأصل : كان عمرو بن حنثر يلقي الحجر ويقول : لا أفر حتى يفر. من الاكمال لابن ماكولا . انظر الاكمال ج ٢ ص ٢٤ .
٢ ـ سورة النمل ـ الآية : ٤٤ .

فُطْراً فأتاه به وعنده زُفَر بن الحارث الكِلابي ، فقال زفر يحرّض ابن الزبير على صِلَته :

ألا أَبْلِغْ أبا حَمَلٍ رَسولاً فقد أَهْدَيْتَ فُطْرَكَ مِنْ بَعيدِ
فأَنْتَ المَرْءُ يُعْطَى كُلَّ خَيْرٍ ويُحْبَى بالوَلائِدِ والعَبيدِ

فقال ابن الكلبي : قال خالد بن سعيد : فوالله ما أثابه عليه شيئاً ، وقد أتاه به من السماوة ، فلقيه زُفَر بن الحارث بعد ذلك فقال له : يا أبا الكَوْثَرَ ، أو : يا أبا الهذيل ، والله ما أعطاني قيمة الفطر ، فكيف يَحْبوني بالولائد والعبيد .

وقال هشام ابن الكلبي:أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه قال : حَمَل بن سَعْدانة الذي يقول :

لَبِّثْ قَليلاً يَلْحَقِ الهَيجا حَمَلْ

وكان حمل بن سعدانة بن حارثة العُلَيمي وفد إلى النبيّ ﷺ وعقد له لواءً .

وقال أبو دَهْبَلٍ واسمه وهب بن وهب بن زَمْعة الجُمَحي :

أتاركةٌ عُلْيا قُرَيْشٍ سَراتَها وساداتِها عند المَقامِ تُذَبَّحُ
هم عُوَذٌ بِاللَّهِ جيرانُ بَيْتِهِ بِهِ يُعْصِمون أَنْ يُباحوا ويُفْضَحوا

وقال ابن الزبير : لا تزال قريشٌ تعرف العزّ وإنكار الضيم ما رَأَتْني حيّاً .

المدائني قال : بعث الزبير ابنه عبد الله إلى خاله العبّاس بن عبد المطّلب فوافقه يتغدّى فقال : ادْنُ يا بن أختي فأكل أكلاً ضعيفاً ثم أُتي

بقَعْب من لبن فقال اشرب فشرب شرباً ضعيفاً فقال يا بن اختي أَضْوَاك[1] آل أبي بكر .

حدثني أبو مسلم الأحمري عن هشام ابن الكلبي عن أبيه وعَوانة قالا : خطب النَوارَ بنت أَعْيَنَ بن ضُبَيعة بن ناجية بن عِقال رجلٌ من بني مُجاشِع بن دارم بن مالك فقالت للفرزدق بن غالب بن صعصعة بن ناجية : أنت وليّي واشهدت له برضاها بما صنع في تزويجها ، فلما خرج الشهود قال لهم : حفظتم الشهادة ؟ قالوا : نعم ، قال : واشهدوا أنّي قد تزوّجتُها على خمسة آلاف وبلغها الخبر فلم ترض ، وأتت ناجية بن عقال ، فأعانوها على الفرزدق ، وحوّلوها إلى بني عاصم من بني مِنْقَر بن عُبيد واكتروا لها كريّاً من بني عَديّ بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة أحد بني مِلْكان بن عَديّ ، ومعه أُجيرٌ له خراسانيّ يقال له زهير ، وخرجت إلى ابن الزبير مستغيثةً به ، ويقال : إنّهم حوّلوها إلى بني عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع فقال الفرزدق :

ولَوْلا أَنْ يَقولَ بَنو عَدِيٍّ   أَلَيْسَتْ أُمَّ حَنظَلَةَ النَوارُ

أمّ حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، النوار بنت جَلّ بن عَديّ بن عبد مناة ، فيقول لولا أن يقولوا أليست جدتّكم منّا

إذاً لأَتَى بَني مِلْكانَ مِنّي   بَضائِعُ لا يُقَسّمُها التِجارُ[2]

ملكان بن عديّ بن عبد مناة أخو جَلّ بن عديّ ، وقال :

---

١ ـ الضوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقه ، أو الهزال ، وأضوى : دق وأضعف . القاموس .

٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٧٣ مع فوارق .

لَقَدْ أَهْدَتْ وَليدَتُنا إِلَيْكُمْ عَزائِزَ لا يُقَسِّمُها التِجارُ
لَبِئسَ العِبْءُ يَحْمِلُهُ زُهَيْرٌ على أَعْجازِ صِرْمَتِهِ نَوارُ

وقال أيضاً :

ولَوْلا أَنَّ أُمّي مِنْ عَدِيٍّ وأَنّي كارِهٌ سُخْطَ الرباب
لصُلْتُ عَلَى بني مِلْكانَ مِنّي بِجَيْشٍ غَيْرِ مُنْتَظِرِ الإيابِ[1]

وقال يهجو بني قيس بن عاصم :

بَني عاصِمٍ إِنْ تُلجِئوها فإِنَّكُمْ مَلاجِىءُ لِلنِسْوانِ دُسْمُ العَمائِمِ
بَني عاصِمٍ لَوْ كانَ حَيّاً لَدَيْكُمُ لَلامَ بَنيهِ الشَيْخُ قَيْسُ بْنُ عاصِمِ[2]

فقالوا للفرزدق : والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنّك ؛ وخرج الفرزدق إلى ابن الزبير ، فنزلت النوار بنت أَعْيَنَ على أمّ هاشم بنت منظور بن زبّان ، ونزل الفرزدق على بني عبد الله بن الزبير وسألهم أن يشفعوا له ، وشفعت أمّ هاشم للنوار فشفّعها ، فقال الفرزدق :

أَمّا بَنوهُ فَلَمْ يُقْبَلْ شَفاعَتُهُمْ وشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظورِ بْنِ زَبّانا
ليس النَجِيُّ الذي يَأْتيكَ مُؤْتَزِراً مِثْلَ النَجِيِّ الذي يَأْتيكَ عُرْيانا[3]

فقال ابن الزبير للنَوار : إن شئتِ فرقتُ بينكما وقتلتُه فلا يهجونَا ، وإن شئتِ سيّرتُه إلى بلاد العدوّ ؟ فقالت : ما أريد واحدة منهما ، قال : فإنّه ابن عمّك ، وهو راغب فيك فأزوجك إيّاه ؟ فقالت : نعم فزوّجها إيّاه ،

١ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٥ مع فوارق .
٢ - ليسا في ديوانه المطبوع .
٣ - ليسا في ديوانه المطبوع .

فكان الفرزدق يقول : خرجنا متباغضَيْن ورجعنا متحابّين والله يفعل ما يشاء .

وقال قوم : نزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله بن الزبير وقال :

اليَوْمَ قد نَزَلَتْ بِحَمْزَةَ حاجَتي ... إنَّ المُنَوَّهَ بِٱسْمِهِ المَوْثوقُ
بأبي عُمارَةَ خيرِ مَنْ وَطِىءَ الحَصَا ... ونَمَتْ بِهِ في الصالحِينَ عُروقُ
بَيْنَ الحَوارِيِّ الأَغَرِّ وهاشِمٍ ... ثُمَّ الخَليفَةُ بَعْدَهُ الصِدّيقُ[1]

وقال أيضاً :

يا حَمْزُ هَلْ لَكَ في ذي حاجَةٍ عَرَضَتْ ... أَنْضاؤُهُ بِمَكانٍ غَيْرِ مَعْمورِ
وأَنْتَ أَحْرَى قُرَيْشٍ أَنْ تَقوم بِها ... وأَنْتَ بَيْنَ أَبي بَكْرٍ ومَنْظورِ[2]

وكانت أمّة فهطم بنت منظور ، وقال بعضهم : تُماضِر بنت منظور .

حدثني بعض النَوْفَليّين من ولد عبد الله بن الحارث بَبَّة قال : وقع بين ببّة وبين عبد الله بن الزبير كلام فعيّره بلقبه ، وقال : ألست ببّة وما ببّة ، فقال له عبد الله بن الحارث : ألست الضِبابيّ وكان ابن الزبير في صغره جلس على حُجْرِ ضبٍّ فَفَسا حتى خرج الضبّ ، فكان يعيَّر بذلك ويقال له الضبابيّ ، فترضّى ابن الزبير ببة عندها وصالحه .

حدثني أبو محمَد التَوزيّ النحوي عن أبي زيد الأنصاري عن أبي عمرو بن العلاء قال : خطب ابن الزبير يوماً ، فتكلّم رجل من ناحية المسجد ، فقال ابن الزبير : من المتكلّم ؟ فسكت ، فقال ابن الزبير : ما له قاتله الله ضبح ضُباح الثعلب ، وقبع قباع القُنْفُذ .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٤ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٥٢ مع فوارق .

قالوا : وكان ابن الزبير يقول عالجتُ لحيتي لتكثر فلما بلغتُ سنين يئست منها وكان معصوباً خفيف اللحم ، فكان الزبير يقول : عبد الله يشبه أبا بكر ، فهو ابنه ومَنَعَني ابني . وقال الحارث بن ضبّ العَتَكي في ابن الزبير ، ويقال إنّها قيلت في مصعب ، وذلك الثبت :

فـردَّ الخِلافَـةَ يا بنَ الـزُبَيْرِ إلى أَهْلِهـا قَبْـلَ أَنْ تُخْلَع
أَخَاف عَلَيْكَ زِيـادَ العِراقِ وأَخْشَى عَلَيْـكَ بني مِسْمَع
ولا تَأْمَنِ المَكْرَ مِنْ حـارِثٍ فَثَمَّ امرؤٌ سَمُّـهُ يَنْـقَـع
ذَكَرْتُ لك المَعْشَرَ الأَكْرَمينَ ذَوي المَجْدِ والحَسَبِ الأَرْفَع

الحارث بن قيس الجَهْضَمي ، وزياد بن عمرو العَتَكي ، ومالك بن مِسْمَع وإخوته .

المدائني عن عبد الله بن فائد : أنّ عبد الله بن الزبير أتى الطائف واستخلف ابنه عبّاد بن عبد الله ، فأُتي عبّاد بخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد وقد شرب وشهد عليه بأنّه يعانق النساءَ في الطواف ، فأمر بضربه الحدّ ، فجُلد فأتى بنو مخزوم أباه فكلموه فقال : ما أصنع به ؛ وكان يتحدّث عند امرأة من قريش ، فقيل لابن الزبير فحبسه وقيّده فقال :

تَـذْكـارُ لَـيْـلي لَـيْسَ يَـقْـصِـرُ مَـدَّهُ طـولُ الـنَهـارِ
فـلَئِـنْ خُـطـايَ تَقـارَبَـتْ رَسْـفَ المُقَيَّـدِ فـي الحِصارِ
لَـبِـما أُمَـشّـي بِـالأَبـا طِـحِ يَقْتَفـي أثـري إزاري

في أبيات ؛ ثم أخرجه وسيّره إلى الشأم ، فتزوّج ابنة النِعمان بن بشير فنازعها يوماً فقال :

لَظِباءٌ بَيْنَ الحَطيمِ إلى الحَشْمَةِ في مُظْلِماتِ لَيْلٍ وشَرق
قاطِناتُ الحَجونِ أشْهى إلى القَلْبِ مِنَ الساكِناتِ دورَ دِمَشْقِ

فقالت :

كُهولُ دِمَشْقَ وشُبّانُها أَحَبُّ إلَيْنا مِنَ الجَالِيَهْ
إذا ما أتى وافِدٌ مِنْهُمُ كَنَسْنَا له دارَهُ الخالِيَهْ
لَقَمْلُ يَدِبُّ دَبيبَ الدَبى أكاريسُ أعْيَتْ عَلَى الغالِيَهْ
وريحُهُمُ مِثْلُ ريحِ التَيو سِ عَفَّتْ عَلَى آلبانِ والغالِيَهْ

فبلغ عبد الملك الشعر فقال : يا خالد جعلَتْك من الجالية ؟ قال : وأنت يا أمير المؤمنين أيضاً من الجالية ، فأقام بالشأم فانكسرت فخذه ، فقيل لعبد الملك : فقال : لا جبرها الله ، ومات من وجعه فقيل لعبد الملك فقال : لا رحمه الله .

وقال ابن الكلبي : كان خالد بن المهاجر مع ابن الحنفيّة بالشِعْب ، فَعَلَّقَ عليه ابن الزبير زكرة[1] خمر ، ثم ضربه الحدّ .

ورَثَتْه هند ابنة النعمان فقالت :

ألا يا بْنَ المُهاجِرِ قَدْ دَهاني طارِقٌ طَرَقا
دَعاكَ فما أبَيْتَ ولا سَدَدْنا دونَكَ الغَلَقا
ألا عَيْنَيَّ جودا بِالدُموعِ عَلَيْهِ واسْتَبِقا
أعِيناني بِفَيْضِكُما ومُجّا الدَمْعَ والعَلَقا

١ ـ الزكرة : زق للخمر والخل . القاموس .

وقال عُقْبة الأسدي حين ضُرب خالد بن المهاجر :

ما زِلْتَ مُذْ حِجَجٍ بمَكَّةَ مُلْحِداً　　في حَيْثُ يَأْمَنُ قاطِنٌ وحَمامُ
أبنو المُغيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ　　يالَ الرجالِ لِخِفَّةِ الأَحْلامِ
فلْيَنْهَضَنَّ لِخالِدٍ مِنْ قَوْمِهِ　　مِثْلُ الأَغَرِّ الحارِثِ بْنِ هِشامِ
المُشْتَرِينَ الحَمْدَ مِنْ أَمْوالِهِمْ　　في كُلِّ صامِتَةٍ وكُلِّ سَوامِ
وَلْتُنْهِرَنَّ العِيسُ تَنْفَحُ في البُرَى　　تَجْتابُ عَرْضَ مَكارِمِ الأَعْلامِ
بالدارِعِينَ عَلَيْهِمُ أَبْدانُهُمْ　　لِتُجابَ دَعْوَةُ واصِلٍ صَرّامِ

المدائني ، قال : قال عبد الله بن الزبير : لقد أُعظم الناسُ ولادةَ صفيّة بنت عبد المطّلب لنا حتى لقد هممت أن اطلّق بنت الحسين ، فبلغ ذلك عبد الملك فقال : الكلب أَضَنُّ بالشحمة .

قالوا : وذكر مروان طلحة فأثنى عليه وذكر الزبير فلم يقل فيه شيئاً وكان عبد الله بن الزبير حاضراً فقال إنّ ابا محمد أهلٌ لما ذكرته لكنّي أعرف من لم يُذْكَر بخير قطّ ، قال :ومن هو ؟قال:أبوك ، فوثب اليه مروان فاضطربا حتى حجز موسى بن طلحة بينهما فقال له : دعني أُصُكّ عين ابن لعين رسول الله ﷺ .

أمر التوابين وخبرهم بعين الوردة

وهي رأس العين من الجزيرة .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه ، وأبي مخنف قالوا : لما فرغ مروان من مرج راهط قَصَدَ قَصْدَ مصر ومرّ بفلسطين وقد هرب منها ناتل ، فولّاها مروان رَوْح بن زِنْباع ، ثم سار نحو مصر فغلب عليها ، ثم قدم الشأم فإذا زُفر بن الحارث الكِلابي قد غلب على قَرْقيسيا وتحصّن بها ، وبلغه خبر مُصْعَب بن الزبير ، وأنّه يريد الشام فوجّه مروان : عبيدالله بن زياد إلى الجزيرة والعراق ، فسار في ستين ألفاً فيهم الحُصين بن نُمير ، وابن ذي الكَلاع الحِمْيَري ، وعُمير بن الحُباب السُلَمي ، وكان عمير قد بايع مروان وصار في حَيِّزه ، فسار ابن زياد حتى أوقع بالتّوابين بعين الوَرْدة ، ثم أتى قرقيسيا فرام زُفرَ فلم يقدر عليه ، فسار يريد العراق فقُتل على الخازِر وهو نهر بأرض الموصل ، وكانت وفاة مروان من قَبْل نفوذ ابن زياد إلى الجزيرة ، فكتب إليه عبدالملك بوفاته ، وأُخذ البيعة له ، ولعبد العزيز بن مروان من بعده ، وأن يتولّى من أمر الجيش ما كان وليَه .

حدثني عبّاس عن أبيه عن أبي مخنف وغيره قالوا : لما قُتل الحسين بن علي عليهما السلام ودخل عبيدالله بن زياد من معسكره بالنُخَيلة إلى الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندّم ، ففزِعوا إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة وهم : سليمان بن صُرَد الخُزاعي ، وكانت له صحبة ، والمسيَّب بن نَجَبة الفَزاري ، وكان من خيار أصحاب عليّ ، وعبدالله بن سعد بن نُفيل الأزدي ، وعبدالله بن والٍ التَيْمي ، ورفاعة بن شدّاد البَجَلي ثم القتباني، فاجتمع هؤلاء الخمسة النفر في منزل سليمان بن صُرَد ، ومعهم ناس من وجوه الشيعة ، فابتدأ المسيب بن نَجَبة الكلام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد فإنّا قد ابتُلينا بطول العمر فنرغب إلى ربّنا في أن لا يجعلنا ممّن يقول له غداً : ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتذكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [1] وقد بلا الله أخبارنا فوجدنا كاذبين في أمر ابن ابنة نبيّنا ، وقد بلغتنا كُتُبُه ، وقد أَتَتْنا رُسُلُه ، وسألَنا نصره عَوْداً وبَدءاً ، وعلانية وسرّا ، فبخلنا عليه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا ، فلا نحن نصرناه بأيدينا ولا خذّلنا عنه ألسنتنا ، ولا قوّيناه بأموالنا ، ولاطلبنا له النُصرة من عشائرنا ، فما عُذْرُنا عند ربّنا لا عُذرَ والله أو نَقْتُلَ قاتليه والموالين عليه ، وإنّه لا بدّ لكم من أمير تفزعون إليه ، وترجعون إلى أمره ، ورايةٍ تحفون بها معه .

ثم تكلّم رفاعة بن شدّاد البَجَلي ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : دعوتَ إلى جهاد الفاسقين ، والتوبةِ من الذنب العظيم ، فمسموعٌ ذلك عنك، ومقبول منك ، وقلتَ:ولّوا أمركم رجلا تفزعون اليه وتطيفون برايته

١ ـ سورة فاطر ـ الآية : ٣٧ .

وتطيعون له ، فإن تكن ذلك الرجلَ تكن عندنا مرضياً متنصحاً ، وإن رأيتَ ورأى أصحابُنا ولَّينا هذا الأمر شيخ الشيعة ، وصاحب رسول الله ﷺ ، وذا السابقة والقَدَمِ سليمان بن صُرَد ، المحمود في دينه وبأسه ، الموثوق برأيه وتدبيره .

ثم تكلّم عبدالله بن والٍ وعبدالله بن سعد بن نفيل بنحو من كلام رفاعة بن شدّاد ، وذكرا المسيَّب بن نَجَبة وفضله ، وذكرا سليمان بن صُرَد لسابقته ورضاهما به ، فقال المسيَّبِ : أُصبتم ووفقتم ، وأنا أرى مثل الذي رأيتم ، فولُّوا سليمان أمركم .

فولُّوه عليهم ، وقلّدوه رئاستهم ، فخطب سليمان بن صُرَد فقال : إنّي أخاف ألّا نكون أخرّنا إلى هذا الدهر الذي نكِدت فيه المعيشة ، وعظمت فيه الرزيّة لِما هو خير لنا ، نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبيّنا ، ونَعِدهم نصرنا ، ونحثّهم على المصير إلينا فلما قدموا علينا وَنيْنا وعجزنا وداهنّا وتربّصنا ، حتى قُتل ولد نبيّنا وسلالته وبضعة من لحمه ، فاتّخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودَريّة للرماح ، فلا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله عنكم بأن تناجزوا مَنْ قتله وتُبيروه ، ألا ولا تهابوا الموت ، فوالله ما هابه أحد قطّ إلاّ ذل ، وكونوا كتَوّابي بني اسرائيل إذ قال لهم نبيّهم ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ ٱلعِجْلَ فَتُوبوا إِلى بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوا أَنْفُسَكمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئكُمْ﴾ (١) ، فما فعل القوم جثوا والله للرُكب ، ومدّوا الأعناق ، ورضوا بالقضاء حين

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٥٤ .

علموا أنّه لا ينجيهم مِن عظم الذنب إلاّ الصبر على القتل ، فكيف بكم لو قد دُعيتم إلى مِثل ما دُعي القوم إليه ، اشحَذوا السيوف ، وركّبوا الأسنّة وأعدّوا لعدوّكم ما استطعتم من قوة .

وقال عبدالله بن سعد بن نفيل ، أو أخوه خالد : أشهد الله ومن حضر من المسلمين أنّي قد جعلت مالي الذي أصبحت أملكه ، سوى سلاحي الذي أُقاتل به عدوّي ، صدقة على المسلمين أقويّهم به على قتال القاسطين ، وقام أبو المُعْتَمِر حَنَش بن ربيعة الكِناني فقال : وأنا أُشهدكم على مثل ذلك ، وتصدّق حجر بن عُوضة الكندي بماله عليهم أيضاً ، وتصدّق الأسود بن ربيعة بن مالك بن ذي العَيْنين الكندي بماله عليهم أيضاً .

وكتب سليمان بن صُرَد إلى سعد بن حُذَيْفة يدعوه ومن قِبَله إلى التوبة ، والطلب بدم الحسين ، فأجابوه إلى ذلك ، وهم شيعة بالمدائن ، وكانوا انتقلوا إليها من الكوفة ، وقال لهم سعد بن حذيفة : إنّكم كنتم على نصرة الحسين لولا أنّ خَبَرَ قتلِه ومعاجلةِ القوم إيّاه أتاكم ، فانهضوا لقتال قَتَلَتِه .

وكتب سليمان بن صُرَد إلى المثنّى بن مُخَرّبة العبدي ، ومن قِبَله من شيعة البصرة ، بمثل ذلك ، فأجابوه إلى النهوض معه .

وكان ابتداء أمر التوّابين في آخر سنة إحدى وستّين ، فكانوا يتداعون ويستعدون ويرتأون، وكان مهلك يزيد بن معاوية في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين وكان أَجَل الشيعة الذي ضربوه لمن كتبوا إليه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين ، على أن يتوافوا ويجتمعوا بالنُخَيْلة .

وكان عبيد الله حين أتاه موت يزيد بالبصرة وثب به أهلها حتى استخفى ، ثم لحق بالشام ، فلم يزل مع مروان بن الحكم إلى أن عقد له مروان على ما غلب عليه وفتحه من أرض الجزيرة والعراق ، ووثب أهل الكوفة بعامله عمرو بن حُريث أيضاً فأخرجوه واصطلحوا على عامر بن مسعود الجُمَحي دُحْروجة الجُعَل ، فكان يصلّي بهم ويدعو لابن الزبير حتى عزله ابن الزبير ، وولّى عبدالله بن يزيد الخَطْمي ، فقدمها ابن يزيد لثماني بقين من شهر رمضان سنة أربع وستّين ، ويقال : بعد ذلك بأشهر .

وقدم المختار بن أبي عُبيد الكوفة بعد عبدالله بن يزيد بثمانية أيّام ، فكان المختار إذا دعا الشيعة إلى نفسه ، وإلى الطلب بدم الحسين قالوا : هذا سليمان بن صُرَد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولّته أمرها ، فيقول : إنّ سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال ، وقد جئتُكم من قِبَل المهديّ محمد - يعني ابن الحنفية - مؤتمَناً منتجَباً ووزيراً مناصحاً ، فلم يزل حتى انشعبت إليه طائفة منهم ، وعظمهم مع ابن صُرَد ، فكان سليمان أثقل الناس على المختار .

وأتى يزيدُ بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْم الشيباني عبدَ الله بن يزيد الخَطْمي فأخبره بخبر سليمان بن صُرَد والمختار بن أبي عُبيد وما يدعُوَان إليه من الطلب بدم الحسين بن عليّ، وأنّه لا يأمن أن توليّه الشيعةُ، فخطب الناسَ فقال: إنّ قوماً اجتمعوا للطلب بدم الحسين ، فرحم الله الحسين ، ورحم هؤلاء القوم ، والله لقد دُلِلتُ على أماكنهم وعليهم ، فأبَيْت أن أُهيجهم ، والله ما قتلت الحسين ، ولا مالأت على قتله وما أحببته ، فلعن الله قَتَلته ، فليَظْهَرْ هؤلاء القوم آمنين ، ثم ليسيروا إلى قاتل الحسين وقاتل خياركم وأماثلكم ،

فقد أَقْبَل إليكم فإنّ عَهْدَ العاهد به على مسيرة ليلة من مَنْبج فقتالُه والاستعداد له أحزم وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، وكان عامل ابن الزبير على الخراج دون عبدالله بن يزيد : إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله ، فقام حين فرغ ابن يزيد من كلامه فقال : لا يغرّنّكم مقالة هذا المداهن ، فوالله لئن خرج علينا خارج لنقتلنّه ، أو كما قال ، فقطع عليه المسيَّب بن نجبة كلامه فقال : أأنت تتهدّدنا بالقتل إنّك لأذلّ من ذلك ، وأمّا أنت أيّها الأمير فجزاك الله خيراً ، فقد قلت قولاً سديداً ، وكلّم القومُ إبراهيم بكلام شديد غليظ ، وقالوا لابن يزيد خيراً ، ثم إنّ أصحاب سليمان بن صُرَد انتشروا يشترون السلاح ، ويتجهّزون ظاهرين لا يخافون أحداً[١] .

فلما أُهلّ هلال شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين ، خرج سليمان إلى النُخَيلة في أصحابه فعسكر بها ، وبعث حكيمَ بن مُنْقِذ والوليد بن غُضَيْن بن مسلم الكناني ثم الغِفاري في خيل فناديا بالكوفة : يا لَثأرات الحسين فتلاحق به بعد النداء قوم ، وكان مبلغ من أُثبت في ديوانه ستّة عشر ألفاً ، ويقال : اثنا عشر ألفاً ، فعرض أصحابه ومن اجتمع إليه من أهل الكوفة فوجدهم أربعة آلاف ، فقال : يا سبحان الله أما وافاني من ستة عشر ألفاً إلاّ أربعةُ آلاف ؟ ويقال إنه قال أما وافاني من اثني عشر ألفاً إلاّ أربعة آلاف ؟! فقيل له إنّ المختار ثبط الناس عنك ، وقد صار معه ألفان فقال : سبحان الله أما تُذَكِّر هؤلاء الله وما أُعطَونا من الميثاق .

---

١ ـ بهامش الأصل : قيام سليمان بن صرد في أخذ ثأر الحسين بن علي عليه السلام .

وكان مقامه بالنُخَيلة ثلاثا ، ثم بعث إلىِ من تخلّف عنه يُذكرهم الله وما أعطوه من العهود ، فخرج إليه منهم ألف أو نحو ألف ، فقام إليه المسيّب بن نَجَبة ، فقال : يرحمك الله إنّه لا ينفعك المُكْرَهُ ، ولا يقاتل معك إلاّ من أخرجته النيّة والحِسْبة ، ومن فرّ إلى ربّه من ذنبه ، فقال سليمان : أيّها الناس إنّا والله ما نطلب من الغنيمة إلاّ رضوان الله ، وما معنا من ذهب ولا فضّة ولا خز ولا حرير ، وما هي إلاّ سيوفنا على عواتقنا ، ورماحنا بأيدينا وزادُ قَدْر البُلْغَة إلى لقاء عدونا ، فمن لم يرض بهذا فلا يصحبنا ، فنادى الناس من كلّ جانب: إنّا لا نطلب الدنيا ، وليس لها خرجنا .

وأجمع سليمان المسير فأشار عليه عبدالله بن سعد بن نُفيل بأن يطلب بدم الحسين عمرَ بن سعد بن أبي وقّاص ، ومن بالمِصْر فإنّهم الذين شركوا في دمه وتولّوا أمره ، فقال سليمان : إنّ هذا لكما قلت ، ولكنّ ابن زياد هو الذي سرّب إليه عمرَ بن سعد والجنود ، وعبّأهم عليه ، وقال : لا أمان له عندي ، فسيروا إليه فإنّكم إن رزقتم الظفر به فأَمْرُ من دونه أهل مصركم أيسر من أمره .

وعرض عليه عبدالله بن يزيد الخَطْمي أن ينظر إلى قدوم ابن زياد ليكون أمرهم وأمره في محاربته واحداً ، فكره ذلك ، فعرض عليه أن يوجّه معه جيشاً ، وقال : إنّكم أعلام أهل مصركم فإن أُصِبتم اختلّ مصركم فحاجَزه ، وأجمع على الشخوص واستقبال ابن زياد .

ووعظ سليمان الناس ، ثم سار من النُخَيلة ، فلما صار إلى دير الأَعْوَر عرض أصحابه فإذا قد تخلّف منهم نحوٌ من ألف ، فقال لأصحابه : ما أُحبّ من تخلّف عنكم معكم ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خَبالاً ، ولما

انتهى سليمان وأصحابه إلى قبر الحسين صرخوا صرخة واحدة ، وبكوا وقال سليمان : اللهُمَّ ارحم الشهيد ابن الشهيد ونادوا : يا لثأرات الحسين ، وأظهروا التوبة من خذلانه ، ثم إنّ سليمان سار فأخذ على الحَصَّاصة ، ثم على الأنبار ، ثم صَنْدَوْداء قرية الأنصار ثم على القيارة وبعث سليمان على مقدّمته كُريب بن مَرْثَد الحِمْيري .

فلما انتهى إلى قَرْقيسيا أخرج إليهم زُفَر بن الحارث الكلابي أنزالاً وسوقاً وأهدى إلى وجوههم الجزر ، ونحر لسائر أهل العسكر ، وأمر ابنه الهذيل بن زفر فأقام لهم كل ما احتاجوا إليه ، وزوّدهم ، وقال لهم : إنّ عبيدالله بن زياد قد أقبل ومعه حصين بن نُمير السَكوني ، وشرحبيل بن ذي الكَلاع الحِمْيري ، وأَدْهَم بن مُحْرِز الباهلي وربيعة بن المخارق الغَنَوي ، وحَمَلَة بن عبدالله الخَثْعَمي ، وهم في الشوك والشجر ، وقد وردوا الرَقّة فسيروا إلى عين الوَرْدة فاجعلوها في ظهوركم فيكون الماء والمادّة في أيديكم ، وما بيني وبينكم فأنتم له آمنون ، وعرض عليهم أن يقيموا عنده فيقاتل معهم ، وقال : إنّه يريدني فلا تبرحوا حتى يكون أمرنا واحداً ، فلم يفعلوا ، فقال : أما والله لو أنّ خيلي كرجالي لأمددتكم .

فأغذّوا)السير وانتهوا إلى قول زُفَر بن الحارث ورأيه وساروا إلى الشمسانية وإلى السُكَيْر ، ثم إلى التُنَيْنيرَيْن وساعا ، ثم إنّ سليمان عبّأ الكتائب ووجّه إلى أوّل عسكر أهل الشام ، وقد فصلوا من الرَقّة ، وعسكر ابن ذي الكَلاع أربعمائة عليهم المسيَّب بن نَجَبة ، فقاتلوهم قتالاً شديداً فنالوا منهم وهزموهم وغنموا غنيمة حسنة ، فبلغ الخبر ابن زياد فسرّح إليهم الحُصين بن نُمير في اثني عشر ألفاً ، فخرج إليهم سليمان في التعبئة ، فلما

تواقفوا دعاهم الحصين إلى طاعة عبدالملك ، وكان مروان قد هلك ، ودعاهم سليمان إلى أن يسلموا إليهم عبيدالله بن زياد ويخلعوا عبد الملك ، ويُخرَج عمّال عبدالله بن الزبير ، ويُسلَم الأمرُ إلى أهل بيت رسول الله ﷺ ، فاقتتلوا أشدّ قتال سُمع به ، فهُزم أهل الشام يومَهم ، وحجز الليل بينهم ، ثم قاتلوهم من الغد وقد أمدّ ابن زياد الحُصين بابن ذي الكَلاع في ثمانية آلاف فاقتتلوا قتالاً لم يُرَ مثله ، ثم تحاجزوا وقد فشت في الفريقين الجراح ، ووافاهم أدهم بن مُحْرِز الباهلي في عشرة آلاف فالتقوا فقُتل سليمان بن صُرَد الخُزاعي ، رماه يزيد بن الحصين بسهم ، ثم أخذ الراية بعده المسيّب بن نَجَبة الفزاري فقتل ، ثم أخذها عبدالله بن سعد بن نُفيل وهو يقول : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهم مَنْ يَنْتَظِرَ[1]﴾ رحمكما الله فقد صدقتما ووفيتما وقاتل فحمل وحمل عليه ربيعة بن المخارق ابن جَأوان الغَنَوي فاختلف هو وعبدالله بن سعد بن نفيل ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيئاً ، وطعن ابن أخي ربيعة بن المخارق عبدالله بن سعد بن نفيل في ثغره نحره فقتله ، وأخذ الراية عبدالله بن والٍ التيمي فقُتل ، ويقال : بل دعي ابن وال حين قُتل عبدالله بن سعد لتُدفع الراية إليه فوجدوه قد استُلحم فحمل رفاعة بن شدّاد ، فكشف الناس عنه ثم إنّه أقبل إلى الراية وقد أمسكها عبدالله بن حازم الكبيري من بني كبير من الأزد ، فقال لابن والٍ : خذ رايتك فأخذها وقاتل ابن وال حتى قُتل ، وقُتل ابن حازم إلى جنب ابن وال .

وجاء الليل فنظر رفاعة إلى كلّ جريح ، فدفعه إلى قومه ، وسار بالناس حتى أصبح بالتُنَيْنيرَيْن فعبر الخابور ، ثم مضى لا يمرّ بمعبر إلاّ قطعه ،

١ ـ سورة الأحزاب الآية : ٢٣ .

ودلف أهل الشام لمحاربتهم حين أصبحوا فوجدوهم قد مضوا فلم يتبعوهم ، وسار رفاعة بالناس فأسرع وخلف وراءهم أبا الجُوَيْرية العَبْدي في سبعين فارساً لِحَمْلِ مَن سقط من الرجال ، وقَبْضِ ما وُجد من المتاع وحفْظِه على أهله وتعريفه ، فلما مرّوا بزُفَر بن الحارث بقَرْقيسيا بعث إليهم من الطعام والعلف بمثل الذي كان بعث به في بدأتهم ، وأرسل إليهم الأطبّاء والأدوية ، وقال : أقيموا عندنا إن أحببتم فإن لكم الكرامة والمواساة ، فأقاموا ثلاثاً ، ثم زوّدهم وساروا فأقبل ابن زياد يريد زفر بن الحارث .

وجاء سعد بن حُذيفة بن اليمان من المدائن حتى انتهى إلى هِيت ، فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس فانصرف ، ولقي سعد المثنّى بن مخرِّبة بصَنْدَوْداء فأخبره الخبر ، فأقاما فيمن معهما حتى قيل لهما إنّ رفاعة قد أظلّكما فاستقبلوه فبكى بعضهم إلى بعض ، وانصرف سعد بن حذيفة بمن معه إلى المدائن ، وانصرف أهل الكوفة إلى الكوفة ، وانصرف ابن مخرِبّة إلى البصرة .

وقوم يزعمون : إنّ سعد بن حذيفة كان وّجه إلى أهل عين الوَرْدة ابن الحصل يبشّرهم بإقبالهم إليهم ليقووا مُنّتهم وتطيب أنفسهم ، وأنّ ابن مخرِبّة وافاهم بقبر الحسين عليه السلام في بدأتهم وشهد حربهم والله أعلم .

وقال هشام ابن الكلبي عن أبيه : قُتل بعين الوَرْدة حُجْر بن عِوَضة بن حُجْر بن مالك بن ذي العَيْنين ، واسم ذي العَيْنين معاوية بن مالك بن الحارث بن بدّاء الكندي ، وبعض الرواة يقول عَوْضة وذلك خطأ .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : بعث حصين بن نُمير إلى سليمان بن صُرَد حين التقوا إنّي أعرف لك حقّك وسنّك وقرابتك ، وأنا اكره قتالك ، فبعث إليه

والله ما خرجت وأنا أحبُّ الحياة ، فوجّه إليه سليمانَ بن عبد الرحمن الكَلاعي في خمسة آلاف فقُتل ابن صرد ، ثم أخذ الراية ابن نَجَبة فقُتل ، ثم ابن سعد بن نُفيل فقُتل .

قالوا : وأتى أدهم بن مُحْرِز عبد الملك ببشارة الفتح ، فصعد عبد الملك المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد فإنّ الله قد أهلك من أهل العراق مُلْقح الفتنة ، ورأس الضلالة سليمان بن صُرَد ، ألا وإنّ السيوف تركت رأس ابن نَجَبة خذاريف.ألا وقد قتل الله منهم رجلَيْن ضالينّ مُضِلّين : عبدالله بن سعد أخا الأزد ، وابن والٍ أخا بكر بن وائل ، فلم يبق بعد هؤلاء أحدٌ عنده دفاع ولا امتناع ثم نزل .

ولما قدم رفاعة بن شدّاد وأصحابة الكوفة ، كانوا يقولون إذا ذُكر لهم أصحابهم : صبروا والله ، وفررنا ، وخفنا أن نُلْقِيَ بأيدينا إلى التهلكة ، وأن نُؤكل أهل الشام لحومنا ، وقلنا لعلّ الأيّام تُبقي لهم منّا شرّا .

وكان عمر بن سعد بن أبي وقّاص ، وشَبَث بن رِبْعِيّ الرِياحي ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم يقولون لعبدالله بن يزيد الخَطْمي ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله عاملَي ابن الزبير على الكوفة ، بعد خروج ابن صُرَد : إنّ المختار بن أبي عُبيد أشدّ عليكم من ابن صُرد ، وهو يقول إذا ذكر ابن صرد : إنّه عَشَمة من العَشَم وحِفْش من الأحفاش بالٍ ، ليس بذي تجربة للأمور ، ولا علمٍ بالحروب وأنا رجل أعملُ على مِثالٍ مُثّلَ لي ، وأمرٍ تُقُدّمَ فيه إليّ ، ويُدِلّ بنفسه غير إدْلال ابن صُرَد ، وليس البلد والمختار فيه لكم ببلد ، فأودعوه الحبس حتى يجتمع الناس على رجل ، فأخذاه فحبساه مقيّدا .

وقدم رفاعة وأصحابه الكوفة من عين الوَرْدة ، وهو محبوس ، فكتب إليهم : أمّا بعد فمرحباً بالعُصْبة الذين حكم الله لهم بالأجر حين رحلوا ، ورضي انصرافهم حين أقبلوا ، إنّ سليمان بن صُرَد رحمه الله تعالى قضى ما عليه وتوفّاه الله إليه ، فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذي تنتظرون ، ولكنّي الآمر والمأمور وقاتل الجبّارين فأعدّوا واستعدّوا فإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه والطَلَب بدماء أهل البيت ، والدفع عن الضَعَفة وجهاد المحلّين فأجابوه إلى ما دعاهم إليه ؛ وقالوا : إن شئت أخرجناك من محبسك ، فقال : أنا أخرج في أيّامي هذه ، وكانت صفية بنت أبي عُبيد أُخته امرأة عبدالله بن عمر بن الخطّاب، فكتب إلى عبدالله بن عمر يُعلمه أنّ ابن يزيد وابن محمد بن طلحة حبساه لغير جناية ، فكتب إليهما يسألهما إخراجه ، فأخرجاه ، فكان من أمره ما كان[1] .

١ - بهامش الأصل : بلغ العرض الثالث ولله كل حمد وفضل .

أمر المختار بن أبي عبيد الثقفي وقصصه

قالوا: وُلد المختار بن أبي عُبَيد بن مسعود بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقْدة بن غِيَرة بن عوف بن قَسي - وهو ثقيف - بن مُنَبّه بن بكر بن هَوازن في السنة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، وتزوّج أبوه دَوْمة بنت عمرو بن وهب بن معتّب؛ وكان قبل تزوّجه إيّاها يختار نساء قومه فرأى في منامه قائلاً يقول له : تَزَوَّجْ دَوْمَهْ . فإنّها عظيمة الحَوْمَهْ . لا يُسمع فيها مِن لائم لومَهْ ، فتزوّجها فلما اشتملت على المختار رأت في منامها قائلاً، يقول لها : أبْشِري بوَلَدْ . أشدّ من الأسد . إذا الرجال في كَبَدْ . يتغالبون على بَلَدْ . له فيه الحظّ الأَسَدّ ، فلما وُلد قيل لها إنّ ابنك قبل أن يتسَعْسَع[1] . وبعد أن يترَعْرَعْ . كثير التَبَعْ . قليل الهَلَعْ . خنشليلٌ[2] غير وَرَعْ . يُدان بما صنَعْ .

١ - السعسعة : اضطراب الجسم كبراً والهرم والفناء . القاموس .
٢ - الخنشليل : السريع ، الماضي ، والضخم الشديد . القاموس .

وكان مع أبيه أبي عُبيد بن مسعود حين وجّهه عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه إلى العراق في الثقل ، وكان له يوم قُتل أبوه ثلاث عشرة سنة ، وكان يقول : والله لأَعْلُوَنّ منبراً بعد مِنْبَر . ولأُفُلَّنّ عسكراً بعد عسكر ولأُخِيفَنَّ أهل الحَرَمَيْن . ولأُذْعَرَنّ أهل المشرقين والمغربَيْن . وإنّ خبري لفي زُبُر الأوّلين .

وكان المختار مع عمّه بالمدائن حين جُرح الحسن بن عليّ في مُظْلِم ساباط أشار على عمّه بدفعه إلى معاوية ، والتقرّب إليه به ، طلبه قوم من الشيعة منهم الحارث الأعور ، وظُبْيان بن عُمارة التميمي ليقتلوه ، فكلّم عمُّه الحسنَ فسألهم الإمساك عنه فأمسكوا وكان المختار عند الشيعة عثمانيّا .

فلما بعث الحسين بن عليّ مسلم بن عَقيل نزل دار المختار ، فبايعه المختار فيمن بايعه سراً ، وخرج ابن عقيل يومَ خرج والمختار في ضيعة له بخُطَرْنيه[1]. ولم يكن خروج مسلم عن مواعدة لأصحابه ، إنّما خرج بَداهةً حين كان من أمر هانىء ما كان وقدم المختار الكوفة مسرعاً ، فوقف على باب المسجد الذي يعرف بباب الفيل في جماعة ، فمرّ به هانىء بن أبي حيّة الوادعي فقال له يا بن أبي عبيد لا أنت في منزلك ولا مع القوم - يعني أهل الكوفة من أصحاب ابن زياد - فقال : أمسَى رأيي مرتجنا عليّ لعظيم خَطْبكم ، فأتى هانىء عمروَ بن حُريث ، وهو خليفة ابن زياد فأخبره بقول المختار فأرسل إليه عمرو بن حُريث رسولاً وقال له : استَنْهِهِ عن نفسه ، وحذّره أن يجعل عليها سبيلاً ، فقام زائدة بن قُدامة الثقفي فقال : آتيك به على أنّه

١ - خطرنيه : ناحية من نواحي بابل العراق . معجم البلدان .

آمِنٌ وإن رقي إلى الأمير عبيدالله فيه شيء قمتَ بشأنه عنده ؟ فقال عمرو بن حريث : أمّا مني فهو آمنٌ ، وأمّا الأمير فإن بلغه عنه شيء أقمتُ له بمحضره الشهادة وشفعت عنده أحسن الشفاعة ، فأبلغ المختارَ رسالة عمرو بن حريث فأتى حتى جلس تحت رايته وبات ليلته ، ثم إنّ ابن زياد جلس للناس وفتح بابه فدخل المختار عليه فلما رآه قال له : أنت المُقْبِل في الجموع لنصر ابن عَقيل ؟ فقال : والله ما بتُّ إلاّ تحت راية عمرو ، فرفع ابن زياد قضيباً كان في يده فاعترض به وجهَ المختار فشتر عينه ، وشهد له عمرو على ما قال ، فقال ابن زياد لولا شهادة عمرو لك لضربتُ عنقك ، وأمر به فحبس فلم يزل محبوساً حتى قُتل الحسين .

ثم إنّ المختار سأل زائدة بن قُدامة الثقفي أن يسير إلى عبدالله بن عمر فيسأله الكتاب إلى يزيد بن معاوية في استيهابه منه ، وكانت صفيّة بنت أبي عبيد أُخت المختار عند عبدالله بن عمر ، فسار ابن قُدامة إلى ابن عمر فكتب إلى يزيد بما سأل المختار ، فكتب يزيد إلى ابن زياد بتخلية سبيل المختار فخلاّه وأجّله في المُقام بالكوفة ثلاثاً ؛ فخرج في اليوم الثالث إلى الحجاز ، فلقيه ابن الغَرِق من وراء واقصة ، فلما رأى شتر عينه استرجع فقال المختار : شتر عيني ابنُ الزانية بالقضيب ، قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إرْباً إرْباً ، فاحفظْ هذا الكلام عنّي ، ثم ذكر ابنَ الزبير فقال : إن سمع منّي وقبل عنّي كفيتُه أمر الناس ، وإلاّ فلست بدون رجل من العرب ، إنّ الفتنة قد برقت ورعدت ، وكأنْ قد انبعثتْ فوطئت في خطامها ؛ فرُوي عن ابن الغَرِق أنّه قال : حدّثتُ بهذا الحديث الحجّاجَ بن يوسف ، وضحك وذكر سجع المختار فقال : كان يقول : ورافعةٍ ذَيْلَها . وصائحة وَيْلَها .

بدْجِلَة أو حَوْلَها . فوالله ما أدري ما كان يقول ، إلّا أنّه كان رجلاً ديّناً ، ومقارع أعداء ، ومُسْعِر حرب .

قال : وقدم المختار على عبدالله بن الزبير ، فرّحب به وأوسع له ثم قال له : ما حال العراق يا أبا إسحاق ؟ قال : هم لسلطانهم في العلانية أولياء ، وفي السرّ أعداء ، فقال ابن الزبير : هذه صفة عَبيد السَوءِ إذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم ، وإذا غابوا عنهم شتموهم وعابوهم ، وعرض على ابن الزبير أن يقلّده أمره ويستكفيه إيّاه فلم يفعل؛ فقام عنه ولحق بالطائف فتصرّف في أموره وغاب عن ابن الزبير سنة ، وجعل يقول : أنا مُبير الجّبارين ، فبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن يُهلك الله الجّبارين يكن المختار أحدَهم ، قاتله الله كذّاباً متهكّماً .

وأقبل المختار بعد سنة حتى دخل المسجد وابن الزبير في ذكره فقال ابن الزبير : إذكرْ غائباً تَرَه ، وأقبل المختار فطاف بالبيت وصلّى عند الحجر ركعتين ، ثم جلس واجتمع إليه قوم يسلّمون عليه ، واستبطأه ابن الزبير فقال له بعضهم : قم إليه فقد استبطأك ؟ فقال أتيتُه عاماً أوّلَ فعرضت عليه نفسي فرأيته منحرفاً عنّي ، والله إنّه إليّ لأحوج منّي إليه ، فقال له عبّاس بن سهل بن سعد الساعدي : إنّك أتيته نهاراً ، وهذا أمر تُضرَب عليه الستور ، فأْتِه ليلاً ، فقال : أنا فاعل ، فلما كان الليل أتاه عبّاس ، فمضيا جميعاً حتى دخلا على ابن الزبير فسلّم عليه ابن الزبير وصافحه ، فابتدأ المختار القول فقال: إنّه لا خير في الإكثار من المنطق، ولاحظّ في التقصير عن الحاجة ، وقد جئتك لأُبايعك على أن لا تقضي أمراً دوني ، وعلى أن أكون أوّل من تأذن له ، وإذا ظهرتَ استعنت بي على أفضل عملك ؟ فقال ابن

الزبير : أُبايعك على كتاب الله وسنّة نبّيه ؟ فقال المختار : لو أتاك شرّ غلماني لبايعتَه هذه المبايعة العامة ، والله لا أُبايعك إلّا على هذه الخصال ، فبسط ابن الزبير يده فبايعه .

ومكث المختار معه حتى شهد حصار ابن الزبير الأوّل ، وهو حصار حُصين بن نُمير السَكوني، وقاتل في جماعة معه أشدّ القتال وأغنى أعظم الغَناء ، ولما كان آخر يومٍ قاتل فيه الحصين بن نمير ابنَ الزبير نادى : يا أهل الشام أنا المختار بن أبي عبيد ، أنا الكرّار غير الفرّار ، أنا المُقْدِم غير المُحْجِم إليّ يا أهل الحِفاظ وحُماة الأدبار ، وكان آخرَ أيّامهم في القتال اليومُ الذي علم أهل الشام فيه بموت يزيد ؛ وكان عبد الرحمن بن بُحْدُج بن ربيعة أحد بني عامر بن حنيفة في عصابة من الخوارج من أهل اليمامة يقاتل مدافعةً عن البيت ، لا غضباً لابن الزبير .

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى انصرف عنه الحُصين بن نُمير وأهل الشام إلى الشام ، فلما رأى أنّ ابن الزبير لا يولّيه شيئاً أقبل يسأل الناس عن خبر الكوفة وأهلها، فيقال له إنّهم أخرجوا عمرو بن حُريث عامل ابن زياد واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أُمية بن خَلَف ، فيقول : أنا أبو إسحاق ، أنا لها إذ ليسَ لها أحد غيري ، أنا راعيها إذا أظلّ راعيها ، ثم ركب رواحله وأتى الكوفة ، فلما صار بنهر الحيرة اغتسل وادّهن ، ولبس ثيابه ، واعتمّ وتقلّد بسيفه وركب راحلته فمرّ بمسجد السَكون ، وجَبّانة كندة ، وجعل لا يمرّ بمسجد إلّا سلّم على أهله حتى مرّ ببني بداء من كندة ، فسلّم على عبيدة بن عمرو البَدّي ، وقال : يا أبا عمرو أبشر بالنصر واليسر والفرج إنّك على رأيٍ تُستر معه العيوب ، وتغفر الذنوب ، وكان عبيدة من

أشدّ الناس تشيُّعاً وحُباً لعليّ ، وكان شجاعاً ، فقال للمختار : بشّرك الله بخير ، قال : آلقَنِي رحمك الله وأهلُ مسجدك ؛ ودارَ على الشيعة من همدان وغيرها يبَشرهم ويبلّغهم السلام عن ابن الحنفيّة .

فيقال : إنه لما أراد الشخوص إلى الكوفة أتى ابن الحنفيّة فقال له إنّي على الشخوص للطلب بدمائكم ، والإنتصار لكم ، فسكت ابن الحنفيّة فلم يأمره ولم ينهَهُ فقال إنّ سكوته عنّي إذنٌ لي وودّعه ، فقال له ابن الحنفيّة : عليك بتقوى الله ما استطعت ؛ ويقال : إنّه لما قال له: إنّي على الشخوص للطلب بدمائكم والإنتصار لكم قال : إنّي لأُحبّ أن ينصرنا ربُّنا ويُهلك من سفك دماءنا ولست آمرُ بحرب ولا إراقة دم ، فإنّه كفى بالله لنا ناصراً ، ولحَّقنا آخذاً وبدمائنا طالباً .

وحدثني عبيدالله بن صالح بن مسلم العِجْلي ، حدثنا اسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي أنّه قال ـ وسئل هل كان أمر المختار عن رأي محمد ابن الحنفيّة ـ فقال : كان لذلك سبب ، إلاّ أنّه أمره بما لم يعمل به .

وقال أبو مخنف في روايته : لما اجتمعت الشيعة إلى المختار حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد فإنّ المهديّ ابن الوصيّ محمد بن عليّ بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتجباً وأميراً ، وأمرني بقتال المحلّين والطلب بدماء أهل بيته الطيّبين ؛ فكان أوّل من بايعه عبيدة بن عمرو ، وقد كانت الشيعة مجتمعة لسليمان بن صُرَد الخُزاعي ، فجعل يثبطها عنه ويقول هذا رجل عشَمة هامةُ اليومِ أوغدٍ ، وإنما يريد أن يقتلكم ونفسَه ، فإنّه لا علم له بالحروب وسياسة الأمور حتى مال إليه كثير منهم ، وكان ابن الزبير قد جعل مكان عامر بن مسعود على صلاة الكوفة وحربها عبدالله بن يزيد الأنصاري ،

ثم أحد بني خَطْمه، وعلى الخراج إبراهيم الأعرج بن محمد بن طلحة بن عبيدالله فأتاهما عمر بن سعد بن أبي وقّاص ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم الشيباني ، وشَبَث بن رِبْعِيّ الرِياحي فقالوا لهما: إن سليمان بن صُرَد يريد قتال أعدائكما ، وإنّ المختار يريد الوثوب بكما في مصركما والإفساد عليكما ، فأخذاه فحبساه وقيّداه .

فكان يقول في السجن : أما وربِّ البِحارْ . والنخل والأشجار . والمهامه والقفار . والملائكة الأبرار . والمُصطَفَيْنَ الأخيار . لأقتلنّ كلّ جبّار . بكلّ لدن خطّار . ومهنَّدٍ بتّار . في جموع من الأنصار . ليسوا بمِيل أغمار . ولا عُزْلٍ أشرار . حتى إذا أقمتُ عَمودَ الدين . ورَأَبْتُ صَدْع المسلمين . وشفيت غليل صدور المؤمنين . وأَدْرَكْتُ ثأر أبناء النبيّين . لم يكبُر عليّ فراق الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى .

وكان يسجّع بعد خروج ابن صُرَد إلى الجزيرة فيقول : عدوا لغُزيكم أكثر من عَشْر . وأقلّ من شهر . فليأتينّكم نبأ هِتْر .وطعن نتر.وضرب هَبْر . وقتل جَمّ . وأمر قد حَمّ . فمن لها يومئذ ، أنا لها .

وكتب من الحبس إلى عبدالله بن عمر : «أمّا بعد فقد حُبستُ مظلوماً ، وظنَّ بي ولاة المصر ظنوناً ، وحُمِلَتْ عني أكاذيب ، فاكتب رحمك الله إلى هذين الواليين الظالمين في أمري لعلّ الله يتخلّصني ببركتك» ، فكتب ابن عمر إليهما :«أمّا بعد فقد علمتما الذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصهْر ، وما أنا عليه لكما مِن الودّ فأقسمت عليكما بما بيني وبينكما لَمّا خلّيتما سبيله» ، فلما أتى الكتاب عبدالله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد دعوَا المختار وقالوا : هات بكفلاء يضمنونك فضمنه زائدة بن قدامة الثقفي ، وعبد

الرحمن بن أبي عُمير الثقفي ، والسائب بن مالك الأشعري وقيس بن طَهْفة النَهْدي ، وعبدالله بن كامل الشاكري من همدان ، ويزيد بن أنس الأسدي ، وأحمر بن شُمَيْط البَجَلي ثم الأَحْمَسي ، وعبدالله بن شدّاد الجُشَمي ورفاعة بن شدّاد البَجَلي ، وسُليم بن يزيد الكندي ثم الجوني ، وسعيد بن مُنْقِذ الهمداني ثم الثَوْري أخو حبيب بن منقذ ، ومسافر بن سعيد بن عمران الناعِطي وسعر بن أبي سعر الحَنَفي ، فلما ضمنوه دعا به عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد فأحلفاه ألا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ، فلما خرج من عندهما قال : أما حلفي لهما بـ ؛ فإنّه ينبغي لي أن اكفّر يميني فإنّ خروجي عليهما خير، ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أتى الذي هو خير وكفّر عن يمينه ، وأمّا حلفي بعتق مماليكي فوددت أنّي نلت الذي أريد وأنّي لا أملك مملوكاً أبداً وأمّا هدْي ألف بَدنَة فذلك أهْوَن عليّ من بصقة .

ثم إنّه صار إلى داره فتداكّت عليه الشِيَعُ يبايعونه ، فلم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل ابنُ الزبير عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد وولّى عبدالله بن مُطِيع بن الأسود الكوفةَ ، فقدمها في شهر رمضان سنة خمس وستّين وبعث ابن الزبير الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، وهو القُباع ، على البصرة ، وخرج إبراهيم بن محمد إلى المدينة وكسر الخراج على ابن الزبير ، وقال : إنّها كانت فتنة ؛ وقبل خروجه حبسه ابن مطيع ، فكتب إليه اسماعيل بن طلحة : «والله لتُطلقنّه أو لتعلمنّ أنّي لك بئسَ الشِعارُ وأنّها لك بئسَ الدارُ» ، فأطلقه .

ودعا ابن مُطيع الناس إلى البيعة لابن الزبير، ولم يسمِّهِ، وقال: بايعوا لأمير المؤمنين فكان ممّن بايعه فَضالة بن شَريك الأسدي، ويقال: ابن همّام السَلولي وقال:

دَعا ابْنُ مُطيعٍ لِلْبياعِ فجِئْتُهُ ... إلى بَيْعَةٍ قَلْبي لها غَيْرُ عارفِ
فأَخْرَجَ لي خَشناءَ حَيْثُ لَمَسْتُها ... مِنَ الخُشْنِ لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الخَلائفِ
مِنَ الشَثِناتِ الكُزْمِ أَنكَرْتُ مَسَّها ... ولَيْسَتْ مِنَ البيضِ السِباطِ اللَطائفِ
مُعاوِدَةٍ ضَرْبَ الهَراوَى لِقَومْها ... فَروراً إذا ماكانَ يَوْمُ التَسايُفِ
ولم يُسْمِ إِذْ بايَعْتُهُ مَنْ خَليفَتي ... ولَمْ يَشْتَرِطْ إلاّ اشْتِراطَ المُجازفِ

قالوا: وخطب ابن مطيع فقال إنّ امير المؤمنين بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فَيئكم ولا أحمل شيئاً ممّا يفضل عنكم إلاّ أن ترضوا بحمل ذلك، فآتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا، وخذوا فوق أيدي سفهائكم فوالله لأوقعنّ بالسقيم العاصي، ولأقيمنّ درء[1] الأصعر المرتاب، ولأبالغنّ للمحسن في الإحسان، ولأتّبِعَنَّ سيرة عمر وعثمان، فقال له السائب بن مالك: أمّا سيرة عثمان فكانت هوى وأثَره فلا حاجة لنا فيها، وأمّا سيرة عمر فأقلّ السيرتين ضرراً علينا لكن عليك بسيرة عليّ بن أبي طالب، فإنّا لا نرضى بما دونها، فقال ابن مُطيع: نسير فيكم بكلّ ما تهوَن وتريدون؛ وكان على شُرَط ابن مطيع إياس بن مضارب العِجْلي، وقال له حين ولاّه: عليك بحسن السيرة والشِدّة على أهل الريبة.

١ ـ الدرء: الميل والعوج في القناة ونحوها.

قالوا : وبعث ابن مطيع إياساً إلى المختار ليأتيه به فتمارض المختار ودعا بقطيفة وقال : إنّي لأجد قفقفةً ، وجعل المختار يبعث إلى اصحابه فيجمعهم في الدور حوله ، وأراد الوثوب بالكوفة في المحّرم ؛ فجاء رجل من شِبام يقال له عبد الرحمن بن شريح إلى وجوه الشيعة فقال لهم : إنّ المختار يريد الخروج بنا ولا ندري لعلّ محمد بن عليّ لم يوجّهه إلينا ، فانهضوا بنا إليه لنُخبره خبره فإن رخّص لنا في اتّباعه اتبعناه ، وإن نهانا عنه اجتنبناه فما ينبغي أن يكون شيء آثَرَ عندنا من أدياننا ، فخرج عبد الرحمن بن شريح الشِبامي ، والأسود بن جراد الكندي ، وسِعْر بن أبي سعر الحنفي في عدّة معهم إلى ابن الحنفيّة ، فلما لقوه قال عبد الرحمن : إنّكم أهل بيت قد خصّكم الله بالفضيلة ، وشرّفكم بالنبّوة ، وعظم حقّكم على الأمّة فلا يجهله إلا غبين الرأي مخسوس الحظّ ، وقد أُصبتم بحسين رحمه الله ، وأتانا المختارُ بن أبي عُبيد يزعم أنه جاء من تِلْقائك يطلب بدمه ، فمُرْنا بأمرك ، فقال ابن الحنفيّة : إنّ الفضل بيد الله يُؤتيه من يشاء ، فالحمد لله على ما آتانا وأعطانا ، وأمّا المصيبة بحسين فقد خصت أهله ، وعمّت المسلمين ، وما دعاكم المختار إليه ، فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا بمن شاء من خلقه ، فقالوا : هذا إذن منه ، ورخصة ، ولو شاء لقال : لا تفعلوا حتى يبلغ الله أمره ، فلم تكن إلّا زيادة أيّام على الشهر حتى وافوا الكوفة فبدأوا بالمختار ، وكان ظنّه ساء ، وخاف أن يأتي القوم بأمر يخذّلون به الشيعة عنه ، فقال لهم حين قدموا : ارتبتم وتحيّرتم ، فما وراءكم ؟ قالوا : أَذِنَ لنا في نصرتك ، فقال : الله أكبر أنا أبو إسحاق ، اجمعوا إليّ الشيعة ، فاجتمعوا فقال : إنّ نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مِصداق ما جئتُ به ، فرحلوا إلى إمام الهدى .

والنجيب المرتضى . وابن خير من جلس ومشى . بعد النبيّ المصطفى . فسألوه عمّا قدمتُ له . فأنبأهم أني وزيره وظهيره ورسوله ، فقام عبد الرحمن بن شريح فقال : إنّا قدمنا على المهدي بن عليّ فأمرنا بمظاهرة المختار ومؤازرته ، وإجابة دعوته ، فأقبلنا طيّبةً أنفسُنا منشرحة صدورُنا ، قد أذهب الله عنّا الشكّ والغِلّ والريب ، واستقامت لنا بَصيرتنا في قتال عدوّنا ، فليُبلغ ذلك شاهدُكم غائبَكم ، وقام الوفد رجلاً رجلاً فتكلّموا بنحو ما تكلّم به عبد الرحمن ، فاستجمعت له الشيعة ، وقالوا : إنّ أشراف أهل الكوفة مُجمعون على قتالك مع ابن مُطِيع فإن جاء معنا إبراهيم بن الأشتر على أمرنا رجونا القوّة بإذن الله على عدوّنا ، فإنّه فتى بئيس ، وابن رجل شريف وله عشيرة ذات عزّ وعدد .

فرُوي عن الشعبي أنّه قال : فخرج إليه وجوه الشيعة ، وأنا فيهم فكلموه ودعوه إلى الطلب بدم الحسين ، وأهل البيت ، وقالوا : إنّ هذا أمر جسيم إن أَجَبْتَنا إليه ، عادت لك منزلة أبيك في الناس ، وأحييت شرفه وما كان مشهوراً به من الفضل ، ونُصرة الحقّ ، والغضب لرسول الله ﷺ ، وأهل بيته فقال : قد أجبتكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن تولّوني الأمر؟

فقالوا : أنت لذلك أهلٌ ، ولكنّ المهديّ محمد بن عليّ وّجه المختار إلينا فهو الآمر والمأمور بالقتال ، وقد شخص إليه نفر منّا اختباراً لِما جاء به فأمَرَنا بطاعته ؛ ثم إنّ المختار أتاه في جماعة من الشيعة بعد أيّام كثيرة ، فأقرأه كتاباً من محمد بن علي إليه نسختُه :

«من محمد المهديّ بن عليّ إلى إبراهيم بن مالك .

أمّا بعد : فإنّي بعثت إليكم المختار بن أبي عُبيد ، نصيحي ووزيري ، وثِقَتي وأميني المرضيّ عندي ، للطلب بدماء أهل بيتي ، فآنهض معه بنفسك وعشيرتك وأتباعك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرتني ، وساعدت وزيري ، كانت لك عندي بذلك فضيلة ، ولك الأعنّة والمنابر ، وكل بلد ظهرتَ عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام» .

فقال ابن الأشتر : قد كاتبتُ محمد بن عليّ ، وكاتبني فما رأيته كتب إليّ قط إلا باسمه اسم أبيه ، لا يزيد على ذلك ، وقد استربتُ بهذا الكتاب ، فقام يزيد بن أنس ، وأحمر بن شُمَيْط ، وعبدالله بن كامل بن عمرو الهمداني ثم الشاكري ، وورقاء بن عازب الأسدي ، فشهدوا أنّه كتاب ابن الحنفيّة ، فتنحى إبراهيم عن صدر المجلس وأجلس المختار فيه وبايعه .

فمكثوا يدبّرون أمرهم حتى أجمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة النصف من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وستّين ، ووطّنوا على ذلك شيعتهم ومن معهم ، فلما كان عند غروب الشمس ليلة النصف وهي ليلة الميعاد ، قام إبراهيم بن الأشتر فصلّى المغرب حين قال القائل : أخوك أم الذئب ؟ ثم أتى المختار ؛ قال الشعبي : فأقبلنا معه وعلينا السلاح فلم يمكن في تلك الليلة الخروج ، فآتعدوا لليلة الخميس .

المدائني في إسناده ، قال : كان للمختار مجلس يجلس فيه بالطائف ليلاً فرفع رأسه إلى السماء ثم قال متمثّلاً :

ذو مناديحَ[1] وذو مُلْتَبَطٍ[2] وركابٍ حَيْثُ وَجَّهْتُ ذَلَلْ
لا تَذُمَّنْ بلداً تكرهه وإذا زَلَّتْ بِكَ النَعْلُ فَزَلْ

قد والله مات يزيد ، فما لبثوا أن جاء موتُه .

المدائني في إسناده ، قال : ركب المختار يوماً مع المغيرة بن شُعْبة ، فمّر بالسوق فقال المغيرة : أما والله إنّي لأعرف كلمة لو دعا بها أريبٌ لاستمال بها أقواماً فصاروا له أنصارا ، ثم لاسيّما العجم الذين يقبلون ما يُلْقَى إليهم ، قال المختار : وما هي يا عمّ ؟ قال : يدعوهم إلى نصرة آل محمد والطلب بدمائهم ، فكانت في نفس المختار حتى دعا .

١ ـ الندح : الكثرة والسعة ، وما اتسع من الأرض . القاموس .
٢ ـ التبط البعير: خبط بيديه وهو يعدو ، وفلان سعى وتحير واضطرب ، والقوم أطافوا به ولزموه . القاموس .

مقتل إياس بن مضارب وابنه راشد بن إياس

قالوا : وبلغ ابن مُطِيع إجماع المختار بالخروج فأخبر إياساً بذلك وهو على شُرَطه ، فخرج إياس في الشرط ، وبعث ابنه راشد إلى الكُناسة وأقبل يسير حول السوق في الشرط ، وأشار على ابن مطيع أن يبعث إلى كلّ جَبّانة عظيمة رجلاً من ثِقاته في جماعة من أهل الطاعة له ، فوجّه ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى جبّانة السَبيع فقال : آكفني قومك ، وبعث كعب بن أبي كعب الخَثْعَمي إلى جبّانة بشر بن ربيعة الخثعمي ، وبعث زَحْر بن قيس الجُعْفي إلى جبانة كِنْدة ، وبعث شَمِر بن ذي الجَوْشَن الكِلابي إلى جبّانة سالم ، وبعث عبد الرحمن بن مِخْنَف إلى جبّانة مُراد ، وأمر كلّ امرىء منهم أن يتحفّظ ويحكم أمره وما يليه ، وبعث شَبَث بن رِبْعِيّ إلى السَبَخة ؛ فخرج إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء في جماعة عظيمة عليهم الدروع وهم متقلّدو السيوف وقد كفّروا الدروع بالأقبية ، وستروا السيوف ، وفيهم شراحيل وابنه عامر بن شراحيل الشعبي ، وقال الشعبي : كان ابراهيم فتى حدثا شجاعاً لا يكره أن يلقى أحداً من أصحاب ابن

مطيع ، فمرّ بدار عمرو بن حُريث المخزومي فلقيه إياس بن مضارب في الشرط ، فقال : من أنتم ؟ قال إبراهيم : أنا إبراهيم بن مالك الأشتر ، فقال : ما هذا الجمع لقد رابني أمرك ، ولست بتاركك حتى آتي بك الأمير وكان مع إياس رجل همداني يُكنى أبا قَطَن ، وفي يده رمح له طويل ، وكان صديقاً لإبراهيم فاستدناه إبراهيم فدنا منه وهو يظنّ أنّه يكلّمه في مسألة ابنِ مضارب الإمساك عنه ، فكلّمه إبراهيم بشيء ، ثم استلب الرمح منه وحمل على إياس فطعنه في ثُغْرَة نحره ، فصرعه وأمر رجلاً ممّن معه فاحتزّ رأسه ، وتفرّق أصحاب ابن مضارب ؛ فبعث ابن مطيع راشد بن إياس بن مضارب مكان أبيه على الشرطة ، وصَيّر مكان راشد بالكُناسة سُويد بن عبد الرحمن بن بُجير المِنْقَري أبا القعقاع بن سويد ، وبعضهم يقول : هو سويد بن عمرو ، والأوّل أصحّ ، وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار فقال إنّا اتّعدنا للخروج القابلةَ ، وهي ليلة الخميس وقد حدث أمر لابدّ لنا معه من الخروج الليلة ، وأخبره خبر ابن مضارب وألقى رأسه بين يديه ، فقال المختار : بشّرك الله بخير فهذا أوّل الفتح ، ثم لبس المختار سلاحه وأمر فنُودي : «يا منصور أَمِت» وأمر أيضاً فنودي : «يا لَثارات الحسين» وجعل يقول :

قَدْ عَلِمَتْ بَيْضاءُ حَسْناءُ الطَلَلْ واضِحَةُ الخَدَّيْنِ عَجْزاءُ الكَفَلْ
أَنّي غَداةَ الرَّوْعِ مِقْدامٌ بَطَلْ

وقال ابن الأشتر : إنّ هؤلاء الذين رتّبهم ابن مُطِيع في المواضع يمنعون إخواننا من المصير إلينا وإتياننا ، فالرأي أن آتي قومي في كتيبتي هذه التي جئتك فيها ليجتمعوا ، ثم أدور في نواحي الكوفة ، وأنادي بشعارنا فيخرج

إليّ من أراد الخروج ، فقال المختار : استَخِر الله ، ففعل ابراهيم ، وجعل كلّما تسرّعتْ إليه خيل كشفها ، ثم عاد يخترق السكك ويجتنب منها سكك الأمراء .

وخرج المختار في جماعة أصحابه حتى نزل عند السبَخَة ، ونادى أبو عثمان النهدي في شاكر : ألا إنّ وزير آل محمد قد خرج وبعثني إليكم ، فخرجوا من الدور ينادون : «يا لثأرات الحسين» وضاربوا كعب بن أبي كعب الخَثْعَمي وهو بجبانة بِشْر حتى خلّى لهم الطريق ، فأتوا عسكر المختار ، وجاء حجّار بن أَبْجَر العِجْلي فعبأ له المختار أحمر بن شُميط الأَحْمسي ، فقاتله وأقبل إليهم ابن الأشتر فلما أحسّ به حجّار هرب وأصحابه ؛ وتوافى إلى المختار من كلّ قبيل المائة والمائتان ، وكانوا يحملون على من عرض لهم حتى تتامّ إليه ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل ، فعبّأهم المختار وكتّبهم ، وتوجّه ابن الأشتر إلى راشد بن إياس بن مُضارب فلقيه في جَبّانة مراد وهو في أربعة آلاف ، فاقتتلوا ، فَقَتَل خُزيمةُ بن نصر العَبْسي ، وأبو نصر بن خزيمة المقتول مع زيد بن عليّ بن الحسين ، راشدَ بن إياس ونادى : قتلتُ راشداً ورَبِّ الكعبة ، وانهزم أصحاب راشد ؛ فقالت أخته ترثيه :

لَحَى الله قَوْماً أَسْلَموا أَمْسِ راشِداً ... بِجَبّانَةِ الدارينَ عِنْدَ مُراد
فَلا وَلَدَتْ عِجْلِيَّةٌ بَعْدَ راشِدٍ ... غُلاماً ولا حَلَّت بِصَوْبِ رعاد

وجعل إبراهيم يحرّض أصحابه فيقول إنّه ليس مع الحقّ قلّة ، ولا مع الباطل كثرة فـ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله والله مَعَ الصَّابرين﴾[1] .

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٤٩ .

أمر حسان بن فائد وحصار ابن مطيع وهربه

قالوا : وأقبل إبراهيم بن الأشتر بعد قتل راشد بن إياس نحو المختار وقدم البُشَراء بين يديه بقتل راشد ، فقويت أنفس أصحابه ودخل ابنَ مطيع وأصحابه الفشلُ والوهن ، فسرّح ابن مطيع حسّان بن فائد بن بكير بن إساف العَبْسي في نحو من ألفين فاعترض له إبراهيم ليردّه عمّن بالسَبَخَة من أصحابه ، فزحف إبراهيم إليه في أصحابه ، فما تطاعنوا برمح ولا تضاربوا بسيف حتى انهزم أصحاب حسّان وظفروا به فكلّم فيه خُزيمة بن نصر العَبْسي إبراهيم وقال : ابن عمّي فحمله إبراهيم على فرس وقال : الحَقْ بأهلك .

وقصد إبراهيم بن الأشتر لشَبَث بن رِبْعِي فاعترضه يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم ليصدّه عنه ، فأمر إبراهيم خزيمة بن نصر أن يصمد له ، فهزم خزيمةُ يزيدَ وكشف إبراهيم شَبَثاً وأصحابه ، فانهزموا إلى ابن مطيع وولى ابن مطيع شرطته بعد إياس وابنه سُويدَ بن عبد الرحمن المِنْقَري أبا القَعْقاع واستخلف على المصر شَبَث بن رِبْعيّ ، وضمّ إلى مُساحِق بن عبدالله بن مَخْرَمة القرشي ثم العامري ، ويقال إلى ابنه نَوْفل بن مساحق ، خمسة آلاف فاجتمعت مقاتلة ابن مطيع إليه ، وقد صار إلى الكُناسة ، فدلف إليهم ابن الأشتر وقال لأصحابه : انزلوا ولا يهولنّكم آل فلان ، وآل فلان ، فإنّ هؤلاء الذين ترون لو قد وجدوا وقع السيوف انفرجوا عن ابن مطيع انفراج المِعْزَى ، ثم أخذ أسفل قبائه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود ، ثم قال لأصحابه : شدّوا عليهم فدَاكم عمّي وخالي ، فما لبثوا أن انهزموا ، وركب بعضُهم بعضاً على أفواه السكك ،

وازدحموا وانتهى ابن الأشتر إلى مساحق ، أو ابن مساحق ، فرفع عليه بالسيف فقال له : يا بن الأشتر، هل بيني وبينك إحْنة أو عداوة ، أو لك قِبَلي ثأر تطلبني به ؟ فخلّى سبيله ، فكان بعد ذلك يشكره .

وأتى ابن مُطِيع القصر ، واتّبعه ابن الأشتر وجاء المختار حتى دخل المسجد وولى حصار ابن مطيع في القصر إبراهيم بن الأشتر ، وأحْمر بن شُميط ، ويزيد بن أنس الأسدي ، فصار كلّ امرىء منهم في ناحية من القصر ، ومكث ابن مطيع ثلاثا يرزق أصحابه الدقيق ، ومعه أشراف الناس إلّا عمرو بن حُريث ، فإنّه دخل القصر معه ، ثم كره الحصار فخرج من الكوفة ، وأشار شَبَث بن رِبْعِيّ على ابن مطيع أن يأخذ لنفسه أماناً ، ويخرج فأبى ذلك ، قال:الأمر مستقيم بالحجاز لأمير المؤمنين عبدالله بن الزبير وبالبصرة، فكيف أرضى بهذه المنزلة؟ فقال: فإذ كرهت هذه فَصِرْ إلى بعض من تثق به سِراً فاستخفِ عنده ، ثم الحَقْ بأمير المؤمنين ، فقال لأسماء بن خارجة بن حِصْن الفَزاري ، وعبد الرحمن بن مِخْنَف ، وأشراف أهل الكوفة : ما ترون فيما أشار به شَبَث ؟ قالوا : هو الرأي ، قال : ننتظر المساءَ ، واطّلع من القصر رجل فشتم المختار ، فرماه عمرو بن مالك النَهْدي أبو نمر بسهم فعقره ولم يقتله فقال :

خذها مِن ابنِ مالِكْ   مِنْ فاعِلٍ كذلِكْ

ولما أمسى ابن مطيع جمع الأشراف الذين معه فقال: جزاكم الله عن الطاعة خيراً ، أما إني سأعلم أمير المؤمنين بما كان مُحاماتكم وجدّكم واجتهادكم ، فقال شَبَث : جزاك الله من أمير خيراً ، فقد عففتَ عن أموالنا وأكرمت أشرافنا ، ونصحت لإمامك وقضيت الذي عليك وما

كنّا لنفارقَك إلاّ بإذن منك ، فقال : ليذهب كل امرىء منكم إلى حيث أحبَ ، ثم احتال للخروج فخرج من ناحية دار الروميّين ، حتى أتى آل أبي موسى وخَلّى القصر ، واستأمن أصحابُه فآمنهم ابن الأشتر ، وخرجوا فبايعوا المختار .

قالوا : ودخل المختار القصر في اليوم الرابع من حصار ابن مطيع فقال : «الحمدلله الذي وعد وليَّه النصر . وعدوَّه الخَسر . وجعله فيه إلى آخر الدهر . وَعْداً مفعولاً . وقضاءُ مَقْضيّا . وقد خاب من افترى . إنّه رُفعت لنا راية . ومُدَّت لنا غاية . فقيل لنا في الراية . ارفعوها ولا تضعوها . وفي الغاية اجروا اليها ولا تعتدوها . فسمعنا دعوة الداعي . وإهابة الراعي . فكم من ناعٍ وناعية . لَقتيلٌ في الواغية . وبُعْداً لمن طغى . وكذّب وتولّى . ألا ادخلوا أيّها الناس فبايعوا بيعة هدى . فوالذي جعل السماء سقفاً ملفوفاً . والأرض فِجَاجاً سُبُلاً . ما بايعتم بعد بيعة أمير المؤمنين عليّ وآل عليّ بيعة أهدى منها» ؛ فبايعه الناس على كتاب الله وسنّة نبيّه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المحلّين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتالِ مَن قاتله ، وسلم من سالَمه ، والوفاء بعهده وبيعته لا يُقيل ولا يستقيلون، فكان الرجل اذا عرض عليه ذلك فقال: نعم، ماسَحهُ، فجاء المنذر بن حسّان بن ضِرار الضَبّي ليبايع ومعه ابنه فرآهما جماعة من الشيعة، كانوا وقوفاً مع سعيد بن منقذ الهمداني ، فقالوا: هذا والله من رؤساء الجبّارين فشَدّوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما ، فصاح بهم سعيد : لا تعجلوا ، وبلغ ذلك المختار فكرهه حتى استُبينت في وجهه كراهته ، وبعث المختار إلى ابن مطيع : إنّي قد عرفت مكانك وقد ظننت أنّ بك عجزاً عن النهوض ، وقد

بعثت إليك بمائة ألف درهم ، فقبلها ابن مطيع وشخص عن الكوفة ، وكان المختار قد وجد في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم ، فأعطى أصحابه ومن بايعه ، وأحسن المختار مجاورة أهل الكوفة والسيرة فيهم ، وأكرم الأشراف ، وولّى شرطته عبدالله بن كامل الشاكري ، وولّى حرسه كَيْسان مولى عُرَيْنة ، ويُكنى أبا عَمْرَة ، وهو صاحب الكيسانيّة وولّى المختار عُمّاله ، وولّى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الموصل .

وكان عبدالله بن الزبير كتب إلى ابن مطيع في تولية محمد بن الأشعث الموصل فولّاه إيّاه فلما وردها عبد الرحمن بن سعيد انحاز ابن الأشعث إلى تكريت ، وكتب بخبره إلى ابن الزبير ، فكتب إليه ابن الزبير قد فهمت كتابك ولا عذرَ لك عندي فيما فعلت ، أتُخلّي أرض الموصل وخراجها وحصونها من غير جهاد ولا إعذار وقد خرطتك عليها فأنت تأكل منها الكثير وتبعث إليَّ بالقليل ، فوالله لو لم تقاتل مناصحةً لإمامك ولا طلباً لثواب ربّك لكنتَ حَرِيّاً بأن تقاتل عن بلد أنت أميره لك خيره وعليك عيبه فلم تفعل ذلك غضباً ولا محاماةً على سلطانك ، فلستَ في أمر دنياك بالحازم القويّ ولا أمر آخرتك بالخائف التقيّ ، فقد عجزت عن عدوّك وضيّعت ما ولّيتُك والسلام .

وأتاه عبد الرحمن بن محمد ابنه فقال له : على ماذا نقيم في غير عزّ ولا منعة ولا انتظار قوّة ، ولم يزل به حتى قدم الكوفة ودخل على المختار فسلّم عليه ودعا له وهنّأه وعرض عليه أن يجلس للقضاء فأبى ذلك ، فأجلس المختار شُريحاً للقضاء ، ثم إنّه تمارض فقيل للمختار : إنّه عثماني فصَيَّرَ على

القضاء عبيدالله بن عبدالله بن عُتْبة بن مسعود ، ثم مرض فصيّر مكانه عبدالله بن مالك الطائيّ .

وكان ابن همّام السَلولي الشاعر عثمانيّاً ، وكان سمع رجلاً من الشيعة نال من عثمان فعنَفه فاستخفى حين ظهروا ، وقوي أمرهم ، ثم قال في المختار شعراً وأتاه وأنشده إيّاه فحمله المختار على فرس وقال لأصحابه إنّه قد أثنى عليكم فأعطاه قيس بن طهفة النَهْدي فرسا ومِطْرَفاً ، ووثب به قوم من الشيعة فأجاره ابن الأشعث فامتنعوا منه ، وسمع المختار الضَوْضَاء فخرج إليهم فقال : إذا قيل لكم خير فأقْبَلوا وإذا قدرتم على مكافاة فافعلوا ، وإلاّ فتنصّلوا واتّقوا لسان الشاعر فإنّ شرّه حاضر وقوله جارح ، ومضى به إبراهيم بن الأشتر إلى منزله فأعطاه ألف درهم وفرساً ، وكان ابن همّام حين حُصر ابن مطيع في القصر فتدلّى منه مع ناس تدلّوا أيضاً فقال :

لَمّا رَأَيْتُ القَصْرَ أُغْلِقَ بابُهُ وتَعَلَّقَتْ هَمْدانُ بِالأَسْبابِ
ورَأَيْتُ أَفْواهَ الأَزِقَّةِ حَوْلَنَا مُلِئَتْ بِكُلِ هِرَاوَةٍ وذِيابِ
ورَأَيْتُ أَصْحابَ الدَقيقِ كَأَنَّهُمْ حَوْلَ البُيوتِ ثَعالِبُ الأَسْرابِ
أَيْقَنْتُ أَنَّ إمارَةَ ابنِ مُضَارِبٍ لَمْ تبقَ منها قيس أثر ذُبابِ

وكان عبيدالله بن زياد حين أوقع بالتوّابين بعَيْن الوَرْدة ، وحاول الظَفَر بزُفَر بن الحارث فلمَ يمكنه فيه شيءُ ، أقبل نحو الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى المختار يُعلمه أنّ خيل عبيد الله بن زياد قد أشرفت على الموصل ، وأنّه ليس معه خيل ولا رجال ، وأنّه خائف أن يعجز عنه وانحاز إلى تكْريت ، فولّى المختار يزيد بن أنس بن كلاب الأسدي الموصل ، وأمره أن لا يناظر عدوّه وأن ينتهز الفرصة منه إذا

أمكنته ، وقال له: إني ممدّك بمدد بعد مدد ، وإنّ ذلك أشدّ لعضدك ، وأعزّ لجندك ، وأهدّ لعدوّك ، ثم ضمّ إليه ورقاء بن عازب الأسدي وسِعْر بن أبي سِعر الحَنَفي ، وبعث ابنُ زياد بين يديه ربيعة بن المخارق الغَنَوى ، وعبدالله بن حَمَلة بن عبد الرحمن الخَثْعَمي في ستّة آلاف ، هذا في ثلاثة آلاف ، وهذا في ثلاثة آلاف ، وسبق ربيعة إلى يزيد ، فخرج إليه يزيد بالناس وهو مريض لِمَابِهِ وذلك في ذي الحجّة سنة ستّ وستّين ، فجعل يحرّض الناس ويأمرهم بالصبر والجدّ والعزم ، ثم التقوا من لدن طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحاء فهزم المختاريّة ربيعةَ وأصحابه ، وحَووا عسكرهم ، وقُتل ربيعة بن المخارق ، قتله عبدالله بن ضَبِرة ، ولم يُمس يزيد حتى مات فانصرف أصحابه كراهة أن يقيموا بعد أميرهم .

فولّى المختار إبراهيم بن الأشتر الموصل وأمره أن يردّ جيش يزيد بن أنس معه إلى الموصل ، فلما خرج من الكوفة أرجف أهلها بالمختار وطمعوا فيه ، فكتب إلى ابراهيم في الرجوع .

وكان أصحاب المختار يُسَمَّون الخَشَبِّية ، لأنّ أكثرهم كانوا يقاتلون بالخشب ، ويقال إنّهم سُمّوا الخشبّية لأنّ الذين وجّههم المختار إلى مكة لنصرة ابن الحنفيّة أخذوا بأيديهم الخشب الذي كان ابن الزبير جمعه ليحرق به ابن الحنفيّة وأصحابه فيما زُعم ، ويقال بل كرهوا دخول الحرم بسيوف مشهورة فدخلوه ومعهم الخشب ولم يسلّوا سيوفهم من أغمادها .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه قال : أُتي يزيد بن أنس الأسدي بأسْرَى وهو لِمَابِهِ ، فجعل يقول : اقتل اقتل حتى ثقل لسانه فجعل يومىء بيده حتى ثقلت يده ، فجعل يومىء بحاجبيه حتى مات على تلك الحال .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : لما وجّه المختار يزيد بن أنس الأسدي توجّه إليه حُصين بن نُمير ، فقدّم أمامه حَمَلة بن عبد الرحمن الخَثْعَمي فالتقوا بباتلّى[1] فقُتل حَمَلة وأُتي يزيد بستّة آلاف أسير فضرب أعناقهم ، وهو يكيد بنفسه ثم مات .

وقدم مصعب على البصرة والكوفة في أوّل سنة سبع وستّين فتوقّف عن قتال المختار حينا .

يوم جبانة السبيع

قالوا : لما سار ابن الأشتر يريد الموصل تواطأ أهل الكوفة على حرب المختار وقالوا : إنما هذا كاهن ، فخرج عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني بجبانة السَبيع ، وخرج زَحْر بن قيس الجُعْفي ، وإسحاق بن الأشعث في جبّانة كندة ، وخرج كعب بن أبي كعب الخَثْعَمي في جبّانة بشر ، وخرج عبد الرحمن بن مِخْنَف في الأزد ، وخرج شَمِر بن ذي الجَوْشَن في جبّانة بني سَلول وخرج شَبَث بن رِبْعَيّ بالكُناسة في مُضر ، وخرج حجّار بن أَبْجَر العِجْلي ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم في ربيعة بناحية السَبَخة ، وخرج عمرو بن الحجّاج الزُبيدي في جبّانة مُراد ؛ وبلغ مَن في جبّانة السَبيع أنّ المختار قد عزم على معاجلتهم ، فأقسموا على من في النواحي من الأشراف اليمانيّة أن يصيروا بأصحابهم إليهم ، فتواقف اليمانيّة جميعاً في جبّانة السبيع ، ويقال أنّ عمرو بن الحجّاج الزبيدي وحده أقام فيمن معه بجبّانة مُراد ولم يأتهم .

١ ـ في تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٢ «بنات تلى» ولم يذكر ياقوت ما يساعد على الضبط .

وأقبل إبراهيم بن الأشتر من المدائن مجداً في السير مُجْذماً له حتى قدم الكوفة ، ووافى المختارَ فرأى المختار أنّه إن وجّه إبراهيم لقتال قومه بجبانة السَبيع لم يبالغ فيه ، فقال له : ازحف أنت إلى شَبَث بن رِبْعِيّ ، فقاتل المُضَريّة بالكُناسة وأمضي أنا إلى جبّانة السَبيع ، فنفذ إبراهيم لأمره ومضى هو حتى صار في طرف الجبّانة ، ووجّه أحمر بن شُميط[1] ، وعبَدالله بن كامل إلى من بها ، وأمرهما بقتالهم ، وانتهى ابن الأشتر إلى مُضَر اليمن فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم ، ولقي ابن شُميط وابن كامل أهل اليمن بجبّانة السَبيع ، وقد صار إليهم شَمِر بن ذي الجَوْشَن ، ويقـال : إنه لم يصر إليهم ولكنّه صار إلى مضر فهُزم ابن شُميط حتى لحق وأصحابه بالمختار ، وصبر ابن كامل في جماعة من أصحابه فأمدّه المختار بثلاثمائة رجل مع عبدالله بن قُراد الخَثْعَمي ثم ثابَتْ إلى ابن شُميط ثابتة من أصحابه ، فقاتل وقاتلوا ، وبعث المختار بأبي القَلوص ومعه جماعة من شِبام ، فدخلوا الجبّانة ، وهم ينادون : يا لَثارات الحسين ونادى أيضاً أصحاب ابن شُميط و ابن كامل يا لثأرات الحسين وحملوا فلم يلبثوا أن هزموا مَن بجبّانة السَبيع فلما هُزمت مضر واليمن تفرّقت ربيعة ، وكلّ من اعتزى إلى اليمن ومضر ، ويقـال بل أتى أولئك أصحابَ المختار فقاتلوهم أيضاً قتالاً خفيفاً حتى تفرّقوا ، وقال قـوم : بل قاتل يومئذ بجبّانة السَبيع رِفاعة بن شَدّاد البَجَلي مع المختار ، وهو يقول :

أنا آبْنُ شَدَّادٍ عَلَى دينِ عَلي ... لَسْتُ لِعُثْمانَ بْنِ أَرْوَى بِوَلي
لأصلَيَنَّ اليَوْمَ فِيمَن يَصْطَلِي ... بِحَرّ نارِ الحَرْبِ غَيْرَ مُلْتَوِي

---

١ ـ بهامش الأصل : بالشين المعجمة .

وقال آخرون : أنّه قاتل يومئذ مع أهل الكوفة فقُتل ، ويقال : إنّه بقي بعد المختار وذلك الثبت[١] .

حدثنا عفّان حدثنا حمّاد بن سَلَمة أنبأنا عبد الملك بن عُمَيْر حدثني رِفاعة بن شداد قال : كنت أقوم على رأس المختار ، فلما عرفت كذابته هممت وأَيْمُ الله أن أضرب عنقه ، فذكرت حديثا حدّثنيه عمرو بن الحَمِق عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من أَمِن رجلا على نفسه فقتله أُعْطِيَ لواءَ غَدْرٍ يومَ القيامة»[٢] .

حدثني أبو أيّوب الرقّي المعلّم عن عيسى بن يونس عن نُصير بن أبي نصير عن اسماعيل السُدّي عن رفاعة قال : دخلت على المختار وإذا وسادتان ملقاتان فقال : يا فلان أئتِ فلانا ، لرجلٍ دخل ، بوسادة ، قلت : وما هاتان الوسادتان ؟ فقال : قام عن إحداهما جبريل وعن الأخرى ميكائيل[٣] ، فوالله إنْ منعني مِن أن أضربه بالسيف إلّا حديثُ حدّثني به عمرو بن الحَمِق قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من آئتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه بريءٌ ولو كان المقتول كافرا»[٤] .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : كان المختار يقول : العجب كلّ العَجَب . بين جمادى ورَجَب ؛ وكان يقول : أُحياء وأموات . وجميع وأشتات . والموجبة الواجبة . جبا كذاجبه ؛ فقاتله النعمان بن صُهْبان يوم جبّانة السَبيع فقُتل ؛ قال : وقاتل رِفاعة بن شدّاد مع أهل الكوفة .

---

١ ـ بهامش الأصل : أخبار المختار .
٢ ـ كنز العمال الحديث ١٠٩٤٣ .
٣ ـ بهامش الأصل : زعم المختار أنه كان يأتيه جبريل وميكائيل .
٤ ـ كنز العمال ـ الحديث ١٠٩٣٠ .

قالوا : وقتل المختارّية يوم جبّانة السبيع النعمانَ بن صُهبان الراسبي ، وكان ناسكاً شيعيّا قدم من البصرة ليقاتل مع الشيعة ويطلب بدم الحسين ، فسمع من المختار كلاماً أنكره فقاتله مع أهل جبّانة السبيع حتى قُتل ، والفُراتَ بن زَحْر وعمرو بن مخنف ومالك بن حِزام بن ربيعة ، وهو ابن أخي لبيد بن ربيعة الشاعر ، ويقال بل قُتل مع المُضَريّة ؛ وقالوا : ولما هُزم أهل جبّانة السَبيع استُخرج من دُور الوادعيينّ من همدان خمسمائة أسير ، فأُتي بهم المختار فقتل منهم من كان شهد مقتل الحسين فكانوا مائتين وثمانية وأربعين ، ويقال كانوا مائتين وخمسين .

وكان سُراقة بن مِرْداس البارقي صَنَع أشعاراً فجعل يقول :

أُمْنُنْ عَلَيَّ اليَوْمَ يا خَيْرَ مَعَدّ وخَيْرَ مَنْ لَبَّى وَحيّا وسَجَدْ

فأمر به فحُبس ليلة ثم خلّاه فقال شعراً ذكر فيه أنّه رأى الملائكة تقاتل مع المختار على خيل بُلْق ، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيُعلم الناس ما رأى ففعل ، ثم هرب إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة وقال :

أَلا أَبْلِغْ أَبـا إِسْحـاقَ أَنّي رَأَيْتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتاتِ
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْراً عَـلَيَّ قِتـالَكُمْ حتى المماتِ
أُرِي عَيْنَيَّ مـا لَمْ تُبْصِراهُ كِـلانا عـالِمٌ بِالـتُّرَّهـاتِ

وأخذ المختار سُحَيْما مولى عتبة بن فَرْقَد السُلّمي ، وكان يكثر الكلام فيه فقال له : أنت القائل قاتلوا الكذّاب ، وما علّمك أنّي كذّاب ، فضرب عنقه .

وقال عبيد الله بن هَمّام السَلولي رحمه الله تعالى :

وفي لَيْلَةِ المُخْتارِ ما يُذْهِلُ الفَتَى ... ويلهيه عن رؤد[1] الشباب شَموعِ
دَعا يا لَثَاراتِ الحُسَيْنْ فأَقْبَلَتْ ... كَتائِبُ مِن هَمْدانَ بَعْدَ هَزيعِ
ومِن مَذْحِجٍ جاءَ الرَئِيسُ ابْنُ مالِكٍ ... يَقـودُ جُمـوعـاً عُبِئَتْ لِجُمـوعِ
ومِن أَسَدٍ وَافى يَزيـدُ لنَصْرِهِ ... بِكُلِّ فَتىً ماضي الجَنانِ مَنيعِ

وزعم بعضهم أنّ شَبَث بن رِبْعِيّ قُتل يومئذ واحتجّ بشعر أَعْشى همدان حين يقول :

جَزىٰ الله إبراهيمَ عَن أَهْلِ مِصْرِهِ ... جَزاءَ آمرىءٍ عَنْ وَجْهِهِ الحَقُّ ناكِبُ
سَما بِالقَنا من أَرْضِ ساباطَ مُرْقِلاً ... إلى المَوْتِ إرْقالَ الجمالِ المَصاعبِ
فصَبَّ على الأَحْياءِ مِنْ صَوْبِ وَدْقِهِ ... شَآبيبَ مَوْتٍ عُقِّبَتْ بالحَرائِبِ
فأَضحَى ابْنُ رِبْعي قَتيلاً مُجَدّلاً ... كَـأَنْ لَمْ يُقاتِـلْ مَرَّةً ويُحـارِبِ
فأَمّا أَبو إِسْحاق فَأَنْصاعَ سائِراً ... إلى عَسْكَرٍ جَمّ القَنا والكَتائِبِ
فلَمّا التَقَيْنـا بِـالسَبيـعِ وأَنْسَلوا ... إِلَيْنا ضَرَبْنا هامَهُمْ بِالقَواضِبِ
فـما راعَنـا إلّا شِبـامٌ تَحُسُّنـا ... بِأَسيافِها لا أُسْقَيت صَوْبَ هاضِبِ
أيقتلنـا المُخْتـارُ ظُلْمـاً بِكُفْـرِه ... فيا لَكَ دَهْراً مُرْصداً بِالعَجائِبِ

ومن نفى قَتْلَ شَبَث يومئذ روى هذا البيت .

فأَضْحَى ابْنُ صُهْبانٍ قتيلاً مُجَدَّلاً

وذلك الثبت والأوّل غلط وإنّما مات شبَث حَتْفَ أنفه ، وكانت وقعة الجبّانة في ذي الحجّة سنة ستّ وستّين ، فلما فرغ المختار منها أمر إبراهيم بن الأشتر بالمسير للقاء عبيدالله بن زياد وطلب قَتَلة الحسين وأهلِه .

---

١ ـ ترأد : اهتز نعمة .

وجعل يقول في سجعه : أَمَا ومُنْشِيء السحاب . شديد العقاب . سريع الحساب . منزّل الكتاب . العزيز الوّهاب . القدير الغلّاب . لَنَنْبُشنُ قبر كثير بن شهاب . المفتري الكذّاب . المَعيب المُعتاب . المجرم المرتاب . ثم لأبعثنَّ الأحزاب. إلى بلاد الأعراب. ثم لأُورِثنّ دورَهم وقصورهم وأموالهم الصابرين الصادقين السامعين المنيبين .

وكان يقول :

وربِّ البلد الأمين. وحُرْمة طور سينين. لأُقتلنّ الشاعر الهجين. أعشى الناعطيين . وسُوءَ برق البارقين . ابن الأَمَة من جَلولاءِ خانقين . الذي مننت عليه فكفر . وتابعني فغدر . وغداً يُلْقَى فيُنحَر . ثم يصير إلى سقر . فيذوق فيها العذاب الأكبر . وويل لابن همّام اللعين . وأخي الأَسدّيين . أولئكَ أولياء الشياطين . وإخوان الكافرين . الذين قَرَّفوا عليَّ الأباطيل . وتقوّلوا عليَّ الأقاويل . فسمَّوني كذّاباً وأنا الصادق المصدوق . وكاهنا وأنا المجيب الفاروق . وطُوبىَ لعبدالله وعبيدة[1] . وأخي ليلى الطريدة . ذوي الأخلاق الحميدة . والمقالة السديدة . والأنفس السعيدة .

وقال أيضاً : أَما والذي خلقني بصيراً . ونوّر قلبي تنويراً . لأحرقنّ بالمِصْرِ دورا . ولأنبُشنّ قبورا . ولأقتلن جبّاراً كفورا .

وقال أيضاً : في صَفَر الأصفار . يُقْتَل كلّ جبّار . على يد المختار .

---

١ ـ بهامش الأصل : يعني ابن كامل وعبيدة بن عمرو الكندي .

وكان يقول : أَمَا وربّ الجبالِ الشُمّ . الشوامخ الصُمّ . لأقتلن أَزْدَ عُمان . بكلّ شيعِي يمان . مِن مَذْحِجٍ وهَمْدان . ولأُبيرَنّ عَبْساً وذُبْيان . وتميماً أولياء الشيطان . حاشا النجيبَ ظَبْيان[1] .

وقال : أَمَا وربّ القَلَم . واللَوْح ذي الكَرَم . لَتَدينَنَّ لي العرب والعجم . ولأتخذنَّ من تميم خَدَم .

وقال : أَمَا والسميع العليم . العزيز الكريم . لأعركنّ عُمان عرك الأديم . ثم لأتّخذنّ خَدَماً من تميم .

وكان يمسح رأس ابنته ثم يقول : صلى الله على عيسى بن مريم ، لأنّه فيما يزعمون كان يقول سيتزَوجُها المسيحُ بن مريم عليه السلام .

---

١ ـ بهامش الأصل : ظبيان بن عبادة .

مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص
ومن شرك في دم الحسين عليه السلام

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة قال : كان لعمر بن سعد بن أبي وقّاص جَعْبة فيها سياط قد كتب على سوط منها عشرة وعلى آخر عشرين إلى خمسمائة ، فغضب على غلام له فضرب بيده إلى الجعبة فخرج سوط المائة فجلده مائة ، فأتى الغلام سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه وهو يبكي وقد سال دمه على عقبيه ، فقال سعد : اللهم اقتل عمرَ وأسِلْ دمه على عقبيه ، فمات الغلام وقتل المختار عمر بن سعد وكان سعد مستجاب الدعوة .

قالوا : ولما هُزم الناس يوم جبّانة السَبِيع خرج أشراف أهل الكوفة فلحقوا بمصعب بن الزبير ، وقد قدم البصرة والياً على العراقَيْن ، فقال المختار : ليس من ديننا أن ندع قوماً قتلوا الحسين يمشون على الأرض . ويقال إنّه بلغه أنّ ابن الحنفية قال : عجباً للمختار يزعم أنّه يطلب بدمائنا وقَتَلَةُ الحسين جُلساؤه وحداثه يحترفون في المصر . فحرّكه ذلك تحريكاً

شديداً ، فقال ذات يوم : والله لأقتلنَ رجلاً عظيم القَدَمَين . غائر العينين . مُشرف الحاجبين . أسِرٌ بقتله المؤمنين والملائكة المقرَّبين . وكانت هذه صفة عمر بن سعد ، فسمعها الهَيْثَم بن الأسود وهو عند المختار فدسَ ابنَه العُريان بن الهيثم إلى عمر فأخبره بقول المختار ، وقد كان المختار سأل عن ابن سعد فأُخبِر بأنّه مستَخْفٍ فكتب له أماناً على نفسه وأهله ولا يُؤخذ بحدث كان منه ما لزم مصره ومنزله ، فلما أبلغ العُريان عمرَ بن سعد رسالة أبيه همّ عمر بالخروج عن المصر ، ثم قيل له إنّ هذا قول باغٍ فأقام في منزله ، فبعث المختار أبا عَمْرة كَيْسان مولى عُرَينة وهو على حَرَسه إليه سرّاً وأمره أن يأتيه برأسه ، فدخل أبو عَمْرة عليه دارَه ، وعنده أهله فضرب عنقه وأتى المختار برأسه ، وعند المختار حَفْص بن عمر بن سعد وهو لا يعرف القصّة ، فقال له المختار : يا حفص أتعرف هذا الرأس ؟ قال : نعم هذا رأس أبي حفصٍ فقبّح الله العيش بعده ، قال : فإنّك لا تعيش بعده ، وأمر به فضُربت عنقه ، ثم بعث برأسيهما إلى ابن الحنفيّة ، وقال هذا بالحسين ، وهذا بعليّ بن الحسين ولا سواء ؛ فقيل له آمَنْتَه على أن لا يحدث حدثاً ولم يحدث ؟ فقال : سبحان الله ألم يدخل الخلاء مذ آمنتُه .

ثم بعث مُعاذ بنَ هانىء الكندي ، وأبا عَمْرة ، ومعبد بن سلَمَة الحضرمي فأحاطوا بدار خَوَلِيّ بن يزيد الأصْبَحي صاحب رأس الحسين فاختبأ في مخرجه فطلبوه فخرجت إليهم امرأته فقالوا لها أين زوجك ؟ قالت : لا أدري ، وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا عليه فوجدوا على رأسه قَوْصَرَّة[1] فأخرجوه وأقبل المختار حين بلغه أَخْذُه فقتله إلى جانب

---

١ ـ القوصرة : وعاء التمر . القاموس .

منزله ، ثم أمر به فأُحرق فلم يبرح حتى صار رماداً ، وكانت امرأته تُسمَّى العَيُوف ، وكانت حين أتاها برأس الحسين قد نفرت منه فكانت لا تكتحل ولا تَطَيَّب وقالت : والله لا يَرَى مني سروراً أبدا .

ولما هُزمت مُضَرَ يوم الجبّانة خرج شَمِر بن ذي الجَوْشَن يركض فرسه خارجاً من الكوفة ، واتبعه غلام للمختار يقال له زِرْبِيّ فعطف عليه شَمِر فقتله ولحق ببعض القرى فنزلها، وكتب إلى المصعب كتاباً ، ووجّه فَيْجاً فأخذت الفَيْجَ مسلحةٌ للمختار ، فسألوه عن صاحب الكتاب ، فدلّ على القرية التي هو فيها فأُنهي الأمرُ إلى المختار فوجّه إلى شَمِر خيلاً فلم يشعر إلّا وقد أحاطوا بالقرية فخرج إليهم فقاتلهم وهو يرتجز ويقول :

نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عَـرينٍ بـاسِـلا لَم يُرَ يَوْماً عَنْ عَدُوٍّ ناكِلا
إلّا كَذا مُقاتلاً أَوْ قاتِلا

فقيل : قتله عبد الرحمن بن عبدالله الهمداني طعنه في ثُغْرة نَحْره ، ونادى يا لثأرات الحسين ثم أوطأه الخيل وبه رَمَق حتى مات ، ثم احتز رأسه وأتى به المختار ونُبذت جيفته للكلاب .

وكان حَكيم بن طُفيل الطائي سلب العبّاس بن علي ثيابه ورمى الحسينَ بسهم ، فكان يقول : تعلّق سهمي بسرباله وما ضرّه ، فبعث إليه عبدَالله بن كامل فأخذه ، فاستغاث أهلُه بعديّ بن حاتم فكلّم فيه ابن كامل فقال : أمرُه إلى الأمير المختار ، وبادر به إلى المختار قبل شفاعة ابن حاتم له إلى المختار فأمر به المختار فعُرّي ورُمي بالسهام حتى مات .

وكان زيد بن رُقاد الجَنْبي يقول رميت فتىً من آل الحسين ويده على جبهته فأثبَتُّها في جبهته ، وكان ذلك الفتى عبدالله بن مسلم بن عَقيل بن أبي

طالب ، وكان رماه بسهم فَلَقَ قلبه فكان يقول نزعتُ سهمي من قلبه وهو ميّت ولم أزل أنضنض سهمي الذي رميت به جبهته فيها حتى انتزعته وبقي النصل ، فبعث إليه المختار ابن كامل في جماعة فأحاط بداره فخرج مصلِتاً سيفه فقاتل ، فقال ابن كامل : لا تضربوه ولا تطعنوه ، ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك حتى سقط ، ودعا له ابن كامل بنار فحرقه بها وبه حياة حتى صار رمادا ، ويقال : انّه سلخه وهو حيّ حتى مات .

وكان عمر بن صُبيح يقول : طعنت فيهم وجرحت وما قتلت أحداً ، ويقال : إنه رمى عبدالله بن مسلم بالسهم في جبهته ، وأنّ زيد بن رُقاد فلق قلبه ، فبعث المختار إلى عمرو فأتي به ليلاً ، فلما أصبح أُدخل إليه مقيّداً وحضر الناس فأمر به فعُري ، ثم طُعن بالرماح حتى مات ثم أُحرق ، ولما نُزعت ثيابه جعل يقول : أما والله لو أنّ سيفي معي لعلمتم أنّي بنصل السيف غير رعيش ولا رِعْديد ، وما يسرّني أني إذ كانت منيّتي القتل أنّه قتلني غيركم السَحَرَةَ الكَفَرَةَ .

وكان مالك بن النُسَير البَدّي الذي ضرب الحسين بن عليّ على رأسه وعليه برنس ، فامتلأ دماً فألقاه فجاء فأخذه ، فبعث المختار إليه مالك بن عمرو النَهْدي وقد دل عليه ، فجاء به فأمر بنار فأُجّجت في الرحبة عظيمة ثم أمر فقُطعت يده وألقيت في تلك النار ، ثم قُطعت رجله فأُلقيت فيها وهو ينظر فلم يزل يفعل ذلك بعضو منه بعد عضو حتى مات .

ودُلّ المختار أيضاً على عبدالله بن أسيد الجُهَني ، وحَمَل بن مالك المُحاربي فجاءه بهما مالك بن عمرو النَهْدي ، فأمر بهما فضُربت أعناقهما ، ودُلّ المختار أيضاً على عِمْران بن خالد العَنَزي ، وعبد الرحمن بن أبي

خشكارة البَجَلي ، وعبدالله بن قيس الخَولاني ، وهم أصحاب الحُلَل والوَرْس وعُدّة كانوا أخذوها معهم ، فبعث إليهم ابن كامل فأتاه بهم ، فلما أُدخلوا إليه قال : يا قَتَلَةَ الصالحين وأبناءِ النبيّين لقد اقاد الله منكم ، ثم قال : اضربوا أعناقهم لقد جاءكم الوَرْس بيوم نَحْس ، فضُربت أعناقهم في السوق ، وبعث المختار السائب بن مالك الأشعري في خيل فأخذ عبدالله وعبد الرحمن ابني وهب الهَمْداني وهما ابنا عمّ أعشى هَمْدان فأمر بهما المختار فقُتلا في السوق ، وطلب حُميد بن مُسْلِم فَنَجا وقال :

أَلَمْ تَــرَني عَــلَى دَهَشٍ نَــجَــوْتُ ولَمْ أَكَــدْأَنْــجُــو
رَجــاءُ الله أَنْــقَــذَني ولَمْ أَكُ غَــيْــرَهُ أَرْجُــو

ووجّه المختار في طلب عثمان بن خالد الجُهَني ونسر بن شوط القابضي من همدان ، وهما قاتلا عبد الرحمن بن عَقيل بن أبي طالب فظفر بهما فضُربت أعناقهما ثم أُحرقا ، فقال أعشى همدان ، وهو عبد الرحمن بن الحارث بن نِظام الهمداني :

يا عَيْنُ بَكّي فَتَى الفِتْيَانِ عُثْمانا لا يَبْعَدَنَّ الفَتَى مِن آلِ دُهمانا
واذْكُرْ فَتىً ماجِداً عَفّاً شَمائِلَهُ ما مِثْلُهُ فارِسٌ في آلِ هَمْدانا

وبعث المختار إلى مُرّة بن مُنْقذ قاتِل عليّ بن الحسين عليهما السلام ابن كامل ، فأحاط بداره ، وكان منقذ شجاعاً ، فخرج عليهم وبيده الرمح وهو على فرس جواد ، فطعن عبيد الله بن ناجية الشِبامي فصرعه ولم يضرّه ، وضربه ابن كامل فشُلّت يده ونجا فلحق بمصعب .

وهرب عمرو بن الحجّاج الزُبيدي فمات بواقصَةَ عَطَشاً .

وحدثني أبو عثمان عمرو بن محمد قال : سمعت أبا نُعيم الفضل بن دُكين يقول : هرب عمرو بن الحجّاج فسقط من العطش ، فلحقه أصحاب المختار وبه رَمَق فذبحوه واحتزّوا رأسه .

وهرب سِنان بن أَنَس النَخَعي الذي كان يُدْعَى قاتل الحسين فلحق بالبصرة فهدم المختار داره .

قالوا : فبينا الحجّاج يخطب ذات يوم إذ قال : ليَقُمْ كل ذي بلاءٍ وغَناءٍ فيتكلّم ، فقام سِنان فقال : أنا قاتل الحسين بن عليّ فقال الحجاج : بلاء لعمر الله حسِنٌ ، واعتُقل لسان سِنان ، ومات بعد خمس عشرة ليلة .

وهرب حَرْمَلة الأَسدي وعبدالله بن عُقبة الغَنَوي الذي ذكره ابن [أبي] عقب فقال :

وعِنْدَ غَنِيٍ قَطْرَةٌ مِن دِمائِنا وفي أَسَدٍ أُخْرَى تُعَدُّ وتُذْكَرُ

فيقال إنّهما أُدركا فقُتلا ، ويقال بل ماتا عطشاً .

وبعث المختار حَوْشباً اليُرْسَمي إلى محمد بن الأشعث الكندي وقال : ستجده قائماً متلدّدا . أو كامناً معتمداً ، أو لاهياً متصيّدا ، وكان في قرية له عند القادسيّة فهرب ولحق بالبصرة .

وكان أَسماء بن خارجة مستخفياً فقال المختار ذات يوم وعنده أصحابه : أما وربِ الأرض والسماء . والضياء والظَلْماء . لينزلنّ من السماء . نار دهماء . أو حَمْراء أو سَحْماء . فلَتحرقنّ دار أسماء ؛ فأتى الخبر أسماء فقال : سَجَعَ أبو اسحاق بنا ، ليس على هذا مُقامٌ ، فخرج هارباً حتى أتى البادية فلم يزل بها ينزل مرّة في بني عَبْس ، ومرّة في غيرهم حتى قُتل

المختار وهدم المختار له ثلاثة آدُر ؛ فقال عبدالله بن الزَبير الأسدي في قصيدة له :

تَرَكْتُمُ أبا حَسّانَ تُهْدَمُ دارُهُ مُنَبَّـذَةً أبْـوابُهـا وحَـديـدُهـا
فلَوْ كان مِن قَحْطانَ أَسْماءُ شَمَّرَتْ كَتائِبُ مِن قَحْطانَ صُعْرٌ خُدودُها

فأجابه أيّوب بن سَعِنة النَخَعي وقال :

رمى الله عين ابنِ الزَبير بِلَقْوَةٍ فَخَلْخَلَها حتى يَطولَ شهودُها
بكَيْتَ على دارٍ لأَسْماءَ هُدِّمَتْ مَساكِنُها كانَت غُلولاً وشِيدُها
ولَمْ تَبْكِ بَيْتَ الله إذْ دَلَفَتْ لَهُ أُمَيَّـةُ حتى هَدَّمَتْـهُ جُنودُهـا

أمـر الكـــرسي

قالوا : وقال المختار لآل جَعْدة بن هُبيرة ، وأمُّ جَعْدة أمّ هانىء بنت أبي طالب : ائتوني بكرسيّ عليّ بن أبي طالب فقالوا : لا والله ما له عندنا كرسيّ ، قال : لا تكونوا حَمْقَى وائْتوني به ، فظنّ القوم عند ذلك أنّهم لا يأتونه بكرسيّ فيقولون هذا كرسيّ عليّ إلاّ قبِلَه منهم ، فجاؤوه بكرسيّ فقالوا : هذا هو ، فخرجت شِبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصّبوه بخِرَق الحرير والديباج ، فكان أوّل من سدن الكرسيّ حين جيءَ به موسى بن أبي موسى الأشعري ، وأمّه ابنة الفضل بن العبّاس بن عبد المطّلب ، ثم إنّه دُفع إلى حَوْشب اليُرْسَمي ، يُرْسَم بن حِمْيَر وهم في هَمْدان ، فكان خازنه وصاحبه حتى هلك المختار ، وكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون : هو بمنزلة تابوت موسى فيه السَكينة ، ويستسقون به ويستنصرون ، ويقدّمونه أمامهم إذا أرادوا أمراً فقال الشاعر :

أَبْلِغْ شِبـامـاً وأبـا هـانِىءٍ أنّي بـكُـرْسِـيِّـهِـمُ كـافِـرُ

وقال أَعْشَى هَمْدان :

شَهدتُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ خَشَبِيَّةٌ ... وأَنّي بِكُمْ يا شُرْطَةَ الكُفْرِ عارِفُ
وأُقْسمُ ما كُرْسِيُّكُمْ بِسَكينَةٍ ... وإنْ ظَلَّ قد لُفَّتْ عَلَيْهِ اللَفائِفُ
وأَنْ ليس كَالتابوتِ فينا وإنْ سَعَتْ ... شِبامٌ[1] حَوالَيْهِ ونَهْدٌ وخارِفُ
وإِنْ شاكِرٌ طافَتْ به وتَمَسَّحَتْ ... بِأَعْوادِهِ أو أَدْبَرَتْ لا يُساعِفُ
وإنّي امْرؤٌ أَحْبَبْتُ آلَ مُحَمَّدٍ ... وآثَرْتُ وَحْياً ضُمِنَتْهُ الصَحائِفُ

وكان له عمّ يُكنى أبا أُمامة ، وكان من أصحاب المختار ، فكان يأتي مجلس قومه فيقول : أتانا اليوم بوحي ما سمع الناس بمثله .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه قال : قيل لابن عمر إنّ المختار يعمد إلى كرسيّ عليّ ، فيحمله على بغل أشهب ويحفّ به الديباج ويُطيف به أصحابه يستسقون به ويستنصرون فقال : فأَين جنادبةُ الأزْد عنه لا يعَقْرِبُه بعضهم ؟ قال : وهم جُنْدب بن زهير ، وجندب بن كعب من بني ظَبْيان ، وجندب بن عبدالله وهو جندب الخير .

---

١ ـ بهامش الأصل : شبام من همدان .

أمر المثنى بن مخربة العبدي
وأمر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي بالبصرة

قالوا : وكان المُثَنَّى لقي المختار عند انصراف مَن انصرَفَ من التوّابين من عَيْنِ الوَرْدة بالكوفة ، فبايعه فقال له المثنّى : إنّ لنا بالبصرة شيعةً فأْذَن لنا في القدوم عليهم والدعاء لهم ، فأذن له في ذلك ، فخرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى بلغه ظهور المختار ؛ وكان ابن مُطِيع لما أخذ المائة الألف من المختار ليشخص إلى المدينة استحيا من الرجوع إلى ابن الزبير ، فعدل إلى البصرة فأقام بها ، وكان المختار خائفاً من أن يوجّه إليه ابنُ الزبير جيشاً لِما فعل بابن مطيع ولإخراجه إيّاه ، فكتب إليه : «أمّا بعد فقد عرفتَ مناصحتي كانت لك واجتهادي في طاعتك ونصرتك ، وما كنتَ أعطيتني من نفسك ، فلما وفيتُ لك خِسْتَ لي ولم تعترف لي بما عاهدتني فكان منّي ما كان ، فإن تراجعْني أراجعك ، وإن تُرِدْ مناصحتي أُنصحْ لك» .

فلما قرأ ابن الزبير كتابه دعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له : قد ولّيتك الكوفة فسِرْ إليها ، فقال : وكيف وبها المختار ؟ قال : قد كتب لي أنه سامعٌ مطيع لي ، فسار عمر إليها وبلغ المختار خبره ، فوجّه

زائدة بن قُدامة الثقفي ومعه مُسافر بن سعيد بن نِمران الناعِطي في خمسمائة دارع ورامح، ومعه سبعون ألف درهم وقال: إذا لقيته فقل له عني: بلغني أنّك قد تكلّفت لسفرك خمسة وثلاثين ألف درهم، وهذه سبعون ألف درهم فخذها وانصرِفْ، فإنْ أَبى ذلك فأره أصحابَ مُسافر وحذّره إيّاهم، فلما لقيه زائدة أدّى إليه رسالة المختار فقال: ما أنا بقابل مالاً ولابُدَّ لي من النفوذ لأمر أمير المؤمنين، فدعا زائدة بالخيل وقد كان أكمنها فقال: إنّي محاربك بمن ترى ووراءهم مثلهم ومثلهم، فقال عمر: أمّا الآن فقد وَجَب العذرُ، وهذا أجمل بي، فأخذ السبعين الألف فاستحيا من الرجوع إلى مكة فصار إلى البصرة فأقام بها وذلك في إمارة القُباع الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة وقَبْلَ قدوم مصعب بن الزبير البصرة.

قالوا: واتّخذ المُثَنَّى بن مُخَرِّبَة مسجداً يصلّي فيه بأصحابه، واجتمعت الشيعة فبعث إليهم القُباع عبّاد بن الحُصين الحَبَطي في الخيل فبعث المثنَّى رجلاً من أصحابه فلقيه فهُزم عبّاد، فبعث القُباع الأحنف على خيل مُضَر ورجالها، فصاروا إلى عبد القيس، فخرج مالك بن مِسْمَع في بكر بن وائل مانعاً لعبد القيس منهم بالرَّبَعيّة لأنّه كان يرى رأي المثنَّى، وبعثت ربيعة إلى الأَزْد فأجابوهم، ورئيس الأزد يومئذ زياد بن عمرو العَتَكي فكانوا يقتتلون قتالاً ضعيفاً، وكلّهم يَهْوَى الصلح فكان عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعبدالله بن مُطِيع يختلفان بين الفريقين فقال لهم عمر: يا معشر بكر والأزْد ألستم على طاعة ابن الزبير؟ قالوا: بلى غير أنّا نكره أن نُسلم إخواننا من عبد القيس، فقال ابن مطيع: قولوا لإخوانكم فليذهبوا حيث شاؤوا فهم آمنون، ولا يدخلنّ بينكم وبين أهل مصركم فرقة، فأتى

مالك بن مِسْمَع ، وزياد بن عمرو : عبدَ القيس فقالا : إنّ هؤلاء القوم قد دعوا إلى الصلح ، وأعطوا النِصف ، ولم نأتِكم حين أتيناكم ونحن نرى رأيكم ، ولكنّا حمينا لكم أن تُضَاموا وتُوطَأوا ، ثم أخذا بيد المثنّى فقالا له : إنَّ الذين يرون رأيك قِبَلَنا قليلٌ ، فخذ آمانا لنفسك والحَقْ بأصحابك ، فقبِلَ ذلك ، وجاء ابنَ مطيع وعمر بن عبد الرحمن فعرضا الصلح فقبله القوم وأجابوا إليه؛ وأمّا الأحنف فقالا له : إنّ القوم قد أحبّوا الصلح ودعوا إليه ، فكأنّ الأحنف كره ذلك وتأرّب[1] فلم يُجب إليه ، فقال له عمر بن عبد الرحمن : إنّي لأعجب ممّن يزعم أنّكم حليم ، قَبِلَ القومُ الصلح وأجابوا إلى النصف وتأبى إلاّ الفرقة وما تسفك فيه الدماء وتنتهك الحُرْمة ؟ فقال الأحنف : هلُمَّ يا بن أخي إلى خالك ، يعني نفسه ، وذلك أنّ أُمّ الحارث جَدِّهِ من ولد نَهْشَل بن دارِم فتَميم أخواله ، فقال له : إنّ ربيعة والأزد كثيرٌ عَدَدُهم بالمصر وقد تحالفوا وصاروا يداً علينا ، فإن أريناهم الهيبة لهم ركبونا ، والله ما هم بأحرص على السلم والصلح منّي ، اذهب يا بن أخي فآصنع ما أحببت ، فاصطلح القوم ورجع المثنّى وخرج من البصرة .

وكتب المختار إلى الأحنف وهو على مُضَر : «أمّا بعد فويل أم ربيعة ومُضَر . من أمر سَوْءٍ قد حَضَر . وإنّ الأحنف قد أورد قومه سقر . وإنّي لا أملك القَدَر . وما خُطَّ في الزُبرُ . ولعمري لئن قاتلتموني وكذبتموني لقد كُذّب من كان قبلي وما أنا بخيرهم» .

وكتب المختار أيضاً إلى مالك بن مِسْمَع وزياد بن عمرو : «أمّا بعد فآسمعا وأطيعا وداوِما . على أحسن ما اتيتما أوتيكما من الدنيا ما شئتما .

---

١ ـ تأرب : تأبى وتشدد . القاموس .

وأضمَنُ لكما الجّنة إذا تُوُفِيْتما» ؛ فلما قرأ مالك الكتاب ضحك وقال لزياد : لقد أكثر لنا أخو ثقيف ، وأوسع ، أَعْطانا الدنيا والآخرة ، فضحك زياد وقال : نحن لا نقاتل بالنسيئة مَن عجّل لنا النقد قاتلنا معه .

وحدثنا عليّ بن محمد المدائني عن أبي إسماعيل الهمداني عن الشعبي قال : جلستُ يوماً إلى الأحنف ، فقال رجل من جلسائه يا كوفيّ استنقذناكم من عبيدكم ، يعني يومَ قُتِل المختار ، قلتُ قد عِفونا عنكم يوم الجمل فلم تشكروا ، وأنشدتُه شعر أَعْشَى همدان :

أَفَخَـرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبُـداً وكَفَـرْتُمْ نِعْمَـةَ الله الأَجَلّْ
نَحْنُ سُقْنـاكُمْ إِلَيْهِمْ عَنْـوَةً وجَمَعْنـا أَمْرَكُمْ بَعـد الفَشَلْ
فـإذا فـاخَـرْتُمـونَـا فَـاْذْكُـروا ما فَعَلنا بِكُمُ يَـوْم الجَمَلْ

فقال : يا كوفيّ أنتم أصحاب أنبياء ، يعني المختار ، قال : فأجبته بجواب كرهه الأحنف وقلت : تكذبون علينا في أشياء ، فقام فجاء بصحيفة صفراء فقال اقرأ آنفاً فإذا فيها : «من المختار بن أبي عُبيد إلى الأحنف ومَن قِبَله سِلْمٌ أنتم ، أما بعد فويل لربيعة ومضر . وإنّ الأحنف مُورد قومه سقر . حين لا يستطيع لهم الصدر . وإنّي لا أملك لكم إلّا ما خُطّ في الزُبُر ، وبلغني أنكم تكذّبوني وقد كُذّبت الأنبياء مثلي ولست بخير من كثير» فقال الأحنف : يا شعبي أكوفيّ هذا أم بصريّ ؟ ثم ضحك ، وقال لأصحابه : أَحسِنوا مجالسة أخيكم .

خبر شرحبيل بن ورس
المُدَّعِي من حِمير وهم في همدان

قالوا : لما بلغ المختار إقبال أهل الشام نحو العراق ، وعلم أنّه يُبْدَأ به خاف أن يأتيَه أهل الشام من شامهم ، وأهل البصرة من بُصرتهم ، فأظهر الميل إلى عبد الله بن الزبير ومُداراته وكتب إليه : «بلغني أنّ ابن مروان قد بعث إلى الحجاز جنداً فإنْ أحبَبْتَ أن أُمِدّك أمددتُك» فكتب إليه ابن الزبير : «إن كنت على طاعتي فبايع لي ، وخذ بيعَةَ مَن قِبَلَك ، فإنّه إن جاءتني بيعتك صَدّقْتُ مقالتك ، وكففتُ الجنود عن بلادك ، وسرّح الجيش الذي أنت باعث به إلى وادي القُرَى ليلقوا من بها من جند ابن مروان إن شاء الله» .

فدعا المختار شُرَحبيل بن وَرْس المُدَّعِي فسرّحه في ثلاثة آلاف أكثرهم موالٍ ليس فيهم من العرب إلاّ سبعمائة ، وقال له : سرْ حتى تدخل المدينة فإذا دخلتها فاكتب إليّ بذلك ، ودَبَّرَ أن يدخل شرحبيل المدينة ، ثم يبعث إليها عاملاً من قبله ، ثم يأمره أن يسير إلى مكة فيحاصر ابن الزبير ؛ ووقع في نفس ابن الزبير ما دبّر المختار وظنّ به مكيدته ، فبعث عبّاس بن سَهْل بن سعد الساعدي من مكة في ألفين ، وقال له : القَ جيش ابن وَرْس فإن كان

في طاعتي وإلّا فحاربهم حتى تهلكهم ، وأمره أن يستنفر الأعراب ففعل ، وأقبل حتى لقي ابن وَرْس بالرَقَم[1] ، وقد عبّأ ابن وَرْس أصحابَه وأصحابُ عبّاس منقطعون على غير تعبئة ، فقال له عبّاس : ألستَ على طاعة عبد الله بن الزبير؟ قال : نعم ، قال فسِرْ بنا إلى عدوّه بوادي القُرى ، قال : نعم ولكن أريد المدينة أوّلاً ثم أرى رأيي ، فتركهم ابن سهل حتى نزعوا سلاحهم وشغلوا بأثقالهم ، ثم قصد قَصْد ابن وَرْس في ألف من كماة أصحابه وشجعانهم ، وجعل ابن وَرْس يقول : يا شرطة الله إليّ قاتلوا الملحدين . أولياء الشياطين . فإنّكم على الحقّ المبين . وقد غدر القوم وفجروا ، فانتهى إليه عبّاس بن سَهْل وهو يقول :

أنا آبْنُ سَهْلٍ فارِسٌ غَيْرُ وَكَلْ أَرْوَعُ مِقْدامٌ إذا النِّكْسُ نَكَلْ

فلم يَطل القتال بينهم حتى قُتل ابن وَرْس في سبعين ، ورفع عبّاس راية أمان لأصحابه فأتوها إلّا نحواً من ثلاثمائة انصرفوا مع سليمان بن حِمْيَر الثَوْري ، فظفر ابن سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم ، وأفلت الباقون .

فلما بلغ المختار خبر شرحبيل بن وَرْس وأصحابه قال : إنّ الفُجّار الأشرار . قتلوا الأخيار الأبرار . ألا وإنّ الفاسق النجس . القَذِر الرجس . قتل ابن وَرْس . وكان أمراً مأتياً . وقضاءً مقضيّاً .

وكتب المختار إلى ابن الحنفيّة : «إنّي كنت بعثت جندا ليحووُا لك البلاد ، ويدوّخوا الأعداء ، فلما صاروا بطَيْبَةَ لقيهم جند الملحد فخدعوهم وغرّوهم فإن رأيت أن ابعث إلى المدينة خيلاً وجنداً كثيفا وتبعث من قبلك

---

١ ـ موضع شرق الحناكية ، ويعتقد أن الحناكية هي بطن نخل ، قرية من قرى المدينة على طريق البصرة . المغانم المطابة ـ مادتا : بطن نخل ، ورقم .

رسلاً يعلمونهم أنّي في طاعتك وأنّي بعثت من بعثت عن أمرك فافعل فإنّك ستجدهم بحقّك أعرف ، وبكُم أهلَ البيت أرأف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين والسلام» ، فكتب إليه ابن الحنفيّة : «إنّ أَحبَّ الأمر إليّ ما أُطيعُ الله فيه فأطعه ما استطعت فيما أعلنت وأسررت ، واعلم أني لو أردت القتال وجدت الناس إليّ فيه سراعا ، وعليه أعوانا ، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين» .

مسير إبراهيم بن مالك الأشتر إلى الموصل ومقتل عبيدالله بن زياد وحُصين بن نمير السَكوني

قالوا : لما فرغ المختار من أمر مَن خرج من أهل الكوفة وانقضت حربهم بجبَانة السَبيع والكُناسة لم يكن له همّة إلاّ إمضاء جيش إبراهيم بن الأشتر للوجه الذي وجّهه له ، فشخص إبراهيم من الكوفة لستّ ليال خلون من ذي الحجّة سنة ستّ وستّين ، ويقال : لثمان خلون من ذي الحجّة ، وكان معه قيس بن طَهْفة على ربع أهل المدينة ، وعبد الله بن جندب على مَذْحِج وأسَد ، والأسْوَد بن جَراد الكندي على كندة وربيعة وحبيب بن مُنْقِذ على تميم وهمدان ، فقال شاعرهم :

أما وربِّ المُرْسَلاتِ عُرْفا لَنَقْتُلَنَّ بَعْدَ صَفٍّ صَفّا
وبَعْدَ أَلْفِ قَاسِطِينَ أَلْفا

فخرج في زُهاء تسعة آلاف ، وشَيَّعَه المختارُ ،فلما صار إلى القنطرة إذا أصحاب الكُرْسيّ قد وقفوا يستنصرون ويدعون فقال ابن الاشتر ربَّنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا ، سُنّةَ بني اسرائيل والذي أنا له .

وانتهى ابن الاشتر إلى المدائن فلقي من كان انصرف من أصحاب يزيد بن أنس ، فردّهم معه ، فلما تجاوز الكُحَيل من أرض الموصل جعل لا يسير الاّ بتعبئة .

وسبق ابن زياد إلى الموصل ، وبادر دخوله العراق واجتمعا على الخازِر إلى جنب قرية تُدعى باريثا ، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ ، فنزل ونزل عبيد الله بن زياد قريباً منه على شاطىء الخازِر ، وهو نهر قريب من الزابي ، فأرسل إليه عُميرُبن الحُباب السُلَمي : إنّي أريد لقاءك الليلة ، وكانت قيس الجزيرة مضطغنة على بني مروان لِما كان من مروان إليهم في وقعة مرج راهط ، فأتاه ابن الحُباب فجرى بينهما كلام كثير وقال : ما أحد أبغض إليّ ظَفَراً من آل مروان ، فآعلمْ أني منهزمٌ بالناس إذا قامت الحرب ، فأراد ابن الأشتر أن يبلوَ صدق ذلك فقال له أترى أن أُخندق على نفسي وأتلوّم يومين أو ثلاثة ؟ فقال عُمير : لا تفعل فإنّ القوم أُضعافُكم فإن طاولوك وماطلوك خَبِروا أمركم واجترأوا عليكم لكثرتهم وقلتكم ، وخرج ما في قلوبهم من الهيبة لكم فإنّ في أنفسهم منكم روعة ، وهم من لقائكم على وجل ، فعاجِلْهم وناجِزْهم ، فإنّ القليل لا يطيق الكثير على المطاولة ، ولا آمَنُ إن شامّوكم يوماً بعد يوم ، ومرّة بعد مرة أن يقهروكم ، فقال ابن الأشتر : الآن علمت أنّك ناصح ، كان عُميربن الحُباب على ميسرة عبيد الله بن زياد ، فأذكى ابن الاشتر تلك الليلة حَرَسه ، ولم يدخل الغُمضُ عينه .

فلما كان في السحر عبّأ أصحابه ، فجعل سُفيان بن يزيد بن المغفَّل على ميمنته ، وعليّ بن مالك الجُشَمي على ميسرته ، وصلى الغداة بِغَبش ،

ثم صفّ أصحابه وألحق كلّ صاحب راية برايته ، وجلس على تلّ عظيم ووجّه من عرف خبر القوم فقيل له إنّهم على دهش ، فأخبره بعض رسله وعيونه أنّه لقي منهم رجلا ما له هجيراً إلاّ : يا شيعة أبي تُرَاب . يا شيعة المختار الكذّاب ، وجعل ابن الأشتر يحرض الناس فيقول : يا أنصار الدين ، يا شيعة الحقّ ، يا شرطة الله هذا قاتِل الحسين فما الذي تُبقون له جدّكم واجتهادكم بعده ، هذا الذي حال بين الحسين وبين ماء الفرات ، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وأهلَ بيته ، فوالله ما كان عمل فرعون ببني اسرائيل إلاّ دون عمل هذا الفاجر ، وزحف الشاميّون وعلى ميمنة ابن زياد الحُصين بن نُمير ، وعلى ميسرته عُمير بن الحُباب السُلَمي ، وعلى خيله شرحبيل بن ذي الكَلاع الحِمْيَري ، ومشى ابن زياد في رجاله ، فلما تدانى الصفان حمل حُصين بن نُمير على ميسرة أهل الكوفة فقُتل علي بن مالك الجُشَمي فأخذ الراية ابنُه فقُتل في رجال من أهل الحِفاظ ، وانهزمت ميسرة ابن الاشتر فصيّر عليها عبدَ الله بن وَرْقاء السَلولي فثابَت الميسرة إليه ، وجعل ابن الاشتر يقول : يا شرطة الله إليّ أنا ابراهيم بن الأشتر ، إنّ خَيْرَ فراركم كرارُكم وحملت ميمنة ابن الاشتر على عُمير بن الحُباب وأصحابه فثبتوا ، وكان عمير أَنِفَ من الفرار فقاتل قتالاً شديداً ، فلما رأى ابن الاشتر ذلك قال لأصحابه أُمُّوا السَواد الأعظم فإن فضضتموه لم يكن للقوم ثبات بعده ، ففعلوا ذلك ، وتضاربوا بالسيوف وتطاعنوا بالرماح ، فإبراهيم يشدّ بسيفه فلا يضرب أحداً الاّ صرعه والقوم يهربون من بين يديه كأنّهم الغنم ، وجعل اذا حمل برايته حمل اصحابُه حملة رجل واحد لا يَثْنيهم شيء ، فكانوا

على ذلك ، ثم إنّ أهل الشام انهزموا بعد قتال شديد وقتلى بين الفريقين كثيرةٍ ؛ ويقال إنّ عُميرا أوّل من انهزم بالقوم بعد تعذير منه .

ووصل إبراهيم إلى عبيد الله بن زياد فقتله وهو لا يُثبته فقال : يا قوم لقد قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك شرّقَتْ يداه وغرّبت رجلاه ، فطُلب فإذا هو ابن زياد ، فأمر برأسه فأُخذ وأُحرقت جثّته بالنار ؛ وحمل شريك بن جرير التغلبي على الحُصين بن نُمير السَكوني وهو يظّنه ابن زياد فقتله ؛ وقُتل شرحبيل بن ذي الكَلاع ، فادّعى قتله سفيان بن يزيد بن المُغَفَّل الأزدي ووَرْقاء بن عازب الأَسَدي وعبد الله بن زهير السَلولي ، ولما هزموهم اتبعوهم فكان من غرق منهم أكثر ممن قُتل ، واحتووا على عسكرهم .

وأرجف الناس بالكوفة بمقتل ابن الاشتر فخرج المختار إلى المدائن فلما صار بها تلقّته البشارات بقتل عبيد الله بن زياد وفضّ عسكره ؛ وقال عامر الشعبي : كنت في عسكر المختار بالمدائن ، فكان يحرّضنا ويحضّنا ويقول إنّ شيعة الله يقتلونهم بنَصِيبِين أو قُرْبِ نصيبين ، فقال لي بعض الهمدانيّين حين جاء قتل ابن زياد : يا شعبي ألَا تَبُوءُ وتقرّ للمختار ؟ قلتُ : بما أبوء له أقول إنّه يعلم الغيب والله ما يعلم الغيب إلّا الله ، قال : ألم يقل إنّهم يهزمون ؟قلت : إنّه قال : بنَصِيبِين أو قرب نصيبين ، وإنّما كانت الوقعة بالخازر ، فقال لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم .

حدثنا خَلفَ بن سالم وأبو خَيْثمة قالا : حدثنا وهب بن جرير عن أبيه حدثني إبراهيم بن الأشتر قال : مرّ بي ابن زياد يوم الخازر فسطع منه المسك وأنا لا أعرفه فظننت أنه رجل له منزلة في القوم وحالٌ ، فقصدت له فضربته

على رأسه بالسيف فخرّ بين قوائم برذونه يخور كخُوار الثور ، فنظرت فإذا هو ابن زياد .

وانصرف المختار إلى الكوفة ، ومضى إبراهيم بن الأشتر إلى الموصل ، وبعث عمّاله عليها وعلى نَصِيبين ، وسِنْجار ودارا ، وما والاها من أرض الجزيرة .

وقال الهيثم بنَ عديّ : ولّى ابن الأشتر زُفَر بن الحارث قَرْقِيسِيَا ، وحاتم بين النعمان الباهلي حران والرُها ، وسُمَيساط وناحيتها ، وعُمير بن الحُباب كَفَرتُوثا وطور عَبْدِين ؛ وليس ذلك بثبت عند الكلبي .

وقال عُمير بن الحُباب حين قُتل ابن زياد :

ما كانَ جَيْشٌ يَجْمَعُ الخَمْرَ والزِنا ... مُحَلًّا إذا لاقى العَدُوَّ لِيُنْصَرا

وقال ابن المُفَرّغ حين قُتل ابن زياد :

إنَّ المَنايا إذا ما زُرْنَ طاغِيَةً ... هَتَكْنَ أَسْتارَ حُجّابٍ وأَبْوابِ
أقول بُعْداً وسُحْقاً عِنْدَ مَصْرَعِهِ ... لِابنِ الخَبِيثَةِ وابنِ الكَوْدَنِ الكابي
لا أَنْتَ زاحَمتَ عن مُلْكٍ فتَمْنَعَهُ ... ولا مَتَتَّ إلى قَوْمٍ بِأَسْبابِ
لا مِن نِزارٍ ولا مِن جِذْمِ ذي يَمَنٍ ... جُلْمودَةٌ أُلْقِيَتْ مِن بَيْنِ أَلْهابِ
لا تَقْبَلُ الأَرْضُ مَوْتاهُمْ إذا قُبِروا ... وكَيْفَ تَقْبَلُ رِجْساً بَيْنَ أَثْوابِ[1]

قالوا : ولحق جميع من كان هرب من المختار من أهل الكوفة أو أكثرهم بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وقد قدمها والياً على المصرَين ، فقدم شَبَث بن ربعي التميمي على بغلة قد قطع ذنبها وطرفي أُذُنَيْها وشقّ قَباءه ،

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٨٢ ـ ٨٤ .

ووقف ينادي واغوثاه ، واغَوْثاهْ ، فدخل على المصعب فأخبره بما لقي الناس من المختار ، وهذا أصحّ من قول مَن قـال إنّ شَبَثاً قُتل بالكوفة ، وأخبره أيضاً وجوهُ أهل الكوفة بما نالهم وسألوه نصرتهم والمسير معهم ؛ وقدم عليه محمد بن الأشعث ولم يكن شهد وقعة الكوفة ، فاستحثّ المصعب بالشخوص إلى الكوفة ، فقال : لست فاعلاً حتى يقدم المهلَّب علي ، وكان بفارس ، فكتب إليه يأمره بالقدوم ، فاعتلّ بالخراج ، فقال محمد بن الأشعث : وَجِهْني إليه آتِكَ به ، فسار محمد حتى قدم فارس فلما رآه المهلَّب قال : يا محمد أما وجد المصعب بريداً غيرك ؟ فقال : يا أبا سعيد والله ما أنا إلاّ بريد نسائنا وأبنائنا ؛ فأقبل المهلّب معه في جموع وهَيْئة وعِلاج ليس لأحد مثلها حتى قدم البصرة ، وكان المهلّب أتى عبدالله بن الزبير فكتب له عهده على خراسان فلما صار إلى البصرة طلب إليه أهلها أن يقاتل الخوارج وكانوا قد ظهروا وأبزوا[1] عليهم ، فأقام لقتالهم فاتبعهم إلى فارس ، فكان يحاربهم ، وقدم المصعب فولاّه فارسَ خراجَها وحربها .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن زيد، وصعب عمّ جرير بن حازم قال: قدم المهلّب بعهده على خراسان من قِبَل عبدالله بن الزبير ، وقد نزلت الحَروريّة بين الجسرَيْن بالبصرة فقتلوا وحرقوا ، وغلبوا على كورَ الأهواز ، وشاطىء دجلة فأتى الأحنف وأشراف أهل البصرة المهلَّبَ فسألوه أن يتولّى قتال الأزارقة ، فقال : لست أقدر على ذلك هذا عَهْدُ أمير المؤمنين إليَّ على خراسان ،

---

١ ـ ابزى : وثب ، بغى . القاموس .

قالوا : فإنّا نخرج إلى أمير المؤمنين فنسأله أن يعفيك من خراسان ويولّيك قتال الأزارقة، قال : فرأيكم. فخرج من خرج منهم فجاؤوا بكتاب ابن الزبير بتوليته قتال الأزارقة ، وقال بعض الناس : افتعلوه على لسان ابن الزبير ، وقال آخرون : بل خرج ناس فجاؤوا بكتابه، فنفى الخوارج إلى الأهواز .

قال جرير بن حازم : ثم صاروا إلى فارس فاتبعهم ، وكتب عبدالله إلى مصعب بن الزبير بتوليته فارس ، وكان قدوم المصعب البصرة والياً عليها بعد القُباع في سنة سبع وستّين .

خبر يوم المذار ومقتل أحمر بن شميط وابن كامل

قالوا : قدم المهلَّب بن أبي صُفرة من فارس ، واستخلف المغيرة ابنَه ، ويقال غيره ، وقال بعضهم : قسم فارس بين أصحابه وأمرهم أن يجتمعوا على قتال الخوارج مع صاحب الناحية التي تكون فيها ، فلما دخل على مصعب أمره بالعسكرة عند الجسر الأكبر ، ولم يُرِ المصعب أحداً إعظامَه له ، ودعا عبد الرحمن بن مِخْنَف فقال له: ائتِ الكوفة مستخفياً حتى تُخرِج إليَّ من استطعت إخراجَه وخذلِ الناس عن المختار ، فمضى حتى نزل منزله سرّاً فلم يظهر ، وخرج مصعب بن الزبير ، وقد جعل المهلّبَ على ميسرته ، وعمر بن عبيدالله بن مَعْمَر على ميمنته وقدم عبّاد بن الحُصين التميمي أمامه على مقدّمته ، وكان مالك بن مِسْمَع على جيش بكر بن وائل ، ومالك بن المُنْذِر بن الجارود على جيش عبد القيس ، والأحنف بن قيس على جيش العالية ، وبلغ المختار ذلك ، فقال لأصحابه : يا أهل الدين وأعوان الحقّ ،

وأنصار الضعيف ، وشيعة الرسول وآلِ الرسول وشرطة الله إنّ هؤلاء الذين هربوا من أسيافكم أتوا اشباهاً لهم من أهل البصرة من الفاسقين فاستنفَروهم لِيُميتوا الحقّ ويُنْعَشَ الباطل ، ويُدَالَ أولياء الله في الأرض فانتدِبوا يرحمكم الله مع أحْمَر بن شُميط الأحْمسي .

فعسكر ابن شميط بحمّام أعْيَن ، وضمّ إليه المختار الناس ، وبعث على مقدّمته عبدالله بن كامل الشاكري من همدان فسار أحمر بن شُميط حتى ورد المَذار ، وأقبل مصعب فنزل قريباً منه وعبّأ كل واحد منهما جنده ، فجعل ابن شُميط ابنَ كامل على ميمنته وعبدالله بن أَنس بن وهب بن نَضْلة الجُشَمي على ميسرته ، وجعل على الخيل رَزين بن عبد السَلولي وعلى الرجال كثير بن اسماعيل بن كثير الكندي ، وجعل أبا عَمْرة على الموالي ، وأَقَرَّ المصعب المهلّب على ميسرته ، وعمر بن عبيد الله على ميمنته ، وجعل على الرجال مُقاتل بن مِسمَع ، وعلى الخيل عبّاد بن الحُصين ، فالتقوا وحمل عبّاد على ابن شميط وأصحابه ، فلم يزُلْ منهم رجل عن موقفه ، وحمل ابن كامل على المهلّب فلم يزالوا كذلك يحمل بعضهم على بعض ، ثم حمل أهل البصرة جميعاً على ابن شُميط حملة واحدة فقاتل حتى قُتل ، وتنادى أهل الكوفة: يا معشر بَجيلة وخَثْعَم الصَبْرَ الصَبْرَ، فنادى بهم المهلّب: الفرارَ الفرارَ على ما تقاتلون أضلّ الله سَعْيَكم ، ثم مالت الخيل على رجالة ابن شُميط فاصطُلموا ، وقُتل عبدالله بن كامل .

وسرّح المصعب محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة ممّن هرب من المختار ومن بَعِثَ به عبد الرحمن بن مِخْنَف ، وقال دونكم الطلب

بثأركم ، فكانوا أشدّ عليهم من أهل البصرة لا يتركون رجلاً إلاّ قتلوه فلم ينجُ من ذلك الجند إلاّ شِرْذِمة قليلة من أصحاب الخيل .

ورُوي عن معاوية بن قُرة المُزَني أبي إياس بن معاوية أنّه قال : انتهيتُ إلى رجل منهم فأدخلتُ سنان الرمح في عينه وجعلتُ أُخَضخضه ، فقيل له : أَوَفعلتَ ذلك ؟ قال : نعم والله إنّهم كانوا أحلّ عندنا من التُرْك والدَيْلَم ، وكان معاوية قاضياً بين أهل البصرة ، وقال أَعْشَى هَمْدان :

أمـا نُبِئّتَ والأنبـاءُ تَنْمي بمـا لاقَتْ بَجيلَةُ بـالمَـذارِ
أُتيحَ لَهُمْ بِها ضَرْبٌ طَلَخْفٌ[1] وطَعْنٌ صـائِبٌ وَجْهَ النَهـارِ
فبَشِّـرْ شيعَـةَ المُخْتـارِ إمَّـا مَرَرْتَ عَلَى الكُوَيْفَةِ بِالصَغارِ
وما إنْ سَرَّني إهْلاكُ قَوْمي وإنْ كانوا وجَدِّكَ في خَسارِ
ولـكِنّي أُسَرُّ بمـا يُـلاقـي أَبو إسْحاقَ مِن خِزْيٍ وعارِ

وكان على البصرة حين شخص المصعب إلى المَذار عُبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر التَيْمي ولاّه إيّاها المصعب، وهو كان عليها أيضاً [حين] خرج لقتال المختار ، والثبت أنّه كان خليفة أخيه عمر بن عبيدالله لأنّ أَمْرَها كان إلى عمر ، وكان عمر خليفة المصعب عليها في ظعنه ومقامه .

وبلغ المختار ومن معه خبر ابن شُميط وابن كامل ووجوه رجاله وحُماته ، فقال من كان بالكوفة من الأعاجم كلاماً بالفارسيّة تفسيره : لم يصدق أبو اسحاق المرة .

١ ـ أي ضرباً شديداً . القاموس .

وقال بعض الشعراء فيما ذكر المدائني :

ونحنُ قَتَلْنا أحْمَراً وجُموعَهُ وقَدْ كانَ قَتَّالَ الكُماةِ مُظَفَّرا
غداةَ عَلا الإسكافُ بِالسَّيْفِ رَأْسَهُ فخَرَّ صَريعاً لِلْيَدَيْنِ مُعَفَّرا

قال : والإسكاف محمد بن عبد الرحمن الإسكاف .

حدثنا خَلَف بن سالم وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير حدثنا جُوَيْرِية حدثني الصَقْعَب بن ثابت عن أبيه قال : سمعت المختار بالمدائن وهو يقول : والذي كرّم وجه أبي القاسم ليدخلنّ ابن شُميط البصرة في عافية صافية . قضاءً مقضيّا . وقد خاب من افترى ، وقد بعثتُ معه براية ما غزلَتْها يدٌ ولا نسجها نسّاج ، وكان أُدْرَجَها ولف عليها خرقة ثم ختمها ، وقال : لا تفتحها حتى تبلغ ساعة كذا من النهار ، ثم انشرها فانّ القوم اذا نظروا إليها انهزموا .

وحدثاني قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن الأزرق قال : بعث المختار ابنَ شُميط فدفع إليه سفطاً مختوماً ، وقال إنّ فيه راية لم ينسجها إنْس ولا جِنّ فأَخْرِجْها فإنّك تظفَّر عليهم ، وإيّاك أن تُخرجها من أوّل النهار فقُتل ، ومضى مصعب إلى الكوفة فانحاز المختار إلى داره فحصره فيها ، فخرج ليلاً فعرفه الناس فقتلوه وقَتَل أصحابَه وقد نزلوا على حكمه ، وهم سبعة آلاف .

خبر قدوم المصعب بن الزبير الكوفة ويوم حروراء ومقتل المختار بن أبي عبيد

حدثني محمد بن يزيد أبو هشام الرِفاعي ، حدثني عمّي كثير بن محمد عن عبدالله بن عياش المنتوف عن مجالد عن الشعبي قال: ولّي عبيدالله بن مَعْمَر المسمى القباع ، وإنّما سُمّي القُباع لأنّه رأى مكيالا لأهل البصرة فقال ما هذا القُباع ؟ يعني الأَجْوَفَ ، فلقّبوه قباعاً ، وهو الذي يقول فيه أبو الأسود الديلي [1] لعبدالله بن الزبير .

أبا بَكْرٍ جَـزاكَ الله خَيْراً أَرِحْنا مِنْ قُباعِ بَني المُغيرَهْ

فعزله ابن الزبير ، وولّى البصرة والكوفة جميعاً مصعب بن الزبير أخاه ، فقدم البصرة وكان المختار بالكوفة وقد أُخرج عنها ابنَ مُطيع عامل ابن الزبير .

فلما قدم أصحاب المختار المَذار ليغلبوا على البصرة فيما دبّروا زحف إليهم المصعب بوجوه أهل البصرة ، واستخلف عمرُ بن عبيدالله عليها عبيدَالله بن عبيدالله بن مَعْمَر أخاه ويُكنى أبا معاذ بكنية أبيه ، فقتل المصعبُ ابنَ شُميط وأصحاب المختار وفضَّ عسكره ، ثم إنّ عمر بن عبيدالله استخلف أيضاً على البصرة أخاه بأمر المصعب ، وسار المصعب إلى الكوفة فقتل المختار .

١ ـ ديوان بي الأسودالدولي ص ٢٢٠ .

وولّى عبدالله بن الزبير حمزة ابنه البصرة بعد أشهر ، وذلك بمشورة رجل شخص إليه من أهل العراق مولىً لبني عِجْل ، يقال له إبراهيم بن حيّان فأخبره أن أهل البصرة يحبّون ولايته ، وكتب إلى مصعب في ضمّ من قِبَله من رجال البصرة إلى حمزة ، فغضب مصعب وشخص إلى مكّة وحمل معه مالا من مال الكوفة واستخلف عليها القُباع .

وقدم حمزة البصرة في سننه فكان جواداً إلاّ أنّه كان أحمق، شخص إلى الأهواز فدعا بدهقانها واسمه مردانشاه فأمره أن يحمل الخراج فاستأجله ، فشدّ عليه فضرب عنقه وعنده الأحنف فقال له إنّ سيف الأمير لحادّ ، ونظر حمزة إلى جبل الأهواز فقال كأنّه قُعَيْقِعان يعني جبلا بمكّة ، فسمّوه قعيقعان ، وسمّوا الجبل أيضاً قعيقعان .

ولما ورد مصعب على عبدالله أخيه قال له : من استخلفت على الكوفة ؟ قال الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة ، وقال له : ما رأيتَ في حمزة ابنك حتى عزلتني وولّيته ؟ قال : ما رأى عثمان في ابن عامر حين عزل أبا موسى وولّاه ولم أعزلك تفضيلاً له عليك ، وردّه على المصرين جميعاً ، فأقرّ القُباع بالكوفة على خلافته ، وأقرّ عمر بن عبيدالله على أمر البصرة ، ثم ولاه فارس .

وقال ابن عيّاش : كان حمزة يُعطي الكثير مَن لا يستحقّه ، ويمنع القليل مَن يَستحقّ الكثير ، وكان يُعطي مائة ألف ويَمنع شِسْعا ، ورأى فَيْض البصرة فقال : إنّ هذا غدير إنْ رفق به أهله كفاهم ضيعتهم ، وركب إلى فيض البصرة في الجَزْر ، فقال : لو اقتصدوا فيه لم ينقص هذا النقصان .

ومدحه موسى شَهَوَات فقال :

حَمْـزَةُ المُبْتاعُ حَمْـداً بِـاللُّهَى ... ويَرَى في بَيْعِهِ أَنْ قَدْ غَبَنْ

وإذا أَعْـطَى عَطاءً فـاضِلاً ... ذا إخـاءٍ لَمْ يُكَـدِّرْهُ بِمَنّ

وإذا مـا سَنَـةٌ مُجْـدِبَـةٌ ... بَرَتِ المالَ كَبَـرْيٍ بِالسَّفَنْ

إنْجَلَتْ عَنْـهُ نَقِيّاً ثَـوْبُـهُ ... وتَـوَلَّـتْ ومُحَيَّـاهُ حَـسَـنْ

نـورُ صِدْقٍ نَيِّـرٌ في وَجْهِهِ ... لَمْ يُصِبْ أَثْوابَهُ لَوْنُ الدَرَنْ

ولجأ الفرزدق إليه وهو بالحجاز في امرأته ، وقد كتبنا قصّته في خبر ابن الزبير .

قالوا : ولما صنع حمزة ما صنع بدهقان الأهواز كتب الأحنف ووجوه أهل البصرة في عزله وإعادة مصعب ، فعزله واحتمل حمزة مالاً من مال البصرة فعرض له مالك بن مِسْمَع وقال : لا نَدَعك تخرج بأعطياتنا فضمن له عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر العطاء كاملاً فكفّ وقد كان عسكر في ربيعة ، وتخلّص حمزة بالمال فترك أباه وأتى المدينة فأودع المال رجالاً فذهبوا به إلاّ يهوديّا وَفَى له ، وقال أبوه : أبعده الله أردتُ أن أُباهي به بني مروان فنكص .

قالوا : وكان حمزة محباً لابن سُريج المغنّي ، وهو غنّى في قول موسى شَهَوات .

حَمْزَةُ المُبْتاعُ حَمْداً بِاللُّهَى

وكان حمزة لا يخالفه ، فسأله رجل أن يكلّمه في إسلافه ألف دينار ، ففعل وأسلف الرجل ألفا وأعطى ابن سُريج ألفا .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي عن وهب بن جرير عن أبيه عن صَعْب بن زيد قال : بعث ابن الزبير ابنه حمزة وكان فيه ضعف وحمق ، فخرج إلى الأهواز فلما رأى جبلها قال إنّ هذا الجبل لَشبيه بقُعَيْقَان فسمّي لذلك قعيقعان ؛ قال صَعْب : وفرغنا يوما من الخوارج ونحن بالأهواز فخرج على فرسه مطلقا برحات قَبَائه فكأنّي انظر إلى تِكة سراويله قد بدت على قَرَبوس سرجه وهو يركض فكان وجهه إلى البصرة ولم يلق قتالاً ؛ وكان خليفته بالبصرة عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر وأقام بالبصرة سنة ، وكان عمر بن عبيدالله على فارس .

قالوا : ولما انقضى أمر يوم المَذَار أقبل المصعب نحو واسط القَصَب ، ولم تكن يومئذ إنّما كان أحدثها الحجّاج بعدُ ، فأخذ في كَسْكَرَ وحمل الضعفاء في السُفُن فخرجوا في نهر يقال له قُوسان منه إلى الفرات ، فكان أهل البصرة يخرجون فيجرّون سفينهم ويقولون :

عَوَّدَنا المُصْعَبُ جَرَّ القَلْسِ ... بالزَنْبَرِيّاتِ[1] الطِوالِ المُلْسِ

ويقال : إنّهم قالوا ذلك حين شخص إلى الكوفة ثم إلى مَسْكِن .

قالوا : وبلغ المختار مسيرهم فخرج حتى نزل السَيْلَحُون بالكوفة وسكر الفرات على نهر السَيْلَحُون ، ونهر يوسف ، وجعل يذكر ابن شُميط وأصحابه فيقول : حَبّذا مصارعُ الكِرام ، وبقيت سفن البصريّين تُجَرّ على الطين ، فلما رأوا ذلك وجّهوا خيلاً إلى السكر فكسروه وصمدوا صمد الكوفة ، فلما رأى المختار ذلك أقبل حتى نزل حَروراء وحال بينهم وبين

١ ـ الزنبري : الضخم من السفن . القاموس .

الكوفة ، وقد كان حصّن القصر والمسجد واستخلف بالكوفة عبدالله بن شدّاد الجُشَمي ، وجعل المختار يومئذ على ميمنته سليمان بن يزيد الكندي وعلى ميسرته سعيد بن مُنْقِذ الهَمْداني ، وكان على شرطته يومئذ عبدالله بن قُراد الخَثْعَمي ، وكان على ميمنة المصعب المهلَّب بن أبي صُفرة ، وعلى ميسرته عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر ، وعلى الخيل عبّاد بن الحُصين ، وعلى الرجال مقاتل بن مِسْمَع ، وعلى أهل الكوفة محمد بن الأشعث بن قيس ، وعلى بكر بن وائل مالك بن مِسْمَع .

فلما رأى المختار ذلك وجّه إلى كل خُمس من أخماس أهل البصرة رجلًا ، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن مُنْقِذ صاحب ميسرته وإلى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر بن الجارود عبد الرحمن بن شُريح الشِبامي من هَمْدان ، وكان على بيت ماله ، وبعث إلى أهل العالية وعليهم قيس بن الهَيْثَم السُلَمي عبدالله بن جعدة بن هُبيرة المخزومي ، وبعث إلى الأزد وعليهم زياد بن عمرو العَتَكي سليمان بن يزيد الكندي ، وكان على ميمنته ، وبعث إلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعري ، ووقف في بقيّة أصحابه ، وكان المهلّب في خُمْسَيْن كثيرَيِ العدد والفرسان ، وهم الأزد ، وتميم ، وكان الأحنف حاضراً ، ولم يحبّ أن يُشهر نفسه فحمل بعض القوم على بعض ، والمهلّب واقف فقيل له : ألا تحمل ؟ فقال : ما كنت لأُجزِرَ الأزد وتميما خَشَبّيةَ أهل الكوفة حتى أرى فُرْصتي ، وحمل ابن جَعْدة على أهل العالية فكشفهم حتى ألحقهم بمصعب ، فجثا المصعب عندها على ركبيته ورمى سهمه فرمى الناس سهامهم ، وبعث إلى المهلّب : ما تنتظر لا أبا

لغيرك احملْ على من يليك ، فحمل بخمسمائة على أصحاب المختار فحطموهم ، وحمل الناس بأجمعهم فانهزم أصحاب المختار .

وقال عمرو بن عبدالله النَهْدي : اللّهم إنّي أبرأ إليك من فعل هؤلاء ، يعني أصحابه حين انهزموا ، وأبرأ إليك من هؤلاء ، يعني أصحاب مصعب ، اللّهم إنّي على ما كنت عليه بصِفّين ، ثم قاتل حتى قُتل ، وقال مالك بن عمرو النَهْدي وكان على الرجالة وأُتي بفرسه ليركبه : والله لا فَعَلْتُ ولأن أُقْتَل في أهل الصبر أحبّ إلي من أن أُقَتل في بيتي ، أينَ أهل الصبر اليوم ؟ فثاب إليه خمسون رجلاً ، فشدّ وشدوا على محمد بن الأشعث بن قيس وأصحابه ، وكان بالقرب منه ، فقُتل محمد بن الأشعث ، فبنو نَهْد يدّعون قتله يقولون قَتَله مالك ، وكندة تقول قتله عبد الملك بن أشاءة الكندي ، وخَثْعَم تقول قتله ابن قُراد الخثعمي ، ويقال إن المختار مرّ في أصحابه على ابن الأشعث فقال لهم : يا شرطة الله كُرّوا على الثعالب الروّاغة ، فحملوا فقُتل محمد بن الأشعث فقال أعشى همدان :

وما عُذْرُ عَيْنٍ عَلَى آبْنِ الأَشَـ ـجِ في أَنْ يُفَتَّرَ تَقْطارُهـا
فـلا تَبْعَـدَنَّ أَبـا قـاسِمٍ فقـد تَبْلُغُ النَّفْسَ مِقْدارُهـا
بِشَطِّ حَـرُورَا إذَا استجمعت عَلَيْـكَ ثَقِيفٌ وسُحّـارُهـا

وقُتل سعيد بن مُنْقِذ في سبعين راكبا من قومه ، وقُتل سليمان بن يزيد الكندي في تسعين ، ونزل المختار على فم سكّة شَبَث بن رِبْعِيّ فقاتل عامّة ليلته وقُتل معه بَشَر من همدان وغيرها ، وانصرف البصريّون عن المختار فعمد إلى قصر فنزله ، وكان وقعتهم يوم الأربعاء ، وكان عبدالله بن ثوب لما خرج يريد حروراء جعل يقول : اليوم يوم الأربعاء . ترّبّعت السماء . ونزل

القضاء . بهزيمة الأعداء ، فلما كانت الوقعة ضُرب على وجهه فقيل له أين ما كنت تقول ؟ قال : ﴿يَمْحُو الله مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ ٱلكِتَابِ﴾[1] ويقال : إنّ المختار قال ذلك ، وكان عبيدالله بن عليّ بن أبي طالب مع المصعب فقُتل يومئذ ، ويقال : انّه قُتل يوم المَذار فقال المصعب للمهلّب : يا أبا سعيد أَعَلمت انهم قتلوا عبيدالله بن عليّ وهم يعرفونه ويزعمون أنّهم شيعة أبيه ؟ فقال المهلّب للمصعب : أصلح الله الأمير أي فَتْحٍ لو لم يكن محمد بن الأشعث قُتل ؟ فقال : نعم ، فرحم الله محمدا .

قالوا : وسار مصعب يوم الخميس بمن معه فأتى السَبَخة فقطع عن المختار المادّة ، وبعث عبدَ الرحمن بن الأشعث وزَحْر بن قيس إلى جبّانة مُراد ، وبعث عبيدالله بن الحُرّ الجُعفي إلى جبّانة الصائديينّ من همدان ، وبعث عبّاد بن الحُصين إلى جبّانة كندة ، فكانوا كُلّهم يقطعون عنه المادّة ؛ وأمر المصعب المهلّب أن يتخّذ على الكوفة دروباً ففعل فلم يقدر المختار على الماء ، فجعل يشرب وأصحابه من ماء البئر ويعطيهم من عَسل عنده فيُديفونه به ليطيب الماء ، واقترب مصعب وأصحابه من القصر ورتّبهم في مواضع وقفهم بها ، وأقبل أحداث يصيحون يا بن دَوْمَةَ ، فأشرف عليهم فقال:إنّ الذي تعيّرونه ابنُ رجلٍ مِنَ ٱلقَرْيَتَيْنِ[2] عَظِيمٍ ، وكانت أمّ المختار دَوْمَة بنت وهب بن مُعَتِّب بن وهب بن كعب الثَقَفي ، ثم خرج المختار في مائتين فحمل على أصحاب مصعب فقاتلهم وضرب يحيى بن ضَمْضَم وكان

---

١ ـ سورة الرعد ـ الآية : ٣٩ .

٢ ـ بهامش الأصل : عظيم احدى القريتين مسعود بن عمرو وجده .

فارساً شجاعاً إذا ركب خَطّت الأرضَ رجلُه ، فأطار قِحْف رأسه فَخَرَّ ميّتاً ؛ ثم تتابع الناس عليه وكثروه ، فلم يكن له بهم طاقة ، فدخل القصر واشتدّ عليه الحصار ، فقال لأصحابه : انزلوا بنا نقاتلْ حتى نُقْتَل كِراماً ، والله ما أنا بآيِس إن صدقتم أن تُنْصَروا ، فضعُف أصحابه وعجزوا ، فقال : أما والله لا أُعطي بِيَدي ولا أحكم في نفسي ، فلما رأى عبدالله بن جَعْدة ما يريد المختار تدلّى من القصر فلحق بناس من إخوانه فاستخفى عندهم .

ثم إنّ المختار ارسل إلى امرأته أمّ ثابت بنت سَمْرَة بن جُنْدُب فبعثت إليه بطيب فاغتسل ، وتحنّط ، ووضع الطيب في رأسه ولحيته ، ثم خرج في تسعة وعشرين رجلاً من أصحابه فيهم السائب بن مالك الأشعري ، فقال للسائب : ما ترى ؟ قال السائب : أنا أُرَى أم أنت ؟ قال المختار : بل الله يرى ، أنت ويحك أحمق ، إنّما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ، ومروان على الشام ، ونَجْدَة على اليمامة ، فلم أكن دون أحدهم فقاتِلْ على حسبك ، فقال السائب : وما كنت أصنع بالقتال على حسبي ؛ وتمّثل المختار بقول ابن الزِبَعْرَى :

كــلُّ بُؤسٍ ونَعيمٍ زائــلٌ وسَــواءٌ قَــبْرُ مُــثْرٍ ومُقِــلّ[1]

ثم قال لأصحابه لما رأى ما بهم من الروع والفشل ، والامتناع من أن يتابعوه على الخروج والقتال معه : إنّي والله إن قُتلتُ لم تزدادوا إلاّ ضعفاً وذلاّ . ثم إن أُخذتم ذُبحتم كما يُذبح الغنم يقولون : هذا قاتِلُ أبي ، وهذا قاتل أخي ، وإنْ قاتلتم صابرين فقُتلتم مُتُّمْ كِراماً .

---

١ ـ شعر عبدالله بن الزبعرى ص ٤١ مع فوارق واضحة .

ثم خرج فقاتل وهو يقول :

إنْ يَقْتُلوني يَجِدوا لي جَزَرا مُحَمَّـداً قَتَلْتُـهُ وعُـمَـرَا

والأَبْرَصَ الجَاهِلَ لَمَّا أَدْبَرا

فقُتل السائب بن مالك ، ثم قُتل المختار عند الزيّاتين قتله أَخَوان من عَنَزَة يقال لهما طَرَفة وطُرَيْفة ، وبنو تميم يدّعون أنّ مولىً لبني عُطارد يقال له محمد بن عبد الرحمن قتل المختار .

وقال أبو اليقظان : قتله فيما تقول ربيعة : طرّاف بن يزيد الحَنَفي .

ونزل الباقون من أصحابه على الحكم ، فجعل عبّاد بن الحُصين يُنزلهم مكتفين وكان فيهم عبدالله بن قُراد فمّروا به على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهو يقول :

ما كُنْتُ أَخْشَى أَن أُرَى أَسيرا إنَّ الـذين خالَفـوا الأمـيرا

قَدْ خَسِروا وتُبِرّوا تَتْبيرا

فقال عبد الرحمن : ائتوني به فقدّموه إليه ، فقال له ابن قُراد : أَمَا إنّي على دين جدّك الذي آمَن به ثم كفر ، يعني الأشعث إن لم أكن الذي ضربتُ أباك بسيفي حتى فاضت نفسه ، فدنا منه فقتله ، فغضب عبّاد بن الحصين من قتله إيّاه دون أمر مصعب .

وأُتي مصعب برجل من بني مُسْلِيَة فقال : الحمد لله الذي ابتلانا بالأمير وابتلاه بنا ، إنّ مَن عفا عفا الله عنه ، ومن عاقب لم يأمَن القِصاص ، يا بن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملّتكم ونحن قومكم لسنا بِرُوم ولا دَيْلَم ، لم نَعْد أَنْ خالَفْنا اخواننا من أهل مصرنا ، فإمّا أن نكون أصبنا وأخطأوا ، أو أصابوا وأخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل أهل الشام بينهم وكما

اقتتل أهل البصرة بينهم ، فقد افترقوا ثم اجتمعوا ، وقد ملكتم فأسجحوا ، وقدرتم فآعفوا ، فرقّ له مصعب وللأسرى ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : أيّها الأمير اخترنا عليهم أو اخترهم علينا ، وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني فقال : قد قُتل أبي وأشرافنا وخمسمائة أو أكثر منّا وتُخلّي سبيلهم ودماؤنا تَرَقْرَقُ في أثوابهم ، اختَرْنا أو اخترهم فأمر بهم أن يُقتلوا ، فقال بعضهم : قد أُمَرنا المختار أن لا نموت هذه الميتة الدنّية فأبينا ، وكان من أُخرج من القصر نحواً من ستّة آلاف .

حدثني أبو مسعود عن عليّ بن مجاهد قال : لما ظفر مصعب بأصحاب المختار ، بعثت إليه عائشة بنت طلحة في أمرهم الحارث بن خالد المخزومي فوجدهم قد قُتلوا .

وقال مسافر بن سعيد بن نِمْران الناعطي : ما تقول يا بن الزبير غداً وقد قتلتَ أُمةً من المسلمين حكّموك في أنفسهم ودمائهم صَبْراً وإنّ فينا لرجالاً ما شهدوا حربنا وحربكم إلاّ اليوم ؟! فقُتل وقُتل القوم .

حدثني عبدالله بن صالح المقرىء عن الهَيْثم عن عَوانة قال : لما أراد المصعب قتل أصحاب المختار ونزلوا على حكمه شاور الأحنف بن قيس فيهم ، فقال : أرى أن تعفو عنهم فإنّ العفو أقرب للتقوى[1] ، فقال أشراف أهل الكوفة : اقتلهم وضجّوا فلما قتلوا ، قال الأحنف : ما أدركتم بقتلهم ثأرا فلَيْته لا يكون في الآخرة وبَالا .

---

١ ـ انظر سورة البقرة ـ الآية : ٢٣٧ .

وكان المصعب قال : اقتلوا الموالي واعفوا عمّن كان صليبةً مع المختار ، فقام ابن الأصبهاني وابن الإسكاف ، صاحب الدار بالبصرة فقالا : ما هذا بحُكم الإسلام ، فقتل الجميع .

قالوا : وبعث المصعب إلى أمّ ثابت بنت سَمُرة بن جُنْدُب الفزاري ، وعَمْرة بنت النُعمان بن بَشير الأنصاري ، امرأتي المختار ، فأُحضرتا فقال لهما ما تقولان في المختار ؟ فأمّا أمّ ثابت فقالت : ما عسينا أن نقول فيه إلاّ مثل ماتقولون من الكذب وادّعاء الباطل فخلّى سبيلها ، وقالت عَمْرة : ما علمتُه رحمه الله إلاّ مسلماً من عباد الله الصالحين ، فحبسها المصعب في السجن ، وكتب إلى عبدالله بن الزبير : «إنّها تزعم أنّه نبي» فكتب إليه أن أَخْرِجْها فاقتلها ، فأخرجها إلى ما بين الحيرة والكوفة بعد العشاء الآخرة ، فأمر بها رجلاً من الشُرَط يقال له مَطَر ، فضربها بالسيف ثلاث ضربات ، وهي تقول : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه ، فرفع رجل يده فلطم مَطَراً وقال : يابن الزانية عذّبتها فقطعتَ نفسها ثم تشحّطت وماتت ، وتَعَلّق مَطر بالرَجُل فأتى به مصعباً فقال : خلّوه رأى أمراً عظيماً فظيعاً ، وكان لقب مطر هذا تابعه .

فقال عبدالله بن الزبَير الأسدي ، ويقال عمر بن أبي ربيعة :

إنَّ مِنَ أَعْجَبِ العَجائِبِ عِنْدي ... قَتْلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عُطْبول
قَتَلوها ظُلْماً على غَيْرِ ذَنْبٍ ... إنَّ لله دَرَّهَا مِنْ قَتيل
كُتِبَ القَتْلُ والقِتالُ عَلَيْنا ... وعلى المُحْصَناتِ جَرُّ الذُيول[1]

---

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٩٨ مع فوارق .

وقال الأَحْوَص ، ويقال غيره :

أَلَمْ تَعْجَبِ الأَقْوامُ مِنْ قَتْلِ حُرَّةٍ مِنَ الجامِعاتِ العَقْلَ والدينَ والحَسَب
مِنَ العاقِلات المُؤْمِناتِ بَرِيَّةٍ مِنَ الشَكِ والبُهْتانِ والإثْمِ والرِيَب
كَأَنَّهُمُ إذْ أَبْرَزوها فقُطِّعَتْ بأَسْيافِهِمْ فازوا بِمَمْلَكَةِ العَرَبْ[1]

وكان مقتل المختار في شهر رمضان سنة تسع وستّين .

وبعث المصعب برأسه ورؤوس وجوه أصحابه إلى عبدالله بن الزبير بمكة ، وسمر المصعب يد المختار على حائط المسجد الجامع ، فلم تزل مسمورة حتى قدم الحجّاج الكوفة فأمر بها فانتُزعت ثم دُفنت .

ولما قتل المصعب المختار أنفذ عمرَ بن عبيدالله بن مَعْمَر إلى البصرة وأقام بالكوفة لإصلاح أمرها ، فكان يومُ الجُفْرة بالبصرة في أيام عمر بن عبيدالله هذه ، ثم لحق به مصعب وقد ذكرنا ذلك فيما تقدّم من نسب بني أبي العيص .

حدثني العُمَري عن الهَيْثَم بن عَديّ عن عَوانة وغيره قالوا : وفد مصعب على أخيه عبدالله ثلاث مرّات أولاهنّ من الكوفة حين قُتل المختار ومعه إبراهيم بن الأشتر ، والثانية من البصرة بمال العراق حين عزله وولّى حمزة بن عبدالله البصرة فقدمها غلام مُعْجَب حريص ، فقصّر بالأشراف وبسط يده ففزعوا إلى مالك بن مِسْمَع فأمر بحمل سُرادِقة فضُرب على الجسر ، ثم أرسل إلى حمزة يا بن أخي الحقْ بأبيك فأَخْرَجه عن البصرة ، فقال العُدَيل بن فَرْخ العجلي :

---

١ - شعر الأحوص ص ٢٦٣ .

إذا ما خَشينا مِنْ أَميرٍ ظُلاَمَةً　　دَعَوْنا أَبا غَسّانَ يَوْماً فعَسْكَرا
فما في مَعَدٍ كُلّها مِثْلُ مالِكٍ　　أَغَرُّ إذا سامَى وأَهْيَبُ مَنْظَرا
بَني مِسْمَعٍ لَوْلا الإلهُ وأَنْتُمُ　　بَني مِسْمَعٍ لَمْ يُنْكِرِ الناسُ مُنْكَرا
بَني مِسْمَعٍ أَنْتُمْ ذُؤابَةُ وائِلٍ　　وأَكْرَمُها في أَوَّلِ الدَهْرِ جَوْهَرا

فرد عبدالله مصعباً على الكوفة والبصرة ، ثم إنّه احتاج إلى مشافهة أخيه عبدالله بشيء في أمر عبدالملك حين بلغه عزمه على إتيان العراق فشخص إليه فلم يُقم قِبَله إلاّ يوماً ، ثم ركب رواحله إلى البصرة .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعن عَوانة قالا : لما قدم مصعب على أخيه بعد قتل المختار ، قال له ابن عمر : أأنت الذي قتلت ستّة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة على دمٍ ؟ فقال : إنّهم كانوا سَحَرَة كَفَرَة ، فقال له : والله لو كانوا غَنَماً من تراث الزبير لقد كان ما أتيت عظيماً .

قالوا : وقال عبدالله بن الزبير لابن عبّاس ـ وأخبره بأمر المختار ـ فرأى منه توجّعاً وإكباراً لقتله أتتوجع لابن [أبي] عُبيد وتكره أن تسميّه كذّاباً ؟ فقال له : ما جزاؤه ذلك منا ، قتل قَتَلَتَنا ، وطلب بدمائنا وشفى غليل صدورنا .

قالوا : ومرّ عروة بن الزبير على ابن عبّاس فقال يا أبا عبّاس إنّ ربّك قتل المختار الكذّاب وهذا رأسه قد جيء به ، فقال ابن عبّاس قد بقَيتْ لكم عَقَبةٌ إنْ صعدتموها فأنتم أنتم يعني ، عبدالملك وأهل الشام .

حدثني عمر بن شَبّة عن موسى بن اسماعيل عن أبي هلال عن أبي يزيد المدني قال : ذكر ابن عمر الدّجالين والكذّابين فقال ومنهم ذو صِهْري هذا ، قال : قلت : ومن ذو صهرك ؟ قال : المختار .

وحدثني عمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا قيس عن أبي اسحاق ، عن سعيد بن وهب قال : قيل لابن الزبير إنّ المختار يزعم انه يُوحى إليه قال صدق ثم قرأ : ﴿هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَى من تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلّ أَفَّاك أثِيم﴾(١) .

حدثني مصعب بن عبدالله الزُبيري عن أبيه قال:قال هشام بن عُرْوة : قيل لابن عبّاس إنّ المختار يزعم أنّه يُوحَى إليه . فقال : صدق إنّهما وَحْيَانِ وَحْي الله إلى محمد ﷺ ، ووَحْي الشياطين ، وقرأ : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُون إلى أَوْلِيَائِهِمْ﴾(٢) .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه عن أبي صالح قال : كان ابن عبّاس يقول في المختار : طَلَبَ بثأرنا ، وقتل قَتَلَتَنَا ، فنهاه محمد بن الحنفية وقال : نحن أعلم به فلا تقُلْ فيه من الخير شيئاً .

وقد رُوي عن ابن عبّاس إنّه ذُكر عنده المختار ، فقال : صلّى عليه الكِرام الكاتبون .

حدثنا بسّام الحمّال وغيره قالوا : حدثنا حمّاد بن سَلَمة عن يحيى بن سعيد عن أبيه : إنّ المختار لما دعا الناس لبيعته ، رأيت الحارث بن سُويد يذهب مُرْقلا ، فقلت : إلى أين تذهب ، أمَا تدري ما هذه البيعة ؟ قال : بلى ولكنّي سمعت ابن مسعود يقول ما كلام أتكلم به يُردّ عنّي ضربتين بسوط إلاّ كنت متكلّما .

---

١ - سورة الشعراء - الآيتان : ٢٢١ - ٢٢٢ .
٢ - سورة الأنعام - الآية : ١٢١ .

المدائني قال : وجد المختار في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم ، ويقال : ألف ألف وتسعمائة ألف .

المدائني ، قال : كتب المختار إلى ابن الزبير ، إنّ ابن مُطيع خالفك ، وكاتَبَ عبدالملك ، وأنت أحبّ الينا من عبدالملك ، فوجَّه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث فماكَرَهُ المختار وقد كتبنا خبره .

قال : وكتب المختار إلى ابن الزبير إنّي اتخذت الكوفة دارا ، فإنْ سوَّغْتَني ذلك وأمرتَ بألف ألف درهم سرتُ إلى الشام وكفيتك أمره ، فقال ابن الزبير : إلى متى أُماكر كذّاب ثقيف ويماكرني ثم تمثّل :

عاري الجَواعِرِ مِن ثَمودٍ أَصْلُهُ   عَبْدٌ ويَزْعُمُ أَنَّهُ مِن يَقْدُمِ

وكتب إليه : لا والله ولا درهماً ، وقال :

ولا أَمْتَري بالهُونِ حتى يَدُرَّني   وإنّي لأبى الخَسْفَ مادُمْتُ أَسْمَعُ

فجاهره المختار عندها ونصب له .

وقال المدائني : أعظمت ربيعة قتل إياس وابنه ، وقالوا : نقتل بهما إبراهيم بن الأشتر ، فقال سُراقة البارقي :

أَتُـوعِدُنـا رَبيعَةُ في إيـاسٍ   وما تَدْري رَبيعَةُ ما تَقولُ
ولَـوْلا رَفْعُنا عَنْهُمْ لَكـانـوا   كَمَن غالَتْهُ في الأَيّامِ غولُ
لإبْراهيمُ أَمْنَعُ مِن سُهَيْـلٍ   إذا طارَتْ مِنَ الفَزَعِ العُقولُ
وأَمْنَعُ جانِباً مِن لَيْثِ غابٍ   جَـرِيءٍ دونَـهُ أَجَمٌ وغِيـلُ
وأَصْدَقُ عَدْوَةً مِنْهُ إذا ما   تَـدَمّى مِن فَريسَتِـهِ التَليـلُ

حدثني روح بن عبد المؤمن عن غُنْدَرُ عن شُعْبة عن الحَكَم قال : صلّيت خلف أبي عبدالله الجَدَلي ، زمن الكذّاب ، وكان الكذّاب استخلفه

فقرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فلما قرأ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال : كَفَى بالله هاديا ونصيرا ، ثم قال بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

المدائني ، قال : قال المختار : من جاءنا من عبد فهو حُرٌّ ، فبلغ ذلك ابن الزبير فقال : قد كان يقول إنّي لأعرف كلمة لو قُلْتها كثر تَبَعي ، وهي هذه ، لَيكثرنّ تَبَعُه .

قال أبو الحسن المدائني : أتى عبّاد بن زياد دُومة الجندل بعد مرج راهط طالباً للعُزْلة وهارباً من الفتنة ، فوجّه المختار إليه شُرحَبْيل بن وَرْس الهمداني في أربعة آلاف ، فأرسل إليه عبّاد إنّي إنّما هربت إلى دومة الجندل بديني واعتزلت الفتنة ، فقال له أصحابه : هو رأس الفتنة وأوّلها وآخرها فلا يبرح حتى يُسفَك دمه ، فعزم ابن وَرْس على قتاله ، فقال عبّاد لأصحابه ، وهم سبعمائة من عبيده ومواليه وأتباعه: اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم فإنّه لم يُحضَر قوم قطّ إلاّ وَهنوا وذلّوا فقاتلهم ، فقُتل من أصحاب ابن وَرْس أكثر من ألف ولم يُقتل من أصحاب عبّاد إلاّ الوليد بن قيس مولى عبيدالله بن زياد ، وانهزم ابن وَرْس فوثب الأعاريب عليه فانتهبوه وقتلوا جماعة من أصحابه ، فصار فيمن بقي معه إلى بلاد طيّء ، فجمع له مَعْدان الطائي ، وهو معدان بن سلمة بَن حنظلة ، فقاتله ابن وَرْس وهو يقول :

أنا آبْنُ وَرْسٍ فارِسٌ غَيْرُ وَكَلْ ... أَرْوَعُ مِقْدامٌ إذا النِكْسُ نَكَلْ
وأَعْتَلِي رَأْسَ الطِرِمّاحِ البَطَلْ ... بِالسَيْفِ يَوْمَ الرَوْعِ حتى يَنْجَدِلْ

وجعل مَعْدان يقول :

إيهٍ بَني مَعْنٍ ذَوي العَديدِ ... فجَرّدوا البِيضَ مِنَ الحَديدِ
ولاتُعيدوهُنَّ في الغُمودِ ... وآنْتَزِعوا سُرادِقَ العَبيدِ

فقتلوا منهم سبعمائة ودخل ابن وَرْس الكوفة .

فقال الأخطل :

وأَنْتَ يا بنَ زيادٍ عنْدَنا حَسَنٌ   مِنْكَ البَلاءُ وأَنْتَ الناصِحُ الشَفِقُ
المُسْتَقِلُّ أُموراً لَيْسَ يَحْمِلُها   غَمْرٌ مِنَ القَوْمِ رِعديدٌ ولا خَرِقُ[1]

وقال المدائني : مال عُمَير بن الحُباب يوم الخازر وقال : يا لثأرات المَرْج فقُتل: ابن زياد، وحُصين بن نُمير، وشرحبيل بن ذي الكَلاع .

وقال أبو الحسن المدائني : أقام عبيدالله بن زياد حين وجّهه مروان على قَرْقِيسَاء سنةً فلم يقدر على شيء ، فتوجّه يريد العراق فلقي التوّابين ، ثم سار يريد العراق فقُتل بالخازر وقال عُمير بن الحُباب :

جَزَيْناهُمْ بِيَومِ المَرْجِ يَوْماً   كَسوفَ الشَمْسِ أَسْوَدَ ذا ظِلالِ
فلَمْ يَنْفَكَّ أَعْظُمُ سَكْسَكيٍ   أَمامَ الجِسْرِ ما آخْتَلَفَ اللَيالي

وقال الفرزدق :

أَلا رُبَّ من يُدْعى الفَتَى لَيْسَ بِالفَتَى   ولٰكِنَّما كانَ الفَتَى ابنُ زِيادِ[2]

وقال المدائني : بعث المختار برأس ابن زياد إلى عبدالله بن الزبير ، فبعث به عبدالله إلى ابن الحنفيّة فقال : ﴿الشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾[3] قال : ويقال إنّه بعث برأس ابن زياد إلى ابن الحنفيّة ، ويقال : إنّ مصعبا بعث برأس المختار الى ابن الزبير فبعث به ابن الزبير إلى ابن الحنفيّة فتلا ابن الحنفيّة الآية، وذلك أشبه بالحقّ .

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ٢١٤ مع فوارق .
٢ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .
٣ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٩٤ .

وقال المدائني : قتل المختارُ عبدالله بن شدّاد الجهني ، وأبا عثمان بن خالد بن أسيد ، وزيد بن رُقاد الحيني ، وعمرو بن الحجّاج الزبيدي فقد فمات عطشاً ، وهرب مِسكين بن عامر الدارِمي ، وكان ممّن قاتل قَبْلُ المختار بالكوفة ، ولحق بمحمد بن عُمير بن عُطارد بآذَرْبيجان وقال في أبيات له :

لَهْفَ نَفْسي عَلَى قَريعِ قُرَيْشٍ يَـوْمَ يُؤْتَى بِـرَأْسِـهِ الْمُخْتـارُ
لَيْتَنْا قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ مُتْنا أَوْ فَعَلنا ما يَفْعَلُ الأَحْرارُ

وقال المدائني : هرب أسماء بن خارجة إلى البادية ، فنزل على رجل من بني عبْس وكان للعبسي كلب يقال له وقّاع فقال العبسي : إنّي أخاف على كلبي ، فقال أسماء : أنا له ضامن ، فكان يأمر بإطعامه حتى تناهى سِمَنَه ، ثم رحل أسماء فنزل بلاد كلب ونزل بالعَبْسي رجل من بني ثعلبة بن سعد يُكنى أبا حَيّان ، فجاء الكلب والطعام موضوع فرماه أبو حيّان بسهم فقتله ، وأمِن أسماء فرجع ونزل بالعبسي فقال : ما فعل وقّاع ؟ فأخبره فقال : قد كنتَ ضمنتَه ، قال : فآحتكم فقال : ألف درهم ، فأعطاه أربعة آلاف درهم .

حدثني عمر بن شَبّة حدثني حَيّان بن بِشر عن يحيى بن آدم عن عليّ بن هشام عن أبي الجحاف قال : قال لي معاوية بن ثعلبة : لما خرج المختار كرهتُ الخروج معه ، فأتيت محمد ابن الحنفيّة فسألته فقال إنّي آمرك بما آمر به نفسي لا تخرج معه ، فإنّا أهلَ البيت لا نبتزّ هذه الأمّةَ أمرَها ، وإنّ عليّاً لم يقاتل حتى كانت له بيعة .

١ ـ ديوان مسكين الدارمي ص ٤٣ .

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العَلاء قال : أراد ابن الحنفيّة أن يقدم الكوفة، فقال المختار إنّ في المهديّ علامةً وهي أن يضربه رجل بالسيف ضربة فلا تضرّ فبلغ ابن الحنفيّة ذلك فأقام .

وقال نَصْر بن عاصم اللّيْثي :

فارَقْتُ نَجْدَةَ والذين تَزَرَّقوا وابنَ الزُبَيْر وشيعَةَ الكَذّابِ
والصُفْرَ آلاذانِ حين تَخَيَّروا دِيناً بِلا فِقْهٍ ولا بِكِتابِ

حدثنا سعيد بن سليمان سعدَوْيه وعمرو بن محمد الناقد قالا : حدثنا هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : ما كانوا يقرأون خَلْفَ الإمام حتى كان المختار فاتّهموه ، فقرأوا خلفه ، وكان يصلّي بهم صلاة النهار ، ولا يصلّي بهم صلاة الليل .

حدثني عبدالله بن صالح حدثنا أشياخنا : أن الشعبي كان يقول للخَشَبيّة : يا شرطة الله قَعِي وطِيري .

حدثني عمرو بن محمد الناقد عن حفص بن غِياث عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت قال : كانت هدايا المختار تأتي ابن عمر وابن عبّاس ، وابن الحنفيّة فيقبلونها .

حدثني هُدْبة بن خالد عن وُهيب عن ابن عَوْن عن نافع عن ابن عمر : أنّه ما ردّ على أحد من الوُلاة هدِّيته - أو قال : صِلَته - إلاّ المختارِ ، فإنّه بعث إليه بمائة ألف درهم فرَدّها .

حدثني عمر بن شَبّة حدثنا الوليد بن هشام عن وُهيب بن خالد عن ابن عَوْن عن نافع قال : ما ردّ ابن عمر على أحد من الوُلاة صِلته إلاّ المختار فإنّه بعث إليه بمائة ألف درهم فردّها .

حدثني المدائني قال : قدم محمد بن الأشعث البصرة وهو ينادي : واغَوثاه تركنا السيوف تنطف وقُلف العبيدِ في الأحراح ، وكان على البصرة القُباع ، فقدم المصعب على بقيّة ذاك .

وقال ابن قيس الرُقيَّات يمدح مصعباً :

والذي نَغَّصَ ابنَ دَوْمَةَ ما يو حي الشَياطينُ والسُيوفُ ظِماءُ
فأباحَ العِراقَ يَضْرِبُهُمْ بِالسَيْـ ـفِ صَلْتاً وفي الضِراب جِلاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فيه جَـبَروتٌ مِنْهُ ولا كِـبْرِياء[1]

وقال ابن الكلبي : بعث مصعب إلى عبد الرحمن بن حُجْر بن عَدي وعبد رب بن حُجْر ، وعمران بن حُذيفة بن اليمان ، فقتلهم صبراً. وكانوا خرجوا مع المختار .

حدثني يوسف بن موسى القطّان عن جرير بن عبد الحميد عن المغيرة قال : قُتل عبيدالله بن عليّ مع مصعب يوم المختار .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة عن أبيه قال : لما وفد مصعب على أخيه بعد قتل المختار قال لابن عمر : ما تقول في قوم خلعوا ربقة الطاعة ، وسفكوا الدماء وقاتلوا فقوتلوا ، حتى إذا غُلبوا دخلوا حصناً فسألوا الأمان على الحكم ، فأُعطوا ذلك ثم أخرجوا فقُتلوا ؟ قال : وكم العدّة ؟ قال : خمسة آلاف ، قال فسبّح ابن عمر ، ثم قال : عمّرك الله يا بن الزبير ، لو أنّ رجلاً أتى ماشيةً لآل الزبير فذبح منها خمسة آلاف ألم تكن تراه مسرفاً ؟ قال : فسكت فلم يجبه ، فقال : ألم يكن فيهم من تُرْجَى له التوبة ، ألم يكن فيهم مستكرَه .

١ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ـ ط . دار صادر بيروت ، ص ٩٠ ـ ٩١ مع فوارق

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه حدثني أبو بكر بن عياش حدثني أبو إسحاق السَبيعي قال : مازال شرابَ أهل الكوفة الزبيبُ حتى كان زياد فشربوا التمر .

قال وحدثنا أبو بكر قال : أوّل ما قُرِىء خلف الإمام في زمن المختار ، لأنّهم اتّهموه .

حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن زيد قال: كان عبدالله بن الزبير استعمل مصعباً على البصرة ثم عزله، واستعمل ابنه حمزة وذلك بعد قتل المختار ، فلما رأى أهل البصرة ضعف حمزة طلبوا إلى ابن الزبير أن يردّ إليهم المصعب، وكان المصعب رجلاً له نجدة وشجاعة وسخاء وبصر بما يَأتي ويَذَرُ ، فلما قدم البصرة جبى خراج الأهواز ، وشاطىء دجلة ، وجعل يعطي الناس العطاء في كل سنة مرّتين في أولها وآخرها ، فلم يزل المصعب بالبصرة إلى أن خرج إلى مَسْكِن .

حدثنا أبو خيثمة [و] أحمد بن إسرائيل [قالا]: حدثنا وهب بن جرير عن أبيه قال : استعمل عبدالله بن الزبير عبدالله بن مُطيع العَدَوي على الكوفة ، فقال المختار لابن الزبير وهو يومئذ عنده إنّي لأعلم قوماً لو أنّ لهم رجلاً له رفقٌ وعلم بما يَأتي ويَذَر ، لاستخرج لك منهم جنداً تقاتل بهم أهل الشام ، قال : مَن هم ؟ قال : شيعة علي وبني هاشم بالكوفة ، قال : فكُن أنت ذلك الرجل ؛ فبعثه إلى الكوفة فنزل ناحية منها ، وجعل يبكي على الحسين ، ويذكر مصابه حتى ألفوه وأحبّوه فنقلوه إلى وسط الكوفة ، وأتاه منهم بشر كثير ، فلما غلظ أمره وقوي شأنه سار إلى ابن مُطيع فأخرجه من الدار .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب عن أبيه عن عدّة حدّثوه : أنّ المختار لما غلب على الكوفة ابتنى لنفسه من بيت المال داراًأنفق عليها مالاً عظيماً ، واتّخذ بستاناً من بيت المال ، وأعطى عطايا كثيرة وأنفق نفقات وكتب إلى ابن الزبير : إنْ سوّغتني ما أنفقت من بيت المال فإنّي في طاعتك وإنما حملني على إخراج ابن مُطيع ما رأيتُ من وهنه وضعفه وأنّه لم يكن صاحبَ ما هو فيه ، فأبى ابن الزبير أن يفعل فخلعه المختار ؛ وكتب إلى عليّ بن الحسين بن عليّ يريده على أن يبايع له ، وبعث إليه بمال فأبى أن يقبله وأن يجيبه ، وخرج إلى المسجد فشتمه وعابه وذكر كذبه ؛ فكتب المختار الى ابن الحنفيّة يريده على ذلك ، فأتاه عليّ بن الحسين فأشار عليه أن لا يقبل ، وأن يخرج إلى الناس فيتبرأ منه ويعيبه ويذكر كذبه ، فأتاه ابن عبّاس فقال : لا تفعل فإنّك لا تدري على ما أنت من ابن الزبير ، فأطاع ابنَ عبّاس ، وسكت عن عيب المختار ؛ وغلظ أمر المختار بالكوفة ، وكثرت خَشَبيّته ، فجعل يخبرهم أنّ جبريل يأتيه وتتبع قتلة الحسين فقتلهم ، وكان ممّن قتل عمر بن سعد بن أبي وقّاص، وهو الذي كان لقي الحسين فقتله، فازداد أهل الكوفة إعظاماً له وحبّاً وطاعة ؛ فخرج النعمان بن صُهبان الراسِبي من البصرة ، وكان يرى رأْي الشيعة ، حتى قدم الكوفة فدخل على المختار ذات يوم ، فقال له المختار : هنا مجلس جبريل قام عنه آنفاً ، فخرج النعمان وأصحابه فقاتلوه فقُتلوا اجمعين .

حدثنا أبو خَيْثَمة حدثنا وَهْب بن جرير حدثني أبي ومحمد بن أبي عُيَيْنة : أن المختار وّجه أحمر بن شُميط ليأخذ البصرة فخرج في أربعين ألفاً فنزل المَذار واستنفر المصعب الناس ، وخرج إليه بالبصرة ، وقد كان

مصعب لما قدم العراق كتب إلى المهلّب حين قتل ابن الماحوز الخارجي أن يصير إليه ، فأتاه فسار المصعب بالناس حتى نزل بإزاء ابن أبي صُفْرة بالمَذار ، واستعمل على ميمنة الناس المهلّب بن أبي صفرة ، وعلى ميسرتهم عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر وكانت في الميمنة تميم والأزد ، وفي الميسرة ربيعة ، وكان المصعب في القلب ومعه أهل العالية من أخلاط الناس ، فلما زحف بعض الناس إلى بعض حمل عمر بن عبيدالله على ميمنتهم فهزمهم ، وقتل ابن شُميط وأصحابه .

المحتوى